

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية



## بنية الشخصية في الرواية العرفانية عند عبد الاله بن عرفة " نماذج "

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د) في اللغة العربية و آدابها

إشراف الأستاذ الدكتور:

-فاتح علاق

إعداد الطالب:

-ذباح جمال

### لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د/ علي ملاحي	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر- 2	رئيسا
د/ فاتح علاق	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر- 2	مشرفا ومقررا
د/ زاوي لعموري	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر- 2	عضوا
د/ إبراهيم فضالة	أستاذ دكتور	جامعة البلدية	عضوا
د/ سعدي الدراجي	أستاذ دكتور	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا
د/ النذير بوصبع	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر- 2	عضوا

السنة الجامعية: 2020/2019 م.

[Texte]

# الإهداء

إلى :

**نون** ي عيني أمي و أبي أدام الله ظلّهما...

من **ط** وقتني ب**س** رم حبتها زوجتي الجوهرة الفريدة ...

**حواميم** حياتي: أمينة، مأمون، أمين، أماني، يمني ...

**أجزاء** الماضي والحاضر والمستقبل.. الأم الثانية، إخوتي، أخواتي..

آيات المعرفة أساتذتي الكرام....

فواصل العمر أصدقائي الأوفياء...

حروف المهنة تلامذتي الأعزاء في كل الأوقات..

إلى : من يتألمون في صمت...

# كلمة شكر وعرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع وأود أن  
أتقدم بالشكر الجزيل إلى الذي كان له الفضل في أن يرى  
هذا المنجز النور، الأستاذ الفاضل: فاتح علاق.

جمال ذباح

# مقدمة

## مقدمة

مقدمة:

الرواية جنس أدبي واضح المكونات له آلياته ونظرياته وقوانينه، وقد أصبح هذا الجنس مركزاً للإشعاع والإبداع. وزمننا هذا هو زمن الرواية حسب آراء بعض النقاد حيث أصبحت الرواية العربية ديوان العرب المحدثين الذي ينطق المسكوت عنه من هواجسهم، ويحرر المقموع من رغباتهم، ويفتح أبواب المستقبل التي يغلقها الماضي الذي يأخذ بخناق الحاضر. وقد غدت على المستوى الفردي الفضاء الميتافيزيقي الذي يلجأ إليه الأفراد للحصول على فسحة لفك الارتباط مع الواقع الصلب واشتراطاته القاسية، والإبحار في عوالم متخيلة لذيدة تشبه حلم يقظة ممتد. ويستوي في ذلك مبدعو الأعمال الروائية وقارئوها. يقول جابر عصفور: "إننا نعيش زمن الرواية وليس زمن الشعر"، وأن الرواية هي شعر الدنيا الحديثة كما وصفها نجيب محفوظ بحق وقد أشار جورج لوكاتش إلى ذلك حين قال إن الرواية ملحمة العصر الحديث.

ومن بين الأنواع الروائية التي شدتني، ما اصطلح على تسميته بالرواية العرفانية والتي تعني في جملة ما تعنيه الرواية التي تتفاعل مع مجال التصوف العالمي والعربي، وتتهل مادتها منه. وهي تتداخل مع الرواية التاريخية وتتقاطع معها من حيث العودة إلى التاريخ العام أو الخاص والحفر في ثناياه، لا بقصد استعادته في جموده بل من أجل تحيينه وقراءته قراءة جديدة تملأ فراغاته وترمم ثقوبه. بل هي ذلك الإبداع الروائي السامق في سماء الروح الماتح من تاريخ التصوف أروع التجارب الروحية وأغناها، ممارسة ومعرفة وإشارات ولطائف عرفانية. وفي هذا النوع الروائي يتضافر جمال الروح وجمال اللغة على بناء نص جذاب زاخر بالمعارف والتلويحات العرفانية في قالب أسلوبى باذخ.

## مقدمة

وقد ابتدأه الدكتور عبد الإله ابن عرفة في مطلع هذا القرن وذلك بإصدار روايته الأولى "جبل قاف" عام 2002 مما يعني أننا إزاء خطاب سردي معاصر.

ومدار هذه الأعمال مستمد من فواتح السور القرآنية النورانية ( جبل قاف، بحر نون، بلاد ص، الحواميم حم، طواسين الغزالي، ابن الخطيب في روضة طه، ياسين قلب الخلافة.....) فهناك أربعة عشر حرفا مقابل أربع عشرة رواية تتناول تاريخ الإسلام وحضارته عرفانا لها ولمن أسهموا في بنائها مشيرا إلى أنه اختار قراءة تاريخ الأمة منذ أربعة عشر قرنا انطلاقا من الأحرف النورانية المقطعة وإزاء كل حرف نوراني قامه فكرية وروحية وقرن حضاري من هذه القرون، وتسعى الرواية العرفانية في مشروعها السردى إلى التأسيس لأدب جديد ذي مرجعية قرآنية.

ولمّا كانت الشخصية من أهم المكونات السردية في الرواية، والقطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردى وعموده الفقري الذي يتمركز عليه. وحسب وجهة النظر اللسانية لتودوروف (Tzvetan Todorov) فإن مشكلة الشخصية هي قبل كل شيء مشكلة لسانية، فالشخصية لا وجود لها خارج الكلمات لأنها ليست سوى كائنات ورقية، إذن فالشخصية هي المحرك الأساس للعمل الروائي حيث تقوم بإبراز الحدث.

أما غريماس (A.J. Greimas) فقد استبدل مفهوم الشخصية بمفهوم العامل وتعامل معها كونها فاعلا في العمل الروائي. كما نجد باختين (Mikhail Bakhtine) ينوه بالدور الأساسي لها ويعتبر حركتها مهمة جدا في أي عمل روائي، أما بالنسبة لفيليب هامون (Philippe Hamon) الذي انطلق من حيث انتهى العديد من الدارسين فيرى الشخصية " علامة فارغة أي بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد" ويضيف " أن مفهوم الشخصية ليس مفهوما أدبيا محضا وإنما هو

## مقدمة

مرتبط أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم داخل النص" ويعمد الكاتب إلى إبرازها حتى تكون قريبة من الواقع. وقد حاول ابن عرفة بواسطة أسئلة لغة رواياته وفق نسق مميز مقارنة الشخصيات التاريخية الواقعية التي كتب عنها.

من أجل ذلك ارتأيت أن أقوم بدراستها في نماذج من روايات الدكتور عبد الإله بن عرفة مؤسس هذا المشروع، الذي يتخذ الوجود موضوعا له، أما الخيال العرفاني فهو آلية من آليات بناء الحكى والسرد العرفانيين.

ووفقا لذلك وقع الاختيار على العنوان التالي :

### بنية الشخصية في الرواية العرفانية عند عبد الإله ابن عرفة نماذج

لتزواج الدراسة بين الرواية العرفانية والتعريف بها ودراسة الشخصية وبنيتها.

ومن الأسباب التي دفعتني لإختيار هذا النوع من الدراسة وهذه المتون تحديدا رغبتني في اكتشاف كنه هذا النوع الجديد من الروايات، ثم إن المكتبة العربية عموما والجزائرية خصوصا تتعدم بها دراسة لأي جانب من جوانب المكونات السردية في الرواية العرفانية .

وكلي أمل - وفق اختياري هذا- أن أجيب عن الأسئلة التي دارت في خلدي وأنا أقرأ بعض روايات الدكتور بن عرفة :

ماهي طبيعة الشخصية في الرواية العرفانية ؟

حسب الكاتب هناك نوعان من الشخصيات في رواياته النوع الأول يتضمن الفاتحة النورانية التي اشتغل عليها بل أسس مشروعها عليها وتمثل في كل رواية الحروف المتقطعة في السور القرآنية (ق، ن، ص، حم ، طس، طه ، يس، طسمالم، الر، المر، المص، كهيعص، حمعسق) فكل واحدة من هذه الفواتح هي الشخصية العرفانية. ثم يأتي

## مقدمة

النوع الثاني من الشخصيات المتعلقة ببطل كل رواية وهي الشخصيات التاريخية (ابن عربي، ابن الخطيب، الغزالي، ابن حزم، الجنيد.....) جزء من رسالة بعث بها لي الدكتور بن عرفة

- ما دلالة الشخصيات في الرواية العرفانية (الروايات قيد الدراسة) ؟

- كيف بنى ابن عرفة شخصيات رواياته ؟

- ما الوظيفة/الوظائف التي أسندها عبد الإله لشخصياته ؟

إن طبيعة الدراسة فرضت بنفسها المنهج الواجب إتباعه فاستندت إلى الخطوات التي قدمتها الدراسات الغربية في نظرية السرد وتحديد ما قدمته المدرسة السيميائية من خلال أعمال فلاديمير بروب (Vladimir Propp) بريمون (Bremond) وغريماس وبشكل خاص أعمال فيليب هامون الذي يبحث عن شكل المعنى عن طريق النفاذ إلى عمقه، متجاوزين بذلك المناهج السياقية التي تعنى بالكشف عن الخفيات الايديولوجية والنفسية والتاريخية لمضمرات النصوص، واعتمدنا المنهج البنيوي والسيميائي الذي يعد فرعاً منه والذي يبحث في النظم والتركيبات والقواعد التي يفضلها ومن خلالها يتولد المعنى، ولما كان البحث منصبا على دراسة عنصر واحد من عناصر السرد والمتمثل في عنصر "الشخصية" فقد كانت مقارنة فيليب هامون أهم منهجية تحليل تعرضت لهذا العنصر لأنها تمثل نتيجة عامة لكل الدراسات البنيوية والسيميائية التي تطرقت لهذا العنصر بالدرس، زيادة على ذلك توفيرها لوسائل إجرائية وخطوات منهجية دقيقة تسهل الولوج إلى دراسة الشخصية . فكان اهتمامنا منصبا على النص وحده وفي كليته فوسائل تحليلنا للخطاب العرفاني ليست إلا توجيه لقراءتنا والتي من خلالها نتوصل إلى تحليل عنصر الشخصية ومعرفة طريقة اشتغالها في النص لعلنا نبلغ مرامي الكاتب من توظيفه لشخصيات ضمن

## مقدمة

سياقات مختلفة وأنساق متنوعة من مبدأ " أن كل شيء في النص إلا ولديه معنى " حسب رأي سعيد بنكراد.

ولتحقيق الهدف المرجو من الدراسة كان لزاما عليّ الرجوع إلى بعض الأبحاث التي لا غنى عنها لدراسة الشخصية وعلى رأسها كتاب سيميولوجية الشخصية الروائية لفيليب هامون النسخة الفرنسية وكذلك النسخة المترجمة للعربية من قبل الناقد سعيد بنكراد، وكتابه الآخر سيميولوجية الشخصيات السردية حيث ركز على تحليل عنصر الشخصية في رواية الشراع والعاصفة لحنامينة، بالإضافة لكتاب حسن بحراوي بنية الشكل الروائي. ومن أهم الدراسات السابقة التي استعنت بها : (الشخصية بين النظرية والتطبيق "اللاز" و" العشق والموت في الزمن الحراشي" لطاهر وطار أنموذجا رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر 2 من متطلبات نيل درجة دكتوراه من إعداد الطالبة نبيلة زويش لموسم الدراسي 2011/2012). رسالة دكتوراه تحت بعنوان (بناء الشخصية مقارنة سيميائية رواية عندما يختفي القمر لحفناوي زاغر للطالب نور الدين بلاز للموسم الدراسي 2010/2011 سيميائية الشخصية في السيرة الشعبية رسالة دكتوراه للطالبة حسناء سعادة لسنة 2009/2010). وهناك الكثير ممن تناول هذا العنصر بالدراسة والتحليل وإن اختلفت الطرق والمناهج.

وباعتمادنا مقارنة فيليب هامون التي تعد من أكثر المقاربات تفصيلا لعنصر الشخصية، تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مستويات تخص : أصناف الشخصية في الرواية العرفانية ثم مدلول الشخصية في الرواية العرفانية فدالها وسنفضل في كل مستوى ونجعله عنوانا لفصل من الفصول وبذلك سنكون أمام ثلاثة فصول (نبدأ كل فصل بأوليات نتطرق فيها لشرح بعض المفاهيم الخاصة بالشخصية مثلما استند لها فيليب هامون وسيميائيون آخرون) .

## مقدمة

تسبق هذه الفصول مقدمة ومدخل وتلحقها خاتمة البحث ( سنركز في الدراسة على أصناف الشخصية في روايات بعينها أكثر من روايات أخرى حتى تكون الدراسة متكاملة فمثلا في الشخصية العرفانية ركزنا على روايتي بلاد صاد (حياة العالم الرباني الششتري) ورواية الجنيد ألم المعرفة (حياة سيد الطائفة الجنيد السالك) وبالنسبة للشخصية كان التركيز على رواية الحواميم ( تحكي ملابسات طرد الموريسكيين من الأندلس) وهكذا....  
وعلية يكون الترتيب التالي:

### مدخل :

جاء تحت عنوان "الرواية العرفانية" تطرقت فيه إلى ماهية الرواية العرفانية وتاريخ ومكان ظهورها وأعلامها. ما المشروع الذي تحدث عنه ابن عرفة وماذا يبتغي من وراء ذلك؟ وهل هناك مشروع مواز أم أنه فريد في الثقافة العربية؟ وذيلت المدخل بملخصات للمتون السردية قيد البحث وبطاقة تعريفية للمؤلف.

### الفصل الأول :

أصناف الشخصية : وقمنا في هذا الفصل بدراسة أصناف الشخصيات بناء على ما قدمه فيليب هامون والذي حصر الشخصيات في ثلاثة أنواع وهي :

الشخصية المرجعية

الشخصية العائدية

الشخصية الإشارية

وقد قدم تصنيفه هذا على أساس تقسيمه للدلائل اللساني الذي يميز فيه بين ثلاثة أنواع.

## مقدمة

### الفصل الثاني:

"مدلول الشخصية" : قمنا برصد الشخصيات ذات المعنى الجاهز المثبت في النص الثقافي التاريخي متتبعين طريقة توظيف الكاتب لها، ثم قمنا بتحديد البطاقات الدلالية الخاصة بباقي الشخصيات. ونحن أمام مجموعة من النصوص العرفانية نستخرج شخصيات "نمط" ( الشخصية الواحدة المتواترة بصورة متفاوتة في مجموع الروايات العرفانية قيد الدراسة) وسنحدد لكل شخصية بطاقة دلالية سواء تلك الخاصة بالأوصاف العامة العالقة بها أو تلك الخاصة بالوظائف وأخيرا قمنا بإحصاء أهم الأفعال والصفات المتكررة.

### الفصل الثالث:

"دال الشخصية" : هو مجموعة الإشارات التي تعرف بها الشخصية وتكون عنوانا معبرا عنها، وركزنا على اسم العلم وخصائصه الأربع : تواتره، ثباته، غناه ثم تعليقه وقمنا بالتفصيل في كل خاصية من هذه الخصائص كما عرّجنا على الطرق الأخرى في التسمية التي اعتمدها ابن عرفة للتعريف بشخصياته والمعاني التي تجسدها من خلال استعماله ذلك، حيث يمكن للشخصية الروائية أن تحدد الهوية التاريخية للنص الحكائي من خلال المرجعيات المعرفية التي يمنحها لها الكاتب، فأنواع الشخصيات تختلف من نص إلى آخر حسب متطلبات الحكيم.

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج الدقيقة التي توصل إليها البحث.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل ومشرفي الأستاذ الدكتور فاتح علاق الذي كان عوناً لي في تذليل الصعوبات التي اعترضت طريق الدراسة، وعلى سعة صدره، حتى يرى هذا البحث النور، كما أشكر مسبقاً أعضاء لجنة المناقشة المحترمين الذين تكرموا بقراءة هذا البحث، وتصويبه. فإن وُفقت فذلك من

## مقدمة

---

فضل ربي، وإن لم يحالفني التوفيق في بعض المواضع فإنني لم ادخر وسعا في سبيل بلوغ الصورة المثلى . والله ولي التوفيق .

مدخل

# الرواية العرفانية

## 1 الرواية العرفانية

- 1.1 العرفان
- 1.2 اللغة العرفانية
- 1.3 التراث العرفاني
- 1.4 الخيال الخلاق
- 2 ملخص رواية بحر نون
- 3 ملخص رواية بلاد صاد
- 4 ملخص رواية الحواميم
- 5 ملخص رواية طوق سر المحبة
- 6 ملخص رواية الجنيد ألم المعرفة
- 7 عبد الإله ابن عرفة

## 1. الرواية العرفانية :

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة تحولا في نمط الحياة العربية في مختلف نواحيها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وشهدت كذلك تحولا مشابها في شخصية الإنسان العربي نتيجة الصراعات الحضارية والنكبات العسكرية، وكانت الرواية من أسبق الأشكال الفنية التي رصدت حركة هذا التحول، وذلك بحكم ارتباطها الشديد بالواقع وبحركة الناس حيث نزع الكتاب العرب إلى تجديد الرواية العربية وتحديثها فقد شكلت هذه الفترة انقلابا ضد ما يسمى الكتابة التقليدية، نتيجة شعورهم بأن المواجهة التي حدثت ذلك العام بين إسرائيل والجيش العربية لم تكن هزيمة عسكرية بالقدر الذي كانت هزيمة للثقافة التقليدية الراكدة، فلا بدّ من تجديدها في جميع عناصرها، ومنها الرواية والقصة والشعر..<sup>1</sup>

وفي خضم التجديد والتجريب الذي انخرط فيه الروائيون باحثين من خلاله عن منافذ جديدة تحررهم من تقليد الغرب. وفي سعيهم الحثيث إلى تأكيد هويتهم وتأسيس الرواية العربية وتحقيق فرادتها، نزع الخطاب الروائي العربي إلى سرد الآخر، أو الحكاية عنه أو عن منجزاته، إن كان هذا الآخر سواء شخصية دينية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية. وقد كان هذا النزوع مغامرة جديدة ارتادها هذا الخطاب فوجد نفسه وجها لوجه أمام تراث صوفي (عرفاني) هائل ورثته هم مبدعو هذا الخطاب، فحاولوا تطويعه لرؤاهم، فتمثلوا التجربة الصوفية في أعمالهم واغترفوا من ينابيع التصوف الثرة ليصبح بذلك البعد الصوفي وجها من وجوه الرواية الجديدة ومظهراً من مظاهر شعريتها، إن كان ذلك من خلال تتبع حياة المتصوفة، أو من خلال تَنَاصُهم مع الرموز التي يحفل بها عالمهم. فتحول الخطاب الروائي من رؤية أدبية/ فنية إلى رؤية أدبية فنية / صوفية اشراقية عرفانية. فما هي الرواية العرفانية التي نتكلم عنها؟

<sup>1</sup> - أيمن الحسن : الحساسية الجديدة في القصة والرواية ، جريدة الأسبوع الأدبي، دبي. العدد 1325. صفر

1434 هـ الموافق ل 2012/12/29 م. ص 5.

تعد الرواية العرفانية نوعاً مستحدثاً في جنس الرواية بشكل عام، وهي تعتمد العرفان كمادة أساسية للعمل الروائي فما هو العرفان؟

### 1.1. العرفان :

من العلوم التي وُلدت في أحضان المعارف الإسلامية ، وبلغت الرشد والتكامل علم العرفان حيث شكّل ثورة علمية ومعرفية، ينقسم إلى قسمين:

العرفان العملي: هو ذلك العلم الذي يعتني بشكل مباشر بالسّير والسلوك إلى الله تعالى(بدايته، نهايته، محطته، منازل، مقاماته) وماهي الأحوال التي ترد على العارف، أو على أهل السير والسلوك، كيف يمكن لأهل السير والسلوك أن يسيروا في طريق المجاهدة وترويض النفس والرياضة المعنوية، وكيف يمكن أن يحرروا أنفسهم من علائقها، من شهواتها وميولها، وخلودها إلى الأرض ومن كل هذه الأمور التي تعيق سيرهم وسلوكهم إلى الله تعالى، والتي تمنع سيرهم في طريق كمالهم الإنساني.<sup>1</sup> وهو مسلك تعبدي غايته تحصيل المقامات وبلوغ الدرجات ويصاحبه في بعض مراحل حصول ما يسمى بالمكاشفات أو المشاهدات، وتشترط المناهج العرفانية أموراً منها: العزلة والابتعاد عن الناس والصمت وقلة الأكل وقلة النوم، لذلك كان منهجهم يقوم على " تخلية القلب من كل الشواغل وتحليلته بكل الفضائل وصفات المشاهدة والمكاشفة للحق، فاعتبروا الرياضات والمجاهدات لباب كل شيء، ويميزوا بذلك بين الظاهر والباطن أو بين الشريعة والحقيقة".<sup>2</sup>

وفي هذا القسم يتضح للسالك كيفية الوصول للقامة المنيعة، وهي التوحيد الذي يعد في نظر العارف الغاية القصوى لسيره وسلوكه، ومفهومه أن الوجود الحقيقي منحصر بالله،

<sup>1</sup> محمد شقير العاملي: فلسفة العرفان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م، ص 17

<sup>2</sup> كامل الهاشمي : في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، مجلد 9، ص 12.

فكل ما عدا الله "مَظْهَر" لا "وُجُود". وتوحيد العارف هو "لا شيء إلا الله"، كما أن الوصول إلى هذه المرحلة ليس من عمل العقل والفكر، بل هو عمالقةب والمجاهدة، والسير والسلوك، وتصفية النفس وتهذيبها.<sup>1</sup> وهذا القسم يشبه "علم الأخلاق" الذي يبحث في ما يجب عمله طبعاً مع اعتبار التفاوت بينهما.

قسم العرفان النظري : وهو العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وتجلياته أي العلم بجميع حقائق الوجود، من حيث رجوع تلك الحقائق إلى الله سبحانه، فلا أدرس تلك الحقائق ولا أعنتي بتلك التجليات من أجل أهداف تتصل بعالم الدنيا ولا من أجل المعرفة لمجرد المعرفة وإنما عندما أنظر إلى تلك الحقائق الوجودية، عندما وأنظر إلى تلك المظاهر الوجودية، إنما أرى الله سبحانه فيها، ولا دور لتلك المظاهر إلا ذلك الدور المرآتي أي أنها تحكي عن وجود الله عز وجل<sup>2</sup> وهو مرتبط بتفسير الوجود. والعرفان في هذا القسم يشبه الفلسفة التي تَرُوم تفسير الوجود، مستتدة في استدلالاتها على المبادئ والأصول العقلية فقط. أما هذا النوع من العرفان فإنه يجعل المبادئ والأصول الكشفية أصل الاستدلال ثم يقوم بتوضيحها بلغة العقل وقلمه، أي أن العارف يكتب بلغة العقل ما يشاهده بالقلب ويراه بتمام وجوده.

وموضوع علم العرفان بشكل عام هو كل الوجود، أو مطلق الوجود، أو كل مظاهر وتجليات الوجود. وبالتالي فإن العرفان لا يعتني بمساحة وجودية دون أخرى ولا يهتم بمظهر وجودي دون آخر، وإنما يعتني بكل مظاهر الوجود وبكل تجليات الوجود، ولا تقف حدوده عند حد وجودي معين. وهو يعتني أيضاً بالسير والسلوك إلى الله تعالى، إلى الذات الأحدية، إلى مبدأ العالم من أجل الاتحاد والفناء في ذلك المبدأ.

<sup>1</sup> مرتضى المطهري : الكلام العرفان، تعريب : الشيخ علي خازم، دار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1993 م، ص 67 و 68 .

<sup>2</sup> محمد شقير العاملي: فلسفة العرفان، مرجع سابق، ص 11 ، 12.

مثّلت هذه الأفكار وغيرها ثروة صوفية عرفانية هائلة اغترف منها الكتاب العرب بنهم، ليصبح البعد العرفاني وجها من وجوه الرواية الجديدة ومن مظاهر شعريتها. ويمكن اعتبار العودة للنهل من التراث الصوفي صحوّة إبداعية، حيث أخضع المبدع العربي ما يرد من الغرب لتجربته وخصوصيته، ومن المبدعين العرب الذين استثمروا هذا التراث في أعمالهم نجد الروائي المغربي عبد الإله بن عرفة يسعى الروائي المغربي في مشروعه السردي العرفاني وهو يخوض معركة الذاكرة إلى التأسيس لما سماه "أدب جديد" ذي مرجعية قرآنية، يتكئ على مفهوم مختلف للأدب وغاياته المعرفية التي يرى أن من أهمها إنتاج أدب معرفي يحقق تحولا في وجدان القارئ ومعرفته وسلوكه. هذه الرواية ليست مثل أية رواية. إنها رواية مختلفة، لا هي رواية اجتماعية ولا تاريخية أو بيوغرافية، ولا تنتمي لأي نوع من الروايات التي دأب القارئ على قراءتها. إنها أدب روائي جديد يستفيد من مُنجز جنس الرواية، ويهدف إلى إعادة الوصل مع ذاكرتنا وتاريخنا وموروثنا الثقافي والأدبي.

قد تختلف تسميات هذا النوع الروائي، فهناك من يسميه الرواية العرفانية (ابن عرفة)، وهناك من يسميه الرواية المعرفية، وهناك من يسميه الرواية الصوفية على شاكلة القصيدة الصوفية، وهناك من يسميها الرواية النورانية. ولكن هناك شبه إجماع حول جمالية وفعالية هذا النوع الروائي في عالم اليوم. وبهذا الخصوص يقول الناقد المغربي عبد اللطيف الوزاري: "إن الرواية العرفانية مشروع روائي رائد ومختلف، بله ثقافي وحضاري مخصوص وبالغ الخطورة، فهو من جهة يُحيي تراث كبار شيوخ المتصوفة والفلاسفة المسلمين، كأنه يريد التذكير بأن الإسلام أرحب وأوسع من أن يختصر في مشروع سلطة، وإنما هو تجربة روحية حميمة، يتلمس فيها المؤمن نور الله في قلبه وفي العالم من حوله، ويسافر في آفاق الإيمان الرحب الذي يجمع ولا يفرق

ويؤلف بين بني البشر، ومن جهة يعرض الخطاب المقدماتي هنا فلسفة الرواية العرفانية ومفرداتها وممكنها في أن تؤسس كونية مختلفة<sup>1</sup>.

كما يعرفها الدكتور إبراهيم الحجري قائلا : " تعني الرواية العرفانية، من جملة ما تعنيه الرواية التي تتفاعل مع مجال التصوف العالمي أوالعربي، وتتهل مادتها منه، وهي تتداخل مع الرواية التاريخية، وتتقاطع معها من حيث العودة إلى التاريخ العام أو الخاص والحفر في ثناياه لا بقصد استعادته في جموده، بل من أجل تحيينه وقرآته قراءة جديدة تملأ فراغاته، وترمم ثقوبه، حيث لا يتم التركيز على الوقائع والأحداث التاريخية، بل تسعى إلى تمثيل المشاعر الكامنة، والعلاقات التي تربط الناس والعوالم في جدلية السيرورة الحياتية. وهنا تكمن حرفة الروائي الذي سوف يجتهد لملء ثقوب التاريخي الذي لا تهمة الأحاسيس، خاصة مع الرواية الصوفية التي تدخل فيها الذات الفرد- الشخصية في رحلة جُوانية وتجربة عرفانية ليس من السهل تقمصها، إذ سرعان ما يجد الكاتب نفسه انطلقا من لعبة الأفتنة ، متماهيا مع شخوصه في تعاليها عن الواقع، وسفرها إلى العوالم الروحانية<sup>2</sup>.

أسس ابن عرفة مشروع الروائي " العرفاني" الذي يروم من خلاله رسم معالم ما اسماه بالأدب الجديد الذي ما فتئ يوضح أسسه ومفاهيمه ومقاصده من خلال المقدمات التي كان يصدر بها أعماله الإبداعية السابقة، وقد جعله مشيدا على دعامات ثلاث :

<sup>1</sup> عبد اللطيف الوراري : مقال، مجلة ذوات : مجلة إلكترونية نصف شهرية تصدر عن "مؤسسة مؤمنون بلا

حدود للدراسات والأبحاث"، المغرب العدد 10-2015 ص 13.

<sup>2</sup> - إبراهيم الحجري: مقال، مجلة ذوات : مرجع نفسه، ص 17.

## 2.1. اللغة العرفانية :

وهي الدعامة الأولى التي يمكن عبرها الولوج إلى عالم السرد العرفاني وهي تقوم على أساسين اثنين :

أولهما اللغة الرفيعة البعيدة عن الإسفاف والتلهيج، وثانيهما، الأدب الرفيع الذي يوظف جل العلوم والمعارف والفنون الممكنة، بعيدا عن التلفيق، بل في الانبثاق في أصل الوضع، حيث تتماهى الحقيقة مع طالبها. إن الهدف هو الوصول إلى اللحظة الأولى، وما يسبقها من وحم ومخاض حتى تسفر عن المولود الأدبي.<sup>1</sup> فاللغة الصوفية لغة رمزية تحمل دلالات قابلة لتأويلات كثيرة، فهي تتميز بالتخيل والتمثيل والتشبيه لتكون عينة خصبة. ومن المتفق عليه أن اللغة عند دي سوسير نظام من العلامات تُعبر عن أفكار، غير أن المتصوفة استخدموا في لغتهم إشارات ودلالات مختلفة عن دلالات الأدب والفلسفة، إذ تحمل سياقاً خاصاً بمفردات وجمل متميزة، ولكل مفردة دلالة، ولكل جملة حجة<sup>2</sup>، فاللغة الصوفية قد تكونت من منظور صوفي يخضع لسلسلة من الاستعدادات والممارسات الخاصة.

والنص الصوفي يتكون من استعداد وإجهاد روحي وراء النظر العقلي كما يقول ابن عربي : "لا من إجهاد عقلائي وتخطيط إنشائي مسبق، لأن الكلمة أو الشيء لا

<sup>1</sup> - عبد الإله بن عرفة : بحر نون (رحلة البحث عن الجزيرة الأطلسية)(رواية)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2007 م. ص 6.

<sup>2</sup> - شريف هزاع شريف: المعنى والتأويل في الخطاب الصوفي عند الحلاج، مجلة علامات، مجلة محكمة تُعنى بالسيمانيات و الدراسات الأدبية الحديثة و الترجمة، المغرب، العدد 22، 2004، ص 12.

يمثلان الدال والمدلول، بل يستمدان معناهما من خلال التمثيل الثقافي لأن اللغة التي يتكلمها و يكتبها المتصوفة مختلفة عن لغة غيرهم".<sup>1</sup>

لا يختلف اثنان في أن قطب الرحي في صنعة ابن عرفة الروائية هو لغة كتابته، ذلك أن تقنية اختيار المفردات وتطريزها وحكها هي القوة الضاربة في تجربته اللغوية، فوجد الكاتب العرفاني يستعير معجما صوفيا ينهله من قواميس المتصوفة ومؤلفاتهم ودواوينهم الشعرية، مشكلا مفرداته التي تطاوعه في بناء عوالمه الغامضة والتي مزج فيها بين لغة الخطاب القائمة على المحادثة والمحاورة واللغة القائمة في سياق التعبير والكتابة والتي لا تخرج عن تلك الأنظمة التعقيدية المتفق عليها، الأمر الذي جعل هذا النوع من المزج يعطي للخطاب العرفاني صبغة خاصة تعرج وفقها الروح في مسالك اللغة تخيليا أو مجازيا ويتميز ذلك المعجم الصوفي برمزيته، وتحول دلالاته، ويميز ابن عرفة بين مكونات اللغوي، وما ينسجه من عوالم دلالية قائلا: "إن الحرف وحدة قياس لا تتضبط إلا بالوجود، والعبارة جسر من المعاني ومجاز من الدلالات، والإشارة أخفى من العبارة، وهي مثل نور المصباح المعلق على جسر العبارة، والسمسمة أخفى من الإشارة، فهي دهن الإشارة الذي يمدنا بمادة النور وينفحها بضوء السير"<sup>2</sup>

لقد اهتم ابن عرفة بالحروف أيما اهتمام لما تدل عليه من معان باطنية تعكس العرفانية الصوفية، متأثرا في ذلك بشيخه ابن عربي الذي يقول: "إن الحروف عندنا وعند أهل الكشف والإيمان أهم من جملة الأهم لصورها أرواح مدبرة حيّة ناطقة تسبّح

<sup>1</sup> - شريف هزاع شريف: المعنى والتأويل في الخطاب الصوفي عند الحلاج، ص 12، عن: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، د ط، 1983، ص 180

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة: مفاتيح جمالية السرد العرفاني، ضمن كتاب جماعي "جمالية السرد في الرواية العرفانية"، عبد الإله ابن عرفة وآخرون، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 2014 م، ص 31.

لله بحمده طائعة ربها"<sup>1</sup> ولنتأمل ما صرح به الكاتب في أحد البيانات الأدبية التي صدر بها إحدى رواياته " فهل أنت مستعد أيها القارئ لتكتشف أصول نورانيتك، وتكتشف المعنى فيك ؟ فأنت حرف جاء لمعنى. فقف على الحرف فيك تجد المعنى منك فيك"<sup>2</sup> ويستمد ابن عرفة إبداعه من الحروف النورانية المقطعة في بعض فواتح سور القرآن الكريم، والتي تُجمع في : "كلام حق نصره يسطع" ويكفي مراجعة عناوين رواياته لتكتشف ذلك.

فالبداية كانت مع السلسلة الأولى من الحروف المقطعة المفردة و يسمها ابن عرفة بالفواتح النورانية المفردة ( ق، ن، ص) والرواية الأولى (جبل قاف) و محورها حياة الصوفي الشيخ الأكبر جبل القران محي الدين بن عربي (560 هـ/638) الصادرة سنة 2002، والرواية الثانية (بحر نون) الصادرة سنة 2007، ومدارها النفس البشرية وأسرار الوجود بالغوص في الحضارة الأطلسية والغموض الذي لف هذه الحضارة حول نشأتها وتطورها ورقبها ثم اختفائها المفاجئ وسط المحيط، مستلهما اشراقات الروح وأسرار الوجود. والرواية الثالثة (بلاد صاد) وتدور أحداثها حول الشاعر المتصوف أبي حسن الششتري (610هـ / 668هـ) الصادرة سنة 2009.

وتليها السلسلة الثانية من الحروف المقطعة الثنائية أو الفواتح النورانية الثنائية والبداية كانت مع رواية "الحواميم" (حم) الصادرة سنة 2010، والتي تحكي عن مأساة طرد الموريسكيين من اسبانيا المسيحية والظلم الذي لحق بهم جراء نقض العهود المبرمة بين آخر ملوك بني الأحمر وملكي اسبانيا إيزابيلا وزوجها فرناندو عام

<sup>1</sup> ابن عربي : الفتوحات المكية ، ج 4، دار الصادر، بيروت، لبنان .د.ت، ص 90.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : الحواميم (رواية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2010 م، ص 11 .

1492، وما تلا ذلك من تنصير للمسلمين الذين لم يستطيعوا المغادرة ومصادرة لأموالهم ومنعهم من لغتهم، ودينهم وتقاليدهم بالنار والحديد.

والرواية الثانية "طواسين الغزالي" (طس) المرتبطة بالذكرى التسعمائة على وفاة الإمام أبي حامد الغزالي، وتحكي الرواية سيرة حياة هذه الشخصية الفريدة عن يتمه المبكر ومعاناته وطفولته البائسة، وحروبه الفكرية والعقدية التي خاضها مع مختلف الفرق لا سيما الإسماعيلية الباطنية التي كانت تنتهج سياسة الاغتيالات السياسية. وكان صدورها عام 2011.

و"رواية ابن الخطيب في روضة طه" (طه) سنة 2012، احتفالاً بالذكرى السبعمائة لولادة ذي الوزارتين من الشخصيات التاريخية المهمة في تاريخ الأندلس خاصة، وفي بلاد الإسلام عامة وكان من عظماء القرن الثامن الهجري وبلغ أوج قمته العلمية والأدبية والسياسية، وملاً قصر الحمراء بأشعاره وأخباره مما ألّب الأعداء ضده فتكالبوا عليه وأوقعوا ما بينه وبين سلطان غرناطة، وفي النهاية قُتل وأحرقت جثته بتهمة الزندقة.

تأتي رواية "ياسين قلب الخلافة" (يس) تالية حيث تناول ابن عرفة في هذه الرواية الصادرة سنة 2013 سيرة السلطان عبد الحميد الثاني (1842/1918)، أكبر وأعظم الخلفاء العثمانيين الذي استطاع بفضل حكمته ودهائه المحافظة على الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف من التفكك، وبقي في الحكم مدة ثلاث وثلاثين سنة على رأس الدولة العلية، وكانت القوى الاستعمارية تعمل ما بوسعها لتقويض ملكه، حتى كان ما سجله التاريخ في سيرة الرجل من عزل وسجن حتى توفاه الله. وقد طرح المبدع عبد الإله بكل جرأة موضوع الخلافة في أبعادها السياسية والروحية والفكرية والحضارية ودخول

الاستعمار وبوادر التقسيم والاستغلال التي تعرض لها العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في روايته هذه .

ثم تأتي السلسلة الثالثة من الحروف المقطعة الثلاثية أو المركبة وابتدأت هذه المجموعة برواية "طوق سر المحبة" (طسم) سيرة العشق عند ابن حزم والتي خرجت إلى الوجود سنة 2015 وتتحدث الرواية عن الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي الظاهري (994م/1064م) صاحب المذهب الشهير الذي تسمى به والمرحلة التاريخية الصعبة التي عايشها قبيل سقوط الخلافة الأموية وظهور ملوك الطوائف.

كان ابن حزم أديبا أريبا وشاعرا مُجيدا وفقهيا ووزيرا و فيلسوفا ويعتبر من أكثر العلماء المسلمين إنتاجا وتأليفا كما تطرح الرواية عديد المسائل الفكرية والعقائدية الإسلامية /الإسلامية والإسلامية / المسيحية، تعرض للنفي عدة مرات بسبب آرائه النابذة للتقليد والداعية لإعمال العقل.

ثم تبعها برواية " الجنيد: أَلَم المعرفة" (الم) في هذه الرواية الصادرة سنة 2016 نسافر إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية لنلتقي أبا القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري (221هـ/297هـ) ونعايش عصره المليء بالأحداث من تطور ورقي و قيام حضارة إسلامية عربية زاهية تأسست حينئذ العلوم اللغوية، والمذاهب الفقهية والكلامية والفلسفية كما نتابع بشغف بدايات التصوف، ومحاكمة ابن حنبل في محنة خلق القرآن ومحاكمة سمنون المحب وأصحابه في قضية العشق الإلهي ونستوضح الأسباب التي أدت فيما بعد إلى محاكمة الحلاج وصلبه، نرافق بطل الرواية في كل مراحل حياته، وهو يؤسس لمرجعية عرفانية وحضارية قوامها الحب والمعرفة في عالم تتجاذبه تيارات فكرية متباينة ومؤامرات سياسية مختلفة.

نصل إلى الحلقة الأخيرة من مسلسل الإبداع العرفاني مع رواية "خناثة الر الرحمة" (ألر) التي صدرت سنة 2018 نحت الرحال في المملكة المغربية عند الأسرة العلوية الحاكمة فبطله هذه الرواية هي جزء أصيل من تاريخ المغرب .. خُنَاثَة أو أم السلاطين هي الفتاة الصحراوية العنيدة والتمتيزة التي خلفت عشرة سلاطين إلى حد الآن، خُنَاثَة المرأة العالمة والزوجة المقربة للسلطان إسماعيل الغني عن كل تعريف، وهذه الرواية هي بمثابة سيرة غيرية لها منذ نشأتها إلى وفاتها ويسرد تفاصيل رفضها لبعض عادات القبائل الصحراوية، زواجها بالسلطان، طلبها للعلم وتقوية الجانب المعرفي ثم اكتشافها لدسائس الحريم السلطاني وولادتها لابنها عبد الله والسعي لتوليته الحكم خلفا لأبيه وفي الأخير اعتزالها للسياسة ووفاتها زاهدة عالمة روحانية بفاس.

إن جماع ما أنجز لحد الآن من منجز سردي عَرَفِي، يدل على الرهانات الجمالية والروحية والحضارية لما يمكن أن ينعت بـ"المغامرة الإبداعية العرفانية" في التجربة السردية لعبد الإله ابن عرفة. فلغة الروايات جديدة بالإشادة، دالة على ثراء اللغة العربية وللحرف دلالاته وقيمتها العددية وارتباطه الروحاني. وللكلمة مرمهاها الاصطلاحي وبعدها البياني وموقعها العرفاني، واجتماع الحرف والكلمة في التصوف يقذف صاحبه في بحار من الذوق لا حدود لها.

ولعل أبرز لغة اصطلاحية في التصوف العرفاني، وُلِدَتْ مع محي الدين بن عربي، فهذا الأخير "نقل الحضور الصوفي من حضورٍ للأعماق، إلى حضورٍ للآفاق، ونقل اللُّغة الصوفية من لغة وجدانية إلى لغة وجودية، وحقق فتحا لغويا، حين حول اللفظ المفرد من دلالاته على الذات إلى دلالاته على معنى يقوم في الذات، ثم استعار هذا المعنى، وبالتركيب والإضافة كانت تتفلق معه أسماء جديدة لمسميات جديدة".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - سعاد الحكيم : ابن عربي ومولد لغة جديدة، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص 91.

وهنا تظهر بعض معالم العرفانية الأكبرية نسبة للشيخ الأكبر ابن عربي التي تُميز مشروع ابن عرفة ولا أدل على افتتانه بالشيخ افتتاحه لمشروعه بعمل سردي حول "الشيخ الأكبر" (جبل قاف) والتزامه بتصدير كل الروايات بأقوال واستشهادات من أقواله الحكيمة، ثم المزج بين الشعر والسرد في مختلف الروايات تصديراً أو تذييلاً على غرار صنيع الشيخ في فتوحاته. هذا على ما في هذه الكتابات الأكبرية من عظيم الاستيعاب وعميق التفاعل مع معارف التاريخ والفقهاء والأصول والحديث والسيرة والحكمة والفلك والطب والميتافيزيقا وتصوف السالفين إلى غير ذلك من المعارف التي أبدع الروائي في مجاراتها استلهاماً، وتحققاً، ومحاكاة على جميع المستويات.

هذا بالإضافة إلى اقتباسه لأهم ركيزة في مشروعه السردي العرفاني والمتمثلة في الحروف النورانية المقطعة من خلال قراءة عرفانية لكتاب ابن عربي "مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية" والذي يتكون من أربعة عشر مشهداً، وهو معراج روعي عبر منازل فواتح السور الأربع عشرة النورانية ويجترح منه مفهوم "الكتابة بالنور" هذا الاصطلاح الذي نحتته صاحبه في تصدير روايته "الحواميم" ويشير به إلى الكتابة الإبداعية المستمدة أساساً من الحروف النورانية المقطعة في بعض فواتح السور، والتي تُجمع في (كلام حق نصره يسطع). وهي الحروف التي تسري نورانيتها في هذه الكتابة فتلطفها بقَبَسَاتِها حتى تتلاشى ثم تضيء لتصبح بلورات نورانية<sup>1</sup> ويمكننا إبراز ميزات هذه الكتابة كما جاءت في المقدمة-البيان فيما يلي :

إخراج اللغة من ظلمة الإهمال إلى نور الاستعمال بإحياء مفهوم الأدب في معناه الواسع والرحب، ومن خلال إعادة الاعتبار إلى اللغة الأدبية<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم مصدر سابق، ص 8.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : نفسه، ص 8.

العمل على صياغة وإنشاء لغة نورانية تستمد نورانيتها من عالم الصلاح بعدما علقت بها ظلمانية كثيفة في عالم الفساد.

توظيف هذه الكتابة النورانية لإخراج القارئ من ظلمة التيه والجهل و الفهاهة إلى نور الوجد والعلم والكياسة. وذلك انطلاقاً من النور الكامن في القارئ نفسه من خلال تمكينه من الحضور الدائم "الآن" بما حضور يحقق إنتاج المعنى.

ونخلص من هذا إلى أن مفهوم الكتابة بالنور يركز على العناية باللغة ومحاولة تهذيبها بإعادة وصلها بنورانية الحرف القرآني من جهة، ومن جهة ثانية الرفع من أناة اللغة والخروج بها عن الاستعمالات الوضيعة التي آلت إليها في بعض المؤلفات التي توسم زورا وجورا بالأدبية. كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن مفهوم الكتابة بالنور يضع القارئ في موقع محوري، فهو ليس متلقيا سلبيًا وساكنًا يكتفي بالاستهلاك دونما ردة فعل، وإنما هو قارئ متور يشارك في إنتاج المعنى ويتحقق به، وهذا ما يسميه ابن عرفة "الحضور" ننتقل الآن إلى الدعامة الثانية التي انبنى عليها مشروع ابن عرفة العرفاني .

### 3.1. التراث العرفاني :

الاستفادة من التراث الروحي والإنساني ووصله بالدين الإسلامي الخاتم المهيم والتراث العربي هو"كل ما ابتدعته المجتمعات العربية في حركة صيرورتها التاريخية منذ العصر الجاهلي، حتى بداية الاستعمار في مطلع القرن الماضي...من فكر وثقافة وقيم أخلاقية ما تزال محفوظة لنا بصورة من الصور"<sup>1</sup> وعندئذ يصبح مدلول التراث يخص الجانب المعنوي والروحي للأمة وبالتالي فإن أي معالجة لهذا

<sup>1</sup> - يوسف داوود أحمد : لغة الشعر(بحث في المنهج و التطبيق)، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، 1980، ص63.

التراث هي معالجة للواقع العربي وقضاياها وإذا نظرنا إلى الروايات كما فعل ميشال بوتور على أنها كتاب، فإننا نميز بوضوح بين ما هو داخلي، وما هو خارجي، وإذا كان القسم الداخلي يمثل الرواية بوصفها نصاً، أي السرد ومكوناته، كالشخصيات، والفضاء، والأحداث،.... فإن القسم الخارجي يشمل العناوين الأصلية والفرعية، ومقدمات الأقسام، والهوامش، والرسوم، والأشكال وشكل طباعة الحروف<sup>1</sup>

ولتكن البداية مع العناوين لما لها من أهمية فجاك دريدا يشبهها بـ " الثريا" في إضاءة الطريق الذي ستسلكه القراءة، والطريق الذي سبق أن سلكته، فالعنوان في اعتلائه النص يسمح بإفاضة النور اللازم لتتبعه<sup>2</sup> وكل العناوين العرفانية إن جاز التعبير تنتمي إلى صنف العناوين الموضوعاتية التي تعيّن محتوى النص وموضوعه المركزي. فجل قاف الرواية ترمز إلى الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الذي تدور حوله من مبتدائها إلى منتهاها ومعظم الصوفية يعتقدون أن الشيخ ابن عربي هو جبل القرآن فالجبل يرمز إليه والقاف يرمز إلى القرآن وكذلك السورة الخمسون من كتاب الله تسمى بهذا الحرف وتبدأ **ق** وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)<sup>3</sup> واختلف في معنى "ق" ما هو فقال ابن زيد وعكرمة والضحاك : هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه، وعليه طرفا السماء والسماء عليه مقببة، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل حتى ابن عربي ذكره في فتوحاته قائلاً : " أخبرنا صاحبنا موسى السدراني وكان صاحب حظوة ومحمولاً قال لما وصلت إلى جبل قاف وهو جبل عظيم

<sup>1</sup> ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة ترجمة : فريد أنطونيوس، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 1986 ص 108

<sup>2</sup> محمود عبد الوهاب : ثريا النص/مدخل لدراسة العنوان القصصي، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، العراق، ط1، 1995، ص

<sup>3</sup> القرآن الكريم : سورة ق الآية 1

طوق الله به الأرض وطوق هذا الجبل بحية عظيمة قد جمع الله رأسها إلى ذنبها بعد استدارتها بهذا الجبل..<sup>1</sup>.

والرواية الثانية (بحر نون)، فالنون رمز لسيدنا يونس عليه السلام "ذو النون" كما يقول الحق سبحانه: ( وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ).<sup>2</sup> ونحن نعلم قصته وارتباطها بالبحر، والنون بداية سورة القلم وما سطر في كتاب الأزل وعلاقة القلم بنبي الله إدريس الذي يعتبره قدماء المصريين "آخنوخ" الذي بنى الأهرامات، من جهة ثانية فالبحر عند الصوفية يرمز للأسرار وكل ما هو مُلغز وغامض والنون كناية عن ذي النون المصري الذي كان أول من غرس بذور التصوف بمعناه الفني الاصطلاحي في مصر، وكان أول من تكلم من الصوفية عموماً في علوم المقامات والأحوال ثم إن الشخصية المحورية في الرواية "يونس".

والرواية الثالثة (بلاد صاد) التي تمركزت حول شخصية كبيرة من عظماء الصوفية الأمير المتجرد أبو الحسن الششتري وزهده وتجرده من الإمارة ولبسه الخرقه وسياحته في بلاد الله وهناك سورة من كتاب الله كاملة تسمى بـ "صاد" ص والقران ذي الذكر<sup>3</sup>(1)

وإذا انتقلنا إلى الرواية التالية (رواية الحواميم) والحواميم السبعة : سور سبع تتبدى بـ "حم"، ولاشتمال بدايات هذه السور على كلمة "حم" تُسمى بالحواميم أو ذوات حم.و التي تتركب من حرفين و يرمز بهما ابن عرفة لل حياة و الموت وهي دائرة

<sup>1</sup> - محيي الدين ابن عربي : الفتوحات المكية، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت، ج5، ص 192 .

<sup>2</sup> - القرآن الكريم : سورة الأنبياء الآية 88/87.

<sup>3</sup> - القرآن الكريم : سورة ص الآية 1.

متواصلة تمثل البداية عين النهاية في مبحث صوفي فلسفي عن معنى الوجود وهي مسمى لسبع سور من القرآن الكريم.

أما الرواية التي أتت بعدها رواية طواسين الغزالي ثلاث سورٍ من القرآن الكريم تُسمى بـ " الطواسين" و تُعرف أيضاً بـ " الطواسيم" و " الطواسم"، وهذه السور متتالية حسب ترتيب المصحف الشريف، وهي من السور المكية، وهذه السور هي: سورة الشعراء و رقمها (26)، وسورة النمل ورقمها (27)، وسورة القصص ورقمها (28)، وإنما سُميت بالطواسين أو الطواسيم لابتدائها بحرفي الطاء والسين، فهي ذوات طس، ذلك لأن سورتي الشعراء و القصص تبدآن بـ "طسم"، وسورة النمل تبتدأ بـ "طس" والطواسين كتبها الروائي مثل ما كتب الحلاج طواسينه وهي تروي حياة صاحب إحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال أبي حامد الغزالي.

وعنوان الرواية اللاحقة "ابن الخطيب في روضة طه" وهو سرد لحياة العالم الكبير ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب السلماني الذي ألف هذا الكتاب (روضة التعريف بالحب الشريف) وقدمه لسلطانه أبي عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله، ثامن ملوك بني الأحمر بغرناطة (755-792). وموضوع الكتاب هو الحب الإلهي بأوسع معانيه. وقد ذهب المؤلف في تأليف كتابه هذا مذهباً جديداً وغريباً، فجعل موضوع المحبة صورة خيالية، فتمثلها شجرة والنفس الإنسانية أرضاً لها وذهب مع هذه الصورة التمثيلية يستقصي كل هيآت وأحوال هذه وتلك. ثم جعل المؤلف نفسه آخر الأمر طائر الشجرة التي صدح فوق أغصانها وتغنى بمكنون نشيدها. ولم يترك فناً إلا جمع بينه وبين مناسبتة، ولا نوعاً إلا ضمه إلى ما يليق به، واستكثر من الشعر، واجتلب الكثير من الحكايات. وقد كان في كل هذا منهجي الترتيب فلقد حدد في مقدمة الكتاب كل تفاصيل الموضوع على النحو الذي يناسب بين مضامين الكتاب

وصورة الأرض والشجرة ونلحظ التناص الواضح بين عنوان كتاب ابن الخطيب وعنوان الرواية. كما أن طه اسم لسورة من سور القرآن ولسيدنا رسول الله.

وآخر رواية في السلسلة الثانية رواية (ياسين قلب الخلافة) ناقلة أدوار حياة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، فكما أن ياسين قلب القرآن فهو كان بمثابة قلب الدولة العلية.

أما العنوان التالي (طوق سر المحبة) سيرة العشق عند ابن حزم فجاء تفصيلاً للفتحة النورانية المخصصة لهذا العمل وهي «طسم»، خصت هذه الرواية لهذه القامة الفكرية الكبيرة التي ظلّمها التاريخ بسبب مزاجية الرجل صاحب المذهب الفقهي الظاهري وصاحب المؤلف الشهير "طوق الحمامة".

ثم رواية (الجنيد الم المعرفة) وفتحة «ألم»، هي ثلاثة أحرف، ألف القدم، وميم الحدث، ولام العارف الذي هو مجمع البحرين في رحلة أخرى مع عبد الإله ابن عرفة يروي فيها سيرة تاج العارفين أبي القاسم الجنيد بن محمد الذي ولد وعاش في بغداد وطائفة أهل الاستبصار.

ونصل أخيراً إلى خاتمة روايات ابن عرفة إلى غاية كتابة هذه السطور وجاءت تحت عنوان (خنائة أُلر الرحمة)، العنوان يود أن يخبرك أن تاريخ المغرب كذلك لا يخلو من بطولات نسائية متأقمة، وقد ابتدأت ست سور في القرآن الكريم بالفتحة النورانية "الر" وهي سور يونس، هود، يوسف، سورة الرعد "المر"، إبراهيم، الحجر... ولا يقتصر توظيف الإرث الروحي للأمة على العناوين فقط بل يتعداه إلى عتبة الإهداء الذي يمثل "تقديراً من الكاتب وعرافنا يحمله للآخرين، سواء كانوا أشخاصاً، أو

مجموعات، أو مجموعات ( واقعية أو اعتبارية)<sup>1</sup> وانطلاقاً من الروايات لمسنا أن الإهداء قد انقسم قسمين : الإهداء الأدبي والإهداء الشخصي .

أما الإهداء الشخصي فقد ارتبط جله بالعائلة أو أحد أفرادها، وليس هذا المقصود، بل سنتطرق إلى النوع الأول الذي اتسم بعدة سمات، إذ حاول المؤلف بناء جسور جمالية خاصة عن طريق التفاعل مع النصوص الأخرى، أو استحضار شخصيات بقولها أو اسمها أو عن طريق تأليف نص إبداعي ولو استعرضنا الإهداء في رواية "جبل قاف" لكان كالتالي : إلى روح الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي محي الدين بن العربي الحاتمي المغربي حجة الله في الأقضية وعمدة الله في الأمضية محل نظر الله من خلقه الممد للعوالم بروحانيته الذي سقاني من رحيق محبوبيته وألبسني خلعة سيادته فلهجت بما هنالك بما أعارني من بنات كشفه، فلست سوى اللسان والترجمان قدس الله سره ما اتصل القاف بالقاف والنون بالنون...<sup>2</sup> فهنا ذكر الشيخ باسمه ولقبه وكنيته فهذا الإهداء بلا ريب يأخذنا إلى عوالم صوفية عرفانية، إنه نص أدبي يتواشج مع ترجمان الأشواق لابن عربي وإهداء الرواية الثانية : " إلى سيد المسافرين وأمير المتجربين، وعروس الفقراء، وبركة لابس الخرق الصالحاء، وصيد الحق، الأمير الشاعر الفقيه، أبي الحسن علي بن عبد الله الششتري النميري الوادي آشي المغربي..<sup>3</sup> وأما الإهداء في رواية طواسين الغزالي فكان: "إلى أبي حامد الغزالي الطوسي، نسّاج الأرواح.. وإلى كل من حدّثته المعارف وهذّبته المعاملات و أدبته المكاشفات.إلى من يولد مرتين، إلى كل آدم وكل حواء، أهدي هذا العمل، الذي أرجو

<sup>1</sup>- Gerard Genette، seuils، ed.du seuil.paris.1987.p.107.

<sup>2</sup>- عبد الإله ابن عرفة : جبل قاف (رواية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، الإهداء

<sup>3</sup>- عبد الإله ابن عرفة : بلاد صاد(رواية)، دار الآداب بيروت، لبنان، ط1، 2009، الإهداء.

أن يكون نفساً من أنفاس بعث الروح القدس، والحياة الحقيقية في الإنسان<sup>1</sup> وبالنسبة لرواية الجنيد فجاء الإهداء على الشكل الآتي: "إلى سيد الطائفة، وطاووس العلماء وتاج العرفين إلى أبي القاسم الجنيد إلى كل رجال سلاسل النور عبر الزمان، إلى كل ورثة الاستبصار من بني الإنسان،.."<sup>2</sup>

والملاحظ أن المهدى إليه في كل إهداء غائب هذا يدل على ارتباط المؤلف بهذه الشخصيات ارتباطاً خاصاً وهذه الرسائل تحمل في طياتها انفعالات ذاتية ومشاعر يسقطها على المتكلم عن موضوع الرسالة المرجعي وعبر هذه الإهداءات يصل الكاتب إلى المتلقي المستهدف الحقيقي ليحثه على السفر إلى عالم الروح والمعرفة ويترقى إلى أعلى مقامات العرفان.

يعدّ التصدير عتبة من العتبات التي تعمل على فتح مجال تأويل القارئ و يعرفه جيران جينيت بأنه "استشهاد موضوع على الحافة، على رأس العمل أو جزء منه عموماً..<sup>3</sup> لذلك يمكن عده من آليات التفاعل النصية، يتمظهر ويعلن وجوده في بداية العمل غالباً ويمكننا رؤية تأثير ابن عربي على الكاتب فكل الروايات تنصدرها أبيات شعرية لابن عربي ابرز من يمثل التراث العرفاني ولعل من أهم وظائفه (التصدير) تقديم تعليق على النص، تتحدد من خلاله دلالاته المباشرة، ليكون أكثر وضوحاً وجلاءً، بقراءة العلاقة الموجودة بين التصدير والنص والتي تدخلنا إلى عوالم صوفية صرفة. والشعر المصدر به يدل على الحب، فاسم ابن عربي مرتبط بالحب دائماً في أذهان

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : طواسين الغزالي (رواية)، دار الآداب بيروت، لبنان، ط1، 2011، الإهداء

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : الجنيد ألم المعرفة (رواية)، دار الآداب بيروت، لبنان، ط1، 2016، الإهداء

<sup>3</sup> - Op.Cit.Genette.Seuils.p.147.

القراء، مما يعطي دلالة على وجود قصة حب في الرواية على طريقة ابن عربي، حب يتسم بالشوق الدائم الذي لا يخمد بقاء المحبوب .

وما دما بصدد الحديث عن العتبات فالخطاب المقدماتي من أهم العتبات التي يعتمدها الروائي المعاصر في رسم استراتيجيات النص والتمهيد له، والتلميح بنواياه عند المتلقي بوصفه القارئ المفعل للدلالات الوسيطة بينه وبين المعنى المضمّر، "إنه خطاب موجه نحو النص والقارئ، قصد بناء أو تحديد نمط القراءة المتوخاة، وهذه الوظيفة التوجيهية جزء من إستراتيجية المقدم في تحديد علاقة النص بالقارئ"<sup>1</sup> وقد دأب ابن عرفة على توصيف ما يصدر به رواياته من إيضاحات وإضاءات بالمقدمة أو التقديم لكنه ومنذ رواية "الحواميم" التي صدرها بما سماه "بيان أدبي" اعتمد هذه التسمية لبقية الروايات وهي لا تخرج عن إطار الخطاب المقدماتي بقلم المؤلف نفسه لا بقلم غيره حيث شرح وعلقّ على بعض جوانب رؤيته الإبداعية، وجادل حول بناء خطاب سردي عرفاني .

أمّا بخصوص النصوص السردية فالكاتب كان يهدف إلى إحياء حيوات متصوفة كان لهم حضور فاعل في تاريخ المسلمين وفي تاريخ التصوف الإسلامي، كما يدعو من خلال رواياته إلى وقفات تأمل وتدبر في هذه الحيوات، والاستفادة من مسارها المعرفي، واستحضار هذه السير الرائدة للفلاسفة المسلمين، وكثيرة هي التفاصيل التي وقف عندها الكاتب.

والسارد يروي أسفاراً ورحلات ولقاءات لهؤلاء الأعلام ومحاوراتهم مع مرديهم، والحقيقة أن الروايات كانت كلها بمعانيها ومبانيها تفتح صفحة ناصعة البياض في

<sup>1</sup>- أحمد المنادي : النص الموازي، آفاق المعنى خارج النص، مجلة علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي بجدة، ج61، مج16، ماي2007، ص145.

الكتابة الروائية الجادة، فتتمص شخصيات أقطاب الصوفية المذكورين في الروايات كشخصيات رئيسية أو ثانوية لسرد الأحداث التاريخية والسياسية لم يكن إلا مفتاحاً للحديث عن التصوف الإسلامي في أبهج صورته مُمَثَّلاً في هذه الشخصيات، التي عايشنا معها وبها لحظات المكاشفات والتجليات التي من نتائجها الأحوال والمنازل والمقامات وهي بمجموعها تُشكّل الولاية، وقد وصف السارد ما يعتري الصوفي من أحاسيس حين التجلي ومروره بأحوال ومكثه في منازل وترقيه في مقامات..

فالروائي استعان بمجموعة كبيرة من المفاهيم والاصطلاحات والمعاني الصوفية بما في ذلك توظيف الرؤيا والنام والذوق والرمز. ونحن نقر أن الأثر العرفاني يهيمن على كل روايات بن عرفة من العنوان ليشمل كل العناصر المتبقية. وقد ركن عبد الإله ابن عرفة إلى التجربة الصوفية كممارسة إبداعية، وفلسفة لرؤية الكون، لتأكيد الهوية العربية وتحقيق خصوصيتها وتفردتها، وبعدها الإنساني في وجه التطرف وأجواء الكراهية السائدة في العالم. ويشير محمد أداذا إلى أن التجربة الصوفية تلبي احتياجات الروائيين الفنيّة الأيديولوجية، لكونها كما يرى الناقد الفرنسي جان إيف تادييه (Jean-Yves Tadié) "بنية مفتوحة متعددة الخطابات وجماع أجناس تحتضن الشعر والسرد والمسرح والرسم والأسطورة"<sup>1</sup>

#### 4.1. الخيال الخلاق:

وهذه الدعامة الأخيرة بنى عليها الكاتب مشروع العرفاني الذي لا يكشف أسراره ولا يفضي بخباياه إلا لمن يتحقق بالعبودية المطلقة بوصفها افتقاراً وبالسلوك الروحي

<sup>1</sup> - محمد أداذا، "الصوفي في الروائي"، موقع محمد عابد الجابري. شوهد على الرابط التالي:

بما هو محبة وبالمعرفة الحقيقية باعتبارها حرية<sup>1</sup> ويورد الشيخ الأكبر هذه الأبيات في أهمية الخيال:<sup>2</sup>

لولا الخيال لكان اليوم في عدم      ولا انقضى غرض فينا ولا وطر  
 كأن سلطانها إن كنت تعقلها      الشرع جاء به والعقل والنظر  
 من الحروف لها كاف الصفات فما      تنف عن صور إلا أتت صور

ويعتقد ابن عربي أن الخيال هو أعظم قوة خلقها الله، وهو يرمي في المقام الأول إلى الربط بين الكشف الصوفي وبين هذه القدرة التي يصفها بأنها استمرار لعملية الخلق الإلهي<sup>3</sup> فالخيال عند الصوفية عموماً له مكانة خاصة، وليس المقصود به (الفانتازيا) لعبة الفكر، ولكنه الملكة التي تضيء الوجود على الأشياء فهو عالم وسيط تتمتع فيه الأشياء بوجود مستقل، ضمن هذا الأفق نفهم طبيعة الحدود المتحركة بين التاريخ والخيال في روايات عبد الإله بن عرفة المتحاور مع التاريخ. فثمة جهد جهيد للوصول بالمعرفة التاريخية في هذا العمل إلى أبعد مداها؛ ثم بعد ذلك إعادة سبك وحبك هذه المادة التاريخية بشكل يجعل المحكي تاريخياً ولا تاريخياً في آن؛ إذ تنتمي أعلامه وأماكنه وأحداثه الكبرى وشخصه إلى التاريخ، ولكن تفاصيله وتمفصلاته والبعد الإنساني والشعوري والنفسي والعرفاني تنتمي إلى «الخيال الخلاق» كما حددناه آنفاً.

وبذلك يتسلطن الخيال في هذا العالم السردي لسائر الأعمال الروائية كخلق مؤسس يقدم حقائق في ذاتها تكتفي بنفسها عن الواقع؛ حقائق ليست بالضرورة تاريخية، بل هي

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، تقديم ص 6.

<sup>2</sup> - محيي الدين ابن عربي : الفتوحات المكية، مرجع سابق، ج3، ص 304.

<sup>3</sup> - محيي الدين بن عربي : الفتوحات المكية، مرجع سابق، ج5، ص 507.

معرفية، وجدانية وثقافية ومن خلال لغة تأخذ من عالم التصوف الكشف والغوص في عالم روحاني، وعالم الرحلة المعراجية الخيالية التي تأخذه إلى عالم سماوي غيبي، كالمعراج الروحي عند المتصوفة، فكانت تجليات النصوص بإشراقات اللغة الصوفية، والرؤيا الصوفية، واضحة ومائلة للعيان. وذلك باستثمار التخيل في عرض مادتها الحكائية، إن لم نقل إن التخيل صار مُهَيِّمًا فيها، وتعددت أنواعه حسب طبيعة النوع الروائي وطرق اشتغاله النصي. هل يعني أن ثمة علاقة بين السرد كخطاب والعرفان كتجربة؟ نعم، ثمة علاقة، لكنها لا تشتغل، أصلا وتجوُّزا في آن، إلا حسب آليّة التخيل الذي يعيد بناء هذه التجربة النوعية ويقوم بتسريدها ضمن نصّ تعاقبيّ تحكمه حبكة روائية متصلة تتخللها وقفات "السكون والطمأنينة" التي تفترضها التجربة نفسها، ليس باعتباره تجربة ماضية تمّت وانقطعت في التاريخ، بل دائمة التدفق وفق مقولة "الشهادة بالحضور"، التي هي عماد الرواية العرفانية.

إن على فاعل هذا الضرب من التخيل أن ينخرط في تسريد التجربة حاضرا فيها وشاهدا عليها؛ فهو ليس المؤرخ الذي يدّعي أن لا علاقة له بأحداث الماضي ويضرب حولها سياجا من الموضوعية، بل الذي يجعل هذا الماضي مستمرا في الحاضر ومنفتحا على الآتي داخل ما ينتجه الفضاء العرفاني للرواية من إمكانات معرفية وتقنيات كتابية، لغوية وأليغورية، تستثير أسئلة الحاضر وهمومه. ومثل ذلك القارئ، فعليه بدوره أن يعتقد أن وقائع الحدث الروائي ممكنة حتى يتحقق المعنى عنده منها، وإن كانت هذه الوقائع في معظمها من صميم التجربة العرفانية المفارقة لمعيشته وفكره، إلا أنها تمثل في كل الأحوال ملامح من تاريخه الثقافي والحضاري، وتخطب لا شعوره الجمعي.

لا يتأتى هذا التخيل لأيّ كان، لأنه ليس شكليًا أكثر منه معرفيا وروحيا، إلا لسارد ذاتي متورط في التجربة مع ما فيها من أفانين سرّية وأدلة شرعية وتمثيلات كنائية، وعارف

بمضايقتها، ينقلها ويخبر بها القارئ على النحو الذي يسمح له بفهمها وتدوّقها؛ ثمّ هو يؤوّلها في حاضره بلا تعسّف أو خلط.

إنّ التخييل ليس مجرد عنصر من عناصر تسريد التجربة، ولا هو مستوى أو مقولة تبرز وتخفت تبعاً لطبيعة المحكيّ ونموّه في صلب العمل الروائي، بل هو «الدالّ الأكبر» الذي يؤثر بشكل حاسم في دائرة أفعال رواية العرفان مبنى ومعنى. انطلاقاً من هذا التصور، يمكن لنا أن نبرز عمل التخييل في علاقاته البلورية بكلّ من المادة الحكائية، وشخص السرد ولغة الكتابة بالحال وبلاغتها الخاصة. بيد أن الرواية العرفانية لا تتحقّق فنياً وجمالياً بمجرد استعارة بعض سمات التصوير الصوفية من قبيل المعجم والرمز والكرامة والمنامات، حيث يظلّ ذلك التحقق مشروطاً بقدرتها على خلق صورة جديدة للبطل، أو خلق بطل جديد يتميّز عن صور الأبطال في الأصناف الروائية المغايرة. إنّ تميّز بطل الرواية العرفانية يتمثل في طبيعة الرؤية التي يصدر عنها، سواء في علاقته بالعالم أو علاقته بالشخصيات الأخرى؛ فإذا كان بطل الرواية الغربية يصدر في أفعاله عن رغبة في التملك وغزو العالم، ويبحث عن قيم نبيلة لكن في واقع منحطّ بتعبير "لوكاش"، فإنّ بطل الرواية العرفانية يبحث عن قيمه ليس في العالم الخارجي، بل في ذاته، عبر تجربة صوفية داخلية تأخذه إلى أعماق الروح، ولا يصل إلى أعتاب تلك التجربة الروحية إلا عندما يتخلّى عن العالم؛ عن الرغبة في التملك، والرئاسة، والتميّز، والتفوق، والتمتع بلذات الحياة المادية، بهذه الملامح والعلامات، يعيد التسريد العرفاني كتابة السير الروحية لأعلام التصوف، إعادة كتابة تصهر وتمزج بين معطيات التاريخ بوقائعه وأحداثه وبين نتائج الأحوال والمقامات والأذواق؛ أو قل هي كتابة تعيد سبك تاريخ الأسفار الروحية لأعلام التصوف بحيث تصل ببهاء بين سفر الأبدان وسفر

القلوب؛ بين سفر المسافة والطريق وسفر المعرفة والذوق والتحقيق إذا استعرنا عبارات الشيخ الأكبر. ومما لا يدع مجالاً للشك فإن الرواية العرفانية استطاعت الاغتراف من ينابيع التصوف وأخضعتها لخصوصيتها، كما تحققت للنص شعريته وكثافته الترميزية، وأضحى التصوف رافداً من روافد التجديد في الرواية العربية، وأيضاً حققت من خلاله أصالتها. أما على مستوى التلقي فإن الإبداع الذي يغترف من الروحانيات يجعل المتلقي ينخرط في تجربة المبدع الروحية ويصبح عنصراً فاعلاً في الإبداع فيدرك كنه الجمال المحمل به النص ويتمثله.

إن مشروع "الرواية العرفانية"، يروم إعادة الموروث الإسلامي، في شقه الروحي على الخصوص، لأنه تعرض إلى كثير تهميشٍ أو اختزال خلال العقود الأخيرة، لاعتبارات عدة، منها ضرائب ظاهرة الأسلمة، مع فارق أن إعادة قراءة هذا الموروث، والتي تتم اليوم حتى على الصعيد الغربي، مع هذا الانفتاح الكبير على أعمال التصوف، وخاصة أعمال ابن عربي وجلال الدين الرومي والغزالي، تتم انطلاقاً من مداخل معرفية وجمالية ظلت مغيبة أو متواضعة التناول، بما يُفسر هذا الإقبال الكبير والمتصاعد على المشروع في المنطقة على الخصوص، وليس هذا بعزيز على باحث وأديب، يُصنف ضمن الفئة التي تروم الجمع بين الذكر والفكر والأدب، دون أي ادعاء أو مزايدة على العامة والخاصة، وهو الذي يُحذر من مُشكلة كُبرى مرّ منها اليوم، وتكمن في مأزق التشطّي، والذي يقتضي المواجهة والمكاشفة، عبر أداة الإيمان، الذي لا يستقيم، حسب ابن عرفة، إلا "مع العلم، الإيمان هو التصديق، والتصديق يحتاج إلى علم بهذا التصديق، ولهذا التصوّف هو تجربة روحية وتجربة إيمانية. العرفان ليس تجربة روحية فقط ولكنه تجربة معرفية و علمية.

وسنقوم فيما سيأتي بتقديم ملخصات للروايات النماذج والتي تمثل نصوصها موضوع دراستنا.

## 2. ملخص رواية "بحر نون" :

تبدأ الحكاية في المكتبة وبين الكتب أين يلتقي الشاب "يوح" بالشيخ "يونس" المغرم بالكتب، لكن ضيق ذات اليد يرغمه على بيع أحد كتبه، و التي كانت وسيلة للتقرب من الشاب الذي رأى فيه الشيخ نفسه أيام شبابه، كما اعتقد أن الشاب كان جديرا بالكتاب، والكتاب تدور حوله أحداث الرواية في " زمن السعادة زمن الفطر السليمة" فضلا عن كونه (الكتاب) يتمحور حول المهدي المنتظر، ويتضمن أسرار الكون، يبدأ الشيخ بسرد قصته على الشاب قائلا أنه ذهب لزيارة بيت الله الحرام، وفي طريق عودته يزور أهرامات القاهرة حيث يلتقي بقبيلة من سلالة الفراعنة القدماء تطلب منه أن يعثر على كتاب عن أسرار الفراعنة ضاع منها بعد الحملة الفرنسية على مصر، وآخر عهدا به أنه في المغرب. وفي مقابل اكتشاف أسرار الفراعنة يبدأ الشاب في البحث عن الكتاب، وبالتالي عن آثار الحضارة الأطلسية في سوس جنوب المغرب ووادي نون (أو نول) التي تحدث عنها أفلاطون، وساهمت جميع الحضارات فيها بقسط أو بآخر، ويعتقد أنها غرقت في الطوفان. وفي رحلته الاثنوغرافية المثيرة يوغل البطل نون في الجو الروحاني في سوس، حيث الزوايا ومجالس العلماء وأسفار الأسرار، وكان هاجس استعادة الكتاب هو العنصر المشترك والحاضر بقوة لدى الشخصيات المركزية في الرواية، ويلتقي بأحد شيوخه وأساتذته. وفي حضرة الخيال الخلاق يُكشف له عن مكان وجود الكتاب في مكان ما من الصحراء عند ملكة تدعى "نونة" تحكم مملكة لا يوجد فيها إلا النساء. وتطلعه نونة وريثة الحضارة الأطلسية

<sup>1</sup> - عبد الإله بن عرفة : بحر نون (رواية) ، مصدر سابق، ص17.

على تاريخها، وتوكل إليه مهمة البحث عن الجزيرة الموعودة، فيصير البطل قائدا بحريا لسفينة نون ونونة، ويوغل الجمع في بحر نون، بحر الحقائق وعلم الإجمال المودع في كتاب الوجود، أما شخص الرواية الرئيس وإن تعددت الشخصيات فهو حقيقة الإنسان الكامل. إنها قصة الإنسانية بشكل عام، قصة آدم وحواء ونوح ويونس التي تؤلف إلى جانب بعضها البعض الخيط الناظم في الرواية التي نقف على مشارف خاتمها المنفتحة بين الخارق والممكن، بين المكابدة العجائبية والعرفانية في قلب الحوت الذي يجدان نفسيهما فيه بعد غرق سفينتهما، ولقاؤهما من جديد في جبل عرفة بعد أن لفظهما الحوت، وعقد قرانهما بمباركة صدّاق قدسي قوامه سورة نون الكريمة، وأخيرا يستلم "يونس" الكتاب من يد الملكة نونة بعد اعترافها بمصداقيته كعارف، وأحقّيته في حيازة الأسرار العرفانية الكبرى .

### 3 ملخص رواية بلاد صاد :

في هذه الرواية يستلهم ابن عرفة التاريخ وأعلامه من خلال عرض قصة العالم والوزير، والأستاذ الجليل الكبير، الإمام أبو الحسن علي بن عبد اله الششتري الأندلسي المغربي الشاذلي والذي كان من أبناء الملوك حيث كان أبوه أميراً بقرية ششتر من عمل وادي آش، فجذبه الحق إليه، فخلع ما كان عليه من لباس الأمراء وارتدى ملابس الفقراء، وحقق حلمه بالسفر فهاجر من الأندلس والمغرب إلى الشرق وساح في الأرض بحثاً عن السمسمات السبع ليدخل بلاد صاد أعظم أرض للعبادة

ومن أفضل مقطوعاته :

"يا قاصداً عينَ الخبر غطاه أينك

الخمُرُ منك والخبر والسرُّ عندك

ارجع لذاتك واعتبر مائماً غيرك<sup>1</sup>

#### 4 ملخص رواية الحواميم :

تتألف الرواية من سبعة فصول أطلق عليها المؤلف "ألوية"، لاتصال هذه التسمية بألوية الجهاد البحري الذي يتبوأ موقعا رئيسا في العالم السردى للرواية. وقد جعل هذه الفصول سبعة على عدد السور القرآنية المفتحة ب"حم"؛ يدل على ذلك افتتاح جميع هذه الفصول بالحاء والميم، سواء في صيغة حرفين مقطعين "حم أو بصيغة فعل «حَمَّ»، وكذا ختمها بالآية الأخيرة أو بجزء من الآية الأخيرة في السورة القرآنية المقابلة لذاك الفصل. هكذا يختم اللواء/الفصل الأول باقتباس من سورة غافر والثاني من سورة فصلت والثالث من سورة الشورى والرابع من سورة الزخرف والخامس من سورة الدخان والسادس من سورة الجاثية والسابع من سورة الأحقاف. كما أن مدار المادة الحكائية يتمحور حول موضوع الصراع بين الحياة والموت، ذاك الصراع الذي تشير إليه أيضا ثنائية الحاء والميم. تحكي «الحواميم» عن محنة طرد الموريسكيين من إسبانيا، وما مورس عليهم من ظلم وبطش بدءا من نقض معاهدة تسليم غرناطة بين أبي عبد الله آخر ملوك بني الأحمر، وملكي قشتالة والأرغون إيزابيلا وزوجها فرناندو عام 1492م، وما تلا ذلك من قرارات التنصير القسري للمسلمين بعد اليهود، مع ما صاحب ذلك من مصادرة لثروات المسلمين وممتلكاتهم، ومنعهم من لغتهم ودينهم وتقاليدهم بالسيف والنار، وما كابده المقاومون لهذا الإكراه من ألوان التتكيل والبطش والتعذيب، وصولا إلى قرارات الطرد النهائي سنة 1609م، حيث تراوح عدد الموريسكيين

<sup>1</sup> - أبو الحسن الششتري : ديوان أبي الحسن الششتري، تحقيق : سامي النشار، دار المعارف، الاسكندرية، ط 1، 1960 م، ص 267.

المطرودين على اختلاف الباحثين بين 250 ألف ومليون موريسكي. وقد عرضت الرواية لتفاصيل هذه المأساة من خلال الرصد السردى لمسار عائلة الشيخ ابن معن، الذي رحلَ أسرته إلى المغرب خوفاً عليهم من التعذيب والتنكيل، فيما أصر هو على المكوث بغرناطة للمساهمة في مقاومة هذا الظلم، والتنفيس عن معاناة الأندلسيين حفظاً لوصية جده يعقوب المنصور الموحدى بال العناية بالأندلس اليتيمة وسكانها الأيتام. هكذا راح الشيخ ابن معن يسهم في دعم المسلمين بشتى الطرائق للحفاظ على لغتهم وهويتهم وكيانهم، كما أسهم في تأطير ثورة البُشُرات ضد الهيمنة الظالمة للسلطات القشتالية من خلال النصح والتأطير، وواصل رسالته داخل السجن؛ خصوصاً بعد أن دخل السجن ووقف على أنواع التعذيب، والتفنن الوحشي في التنكيل بالمخالفين للعقيدة الكاثوليكية، أكانوا مسلمين أم بروتستانت. وقد عُرض الشيخ ابن معن على محاكم التفتيش الظالمة على كبر سنه ووهن عوده، فجادل المحققين برباطة جأش وعزيمة مؤمن راسخ، فحُكم عليه بالإعدام شنفاً في ساحة حي البيازين وأُضرمت النار في جثته بعد التنكيل والتمثيل بها.

وقد استأنف المقاومة من بعده، ومن خلال الجهاد البحري انطلاقاً من سلا، حفيده محمد الذي كان الشيخ قد أنقذه وساعده على الهروب نحو الضفة الجنوبية على متن سفينة قرصانية جهادية. هذا الحفيد سيتبناه ريس السفينة التي هربته، وسيعلمه العلم وفنون البحر، مما سيؤهله لمواصلة المقاومة عبر الجهاد البحري، وسيكون سبباً في إنقاذ الأسيرة «حياة». وهي فتاة من عائلة أندلسية عريقة أخذها صغيرةً أحد قساوسة محاكم التفتيش، وجعلها في أسرة قشتالية تولت احتضانها وتربيتها، ولكن لما علمت بأصولها المسلمة حاولت الهرب ضمن

جماعة من الموريسكيين فأسرتهم السفينة القشتالية، التي سيستولي عليها حفيد الشيخ ابن معن، ليحررها ويتزوج بها، ويكون سببا في لقائها بأبويها الأصليين إثر حملة من حملاته لإفتكاك المسلمين من بطش وأسر الإسبان.

وتتخلل الرواية نقاشات لاهوتية وأدبية حول الإسلام والمسيحية والحركة الإصلاحية اللوثرية وغيرها، كما تغتنى بتوصيفات دقيقة لأشكال المقاومة الموريسكية للحفاظ على الشعائر والتقاليد الإسلامية، كما تعرض لألوان وأصناف التعذيب البشعة والفظيعة داخل السجون الإسبانية.

## 5 ملخص رواية طوق سر المحبة :

الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فعَل فعل النار، والغم إذا أفرط قتل، والضحك إذا اشتد أسال الدّمع من العينين ابن حزم الأندلسي

وُلد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي في اليوم الأخير من شهر رمضان (994م/1064م)، في مدينة قرطبة، التي كانت تتزين ليوم العيد، كان أبوه وزيرا عند المنصور بن أبي عامر في خلافة هشام المؤيد، وكان المنصور يقضي معظم وقته في الغزو، وكان يستخلف ابن حزم الأب على شؤون الدولة فأدرك من شأنها ما أدرك.

أثناء غزو مدينة "شانتيه ياقب" من قبل المسلمين وبعد هدم كاتدرائيتها وسبي نساءها، كانت من بين الأسرى طفلة صغيرة سماها الوزير "نعم"، حملها معه إلى بيته لتتربى بين أهله، تعلّق بها الطفل علي، الذي كان نابغة في الدروس التي يتلقاها في الجوامع، حيث أخذ المنطق عن محمد بن الحسن القرطبي، وأخذ الحديث عن يحيى بن مسعود، وأخذ الفقه الشافعي عن شيوخ قرطبة، ونشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى

المذهب الظاهري ولمع فيه حتى عرف به، كان من أصدقائه المقربين ابن شهيد الشاعر المشهور صاحب " التوابع و الزوابع"، ارتحل معه بناء على طلب محبوبته "نعم" بحثاً عن والدها المسيحي، والتقى معه ابن حزم و صاحبه حين نزولهم في أحد الأديرة، رجع إلى محبوبته وعقد قرانهما، وعاشا فترة عيشة مترفة لم تدم طويلاً، عانى ابن حزم من الفتنة التي شبت بقرطبة، بداية بفقد نعم ثم تجريدهم من ممتلكاتهم وفقد أخيه أبي بكر وزوجته وبعد ذلك والده، وكتب متمثلاً تلك الفترة في كتابه "طوق الحمامة في الألفة والألاف".

ترك قرطبة واستقر بمدينة ألمرية، وكان مشغولاً بهاجس السياسة وإعادة الخلافة للأمويين، ولقي من جراء ذلك عذاباً كثيراً؛ فظل يعاني النفي والتشريد بعيداً عن قرطبة، ويحن للعودة إليها. ولما سقطت الخلافة الأموية نهائياً بالأندلس وزالت دولة الأمويين، تفرغ ابن حزم للعلم والتأليف.

اتّسمت علمية ابن حزم بأنها موسوعية، فلا تجد فناً إلا وقد طرقه وبرع فيه، وسيتبين ذلك من خلال كلام العلماء والمؤرخين عنه، ومن خلال كتبه التي تركها عقب حياة مليئة بالعلم والفكر والعمل، تزيد عن السبعين عاماً.. بعد أن نعرض سريعاً إلى طلبه العلم وشيوخه. وُصِف ابن الحزم بمنجنيق العرب من ابن القيم الذي تتبع كتبه وآثاره، وُضرب المثل في لسانه، حيث قيل عنه: (سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان)، فقد كان ابن حزم يبسط لسانه خلال مناظراته على المالكية في الأندلس، مما زاد عدد أعدائه في الأندلس، حيث تعرض لفقهاء عصره المنتفعين من مناصبهم، والذين أحرقوا كتبه، وأجبروه على مغادرة البلاد، الأمر الذي جعله يتألم كثيراً. تولى ابن حزم وزارة المرتضي في بلنسية عاصمة مقاطعة فالنسيا في شرق إسبانيا، وتعرض بعدها للهزيمة، كما وقع في الأسر في منتصف سنة

409هـ، ثم عاد إلى قرطبة بعد إطلاق سراحه، وولى الوزارة لصديقه عبد الرحمن المستظهر في رمضان عام 412 هـ.

أنشأ ابن حزم ما يعرف بالمذهب الظاهري القائم على رفض القياس الفقهي الذي يعتمد عليه الفقه الإسلامي التقليدي، والمطالب بضرورة وجود دليل شرعي واضح من القرآن أو السنة للحكم على شيء ما، بهدف إعادة تأسيس الفكر الإسلامي من أصول الفقه، ونادى أيضاً بضرورة التمسك بالقرآن والسنة، وإجماع الصحابة، وبعدم قبول المصالح المرسلة التي يرى بأنها ليست إلا ظنوناً. أثرى المكتبة العربية بمؤلفات مفيدة في مختلف فروع المعرفة من أشهرها: الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ طوق الحمامة؛ جمهرة أنساب العرب؛ نَقَطُ العروس؛ ورسالته في بيان فضل الأندلس وذكر علمائه؛ الإمامة والخلافة؛ الأخلاق والسير في مداواة النفوس والمحلّى بالآثار؛ الإحكام في أصول الأحكام. وكتاب "الاتصال في شرح كتاب الخصال" نحو أربعة آلاف ورقة وكتاب "المحلّى" و"شرحه" وكتاب "المعلّى في شرح المحلّى" بإيجاز وكتاب "حجة الوداع" وكتاب "مراتب العلماء"... وكتب كثيرة ليس هذا مجال ذكرها.

يُعد ابن حزم درة في تاريخ الأندلس السياسي والفكري والأدبي، وقد عاش حياة مليئة بالمحن والمصائب، قضاها مناضلاً بفكره وقلمه، أكثر من أربعين عاماً، ولكن فقهاء عصره حنقوا عليه وألبوا ضده الحاكم والعامّة، إلى أن أحرقت مؤلفاته ومزقت علانية بإشبيلية... كانت هذه الرواية تتحدث عن سيرة ابن حزم. وعن الفترة التاريخية المتقلبة التي عايش فيها سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وظهور ملوك الطوائف!. لكن رسالة ابن حزم التي تركها لنا هي وصيته لكي نحكم الحب في حياتنا مهما يكن حجم المعاناة!. لقد كان ابن حزم خصماً فكرياً وسياسياً صلباً لكثير من أهل عصره وغيرهم.، ولكنه ثبت على ما يعتقد، وفي الأخير رحل وهو يهمس لنا - في رقة صادقة

وصراحة نادرة - أن أسمى شيء هو الحب!. أنا اليوم الإمام الظاهر في العاشقين، أَلِفُ المحبين، وأَلِفُ المحبوبين. فطوبى لمن كان مثلي في نعيم مقيم مع "نُعْم" في الأولين والآخرين. قد كساني الحُسْن حُلّة حتى تَفَجَّرت بالشَّعر من سماء يوسف.<sup>1</sup>

## 6 ملخص رواية الجنيد أَلَم المعرفة :

نحط الرحال هذه المرة في مدينة السلام بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية لتلتقي مع تاج العارفين، الشيخ الجنيد بن محمد النهاوندي البغدادي، المولود في بغداد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وهو من الشخصيات الصوفية الإسلامية العظيمة التي خُلدت بسيرتها وأدبها ومؤلفاتها، وطائفة أهل الاستبصار، فنعايش قيام حضارة عربية إسلامية زاهية على أنقاض حضارتين آفلتتين: حضارة فارس، وحضارة بيزنطة. ونلامس عن قرب تأسيس العلوم اللغوية، والمذاهب الفقهية والكلامية والفلسفية. كما نتابع بشغف محاكمة ابن حنبل في محنة خلق القرآن، ومحاكمة سمنون المحب وأصحابه في قضية العشق الإلهي، ونتبين ملاسبات السياق الذي أدى فيما بعد إلى محاكمة الحلاج وصلبه ثم قتله. نتابع بطل الرواية في جميع مراحل حياته، وهو يُؤسس لمرجعية عرفانية وحضارية قوامها الحب والمعرفة والإيثار، في عالم تحكّمه تيارات فكرية متباينة، ومؤامرات سياسية مختلفة. واستفاد الكاتب من فراغات التاريخ فملأها بشخصيات وأحداث من خياله، قرّبت الشخصية المحورية من القراء بحيث إن أغلب من ترجموا له يتركون جزءا كبيرا من حياته غُفلا، ولا يذكرون عنه إلا مناقب محددة وأقوالا ماثورة وإشارات ومواقف متناثرة بين كتب الأخبار والتراجم وأصحاب الطبقات، فلا نجد مثلا أي تفاصيل عن طفولته، وحياته الشخصية، وعلاقته بزوجته فاطمة، وابنيه، وخاله السري السطقي

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة: سيرة العشق عند ابن حزم (رواية)، مصدر سابق، ص335.

الذي تولاه بعد موت أبيه، وأساتيده مثل الحارث المحاسبي وأبي ثور الكلبى، وحلقته النورانية التي تولاه بقلبه الحيّ وضميره الحيّ منذ أن رأى النبي (ص) في منامه يقول له: «تكلّم على الناس»، ومحيطه الاجتماعي الذي احتكّ به بسبب عمله في الدكان الذي تركه له أبوه لبيع الخزّ في سوق المنسوجات ببغداد.

والطريف أن الروائي الذي يتلبس صوته السردي، يقدّم الجنيّد إلى القارئ بلا هالة قدسية؛ فهو التاجر الذي يعرف بأنواع الألبسة والمطارف والعمائم وبوظائفها، ويطلع على نوايا مرتادي السوق، وهو الشفّاف الذي تأخذه حال الطرب وتهزّ شُغاف قلبه أبيات العرفان، والعاشق الذي تسحره فاطمة وينغمر بعطرها الخاص وجسدها الملتاع، وهو الأب الذي يحوط ابنه محمد وأخته بشتى أنواع الرعايات، وهو التلميذ الذي يصحب أساتيده بأدب وحرص، وهو المعلم الذي يعامل أصحابه بتواضع جمّ وخلق سمح، وهو الإنسان الذي يرقّ لحال جارية في القيود وشابّ من الدراويش التصق جلده بعظمه في الصحراء، ويحقّق مساعهما في الخلاص

### 7 عبد الإله بن عرفة :

كاتب، أديب، روائي، وشاعر وفيلسوف ولد سنة 1962م في مدينة سلا بالمملكة المغربية، له اهتمام باللغة والتاريخ والفلسفة والتصوف والموسيقى والفنون. خريج جامعة السربون في باريس، حاصل على الدكتوراه في علم الدلالة، أستاذ جامعي سابقا يعمل حاليا خبيرا دوليا في مجال التراث والتنوع الثقافي والسياسات الثقافية. شارك وحاضر واشرف على عدة مؤتمرات دولية وندوات علمية في أكثر من 40 دولة في القارات الخمسة حاز على عدة جوائز وتكريمات متميزة.

ضمن مشروعه السردي العرفاني ألف ابن عرفة :

- رواية "جبل قاف"، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002
  - رواية "بحر نون"، دار الأمان، الرباط 2007.
  - رواية "بلاد صاد"، دار الآداب، بيروت، لبنان 2009
  - رواية الحواميم، حول طرد وتشريد الموريسكيين من إسبانيا.  
المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء 2010
  - رواية الطواسين، دار الآداب، بيروت، لبنان 2011
  - رواية ابن الخطيب في روضة طه، دار الآداب، بيروت، لبنان
- 2012
- رواية ياسين قلب الخلافة، دار الآداب، بيروت، لبنان 2013
  - رواية طوق سر المحبة : سيرة العشق عند ابن حزم، دار الآداب، بيروت، لبنان 2015
  - رواية الجنيد : ألم المعرفة، دار الآداب، بيروت، لبنان 2017
  - رواية خناثة : أئر الرحمة، دار الآداب، بيروت 2018.
  - كما له إصدارات أخرى :
  - إصدار كتاب علمي حول نشأة المفاهيم في اللغات، بالفرنسية  
عن دار النشر المنشورات الجامعية 1997 بفرنسا
  - كتاب جماعي بعنوان "السماع الصوفي، الرابطة المحمدية  
للعلماء، الرباط، المغرب 2012.

- لماذا نفرح بالمصطفى، رابطة مجمع الصلاح، الدار البيضاء، المغرب 2013.
- جماليات السرد في الرواية العرفانية عند الأديب الروائي ابن عرفة، دار الآداب، بيروت، لبنان 2014
- تحقيق مقدمة ديوان المعارف الإلهية لابن العربي الحاتمي، ضمن الكتاب التذكاري لابن عربي في المئوية الثامنة لوفاته، دار نينوى، 2018.
- الديوان الكبير لابن العربي الحاتمي (الجزء الرابع) : تحقيق ودراسة وتعليق، دار الآداب، بيروت، 2018.
- الديوان الكبير لابن العربي الحاتمي (المجلد السابع) : ج.1 و ج.2) : تحقيق ودراسة وتعليق، دار الآداب، بيروت، 2019

# الفصل الأول:

## أصناف الشخصية

1. الشخصية المرجعية

1.1 الشخصية التاريخية

1.1.1 الشخصية السياسية

1.1.1.1 الأهرامات - غرناطة - قرطبة - بغداد

1.1.1.2 الشخصية الفردية

1.1.1.3 الشخصية الجماعية

1.1.2 الشخصيات الثقافية

1.1.3 الشخصيات الدينية

1.1.3.1 شخصية الأنبياء

1.1.3.2 اعلام إسلامية ومسيحية

1.1.3.3 الشخصية العرفانية

1.2 الشخصيات الأسطورية

1.3 الشخصية الاجتماعية

1.4 الشخصية المجازية

1.4.1 الحب

1.4.2 الحقد والكراهية

1.4.3 التسامح

1.4.4 الحرف

2. الشخصيات الاشارية (الواصلة)

2.1 تعقيبات/تعليقات السارد

2.2 السارد المرجعي

2.3 اختيار الشخصيات/انتقاء الموضوعات والأساليب

2.3.1 الحوار

2.3.2 القارئ

2.3.3 الإشارات غير المباشرة

2.3.4 الإشارات المباشرة

3. الشخصيات الاستنكارية (العائدية)

3.1 شخصيات ذات قدرة على التذكر

3.2 شخصيات تؤول الدلائل

3.3 مقولات الأسلاف

## تحديدات أولية :

تعتبر الشخصية عنصرا مهما من عناصر بناء الرواية الحديثة لأنها تصور الواقع من خلال حركتها مع غيرها ومن خلال نموها التدريجي إذ تقدم حياة الناس بحيوية وفاعلية حيث يتدرج موقع الشخصية بالنسبة للمكونات الأخرى للنص الروائي فتحدده الرواية القائمة على الانسجام بين عناصرها بحيث تشكل هذه العناصر وحدة لا تتجزأ ولا تتألف من مجموع هذه العناصر بل من تشابكها ودخول بعضها مع البعض الآخر في علاقات وروابط تحكم النص وتحدد أبعاده وهويته.

فالشخصية هي العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الأحداث الزمانية والمكانية فقد مر مفهوم الشخصية بتطورات مختلفة في الحقل الواحد تبعا لتطور المناهج الحديثة. إذ تعد أبرز وأهم عناصر البنية السردية وهي بمثابة النقطة المركزية أو النواة الأساسية التي يركز عليها العمل السردى فهي عموده الفقري. وبما أن الرواية تهدف إلى تحسين المعاني الإنسانية فمن الطبيعي أن تكون الشخصية محورها.

والرواية ليست حياة حقيقية بل نصية توازيها وتمثلها والرواية العرفانية كغيرها من الروايات تزخر بكثرة شخصياتها وتنوعها لاعتماد جوهر أحداثها على التاريخ وهذا الاختلاف والتمايز فيما بينها يجعل من الضروري الوقوف عند تصنيفاتها السيميائية وأقسامها المتعددة لنستخرج نقطة أولية عامة من نقاط تمايزها وتنوعها قبل الغوص في دلالاتها ومدلولاتها وتختلف طرق تصنيف الشخصيات من ناقد إلى آخر وفي هذه الدراسة سنعتمد مقارنة فيليب هامون الذي تحددت معه معالم دراسة الشخصية بشمولية كبيرة

وأول مفهوم ينطلق منه في تحديده للشخصية عده إياها "بياضا دلاليا تسهم في بنائه الذات المستهلكة للنص أثناء القراءة"<sup>1</sup> وقد اعتمد هامون في تصنيفه على الدرس اللساني الذي يقسم الدليل اللساني إلى ثلاثة أدلة هي كالاتي :

### الأدلة التي تحيل على مرجع :

ويعني بها الأدلة التي تحيل على واقع في العالم الخارجي نحو: طاولة، زرافة، نهر... أو على مفهوم معين نحو: بنية، كارثة، حرية... ويمكن نعتها بالأدلة المرجعية إذ تحيل جميعها على معرفة متفق عليها، أو على موضوع محسوس معلوم وباستطاعة أي أحد العودة إلى القاموس ليتعرف على معناها<sup>2</sup>.

### الأدلة التي تحيل على إنية التلفظ:

ومضمون هذا النوع عائم، لا يتحدد معناها إلا ضمن وضعية خطابية ملموسة نحو: الآن حالا. وفعل تاريخي للكلام محدد بمعاصرة مكوناته نحو: أنا، أنت، هنا، غدا.. فهي مرتبطة بالوضعية التلفظية ويتغير معناها بتغير هذه الوضعية. يسميها جاكسون "بالإشارات" ومعانيها لا يمكن تحديدها في المعجم<sup>3</sup>.

### الأدلة التي تحيل على دليل منفصل عن الملفوظ نفسه :

قدلا يكون هذا الدليل قريبا أو بعيدا عن الملفوظ، سابقا أو لاحقا في السلسلة الشفاهية أو الكتابية وتتمثل وظيفة هذه الأدلة في كونها: ربطية، إبدالية واقتصادية، إذ تنقص من حجم البلاغ وطوله.

<sup>1</sup> - فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: السعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، المغرب، 1990، ص 19.

<sup>2</sup> - PH.Hamon, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, Coll: Point, Seuil, Paris, 1977, P.121.

<sup>3</sup> - Ibid.

واقترح فيليب هامون تسميتها "العلامات المتكررة" نحو: اسم العلم، الضمائر النحوية، البدائل المختلفة، أدوات التعريف والتكثير.... مضمونها هي الأخرى عائم ومتغير لا يتحدد إلا ضمن السياق الذي يحيل عليه<sup>1</sup>.

كما أشار هامون إلى أنه يمكن ( لسيميولوجيا الشخصية، على الأقل، في مرحلة أولى، أن تستعيد هذا التمييز من أجل تحديد الحقل الذي تشتغل داخله).<sup>2</sup> ومنه اعتمد في تصنيفه على ثلاث فئات من الشخصيات يرى أنها تغطي مجموع الإنتاج الروائي. فهناك الشخصيات المرجعية، الشخصيات الإشارية وأخيرا الشخصيات العائدية.

### 1. الشخصية المرجعية:

تحيل هذه الشخصيات على معنى ممتلئ وثابت حددته ثقافته ما، كما تحيل على أدوار واستعمالات ثابتة بحيث إن مقروئيتها مرتبطة دوما بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة، وهكذا فهي تحيل على واقع خارج نصي يفرزه سياق اجتماعي معين ولما تدرج هذه الشخصيات في الملفوظ الروائي فإنها (تعمل أساسا على التثبيت المرجعي وذلك بإحالتها على النص الكبير الذي تمثله الإيديولوجية والمستنسخات والثقافة)<sup>3</sup>.

والروايات العرفانية المدروسة بحكم القضايا التي تعالجها غنية بهذا النوع من الشخصيات، وحيث أن تقسيم هامون لهذا الصنف لا يستوعبها كلها ارتأينا أن نضيف أنواعا أخرى ظاهرة للعيان فرضت نفسها في المتن وكان علينا دراستها.

<sup>1</sup> -Ibid

<sup>2</sup> - فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2013 م، ص23.

<sup>3</sup> - حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990 م، ص 217.

## 1.1 الشخصية التاريخية :

هي شخصيات- على اختلاف أنواعها- استوحاها الروائي من التاريخ وهي أكثر الشخصيات الحقائقية وقد استعان بها الروائي لإعطاء نصه أبعاداً تؤكد نقاط التقاء شخصيات النص وهذه الأخيرة وهي صلة بين الماضي والحاضر، ولا بد للقارئ من امتلاك ثقافة تاريخية تمكنه من الوقوف على معانيها، فهي تحمل دلالات مثبتة مسبقاً خارج نص الرواية والكاتب وظفها لغرض تأكيد الأفكار التي يريد إيصالها للقارئ.

والشخصية التاريخية في الروايات النماذج تتعدد وتتنوع بين الشخصية السياسية، الأدبية والدينية والعرفانية والعجائبية

### 1.1.1 الشخصية السياسية:

بداية نقر أن الشخصيات المرجعية السياسية أكثر من أن تحصى في الروايات النماذج لذلك سنتقصر الدراسة على البعض، والتي تبدو من خلال توظيفها أكثر دلالة في سيرورة أحداث الروايات، وهذه الشخصيات إما أن تكون آثاراً تاريخية هامة مذكورة في النصوص، وإما أسماء لشخصيات أسندت لها بعض الصفات أو بعض الأعمال التي أنجزتها، أو نسبت إليها بعض الأقوال. ومنها ما هو مذكور دون المشاركة في الأحداث ومنها ما هو شريك في صناعة هذه الأحداث.

#### 1.1.1.1 الأهرامات- غرناطة- قرطبة- بغداد:

أعتمدت "الأهرامات- غرناطة - قرطبة" شخصيات تاريخية مرجعية للقيمة التاريخية التي تمثلها هذه الآثار في تاريخ الإنسانية كعلامات للحضارة الفرعونية في مصر والحضارة التي بناها المسلمون في أوروبا وكانت سبباً في تطورها لاحقاً.

ومفهوم الشخصية عند الشكلايين "إنها شيء قائم" وهو المفهوم نفسه الذي يتبناه تودوروف، فالمكان خارج دالته الجغرافية هو دالة ثقافية لها قوانينها المعرفية يفصح عن وجوده وفعله. فهذا فيليب هامون يرى " أن الشخصية أشمل من كونها شخصا إنسانيا. فقد تكون مجردة كالعقل أو المنصب أو المادة وغير ذلك من المعطيات التي تكون كلها شخصيات غير محصورة في نظام واحد"<sup>1</sup> وهي مذكورة دون أن تشارك في الأحداث،

وقد استهل ابن عرفة نصوصه الروائية بذكر هذه الأماكن في رواياته (النماذج) فالاستهلال يقدم لنا مسحا أوليا لكل عناصر البناء السردي فهو يزرع البذرة الصغيرة للأفعال الكبيرة اللاحقة، هذا وقد ورد ذكر "الأهرامات" على لسان الراوي في بداية الرواية: "ومن تلك الآثار والأختام التي أمهرتها في الحضارة البشرية أهرامات مصر التي تشهد بعظمة بناتها وعبقريتهم. وإليك الحكاية"<sup>2</sup>، أما "غرناطة" فهي أول ما يستفتح به القارئ نصه ويلج من خلالها إلى عالم التخيل: "بعد سقوط مملكة غرناطة سنة 1492م، هاجر كثير من وجهائها وعلمائها إلى الضفة الجنوبية باتجاه المغرب وبقي الآخرون في دورهم وأراضيهم يعيشون كما كانوا من قبل، بحسب المعاهدة المبرمة بين آخر ملوك غرناطة أبي عبد الله و ملوك إسبانيا الكاثوليك."<sup>3</sup>

وهكذا الأمر بالنسبة لقرطبة : "كانت قرطبة كالطفلة اللعوب تستعد للعيد في هذا اليوم المشمس الناس في حركة دائبة، والأسواق مكتظة لشراء لوازم العيد ازدادت الجلبة والزحام عصر هذا اليوم. كانت المدينة مكتظة بالقرويين القادمين من البوادي والأرياف

<sup>1</sup> - فيليب هامون : سيمولوجية الشخصية الروائية، مرجع سابق، ص 24.26

<sup>2</sup> - عبد الإله بن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق. ص 16.

<sup>3</sup> - عبد الإله بن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق . ص 19.

لشراء ما يلزمهم..<sup>1</sup> وتكمن أهمية ذكر هذه الأماكن في توظيفها المتنوع يقول "رولان بارت" في هذا المعنى: "إن إشارة الكاتب إلى شيء ما بصورة عابرة في السرد. لابد أن يكون لها معنى فيما سيأتي من السرد، وينبغي أن تنتظر أن يكون لذلك الشيء دور فيما يأتي من بقية السرد"<sup>2</sup>

فالأهرامات ليست عبارة عن مكان لحفظ جثث الفراعنة فقط وإنما لغز حير العلماء وشغلهم إلى يوم الناس هذا، وقد ارتبط ذكر الأهرامات بالشخصية المحورية في الرواية وكان توظيفها حسب رؤية هذه الشخصية، ففي البداية كانت الأهرامات علامة على الإلغاز والتعمية مما يوحي بغموض ما نحن قادمون عليه وهذا جلي في العنوان: (بحر نون) أو "رحلة البحث عن الجزيرة الأطلسية"، ويشيد السارد بكيفية بنائها وتعدد أسبابه، فالبدوي يجيب السارد عن تساؤله حول أبي الهول قائلاً: "حدسك في محله، عندما جاء أسلافنا إلى بلاد مصر قبل عشرة آلاف سنة قبل المسيح عليه السلام، إثر الطوفان الذي أتى على مملكة نون، بنوا هذه الأهرام و وضعوا هذا التمثال حارسا على العلوم والمعارف..."<sup>3</sup> وفي موضع آخر تقول الملكة نونة: ".. و بنوا الأهرام لتحتفظ بذكرى الحضارة الأطلسية وأسرارها..."<sup>4</sup> ، وفي هذه الرحلة العجيبة التي كان مدخلها الأهرام أكبر صندوق أسرار في العالم، كان همّ الشخصية الرئيسة الاستكشاف، وليس من مكان أمتع وأروع من الأهرام لدخول هذه المغامرة، فالسارد كان منفصلاً عنها،

<sup>1</sup> عبد الإله بن عرفة : رواية طوق سر المحبة (سيرة العشق عند ابن حزم). مصدر سابق، ص 15-16 .

<sup>2</sup> حميد لحميداني : بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،

1991م، ص 29

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 35.

<sup>4</sup> - مصدر نفسه، ص 83.

جاهلا بدهاليزها ولما اتصل بها تراءى له إنسان يحمل بين جنبيه أسرارا تتوء بحملها الجبال، فتكاشف معه في مقام علوي وأفاض عليه من العلوم والأسرار الكثير.

إنّ ذكر لفظة "أهرام" تستدعي وجوبا لفظة الفراعنة، أصحاب الدور الرئيس في تشييد هذه المباني(على رأي أغلب المؤرخين) كسلطة سياسية وما شاب حكمهم من غموض وعجائب.

ابتدأ السارد روايته بسقوط "غرناطة"، وتسمّى في تاريخ الأمم السالفة من الروم، سنّام الأندلس، وكان لها من الشهرة والعمارة، ما هو مشهور... ولم تزل الأيام تخيف ساكنها، والعفاء يتبؤاً مساكنها، والفتن الإسلامية نجوس أماكنها حتى شملها الخراب، ونَقَسَم قاطنُها الاغتراب، (وكل الذي فوق التراب تراب).<sup>1</sup> والسقوط وجه من الوجوه القبيحة للهزيمة والفشل ومظهر من مظاهر التشظّي والتفرق التي لحقت الموريسكيين بعد تسليمهم مدينتهم وحاضرة المملكة المتبقية للمسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية. فالكاتب يصف غرناطة بالضعف والوهن، ودلالة هذا الفشل إنما تنسحب على الإنسان، فلولا تخاذله وتراخيه لما حدث الذي حدث. وكانت المدينة مُعَبِّراً حقيقيًا عن حالة الانكسار التي عاشها سكانها رغم اختلاف إيديولوجياتهم: " أما حال اليهود من سكان مملكة غرناطة فكان أسوء حالٍ مقارنة مع حال الموريسكيين المسلمين. فقد عمدت إيزابيلا لتتصريهم بالقوة واضطهادهم. بل إنها لجأت إلى محاكم التفتيش التي أسست في الأول من أجل محاربة كل الهراطقة المسيحيين".<sup>2</sup> وبعد أن تهاوت غرناطة كسلطة سياسية متمثلة في بني الأحمر، هاهي تتهاوى كمرکز إشعاع ثقافي ومعالم حضارية متمثلة في العدد الكبير من العلماء والفقهاء والأدباء والمتصوفة، ومؤلفاتهم

<sup>1</sup> - لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009م، القسم الأول، ص 170-172.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : الحواميم(رواية)، مصدر سابق ، ص21.

الضخمة التي تركوها للبشرية جمعاء تحرق في الساحة العامة لغرناطة أمام ناظري غرناطة : "... حوالي مليون مخطوط في مختلف الفنون والعلوم والصنائع. ثم جُمعت في الساحة الرئيسة لغرناطة. وصعد الكاهن الخبيث منتشيا بهذا الانتصار إلى برج عالي في قصر الحمراء الذي بنته يد صناع لا مثيل لصنعتها وفنونها. أمر الكاهن بإضرام النار في هذا التراث العلمي الإنساني الكبير، الذي جَهَدَت الإنسانية في بلوغه على هذه الأرض. وصعدت ألسنة اللهب عاليا واستمر الدخان لأيام حتى لم تعد الحياة ممكنة في غرناطة"<sup>1</sup>. وهكذا كانت غرناطة شخصية متفجرة بالسواد ليس لها مستقبل.

كانت قرطبة مثل ما هو عليه الغرب اليوم، من تقدم ونظام وسعي وراء كل إبداع في العلوم أو الفنون، فترة كانت فيها درة الشرق والغرب، وفي جامعها أو جامعة جامعها تلقى بعض من ملوك الغرب أو باباواته، كالبابا كليمنس العاشر علومهم، فكانت هذه المدينة «واسطة العقد» بين غرب يتطاحن فيه الأمراء ويتسلطون على الرعية بالإرهاب وخلافة عباسية تتفكك، فإذا بقرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، في قمة مجدها ونظامه. يقول الحجاري في "المسهب" : كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام، ومجتمع أعلام الأنام، بها استقرّ سرير الخلافة المروانية، وفيها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليمنية، وإليها كانت الرحلة في الرواية إذ كانت مركز الكرماء، ومعدن العلماء، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، ونهرها من أحسن الأنهار..."<sup>2</sup>. قرطبة جوهرة الدنيا آنذاك تفتح ذراعيها فرحا بالعيد ككل المدن في مثل هذه المناسبات، عاكسة للمشاعر السائدة بين قاطنيها باعتبارها (قرطبة) مُعادلا معنويا لذهنيات هذه الساكنة من الطبقة الحاكمة إلى عموم الشعب. ويرى فيليب

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق ، ص 31/30.

<sup>2</sup> - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط، 1968 م، المجلد الأول، ص 153.

هامون أن البيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل، حتى إنه يمكن القول بأن وصف البيئة هو وصف لمستقبل الشخصية، ومعنى هذا أن الشخصية تتأثر بالمكان الذي تعيش فيه، وصورة المكان هي صورة الشخصية<sup>1</sup>.

لجأ الكاتب إلى أنسنة المكان وجعل قرطبة امرأة جميلة يهيم بها العشاق ويتنافس على حبها الفتيان من ذلك قوله: " لا تَمَوِّه يا صديقي عن صولاتي مع الصبايا في قرطبة، فإنِّي اعلم من غُلمتك واهتباك بصبيتك الشقراء التي فاقت بجمالها كل حسناوات قرطبة"<sup>2</sup> ومن جهة أخرى كانت قرطبة رمزا للقوة والسيطرة فهي المقاتل الباسل الذي يتحاشاه أعداؤه والملك الجسور الذي تهابه الممالك المجاورة كما جاء في الرواية " سررنا بالوصول إلى قرطبة بعد غيابنا في أرملاط. ولم يكد يمضي فصل الصيف من سنة سبع وتسعين و ثلاثمائة حتى عاد جيش الحضرة من غزوة قشتالة منصوراً، وأطلق الخليفة هشام المؤيد لقب المظفر على عبد الملك، لأن المسلمين بقيادته هزموا جيوش النصرانية مجتمعة"<sup>3</sup>.

وفي رواية (الجنيد ألم المعرفة) استهل ابن عرفة بتعريف ومدح "بغداد" مدينة السلام المدينة التي احتضنت الجنيد وأصحابه قائلاً: " ألم تسمع عن الحياة القائمة في مدينة السلام أيها المتقي؟ فاسمع إذن كلاماً لاريب فيه يهدي إلى طريق اليقين والفلاح عن طائفة من الصالحين في سرّة الدنيا، في، بغداد، طوَال القرن الثالث الهجري. هل تدرك أنّك في قلب العالم وعاصمة الكون؟ إنّك في مدينة السلام، مدينة

<sup>1</sup> - شاكِر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 200م، ص96.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 84.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 129.

حافلة بكلّ شيء، مدينة فيها العالي والداني، وما فوقها من درجات، أو ما دونهما من دركات.<sup>1</sup> بغداد كانت تهفو إليها القلوب ويتمنى الجميع سكونها، بما مثلت من مركز اشعاع حضاري وثقافي آنذاك، وذكرها ياقوت الحموي في معجمه قائلاً: " وفي مدح بغداد قال بعض الفضلاء : بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الإسلام ومجمع الرافدين وغرّة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف، وبها أرباب الغايات في كل فنّ، وآحاد الدهر في كل نوع"<sup>2</sup>، أما الخطيب البغدادي فيذكر مقولة للشافعي يذكر فيها بغداد : " سمعت أبا بكر النيسابوري يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال لي الشافعي : يا أبا موسى دخلت بغداد ؟ قال : قلت : لا . قال : ما رأيت الدنيا !"<sup>3</sup> وهكذا كانت الدنيا عندهم مقتصرة على بغداد.

إن ذكر وتكرار هذه الأماكن في النصوص الروائية (النماذج) كان جزءاً من بناء الروايات حتى إنه بدونها تصير كلها بلا معنى، وإن اختلفت أهمية هذه الأماكن تبعاً لرؤية الروائي، وتبعاً لطبيعة التكوين الفني للروايات" وقد يكون -تبعاً لهذا- مجرد ظرف أو حيز محايد تقع فيه الأحداث، أو يكون في موضع آخر دالاً عندما يُكوّن شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضافر لتشييد الفضاء الروائي"<sup>4</sup>. والأهرامات كعلامات راسخة منذ القدم ترمز إلى الغموض. أما غرناطة فتركت جرحاً عميقاً في الذات الإسلامية لم يبرأ إلى اليوم. وأمّا قرطبة محضن الحب والمحبة ذكراها

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد (ألم المعرفة)، مصدر سابق، ص 11-12.

<sup>2</sup> - ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط 1، 1977 م، ص 361

<sup>3</sup> - الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2001 / المجلد الأول، ص 292.

<sup>4</sup> - مصطفى الضبع : استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 1998 م، ص

يستدعي في العقل المسلم ما كانت عليه العلوم في المغرب الإسلامي والرقمي الذي وصلت إليه، فإذا كانت بغداد كفة الميزان فقرطبة كفته الثانية. وبغداد رمز بها الروائي إلى الشمولية والكلية والمركزية، وهي تعادل انطلاق مركزية الجنيد وطائفته بالنسبة للمتصوفة، فكما كانت بغداد مركز اشعاع، كان الجنيد وأصحابه وأساتذته ومحبيه نور يُهتدى بهم بالنسبة لمريديهم، وفي العادة يكون حضور المكان تبعة من تبعات السياق غير أن الروايات العرفانية قادت الحكاية نحو المكان، بحيث كان هو صانع الحكاية، فحضوره الطاعي لا يجعله "تابعا لأي مضمون أو موقف سابق عليه، لأنه هو نفسه يصبح مصدر المعنى، أو على الأصح مصدر المعاني المتعددة اللامحدودة"<sup>1</sup>.

ولعب المكان دور البطولة متحكما في مصائر الشخصيات، يخادعهم بكرمهم وطورا يجدهم وينفيهم، فلولا الأهرام لما كانت رواية بحر نون، ولولا غرناطة ومحنتها لما سمعنا بالموريسكيين، وكانت قرطبة معشوقة ابن حزم وبغداد حاضرة العالم. كل هذه الأمكنة مارست وتفاعلت مع أبطال رواياتنا بما مثل رؤية الكاتب تجاه وطنه. و لو عزلنا هذه الأمكنة عن شخوص الروايات لاستحالت الأمكنة إلى أطر جغرافية مفتقدة لوظيفتها كمكون أساسي في العمل السردى.

### 2.1.1.1. الشخصية الفردية :

أسندت لهذه الشخصيات بعض الصفات، أو بعض الأعمال التي أنجزتها، أو نسبت إليها بعض الأقوال ومن بين الشخصيات التي ذُكرت على لسان السارد في مدخل (رواية بحر نون) "محمد علي باشا" مؤسس مصر الحديثة، و"بونابرت نابليون" من أعظم القادة العسكريين عبر التاريخ، الذي قاد الحملة الفرنسية على مصر، حيث جاء في نص الرواية : "وقد سرق الكتاب بعد الحملة الفرنسية على مصر أيام محمد

<sup>1</sup> - حميد لحداني : بنية النص السردى، مرجع سابق، ص 69.

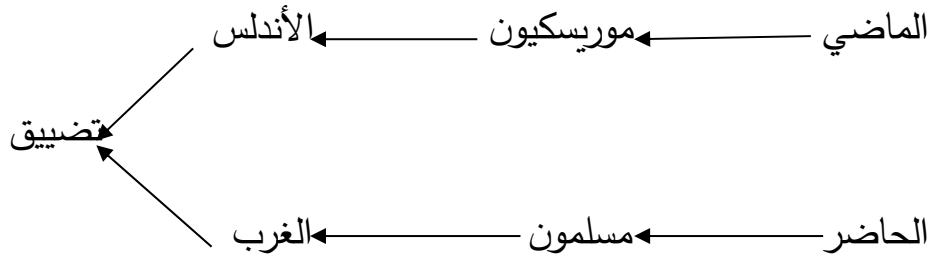
علي حيث هاجمت جيوش بونابرت بلادنا فنهبنا الكتاب ضمن ما نهبنا<sup>1</sup> والملاحظ هنا أن الشخصيتين كانتا قريبتين من بعضهما، وكان هذا التقارب بداية اللقاء بين الحضارتين الإسلامية الأصيلة والفرنسية الغربية الدخيلة. وقد جاءت هذه الحملة بمفاهيم جديدة على غرار الحريات، وإنقاذ الشعوب العربية من التخلف والجهل. ولم يُقْتَه أن يسعى إلى الظهور بمظهر المُخْلِص من الطُّغاة، والمُحَرِّر للشعوب، فأدعى الرغبة في تخلص المصريين من ظلم المماليك، ونهبهم لخيرات الإقليم المصري العظيم، وزعم الحرص على تنظيم شؤون مصر؛ لتزدهر، ويرتفع شأنها<sup>2</sup>، فالأفكار التي أفرزتها الثورة الفرنسية والتي يروج لها كثيراً اليوم كما بالأمس، إنما تعني في حقيقة الأمر بالنسبة للغرب، أن تكون الحريات والديمقراطية شأنًا داخلياً، بمعنى عدم تطبيق هذه المفاهيم خارج الحدود الأوروبية، وبالتأكيد في ذلك الوقت ضمن حدود فرنسا، قبل إفلاس الأوروبيين واستنزاف قوتهم فيما بينهم، والتي تجلت في الحربين العالميتين الأولى والثانية. ولعل ذكر "محمد علي باشا" يرمي إلى بناء دولة جديدة على أسس حديثة قوامها العلم الذي جاء بفضل مجموعة العلماء والأدباء والفنانين المرافقين لنابليون فمن بين أهم الاكتشافات المقابر الفرعونية وهذا ما اعتمده ابن عرفة كمدخل لروايته.

وفي رواية (الحواميم) ذكر السارد **أبي عبد الله محمد الثاني عشر** (1460 - 1527) المعروف باسم **"أبي عبد الله محمد الصغير"** آخر ملوك الطوائف في غرناطة، خرج في ذلِّ وصغار من القصر الملكي، سار بعيداً في اتجاه بلدة أندرش، حتى وصل إلى ربوة عالية تُطل على قصر الحمراء تطلَّع منها إليه، وإلى ذاك المجد

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص23.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تحقيق: عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، مصر ط1، 1998م، ص186.

الذي ضاع، فلم يستطع أن يتمالك نفسه، وأجهش بالبكاء حتى بللت دموعه لحيته، " فقالت له أمه «عائشة الحرة» : "أجل؛ فلتبك كالنساء مُكًا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال".<sup>1</sup> يقول الراوي "بعد سقوط مملكة غرناطة سنة 1492، هاجر كثير من وجهائها وعلمائها إلى الضفة الجنوبية باتجاه المغرب وبقي الآخرون في دورهم وأراضيهم يعيشون حياتهم كما كانوا من قبل' بحسب المعاهدة المبرمة بين آخر ملوك غرناطة أبي عبد الله وملوك اسبانيا الكاثوليك"<sup>2</sup> كانت هذه بداية التشتت والتفرق في صفوف المسلمين من سكان الأندلس مما أُصطلح على تسميتهم بـ "المورسكيين" وهذا ما يحيلنا على الواقع اليوم من تضيق على المسلمين في أوروبا وأمريكا و"الإسلاموفوبيا"، والدليل على وجود تشابه بين السلوكيات السائدة آنذاك والممارسات الحالية الاحتفالات التي تقيمها اسبانيا كل عام بهذه المناسبة.



شكل (1) مسلمون اليوم موريسكيون بالأمس

ويضيف السارد بعد بضع كلمات اسم "إيزابيلا الكاثوليكية" : " لكن المسيحيين نكثوا بنود المعاهدة التي ضَمِنَت حقوق المسلمين في مملكة غرناطة. لقد تجمع من بقي من سكان المدينة في ربض البيازين، وعملت إيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة على

<sup>1</sup> - البهجي إيناس حسني : تاريخ دولة الأندلس، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، الأردن، ط 1، 2016 م، ص478.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص19.

نقل آلاف القشتاليين إلى الأحياء الأخرى في المدينة<sup>1</sup> وهو الأسماء المعروفة في التاريخ خاصة عند المسلمين. يوضح الباحث المغربي سعيد بنكراد: " ويحيل الاسم التاريخي على تحديد سياسي. إنه يحيل على مواقف سياسية/إيديولوجية قد تكون هي المبرر الرئيس وراء استثمار هذا الاسم داخل نص معاصر"<sup>2</sup> فإسم "إيزابيلا" يُحيل على محاكم التفتيش وما مارسته من تعذيب وقتل وحرق ضد المسلمين الذين رفضوا التنصير وتغيير دينهم، من هنا بدأت المأساة حيث لعبت "إيزابيلا" دور المهيمن الديني وكان لزاما على الموريسكيين الذين لم يستطيعوا المغادرة أن يداروا إسلامهم خوفا من مصيرهم المحتوم يقول الراوي: " كان أمام خيمينيس ثلاث طرق للتنصير : الإقناع أو التهديد أو الرشوة. لكن أياً من هذه الطرق لم يُفلح لأن التنصير تتبعه محاكم التفتيش أو التحقيق للتأكد من الخلوص في النصرانية. وقد أدرك الموريسكيون خطر إظهار التنصير لما يترتب عن ذلك من إجراءات تصل إلى حد الحرق كما حصل مع اليهود."<sup>3</sup> ويستمر السارد في تبيان مدى الحقد الذي يملأ قلب الملكة الكاثوليكية على المسلمين، كما يضيف لها شريكها في المهمة والحياة الملك فرناندو ملك أراغون والذي كان مثل زوجته يؤمن بضرورة قشتلة وتنصير المسلمين.

في رواية (بلاد صاد) افتتح الروائي متنه بالحديث عن الموحدين ودولتهم، ذكر السلطان يعقوب المنصور الموحي وابنه عبد الله وذكر العديد من السلاطين والأمراء الذين توالوا على الحكم واقتتلوا وتآمروا فيما بينهم وتحالفوا مع الأعداء ضد بعضهم البعض، كما ذكر السارد السلاطين الأيوبيين من صلاح الدين والملك العادل والملك

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم مصدر سابق، ص 19.

<sup>2</sup> - سعيد بنكراد: سيميولوجيا الشخصيات السردية، رواية "الشرع والعاصفة" لحنا مينا نموذجاً، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص110.

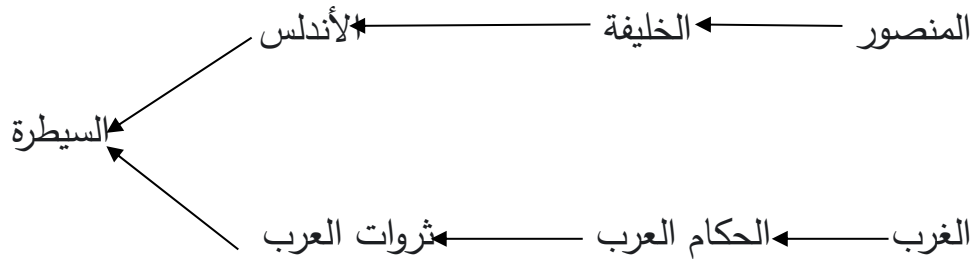
<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 23.

الصالح، وشجرة الدرّ وحكمها لمصر ثم تغلب المماليك على الحكم في مصر منهم :  
بيبرس وأقطاي وأيبك.

في رواية (الجنيد ألم المعرفة) استهلها السارد بعرض الوضع السياسي للدولة العباسية التي كانت في أوجها فذكر الخليفة العباسي المأمون وأخوه الأمين وأبوها الرشيد وعرج على مؤسسي الدولة أبو العباس والمهدي وذكر الكثير من الأمراء وقواد الجيش و وزراء وحكام أقاليم ومناطق وكتاب دولة لا يتسع المجال لذكر الجميع.

أمّا في سيرة العشق عند ابن حزم ف جاء على لسان الوزير "أبي عمر أحمد بن سعيد" والد ابن حزم نكر "محمد بن أبي عامر المنصور" الذي كان داهية في ما يمكن أن نسميه "العلاقات العامة"، فقد أدرك أنه منذ خطواته الأولى للقصر قد دخل إلى عالم معقد، الخطأ فيه قد يساوي فقدانه كل طموحاته بل وربما فقدانه حياته نفسها! فبدأ في العمل على عدة محاور، فمن ناحية تقرب إلى السيدة صبح وداوم على إتحاقها بالهدايا وإظهار حرصه على مصلحة ابنها ولي العهد، هشام، خاصة بعد وفاة الخليفة وتولي هشام المنصب تحت الوصاية، ومن ناحية ثانية تودد للفتيان الصقالبة وأظهر لهم الصداقة والتقارب الإنساني، ومن ناحية ثالثة تحمّل تكبر وسخافات الوزير، جعفر المصحفي، وحرص على التقرب منه وإظهار الاحترام لخبرته وحنكته، ومن ناحية رابعة استطاع أن يكسب حب واحترام القائد، غالب الناصري، بما أبداه من استبسال وحكمة وإظهار مهاراته الحربية إلى جانب تلك السياسية، ومن ناحية أخيرة، كان حريصاً في حالات خروجه مع الجند واختلاطه بصغار الموظفين وعامة الناس أن يبدو لهم كواحد منهم. يقول ابن حزم : "مرّت سنوات قضاها المنصور في الغزو، وكان يستخلف في بعض الأوقات وزيره ابن حزم على شؤون الدولة، فأدرك من شأنها ما أدرك، ووقف على كيفية اتصال المنصور بوالدة الخليفة هشام المؤيد، السيدة صبح

البشكنسية زوجة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر، التي مكنت له وأطلعتة على بعض ما كان يجيش في خاطرها من مشاريع<sup>1</sup> غزا محمد بن أبي عامر في حياته أربعًا وخمسين غزوة، لم يُهزم أبدًا في واحدة منها، واستطاع أن يصل في فتوحاته إلى أماكن في مملكة ليون وفي بلاد النصارى لم يصل إليها أحدٌ من قبل، ولم يصل إليها الفاتحون الأوائل؛ مثل: موسى بن نصير وطارق بن زياد فقد وصل الحاجب المنصور إلى منطقة الصخرة؛ تلك المنطقة التي لم تُفتح من قِبَل المسلمين من قبل، واستطاع أن يغزو النصارى في عقر دارهم، وهاهو ذا قد وصل إلى خليج "بسكاي" والمحيط الأطلسي في الشمال، وفي كل هذه الغزوات لم تتكسر له فيها راية، ولا فلَّ له جيش، ولا أُصيب له بعث، ولا هلكت سرية، من الجوانب الوضّاءة في حياة ابن أبي عامر أو الحاجب المنصور اهتمامه الكبير بالجانب المادي والحضاري في البلاد؛ فقد أسس مدينة الزاهرة على أحسن ما يكون وزاد كثيرًا في مساحة مسجد قُرطُبة، حتى أضاف إليه ضعف مساحته الأصلية، وكان يشتري هذه المساحات ممن يقطنون حول المسجد، وذلك بالمبلغ الذي يرضونه<sup>2</sup>، وفي مقابل قوة وجلد المنصور ضعف "ال خليفة هشام المؤيد" الحاكم الرسمي للبلاد الذي يُدعى له على المنابر، ولو حاولنا إسقاط هذه المعطيات على الواقع لتمثل الحاجب المنصور بالغرب والقوة العالمية المهيمنة ويمثل الخليفة هشام الحكام العرب الذين لا يملكون من الأمر شيئاً،



<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة ، مصدر سابق، ص37.

<sup>2</sup> - ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق : محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي ، تونس، ط1، 2013، ج2، ص287.

شكل (2) إسقاط الماضي على الحاضر.

أورد السارد الكثير من الشخصيات السياسية والتي لا يتسع المجال لذكرها كلها لذلك اقتصرنا على تلك التي كانت بارزة في الأعمال النماذج وأضافت قيمة تاريخية وثقافية لها.

### 3.1.1.1 الشخصية الجماعية:

والمقصود بهذه الفئة مجموعة الأفراد أو الشخصيات التي تشترك في مجموعة من الحالات والصفات والأدوار، وهم في الغالب من الطبقة الحاكمة التي تتمتع بالنفوذ والامتيازات التي يوفرها لها المجتمع، تصدر الأحكام والقوانين والشرائع وتسهل على تطبيقها وأفضل من يمثلها السلطة، ولقد ذكر السارد في (رواية بحر نون) هذا النوع من الشخصيات وهو يصف رحلته الأولى قائلاً: " وقد أوقف عليها الشيخ أبو محمد صالح دفين آسفي الأوقاف، وكان أول من جهّز ركب الحاج المغربي، فصار بذلك تقليداً متّبِعاً، سار عليه ملوك المغرب وأنفقوا في ذلك الأموال الكثيرة"<sup>1</sup>، ولا يخلو زمان ولا مكان من هذه الفئة التي نَسَن القوانين فملوك المغرب سنوا هذه السنة الحميدة في تجهيز حجاج بيت الله الحرام. وليس اعتباطياً أن يسعى الراوي إلى توظيف هذه الشخصيات بشكل عادي، دون أن يتلمس تحقيق غاية محددة وأهداف جمالية وفنية ورمزية، فنجده وظف "الفراغنة" مرات عديدة لما تمثله هذه الشخصية في المساهمة في بناء الحضارة، والإرث الثقافي الذي خلفوه وراءهم، فتوظيفها إحقاقاً لرؤية الراوي الفلسفية فشخصية "الفراغنة" مرتبطة بالقوة والجبروت والظلم والاضطهاد ووردت في مقاطع سردية عديدة كما ألمحنا سابقاً منها: "نقلني هذا الرجل عبر الأحقاب والدهور وأوقفني على الفراغنة، ثم تراه يسألني رأيي و أنا مغشي علي، لا أدري هل هذا سحر

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 19.

ساحر أم غدر غادر"<sup>1</sup> ومن جهة ثانية يرتبط "الفرعنة" ببناء "الأهرامات" بصفتهم الحكام الفعليين لمصر في الفترة التي شيدت فيها هذه المباني التاريخية الشاهدة على عظمة بناتها. والأهرامات هي المدخل لروايتنا الأولى بما تحمله من غموض وإغاز. ونشير هنا إلى مدى اتساع معرفة الكاتب بالتاريخ ففي هذا المقطع : "ومن بين تلك الزعامات عائلة المَزوريين التي تحولت إلى إمارة محلية بسطت نفوذها على مجموعة من القبائل، واستمر نفوذها طويلاً خلال حكم الدولة السعدية والعلوية ولا زالت حتى الآن تمارس هذا الدور الريادي"<sup>2</sup> فتوظيف هذه الشخصيات المزوريين والسعديين والعلويين الذين كان تواجههم في مرحلة حساسة من تاريخ المغرب لما سادها من حروب واقتتال على السلطة وأضاف لهم البرتغاليين في مقطع آخر: "وقد انسحب البرتغاليون من آسفي وآزمور وأخضع السعديون جميع المشيخات لنفوذهم، وحصّنوا القصور من هجمات القبائل الرحل الصحراويين... وقد دخل السعديون إلى بلاد السودان لما حاول البرتغاليون سد البحر في وجه السفن العربية تمهيدا لغزو الخليج العربي."<sup>3</sup>

وقد تكرر ذكر السعديين مرات عديدة حتى في رواية "الحواميم" لارتباطها في فصل من فصولها بالجهاد البحري الذي خاضه العثمانيون رفقة الدولة السعدية ضد الأسبان والبرتغاليين في البحر الأبيض المتوسط لإنقاذ المسلمين المهجرين والمطرودين من اسبانيا الكاثوليكية حيث يذكر السارد ما نصه: "لم يكن للموريسكيين الذين بقوا في بلاده من حديث إلا على الانتصار الذي حققه الأشراف السعديون على الدون سباستيان وقوته الضاربة المؤلفة من ستمائة سفينة ومئات المدافع وآلاف

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون مصدر سابق، ص28.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص85.

<sup>3</sup> مصدر نفسه، ص 88/87.

الفرسان. لكن الهزيمة لحقتهم ومات الدون سباستيان غريقاً. وكان متعصباً سعى إلى تنصير جميع المسلمين"<sup>1</sup>

كما تواتر ذكر السلاطين والأمراء والحكام والولاة، فهذه الملفوظات وغيرها التي تعبر عن السلطة كانت قاسماً مشتركاً بين الروايات ، وذلك راجع إلى :

أولاً إلى الجانب التاريخي الذي سادت فيه الممالك وثانياً الحروب التي شهدتها المنطقة وقتها بين المسلمين والاسبانيين، وبين ملوك الطوائف فيما بينهم إثر تفكك دولة الإسلام في الأندلس والدسائس بين الوزراء والحجاب وأرباب الدولة وأكابرها.

وهذا ما نجده في رواية "بحر نون" حيث يقول الراوي : "بلغني أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان، وكان جالسا في يوم من الأيام، وعنده من أكابر دولته من الملوك والسلاطين، ف وقعت بينهم مباحثة في حديث الأمم السالفة.."<sup>2</sup> وفي جواب أحمد بن سعيد والد ابن حزم عن استفسار ولده قائلاً : " فأجاب : بعد وفاة الحَكَم عام 366 هـ، عَمَلَتِ الأطراف المتصارعة على تعزيز مواقعها في هرم الدولة. كان هناك الحاجب جعفر المضحفي وهو من أقوى رجال الدولة، وهناك قائد الجيش غالب بن عبد الرحمن الناصري، وهو من خيرة رجالات الأندلس وشجعانهم، وقد حقق انتصارات كبيرة في المغرب والثغر الأعلى في الأندلس"<sup>3</sup> ، وقد حقق المؤلف عبرها مقاصده في وصف الملوك والأمراء والجيوش الصليبية بالقمع والظلم والطغيان، وفي الجهة المقابلة وصف الملوك والسلاطين المسلمين من سعييين ومرابطين وموحدين بالمقاومة ونجدة إخوتهم في الدين من موريسكيين، ومن جهة ثالثة المؤامرات والحيل التي كان يلجأ إليها وزراء

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم ، مصدر سابق، ص130.

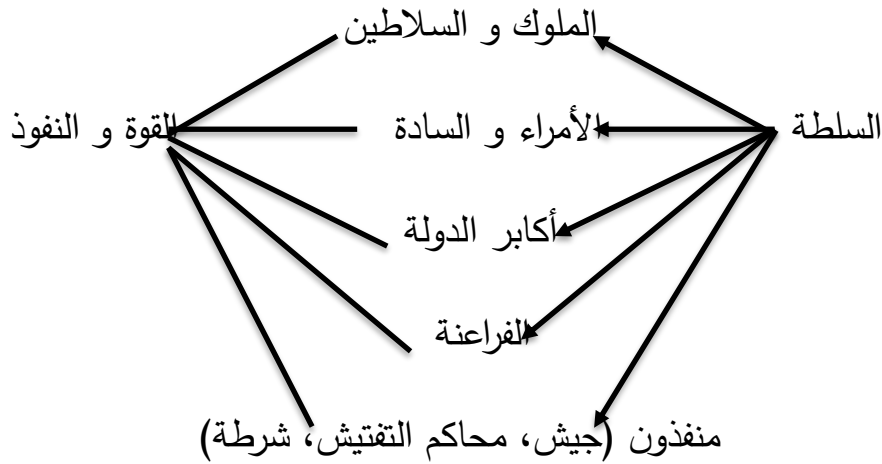
<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص115.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص45.

وأكابر الدولة ورجالها في عهد ملوك الطوائف. وكل هذه الشخصيات مسلمين أو مسيحيين كما أشرنا تشترك في القوة والنفوذ. كما أنه تكرر ذكر " محاكم التفتيش " التي تعبر عن شخصية جماعية فهي تتألف من عدة أشخاص يصل أحيانا إلى ستة أو سبعة وكانت مهمتها الحكم على المسلمين واليهود الذين لم يرضوا بالتصير وكذلك من أبناء ملتهم ولكن من مذهب مستحدث هو المذهب البروتستاني يقول السارد : "كان هذا البابا متعصبا مترمما حتى مع المسيحيين. وكان ضد المذهب البروتستاني الجديد. وأقام محاكم التفتيش في هولندا، أحرقت الآلاف من المهرطقين الإصلاحيين. كما كان يسعى إلى تكثيف جهود المسيحيين ضد الإسلام."<sup>1</sup> وأصرت محاكم التفتيش على أن سبب هزائم اسبانيا هو غضب الرب عليهم لوجود الأندلسيين المخفين للإسلام في صدورهم واعتبرتهم اخطر من أعدائها الفرنسيين أو الإنجليز وهذا ما نستشفه في هذا المقطع السردى: " لما تيقن الشيخ من كتمان حفيده، أمره أن يتكلم عن هذه الأمور فقط مع الذين كانوا يسألونه سابقا ويختبرون عهدَه وكتمانَه، خلال زيارتهم إلى بيت ابن معن. وفي الحملات المتكررة والمباغثة التي كانت تقوم بها محاكم التفتيش نال ابن معن من العنت ما ناله جرء ما فعله الرهبان والكهنة بحفيده."<sup>2</sup> وقد قام الشيخ بفضح كل الأعمال الوحشية والإرهابية التي كانت تفعلها هذه الهيئات والمحاكم باسم الدين والتي أكدت أن لا مكان للمخالف في اسبانيا الجديدة، واختلقت مسميات هذه السلطة نظير ما تمتعت به من امتيازات.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم ، مصدر سابق، ص 49.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 54.



شكل (3) تمثيلات السلطة.

### 2.1.1. الشخصيات الثقافية:

ويقصد بالشخصية الثقافية الشخصيات التي تركت بصماتها على صفحات التاريخ في مجال الأدب والفكر مثل الشعراء والكتاب والفلاسفة ، والذين تردد ذكرهم في الروايات حيث قام الكاتب بتوظيف هذه الشخصيات ليحقق دلالات وأبعادًا معينة، وليؤكد مواقف السارد الفكرية، فقد تختصر حادثة أو حكمة، كما تختصر لنا العملية السردية في شخصية ما، ومن المتعارف عليه أن هذه الفئة تُمكن القارئ من رسم صورة مسبقة وتوقع برامج وأدوار وصفات معينة انطلاقًا من نص ثقافي تاريخي محدد متعلق بها. وورود الشخصيات الأدبية والفكرية يخدم النص في عدة جوانب كونها تمثل وعي المجتمع ولا تتوانى في تعرية الواقع وفضح سلوكيات ومواقف ممثليه، كما أنها متمردة على القوانين والأعراف الجامدة وتنادي بالتغيير والتجديد، وتحيلنا هذه الشخصيات" على سلسلة من التحديدات التي تشتغل كمرجعية ضمنية للعالم المروي، ومن أهم هذه التحديدات التحديد الفضائي والتحديد الزماني والتحديد السياسي. فبمجرد

ما نطرح اسما تاريخيا ضمن سياق النص المعاصر، فإننا نقوم بعملية استحضار للإطار الفضائي الذي يحتوي قصة هذا الاسم في كل إحياءاتها.<sup>1</sup>

ونصادف في رواية "بحر نون" اسم الشهاب يقول الراوي : "ثم تكلمت معه في رجال رجراجة، وما يزعم الناس فيهم أنهم صحابة وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته وأنه، عليه الصلاة والسلام، كلّمهم بلغة البربر. وقد تعرض لها الشهاب في شرح الشفاء، ولكن أوردها من غير سند متصل، واستغربها غير واحد من الأئمة"<sup>2</sup> والشهاب هذا هو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري مؤلف كتاب "نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض" والسارد هنا يثبت وجهة نظره بأن هؤلاء الرجال صحبوا رسول الله وتكلم معهم بلسانهم البربري، بالاستشهاد بشهاب الدين ومؤلفه النفيس وهذه الشخصية الأدبية كان لها وزنها في مصر. وفي رواية "الحواميم" يقابل البطل الكاتب الكبير الذي اشتهر فيما بعد وارتبط به ميلاد هذا اللون الجديد الذي نحن بدراسته وهو فن الرواية والمقصود الأديب الكبير والروائي العالمي "سرفانتس" الذي أُسر في إحدى المعارك البحرية ولأن البطل كان يجيد القشتالية كلفه الرئيس البحري التركي باستجواب الأسرى يقول: "توجهت بالسؤال إلي أسيري فقلت له:

- ما اسمك، و من أي بلد أنت ؟

-اسمي ميغيل دو سيرفانتس، وأنا من قلعة هيناريس.

-أنت إذن من قلعة النهر قرب مدريد. ومن أين قدمتم؟

<sup>1</sup> سعيد بنكراد : سيميولوجية الشخصيات السردية رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا نموذجاً، مرجع سابق، ص110.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص63.

-كنت مع أخي رودريغ نحارب مع الدون خوان الجيوش العثمانية.ثم طلبت الإذن في العودة إلى بلدي.<sup>1</sup> وهكذا أدرج هذه المحاوراة للدلالة على إمكانية التماور رغم كل الظروف فقنوات التواصل تبقى مفتوحة إذا توفرت الإرادة من كلا الطرفين. والمؤلف يرمي إلى فتح باب الحوار بين إسبانيا التاريخية والموريسكيين المهجرين قصرًا للوصول إلى غاية أسمى حوار الحضارات، ونبذ الصراع وركون الإنسانية للسلام بين مختلف مكوناتها ولذلك نجد السارد يورد اسم شخصية كبيرة في هذا الصدد أثناء هذه المحاوراة التي لم تنته عند هذا الحد يقول سيرفانتس:

" - أنا رجل علم. وقد درست في جامعة القلعة التي تعتبر من مفاخر بلدنا. كما أخذت عن أستاذ درس عن عالم كبير هو إيراسموس.

- لا أعرف هذا الرجل، وماذا استقدت منه؟

- إيراسموس أيها الشاب هو أمير الإنسانيات في عصرنا هذا. إنسان يدعو إلى المحبة كما يدل على ذلك لقبه الذي اختاره. إنه مرحلة فاصلة بين الماضي والحاضر. ولعل هذا الفكر هو الذي سيخرج أوروبا من تخلفها ونومها العميق.<sup>2</sup>

وإيراسموس (Erasmus) واحد من رواد كلاسيكيات الفكر التي ظلت تتجدد بأشكال مختلفة، فقيمتها الفكرية تبقى ثابتة حتى مع تغير الزمن، فهي تمثل رموز زمنها ولكنها أيضاً إطلالة على جذور حاضرنا، وهو ما يشعر به المرء عند قراءة كتبنا "الحركة الإنسانية" (Humanism) في القرن السادس عشر، حتى أصبح أيقونة

<sup>1</sup>- عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص139.

<sup>2</sup>- عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 141.

فكرية ممتدة إلى زمننا، فهو يظل الركن الأهم للحركة الإنسانية التي اندلعت من شبه الجزيرة الإيطالية في منتصف القرن الخامس عشر وارتبطت بشكل مباشر بحركة «البعث» الأوروبي التي مثلت أحد أهم الأسس التي بُني عليها التطور الفكري الأوروبي. وقد أقحم الكاتب هذه القامة الفكرية ليؤكد أن الإنسان فوق كل اعتبار. وفي السياق ذاته ذكر السارد شخصيات إصلاحية وقامات فكرية غيرت مجرى الأحداث على مستوى أوربا خاصة والعالم عموماً كـ "دييغو فلاسكيز" الرسام الإسباني الأكثر أهمية الذي ذاع صيته وأثر في الفن الغربي من خلال أسلوبه الطبيعي، وبالإضافة إلى هذا الاسم نجد شخصية أخرى فنية مرموقة أستاذ فيلاسكيز الرسام الإسباني "فرانيسكو دي هيريرا" الذي نزع في أعماله منزعا طبيعيا وكان في طليعة المساهمين في صبغ الحركة الفنية في إسبانيا بالصبغة القومية، والمقطع السردى التالي يوضح ما أوردناه: "كان دييغو فلاسكيز متضائقا من أستاذه المتبرم دوماً بالدنيا وأهلها، كما كان يكره جدته ومزاجيته المفرطة وغضبه المفاجئ الذي لا يمهلك إلا ليصيبك بشارة مباغته. لكنه كان مدينا له بالكثير من النصائح الدقيقة حول فن الرسم الذي كان يهواه بشغف كبير. قُرئت الرسوم وحاول دييغو عبثاً أن يلتقط شيئاً من تلك الأحاسيس التي تحدث عنها أستاذه فرانسيسكو هيريرا، لكنه لم يلمح إلا أصواتاً وضجيجا. فكيف يرسم الضجيج؟"<sup>1</sup> وهذا ما ورد في تعريفه: "ديغو رودريغيز فيلاسكيز مصور إسباني.... أمير المدرسة الغسبانية بلا منازع، ومصور الملك فيليب الرابع، ومثالاً فريداً بأعماله، وآثاره، وعبقريته تفيض عطاء، ورجلا حظي بصداقة الملك، واحترام حسّاده لاستقامته، حظي بتعليم جيد...التحق تلميذاً بمرسم هيريرا، ثم تركه بعد مدة قصيرة لنفوره من قسوة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص206/207.

المعلم...<sup>1</sup> والملاحظ أن هذه القامات الفكرية الأوربية المذكورة، مرجعيتها الفطرة البشرية، فأغلبهم من رواد الحركة الطبيعية، والتي تهتم بالإنسان، وهناك من يقابلهم من العرب الذين يؤمنون بقيمة البشر.

يذكر السارد في رواية "طوق سر المحبة" اسم حكيم معرّة النعمان مرتين ويقصد به أبا العلاء المعري حيث يقول: " وماذا صنعنا بهذه الفطرة القديمة ؟ ولعل قصيدة الحكيم الذي ظهر في معرّة النعمان التي وصلت بلادنا قريبا، تجمل القول في المسألة"<sup>2</sup> ثم أضاف في مقطع سردي آخر: " خطر ببالي قول حكيم معرّة النعمان لما تحدّث عن تزاحم الأضداد، فابتسمت من سخريّة الحياة."<sup>3</sup> كما ذُكر العلامة البليغ جاحظ وقته أبو عامر أحمد ابن ذي الوزارتين، ابن شهيد القرطبي الشاعر الذي كانله شعر جيد، يهزل فيه ويجد وكانت بينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات، حيث تعتبر ظاهرة ابن حزم من اللحظات المضيئة في تاريخ الفكر الإسلامي إذ جمعت إلى السياسة والشعر والأدب تجربة غنية على المستويين الشخصي والفكري وقام بإنتاج موسوعات اشتملت على الفقه والتفاسير، والسجال ضد "الملل والنحل"، ونقض المنطق اليوناني وتأسيس مشروع الفلسفي. كذلك برع في العلم المقارن بين الديانات السماوية الثلاث إضافة إلى تطويره لمنهج المدرسة الظاهرية فهو المؤسس الثاني لذلك المذهب معتمداً في ذلك على معرفة ضخمة للتاريخ والأحاديث النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup> - عزيزة فوال بابتي : موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالميين) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009 م، ج 3، ص 323.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 199.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ص 207.

وابن حزم لا تُجهل مكانته عند أهل المشرق والمغرب. له من المؤلفات ما تحير فيه الألباب، ولعل أشهرها " طوق الحمامة في الألفة والألاف". ورفيقه ابن شهيد صاحب كتاب " التوابع والزوابع" ومنتته عبارة عن قصة خيالية يحكي فيها عن رحلته في عالم الجن، اتصل خلالها بشياطين الشعراء، وناقشهم وناقشوه وأنشدهم وأنشدوه، وعرض أثناء ذلك بعض آرائه في الأدب واللغة، وكثيرا من نماذج شعره ونثره، كما نقد خصومه، ودافع عن فنه، وانتزع من ملهمي الشعراء والكتاب الأقدمين، شهادات بتفوقه وعلو كعبه في الأدب.

كل هذا مع كثير من بث الفكاهات ونثر الطرائف، وإيراد الدعابات. وضمت الرواية بعضا من أشعار الفيلسوف أبي العلاء المعري والموسوعي الفقيه علي ابن حزم والشاعر الأديب ابن شهيد، وكان تواتر شخصية هذا الأخير أكثر حضورا من شخصية أبي العلاء لقرب شخصية ابن شهيد من الشخصية المركزية من جهة ومن جهة ثانية لأن أبا عامر أكثر مرونة من الفيلسوف الذي كان في عزلة تامة حتى وفاته. يقول ابن حزم: " وبينما كنت تائها في أزقة قرطبة سمعت صوتا أعرفه أخرجني من حالة الذهول التي كنت فيها. حَقَّقْتُ النظر في الرجل، فعرفت صاحبي أبا عامر بن شهيد. كان مرحا كما عهدته محبا للحياة يقضمها بكل كيانه قضمًا، خوفاً من أن تغلت منه. لقد كان نموذجا للشخصية الأندلسية المرحّة، القلقة، الخائفة من فقدان النعم التي جمعتها والحضارة التي بنتها. لقد كان ابن شهيد يعيش كلّ آناته ولحظاته بهوَس الشعراء."<sup>1</sup> واستطاع الحوار الذي دار بين ابن شهيد وزهير بن نُمير بعث روح الحيوية في الشخصية وكان مناسباً وموافقاً لها، كل واحد له شخصية مختلفة عن الأخرى متمثلة في مشاعر وأفكار متباينة لم تكن لتظهر إلا من خلال الحوار الذي جرى بينها،

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، المصدر السابق، ص265.

كما استطاعت لغة الحوار الاقتراب من لغة الواقع أكثر، فكانت أكثر تعبيراً عن الأفكار والآراء وأسرع في التعبير عما في ذهن الشخصية من أفكار حيوية، فتكاد تصدق أن زهيراً هذا شخصية واقعية وفي هذه المحاوره ذكر السارد بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين من المشرق لتأكيد ارتباط المغرب العربي بامتداده الحضاري العربي والإسلامي وفي إجابة ابن شهيد توضيح لذلك: "فقلت لأبي عامر: ومن لقيت منهم؟ فقال: لقيت شيطاناً امرئ القيس وشيطان طرفة، وقيس بن الخطيم، وأبي تمام، والبُحْثري، وأبي نواس، وأبي الطيب المتنبّي".<sup>1</sup>

فكل هذه الشخصيات الأدبية لها وزنها في تاريخ الأدب العربي رغم أنه لم يكن لها دور في أحداث الرواية لكن ذكرها يجعل القارئ يسترجع معلومات عن هذه الشخصيات ليقيم علاقة بينها وبين الشخصيات المختلفة الواردة في الرواية. كما ذكر شعراء معروفون من أمثال عمر بن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف وشاعر بني أمية أبي العطاء السندي الذي يشبه ابن حزم في ولائه لبني أمية.

ومن رواد الفكر على المستوى الكوني ذكر كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو لا سيما أفلاطون الفيلسوف الإغريقي الذي تحدث عن قارة تدعى أتلانتس (جزيرة أطلس) وأدعى أن مساحتها تعادل شمال أفريقيا وآسيا الصغرى مجتمعين، تقع غرب مضيق جبل طارق في المحيط الأطلسي، وقد سكنها شعب بالغ التطور من الناحية العلمية، إلا أن هذا الشعب فقد أخلاقه ومبادئه وتحول إلى قوة عسكرية غاشمة أخذت تهاجم بقية الدول، فاحتلت أغلبية شمال أفريقيا وأوروبا حتى قام سكان أثينا، المدينة الإغريقية، وهم الشعب ذو الأخلاق النقية بمقاومة هذا العدوان وانتصر عليه. ثم غضبت الآلهة على سكان أتلانتس فانتمت منهم بإغراق قارتهم لتختفي إلى الأبد، على حد قوله.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 270.

وحسب المصادر فقد ادّعى أفلاطون أن هذه القصة انتقلت إليه بعد أن تناقلتها الأجيال من السياسي الأثيني سولون الذي سمعها بدوره من كاهن مصري قرأها من نص مكتوب يقول الراوي في رواية (بحر نون): "بلغني أيها القلم أن الحكيم أفلاطون قال لتلميذه: سأحكي لك يا سقراط هذه الحكاية العجيبة الحقيقية، عن شيخ هَرَمٍ هو كريتياس الذي كان يبلغ حسب قوله تسعين عامًا... كما حكى ذلك سولون، أكبر الحكماء السبعة، لقد سافر سولون إلى بلاد مصر، وكان المصريون يقدرونه كثيراً.<sup>1</sup> وفي الصفحات الموالية يذكر أفلاطون بشيء من التفصيل خبرًا حول حضارة بائدة وجزيرة التهمها البحر يُرَّجَح أنها "جزيرة أتلانيس" كما يربطها أفلاطون بمدينة الفاضلة واستشهد به السارد في معرض مقارنة بين قول الشافعي عن الإمام مالك وأرسطو عن أفلاطون: "وأعجبني قول محمد بن إدريس الشافعي أحب مالكا ولكن محبتي للحق أكثر من محبتي لمالك، محاكيا بذلك نفس ما قاله أرسطو عن أستاذه أفلاطون"<sup>2</sup> والسارد يهدف إلى الاستقلال عن أساتذته وآرائهم وتكوين شخصية خاصة به رغم محبته لهم وبالفعل هذا الذي جرى فيما بعد فقد استقل بمذهب وَحْدَهُ في الأندلس والمغرب خلافا لما هو سائد. وذكر كل هذه الشخصيات التي تمثل قامات فكرية وأدبية كان لخدمة السيرورة السردية .

### 3.1.1. الشخصيات الدينية:

عرفت الشخصية الدينية والنصوص القرآنية وقصص الأنبياء ذات الأبعاد الدينية حضورا قويا في الروايات، حيث كان لحضورها دور كبير في تحقيق رؤية الكاتب، وهذا تبعا للسياقات التي جاءت فيها، لذا سنحاول من خلال هذه الدراسة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص104.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص143.

استقراء الدلالات التي وظفها الكاتب من أجلها، فالنصوص القرآنية والمعاني المستوحاة من الدين الإسلامي موزعة على مستوى الروايات، وهذا يبرز أهمية الثقافة الدينية لدى الكاتب ومدى اطلاعه الواسع على قصص الأنبياء، فهو ذو معرفة كبيرة بالتراث الديني لاسيما الصوفي "العرفاني"، وهذا ما ساعده على توظيف هذه الثقافة كرموز دلالية وأداة فنية يقدم من خلالها ما يريد من أفكار متكناً على ما تحمله هذه القصص والشخصيات من معان ودلالات من جهة، وتحميل هذه الرموز بدلالات جديدة من جهة ثانية ثم إن هذا التراث الديني غالبية تراث قصصي، لذا اهتدى بعض الروائيين العرب إلى أن تأصيل الرواية العربية يستوجب العودة إلى الموروث السردى الديني، والإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة وأن "التراث الديني يشكل جزءاً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإن أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربيو قضاياه"<sup>1</sup> ومن ذلك توظيف القصة القرآنية في الروايات وهي تختلف عن القصة بمفهومها العام فهي "أخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص، ووقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، و حكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"<sup>2</sup>

### 1.3.1.1. شخصية الأنبياء (عليهم السلام):

واشتملت رواية "بحر نون" العديد من الأنبياء عليهم السلام وخاصة سيدنا يونس وسيدنا نوح لارتباط الأول بالبحر والنون وروايتنا هي بحر نون والثاني بالفلك وهو لا يجري إلا في البحر يقول الراوي إنه بدأ تعلم صناعة السفن: "اتصلت بنجار سفن مَسِينِ عَلمني

<sup>1</sup> - محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص140.

<sup>2</sup> - مناع القطان : مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 2000م، ص316.

صنعة النجارة وبناء السفن، فأخبرته بعزمي على أن أصنع سفينة خفيفة، فأجابني إلى مرادي واشتغلت معه في بنائها وصفحتها بالمعدن النفيس، وقلفتها بالقار، ثم كتبت فيها النون على لوح من رصاص كما أمرني الشيخ ماء العينين.<sup>1</sup> ويبدأ فعلا في صناعة الفلك وبعد الانتهاء منها يشرع في تجهيزها ووضع الأشرعة المطلوبة، وتخصيص عناصر للمؤن والماء والزاد، وتهيئة أماكن للنوم والراحة ولم يبق لهم إلا انتظار ريح مناسبة للإقلاع وكان لهم ذلك كما يخبرنا المقطع السردي التالي: "أخذت الملكة مكانها وتقدمت نحو دفة السفينة وأمرت البحارة برفع الأشرعة فانطلقت السفينة بسرعة وقرأت الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41]."<sup>2</sup> وهذا استحضار لقصة سيدنا نوح منذ بداية صنع السفينة التي أمره الله بصنعها حتى لحظة الانطلاق واستشهاده بقول نوح وهو جزء من الآية الواحدة و الأربعين من سورة هود. وقبل ذلك صرح السارد بنفسه أنه نوح وذكره بالاسم مع أسماء لأنبياء آخرين: "كنت ساعتها متقمصاً صورة نوح عليه السلام، و خِلْتُ للحظة أنّ حماية النوع الإنساني وسائر المخلوقات منوطة بي. لقد رمت بي الملكة في لحظة الآن الدائم قبل أن يحدث الطوفان. ثم تخيلت أنني يونس الذي التقمه الحوت، فلبث في بطنه مسبحاً حتى لفظه على الساحل. إنها نفس الحكاية من البداية. فما يونس إلا صورة عن نوح، وهو الآخر صورة عن إدريس وعن آدم وعن غيرهم من نماذج الكمال الإنساني."<sup>3</sup> فبعد أن تقمص البطل دور سيدنا نوح لما كان يصنع السفينة وإبحاره بها وهي تتلاطم بهم بين أمواج كالجبال هاهو يتقمص دور سيدنا يوسف كما أشار إلى ذلك سابقاً، فالحوت ابتلع السفينة بمن فيها كما نقرأ في طمأنة الراوي للملكة: "لا تحزني يا سيدتي، فليس ما حصل أشد هولاً مما حصل لسيدنا يونس

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق ، ص 160.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 162.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 99.

عليه السلام حينما ابتلعه الحوت، وكان لوحده دون ماء ولا زاد. ونحن والله الحمد جماعة معها الماء والزاد. لقد أبى الله إلا أن يختبرنا بنفس بلاء سيدنا يونس عليه السلام.<sup>1</sup> ثم يمضي في حكايته عن الأهوال التي كابدوها في بطن الحوت من جوع، وعطش وتعَب، وروائح تُرَكِّمُ الأنُوفَ. ثم كيف اهتدى لفكرة تخرجه مما هو فيه بعد أن ألهمه الله في الظلمات قول ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء: 87] وفتح الحوت خياشيمه وعطس عطاسا قويا لفظ به من كان في بطنه وبعد مد وجزر وجد بطلنا نفسه وحيدا في جزيرة في وسط غابة من اليقطين بجميع أصنافه، ولم يجد "الملكة نونة" والآخرين ولما عاودته قوته بدأ رحلة البحث عنها لينتهي دور سيدنا يونس ويحل محله دور آدم عليه السلام و لتأمل هذا المقطع السردى: " ما أشبه حالي بجدي آدم، وما أشبه نونة بحواء. فلأبحث عنها من الآن. كنت في أرض اليقطين على بعد مرحلتين من الجبل المقدس قاف، أو ستين ذراعا لصعود جبل نود. ومازالت عطور نونة تلاحقني وأنفاسها تطاردني."<sup>2</sup> وتلاقيا في أعلى قمة جبل وتعارفا عند صعيد عرفة واجتمعا مرة أخرى من جديد وحكت له نونة ما جرى لها بعد خروجها من البحر ومطاردة الحية لها وإرغامها على أكل قرص معجون من الشجرة وبمجرد أن أكلت منه بدت لها سوءتها فطفقت تخصف على نفسها من ورق اليقطين وبكت بكاءً حارًا وهامت على وجهها حتى التقت بالبطل وارتمت في حضنه وبعد نهاية هذه القصة نجد أن الراوي قد استنسخ القصة القرآني بحذافيره ولم يغير الأحداث الكبرى والمركزية، بل قام بتغيير أسماء الشخصيات وبقيت أفعالها ثابتة كما ذُكرت شخصيات كل من السيد المسيح ويحي وسيدنا سليمان عليهم السلام.

وفي الرواية الثانية (بلاد صاد) والرواية التالية "الحواميم" نصادف مجموعة من

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص177.

<sup>2</sup> مصدر نفسه ، ص193.

أنبياء الله أكثرهم تواترا سيدنا عيسى عليه السلام وهو ما يتوافق مع موضوع الرواية وهي حرب الإبادة التي أعلنت إسبانيا على أبنائها من المسلمين، والتي كانت بدايتها مع الملكة الكاثوليكية "إيزابيلا" ولم تنته إلى اليوم. وهي حرب على الإسلام أكثر منها حرب على المسلمين، فأوربًا تدين بعقيدة "التثليث" وما يترتب عنها على حسب شريعة البابوات والقساوسة من مركزية للكنيسة، وتقديس لكتاب يزعمون أنه من عند الله على لسان عيسى عليه السلام، وفكرة الخلاص التي تتم عن طريق شراء صكوك الغفران وإفراغ جيوب الفقراء وتكديسها في الكنائس، لتمويل الحروب باسم الصليب من جانب، ومن جانب آخر لزيادة ثروات رجال الدين المسيحيين، فقد دخلت الكنيسة في عدا مع مجموعة الإصلاحيين الجدد الذين رفضوا صكوك الغفران، رغم إيمانهم بأن المسيح ابن الله. وهذا ما كان ابن معن (أحد شخصيات رواية الحواميم) يعلمه لحفيده كيف يُخفي اعتقاده بأن عيسى عبد الله ورسوله ويتبرأ من الشرك بقلبه، دون أن يُظهر ذلك للقساوسة وكان: "يُحَفِّظُه السورة ولا ينفصل عنه حتى يحفظها. ثم كان يُحَفِّظُه ما يقول عند رؤية تمثال سيدنا عيسى على الصليب ﴿و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم﴾ [النساء:157]."<sup>1</sup> ومن داخل سجنه لم يهادن الشيخ ابن معن و لم يفرط في دينه حال الكثيرين من أمثاله الذين أصبحوا يأتمون به في الصلاة بعد أن كانوا يصلون فرادى، وخفية عن حراس السجن، وعلم الكثير منهم سورة الفاتحة وقصار السور، وتحدث ابن معن لرفقاء الاحتجاز عن تعاليم الدين الواحد والمشارك بين كل الأديان السماوية والذي بُعث به كل الرسل: "تكلم ابن معن عن الأنبياء جميعا بحرمة بالغة، وتحدث لهم عن نبي الله موسى، وقبله عن نبي الله إبراهيم أب الأنبياء. وتكلم عن السيد المسيح و أمه مريم العذراء التي كان

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 53.

الموريسكيون يطلقون اسمها على كل بناتهم تجنُّباً للمضايقة<sup>1</sup> وهكذا نجد الكاتب قد ذكر عديد الأنبياء في هذه الرواية .

وبخصوص رواية (الجنيد ألم المعرفة) ما أكثر ما أورد الكاتب فيها من أسماء للأنبياء صلوات الله عليهم لا سيما موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وذلك للتدليل على بداية أمر بني إسرائيل مع الرسالات السماوية كبداية التصوف بشكل واضح في العصر مع الجنيد وطائفته.

في رواية "طوق سر المحبة" فلم تخلُ هي الأخرى من أسماء أنبياء الله عليهم السلام كسيدنا عيسى عليه السلام ويوسف ويونس ويعقوب عليهم السلام وقد ذكر النبي سليمان عليه السلام في معرض حديث السارد عن محاولة تشبه سليمان المستعين الخليفة بسليمان عليه السلام يقول السارد: "كان يطمح لأن يملك كما ملك هارون الرشيد من قبله، بل لعله كان يحلم أن يملك كما ملك سميُّه سليمان عليه السلام الإنس والجن".<sup>2</sup> وقد تكرر اسم سيدنا يوسف بما يلائم موضوع الرواية في المحبة والعشق وذلك بين في عنوان الرواية وفي الكتاب الذي خطه ابن حزم بمداد قلبه. وما حدث لامرأة العزيز أشهر من أن يُعاد سرده كما يشير إلى نبي الله عيسى وأنه عبد من عباد الله وأن مصير الاثنين متشابه وهو الفناء وربط كل ذلك بسورة الشعراء حيث ذكر الآيات الأخيرة من السورة وهو يوصي النساء بقراءة وصيته وختم بالآية الأخيرة من سورة القصص يورد السارد هذا المقطع الأخير في الرواية: "قد كساني الحسن حلة حتى تَجَجَّرْتُ بالشعر من سماء يوسف. يا نسوة اندبني جميعا.....فسلامٌ عليَّ يومَ ولدت ويومَ أموت ويومَ أُبعثُ حيًّا. اقرأن وصيتي لكل

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم مصدر سابق، ص94/95.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص226.

الشعراء والقصاص والمحبين العاشقين في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء: 224/225/226/227]، ثم اخْتِمْنَ بتلاوة قوله ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [القصص: 88].<sup>1</sup> وسورة الشعراء بدايتها "طسم" وتُحِيلُ على سورة "النمل" التي بدايتها "طس" ثم تليها سورة "القصص" التي ذُكرت آيتها الأخيرة والسور الثلاث معروفة باسم "الطواسيم" وعنوان الرواية "طوق سر المحبة" والحروف الثلاثة الأولى من الكلمات الثلاث للعنوان هي بداية السور المذكورة واختتم الراوي حكايته بالنهاية الحتمية المكتوبة على كل مخلوق مؤكداً على عقيدته الراسخة بوحدانية الله وإثبات صفاته وأسمائه حسب ما يدل عليه سياق الآية من ناحية ومن ناحية أخرى الاتهامات التي وُجِّهت لابن حزم حال حياته.

الشعراء ← النمل ← القصص.

طسم ← طس ← طسم.

شكل (4) موافقة فواتح السور لعنوان رواية "طوق سر المحبة".

### 2.3.1.1. أعلام إسلامية و مسيحية:

لم تقتصر الروايات النماذج على ذكر الأنبياء فقط بل تعدى الأمر إلى غيرهم من الشخصيات الإسلامية والمسيحية، والبداية كانت مع شخصية المهدي المنتظر حيث يقول الراوي: "ثم أنه يتحدث عن المخلص الذي سيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وهو المهدي المنتظر. فقال الكتبي: دعنا من هذه الأسمار والتخاريف يا شيخ

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص335.

يونس، فأنت تعلم أن أهل زماننا لا يهتمون بمثل هذه الأمور. وكتابك عندهم ليس بذى بال.<sup>1</sup> والمهدي المنتظر مرتبط عند المسلمين بأشراط الساعة واقتراب قيامها، وفيه الكثير من الأحداث والقصص الحقيقية والمبالغ فيها والمتخيلة وكل هذا يحيل على الغموض والتعمية التي تعتبر السمة البارزة للمتن الروائي في رواية "بحر نون" ثم عاود ذكره لما شرح البدوي للشيخ يونس أهمية الكتاب موضوع البحث. ثم أتى على ذكر شخصية سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه في معرض حديث السارد عن نزوله في وسط القاهرة بجوار الجامع الأزهر، وارتبط ذكر هذه الشخصية بالمكان المدفون به رأسه ولأهل مصر ارتباط روحاني كبير به، فهو مكان للصلاة والتقرب إلى الله بالدعاء ونذر النذور وهو رمز للطمأنينة والسكينة عند المصريين والزوار الذين يأتون لزيارته من خارج مصر. كما ذكرت بطله الرواية شخصية "يوحنا المقدسي". وشخصية مسيحية تعني شخصية ذات هوية معينة، تتبرقع وراء إيديولوجية دينية مستقلة وهي الإيديولوجية المسيحية والتي ارتبطت بالفرسان المسيحيين الذين كانوا يناورون جيش العثمانيين. وهم أعضاء الهيئة العسكرية الدينية التابعة لمستشفى القديس يوحنا المقدسي، وسماهم العرب: الفرسان الاسبتارية، وقد نشأت الهيئة من مستشفى أسس في القرن 11 للعناية بالحجاج في الأراضي المقدسة.. وبدأوا يعرفون بفرسان رودس، وسيطروا على البحر المتوسط، وتمكنوا من وقف غزو المسلمين لأقطار أوروبية، بل أخذوا يلجأون هم أنفسهم إلى الغزو البحري، لكنهم اضطروا إلى الاستسلام لسليمان القانوني السلطان القوي الذي بسط سيطرته على مناطق واسعة في أوروبا تقول الملكة: "وقد اشتغل مع عمه في الأسطول العثماني حيث وكّل بعدد من المهمات البحرية لنقل

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 17.

البضائع إلى مصر المملوكية أو مراقبة الطرق البحرية بين اسطنبول وبحر إيجه، وشرق المتوسط حيث كان فرسان يوحنا المقدسي يناوشون السفن المسلمة.<sup>1</sup>

عاد السارد إلى التاريخ ليزكرنا باستمرارية العداء وتجذره بين أبناء الصليب والمسلمين، كما نلاحظ الحضور المكثف للشخصيات المسيحية في رواية "الحواميم" وذلك راجع لارتباطها بحرب إسبانيا الكاثوليكية على المسلمين المورييسكيين، وقيادة إيزابيلا بمباركة البابا لهذه المعركة بالتعاون مع محاكم التفتيش التي كان يرأسها قساوسة ورهبان مسيحيون.

وقد أدت هذه الشخصيات إلى انفتاح أفق النص، واتساع دائرة السرد ومن خلالها استطاع الكاتب أن يلج بالمتلقي إلى العالم الوحشي العنصري لهذه الشخصيات، وعند متابعتنا لأحداث الرواية، نجد أن دينامية السرد لا تتحرك إلا من خلال الفضاء الكنسي، مما أضفى على الشخصيات المسيحية طابع الفاعلية والحركة التي تمد حركة السرد، من خلال ترابطه الداخلي بين الشخصيات والأحداث، فالسارد يبدأ زمن سرده للأحداث بسقوط غرناطة وذكر إيزابيلا ووصفها بالكاثوليكية قبل أن يسمها بالملكة، والمقطع السردى التالي يبين ذلك: "فقد عمدت إيزابيلا لتنصيرهم بالقوة واضطهادهم. بل إنها لجأت إلى محاكم التفتيش التي أسست في الأول من أجل محاربة كل الهرطقة المسيحيين، ووافق البابا على طلب إيزابيلا التي أوكلت إلى كاهن متعصب اسمه توماس دي توركيماده مهمة المفتش العام في قشتالة والتأكد من سلامة تنصر اليهود."<sup>2</sup> ويعد "توماس دي توركيمادا" أول محقق عام لمحاكم التفتيش الإسبانية، وكان اسمه مرادفاً للوحشية، التعصب، والتطرف. استخدم هذا الكاهن التعذيب والحرمان

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 139.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 21.

لإرهاب ضحاياه، وكانت أساليبه وليدة عصر كانت القسوة والوحشية السمتين السائدتين فيه؛ حيث كان يُعرض المتهم أمام حشد كبير من الناس في احتفال بهيج، ويكون ذلك في حضور الملك في بعض الأحيان، ومن ثمَّ ممارسة بعض الإجراءات والطقوس الشكلية ك محاكمة. واصل الكاردينال "فرانسيسكو خيمينيز دي سيسنيروز" أمين سر الملكة إيزابيلا المُضى على خطوات "توركيمادا" بنفس الحماس، إلا أن حملات القمع التي قام بها كانت ضد المسلمين وليس اليهود.

عام 1502 أصدر قرار بحظر الإسلام في "غرناطة"، آخر مدن المملكة الإسلامية (الأندلس) سقوطاً في إسبانيا، وتم إجبار مسلمي منطقتي "بالينسيا وأراغون" على تحويل ملتهم إلى المسيحية وترك الإسلام 1526، ومن ثمَّ تم حظر الدين الإسلامي في جميع أرجاء إسبانيا بسبب عدم قبول المسلمين بذلك، ولنقرأ قول السارد: "تفانم الوضع مع الكاهن الجديد الذي عينته إيزابيلا بدل الكاهن طليبة السابق. والذي كان يسعى إلى استمالة الموريسكيين بأساليب الدهاء والترغيب والتعويل على الوقت في تزويد الفروق، بل لقد عمد إلى البدء في ترجمة الإنجيل إلى العربية. لكن بعد أن حلَّ محلَّ الكاهن خيمينيس، فإنه أوقف الترجمة لاعتقاده أن العربية نجسة وستلحق نجاستها بالكتاب المقدس"<sup>1</sup> كما ذكر المصلح "مارتن لوثر" بسبب عدائه للكنيسة لكنه يبقى شخصية مسيحية وهناك العديد من الشخصيات المسيحية الموجودة في "الحواميم" يقول مترجمو كتاب مارتن لوثر الحرية المسيحية: "علق مارتن لوثر أطروحته الخمس والتسعين على باب كنيسة ويتبرغ بحسب التاريخ الرائج، ليلة 31 تشرين الأول من العام 1517 وقد أُعتبر هذا التاريخ رمزاً لبداية الإصلاح الانجيلي...شنَّ لوثر في الكراسين الأولين هجوماً فكرياً ولاهوتياً عنيفاً على بعض نواحي التعليم والممارسة،

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 23.

وعلى الفساد في الكنيسة الرومانية في أيامه، ودعا إلى إصلاح جذري<sup>1</sup>. وكذلك لا تخلو رواية "طوق سر المحبة" من شخصيات مسيحية فقد أتى السارد على ذكر القديس يعقوب الذي يصفه المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي بقوله: "لقبر ياقب احد الحواريين الاثني عشر، وكان هذا الحواري أخص الناس بالمسيح عليه السلام والنصارى يسمونه أخاه للزومه إياه. وزعم أهل التاريخ الرومي انه أسقف بيت المقدس، وساح في الأرض داعياً لمن فيها، حتى انتهى إلى هذه القاصية"<sup>2</sup> والقديس بنيدكتوس الذي قرر الاعتزال عن العالم وأرشده راهب كان يعلمه إلى مغارة في جبل صخري يصعب الوصول إليها، وكان من حين لأخر يأتيه ببعض الطعام فيدليّه بحبل علق فيه جرس، كان هذا القديس يجهل علوم الدنيا لكنه امتلأ من العلم الإلهي وهو مقدس جدا عند المسيحيين، وقد ذكرا في إطار المحبة التي يحكي سيرتها ابن حزم في روايته هذه، وهذان القديسان من أحب الشخصيات المسيحية عند أهل ملتهم وأوردهما السارد في مقولته التالية: "وكما لا يخفى عليك فإن أجراس كاتدرائيتنا قد أخذها المنصور ووضعا في جامع قرطبة، وإن مهمّتنا المقدسة هي في استعادتها بالشراء أو بأي وسيلة أخرى نتفق عليها مع المسلمين. وقد استضافنا إخوتنا أتباع القديس بنيدكتوس في ديرهم لنكون قريبين من الأجراس التي سلبها المنصور من كاتدرائية شانتيه ياقب. وإخوتنا في هذا الدير يتبعون قاعدة القديس بنيدكتوس الشهيرة في عموم البلاد."<sup>3</sup> فتوظيفها كان لتحقيق مقصدية الكاتب في الحب. وإذا عدنا إلى الشخصيات الإسلامية فنجد أن أئمة المذاهب المشهورين تواتر ذكرهم في الروايات كلها وأكثرهم

<sup>1</sup> -مارتن لوثر : الحرية المسيحية، ترجمة : مورييس سيكل - جورج صبرا، كلية اللاهوت للشرق الأدنى، لبنان، ط 1، 2013 م. المقدمة

<sup>2</sup> -لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي : أعمال الأعلام (نشر بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية)، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، لبنان. 1956م. ص67.

<sup>3</sup> -عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص102.

حضورا الإمام مالك وأحمد ابن حنبل الذي وردت قصته كاملة في قضية خلق القرآن في رواية (الجنيد ألم المعرفة)، ومرد ذلك حب أهل المغرب لإمام دار الهجرة فالمغاربة والأندلسيون كلهم من أتباع هذا المذهب فقد ذُكر الإمام مالك مرات في رواية طوق سر المحبة وبجنبه الإمام الشافعي وهذا ابن حزم يقول: "كان المذهب السائد في بلدنا هو مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وقد أخذته عن كثير من علماء بلدنا، وقرأت كتاب الموطأ لمالك على الشيخ عبد الله بن دَحُون، لكنَّ طبيعتي المتأرجحة لم تكن تأنُّس بمذهبٍ واحد يمشي عليه كلُّ الناس، بل كنت أشربُّ إلى أخذِ المذاهب الأخرى، فاطَّلعت على مذهب الشافعي وقرأت كتاب اختلاف مالك وأعجبتني قول محمد بن إدريس الشافعي "أحب مالكا ولكن مَحَبَّتِي للحَقِّ أكثر من مَحَبَّتِي لمالك"<sup>1</sup> وفي إطار العلم والتعلم لا يخرج الكاتب عن موضوعه الحب والمحبة.

كما وظَّفت أسماء أخرى كبيرة في العالم الإسلامي ارتأينا أن نخصص لها عنوانا لوحدها نظرا لأهميتها ولحضورها .

### 3.3.1.1. الشخصية العرفانية :

تعامل الروائي عبد الإله بن عرفة مع الإرث الصوفي بنوع من الخصوصية فبنى منته على مضامين علمية وأخلاقية، تقوم باستبطان الوعي الإنساني والبحث في الذات عن وجود الله دون وسيط تقليدي، بل عن طريق الكشف المسنود بالإلهام الغيبي الذي يضعه الخالق في قلوب محبيه، وهكذا نهل منه الكاتب وتفاعل معه، مما صبغ المشروع السردي العرفاني بلون يتميز بالجدَّة والشعرية، وتوليد دلالات جديدة ورمزية كثيفة استدعى من خلالها شخصيات "عرفانية" لها ما لها من قيمة تاريخية وأخلاقية، وهذه الشخصيات كما يصفها الشيخ الأكبر بأنها "ممن خرق الله لهم العادة في إدراكهم

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة ، مصدر سابق، ص142/143.

العلوم، فمنهم من جعل له إدراك ما يُدرك بجميع القوى من المعقولات والمحسوسات بقوة البصر خاصة. وآخر بقوة السمع وهكذا بجميع القوى، ثم بأمور عرضية خلاف القوى من ضرب وحركة وسكون وغير ذلك.<sup>1</sup>

فالعرفاني جعل من القلب أسَّه في البحث والوصول إلى المجاهيل والمغيبات، رافضا بذلك أن يكون العقل أو الحسّ أداتين للوصول بهما إلى تلك المغيبات، على أنه لا يرفضهما رفضا مطلقاً، بل يراها قاصرين على بلوغ ما يبلغه الذوق، فالعقل والحس لهما حقل الحقائق الظاهرية، أما الذوق فحقله الحقائق الباطنية. ومن أشهر الشخصيات تحقيقاً لهذه المعاني نجد شخصية ابن عربي الحاتمي الشيخ الأكبر، وهي أول شخصية تصادفنا في هذا النوع من الروايات، وذلك راجع لشدة إعجاب ابن عرفة به حتى إنه بدأ مشروعه السردى العرفاني عنه فرواية "جبل قاف" تحكي سيرة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محي الدين ابن عربي من قبل لحظة ولادته حتى توفاه الله في الشام. وهو "الشيخ المحقق رأس أجلاء العارفين والمقربين صاحب الإشارات الملكوتية، والنفحات القدسية، والأنفاس الروحانية، والفتح المونق، والكشف المشرق، والبصائر الخارقة، والسرائر الصادقة، والمعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة له المحل الأرفع من مراتب القرب في منازل الأنس، والمورد العذب في مناهل الوصل، والطول الأعلى من معارج الدنو، والقدم الراسخ في التمكين من أحوال النهاية، والباع الطويل في التصرف في أحكام الآية، وهو أحد أركان هذه الطريق رضي الله عنه"<sup>2</sup>.

وقد مررنا بمحطات ومقامات ترقينا فيها بصحبته، ودروب سلكتها برفقته، وأحوال عشناها معه، وكان في اعتقاد الشيخ أن الخيال أعظم قوة خلقها الله تعالى لذا

<sup>1</sup> - محيي الدين ابن عربي : فتوحات مكية، مرجع سابق، ج1، ص213.

<sup>2</sup> - عبد الوهاب الشعراني : الطبقات الكبرى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 2005 م، ج1، ص 329.

ليس بمستغرب أن يقول الشيخ الأكبر في الخيال أنه "عين الكمال، لولاه ما فضل الإنسان على سائر الحيوان، به جال وصال، وافتخر وطال، وبه قال ما قال. فله الشتات والجمع بين أضداد الصفات، حكم على المحال والواجب، يخرق فيهما العادة ويلحقهما بعالم الشهادة فيجسدهما في عين الناظر، ويلحق الأول في الحكم بالآخر، لا يثبت على حال، وله الثبوت على تقلب الأحوال"<sup>1</sup>. ولقد ذهب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي إلى أن للخيال درجة وجودية، وسلطاناً معرفياً يكاد أن يمتد ليشمل جميع العوالم، وعدّه عالماً وسيطاً تمتد مادته بين عالمي الغيب والشهادة. ولم يعد الخيال ضمن نسقه الصوفي. المعرفي تخيلاً عابراً ينأى بصاحبه عن عالم الشهادة وحقائقها بل هو عبارة عن حالة وجودية تتشكل في حدودها كيانات يسري فيها سمات الوجود وحقائقه.

قال الشيخ الأكبر في فتوحاته<sup>2</sup>:

لولا الخيال لكنا اليوم في عدم ولا انقضى غرض فينا ولا وطر والخيال من أهم الأصول التي أسس عليها بن عرفة مشروعته السردية لذلك نجده قد صدرَ رواياته بأبيات شعرية لابن عربي أو عبارات مقتبسة من نثره، والتصدير موجز للمتن، ونص نواة يساعد على تحديد مسار الرواية، فهو "يشكل مقترحاً إضافياً لمقاصد الخطاب الروائي تصورا، وتمثلا وتحققا، وهو بذلك ممتلك لسياق رمزي توظيفاً واستحضاراً، باعتباره أيضاً نصاً (نواة) ملفوظاً يتصدر المحكي ويتضمن جانباً من

<sup>1</sup> - محيي الدين ابن عربي : فتوحات مكية، مرجع سابق، ج 8، ص88

<sup>2</sup> - محيي الدين ابن عربي : الحقائق الإلهية في أشعار الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان،

دلالاته<sup>1</sup>. والشيخ الأكبر يورد في فتوحاته المكية تحت باب معرفة مراتب الحروف ثلاث أبيات في حرف النون صدرَّ بها رواية بحرنون :

ن الوجود تدل نقطة ذاته في عينها عينا على معبودها<sup>2</sup>

وفي الرواية الثانية الحواميم نلقى أربعة أبيات استهل بها النص الروائي:

حاء الحواميم سر الله في السور ... أخفى حقيقته عن رؤية البشر<sup>3</sup>

وفي رواية طوق سر المحبة :

إن المقادير أوزان منظمة تأتي بها ظلل من فوقها ظلل<sup>4</sup>

وهكذا يتواجد ابن عربي في كل تصديرات الروايات العرفانية التي تعتبر نوافذ نطل من خلالها إلى عوالمها بمختلف أزمنتها وسياقاتها، كما لا تخلو متون هذه الروايات من ذكر الشيخ الذي يمثل عمدة من عمَد التصوف ومن أشهر العرفانيين في تاريخ حضارة المسلمين، وقد اقترن اسمه باسم ذي النون المصري في المقطع التالي: "ولقد كان أخي ذو النون المصري يتكلم اللسان القديم، ومن بين ما روينا له عن الحاتمي في الدر المكنون، عن عبد الحكم بن أحمد بن سالم الصدفي قال : سمعت ذا النون المصري يقول: قرأت في باب برابي مصر بسريانية، فتدبرته فإذا فيه : يقدر

<sup>1</sup> - عبد الفتاح الحجمي : عتبات النص، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1996، ص 31.

<sup>2</sup> - محيي الدين ابن عربي : المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات ويليها العقد المنظوم فيما تحويه الحروف من الخواص، تحقيق : سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1، 2006، ص 225.

<sup>3</sup> - محيي الدين ابن عربي : الفتوحات المكية، مرجع سابق، ص 107.

<sup>4</sup> - عبد الباقي مفتاح : بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2011م، ص 40.

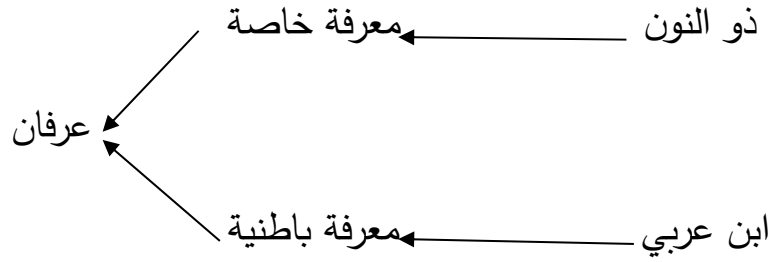
المقدور والناس تضحك، وسمى المصرية القديمة بالسريانية لأنها لغة الأرواح".<sup>1</sup> والحاتمي وذو النون من العرفاء المعدودين، واسماهما مقترنان بالعرفان الذي ميزا فيه بين المعرفة العقلية المكتسبة عن طريق الحواس والمعرفة اللدنية التي يهبها المولى لخاصته وهذا ما يؤكد ذو النون في تصنيفه للعلوم إلى ثلاث أصناف: "الأول معرفة التوحيد وهي خاصة بعامّة المؤمنين المخلصين، والثاني معرفة الحجة والبيان وتلك خاصة بالحكماء والبلغاء والعلماء المخلصين، والثالث معرفة صفات الوجدانية وتلك خاصة بأهل ولاية الله المخلصين الذين يشاهدون الله بقلوبهم حتى يُظهِرَ الحق لهم ما لم يُظهِره لأحد من العالمين"<sup>2</sup>.

وذو النون العابد الزاهد يقول عنه صاحب الكواكب الدرية: "العارف الناطق بالحقائق، الفائق للطرائق، ذو العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة، والصفات الكاملة، والنفس العاملة العاملة، والهمم الجليّة، والطريقة المرصيّة، والمحاسن الجزيلة المتبّعة، والأفعال والأقوال التي لا تخشى منها تَبَعَة، زَهَتْ به مصر وديارها، وأشرق بنوره ليلها ونهارها."<sup>3</sup> وقد دُكِرَ قبل هذا الموضوع في بداية الرواية حينما كان السارد يصف الكتاب موضوع الرواية وأن نسخة منه كانت بحوزته فمسار الكتاب توقف في محطة ذي النون الذي كان يتقن اللسان الهيروغليفي والسارد يرمي إلى إمكانية ترجمة الكتاب من هذه اللغة إلى اللغة العربية عن طريق الشيخ ذي النون المصري الذي تميّز بعلم خاصة كما تميّز ابن عربي بمعرفة باطنية اكتسبها عن طريق الإلهام كما يزعم.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون: مصدر سابق ، ص60.

<sup>2</sup> - عن محمد العابد الجابري في كتابه تكوين العقل العربي ص 251.

<sup>3</sup> - عبد الحليم محمود : العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري، دار الرشاد، القاهرة، ط2، 2003م، ص



شكل (5) عرفان ذي النون وابن عربي.

كما تستوقفنا شخصيتا الحلاج والششتري، وشخصية الأول تعتبر مشكلة في حد ذاتها جالبة للحيرة قديما وحديثا، فالبعض يراه واحدا من أقطاب الصوفية، والبعض الآخر يرميه بالزندقة وفريق آخر استراح لمقتله ووأد فنتته، وفريق أخير ينتظر رجوعه وبعثه. يقول إبراهيم بن فاتك دخلت يوما على الحلاج في بيت له على غفلة منه فرأيتة قائما على هامة راسه (...). فلما أحس بي قعد مستويا وقال : ادخل ولا عليك. فدخلت وجلست بين يديه، فإذا عينيه كشعلتي نار . ثم قال : يا بني إن بعض الناس يشهدون علي بالكفر، وبعضهم يشهدون لي بالولاية. والذين يشهدون علي بالكفر أحب إلي وإلى الله من الذين يقرون لي بالولاية. فقلت : يا شيخ ولم ذلك. فقال : لأن الذين يشهدون لي بالولاية من حسن ظنهم بي. والذين يشهدون علي بالكفر تعصبا لدينهم، ومن تعصّب لدينه أحبّ إلى الله ممن أحسن الظنّ بأحد ثم قال لي : وكيف أنت يا إبراهيم حين تراني وقد صُلبت وقُتلت وأحرقت، وذلك أسعد يوم من أيام عمري جميعا ثم قال لي : لا تجلس واخرج في أمان الله.<sup>1</sup>

أما شخصية الثاني فكان وزيراً ووالده أميراً، ولكنه نزع كل هذا وقرر أن يرتدي رداء الصوفية، وأصبح أول شاعر زجل متصوف، ترك الملابس الناعمة وارتدى الملابس المهترأه، لذلك وصف بلباس "الخرقة"، وتجول في الشوارع متجرداً من حب

<sup>1</sup> - لويس ماسينيون بول كراوس : أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج، التلوين للطباعة والنشر، دمشق، دط، 2006 م. ص 13.

الدنيا الفانية وقد أورد السارد هاتين الشخصيتين لتقابلهما المكاني وقيل أنه كان من المولعين بمدينة بجاية حيث التقى بشيخه ابن سبعين : " وقد التقى الششتري بابن سبعين في بجاية وافتتن به وأصبح من مريديه وخاصته المقربين، بعد أن كان من أتباع الاتجاه المدني بشقيه السني والفلسفي. وعن هذا اللقاء يحكي صاحب نفح الطيب: أنه بعد أن اجتمع الرجلان ودار بينهما حديث طويل ولعله تناول خصوصيات الشريعة والحقيقة، وعندما هم الششتري بالرحيل سأله ابن سبعين عن وجهته فأجابه بأنه قاصد جماعة أبي مدين، فصاح به قائلاً : إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين ، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلي<sup>1</sup> فالششتري في المغرب الإسلامي يقابل الحلاج في المشرق يقول الراوي : " وانعم بالوصال من غير اتصال حتى تتقطع الأوصال، وقل مع الحسين بن منصور: ما قُدَّ لي عُضْوٌ ولا مفصل إلا ولكم فيه ذكر. أو انشد مع أبي الحسن الششتري: تَعْلَمُ يَا خَلِيَّ أَنَّ خِصَالِي رَشَفَ الْمِصَالِي<sup>2</sup>. ولا يختلف اثنان ممن يسلكون دروب التصوف أن المذكورين من أيقونات العرفان.

كذلك خصص الروائي عبد الإله بن عرفة روايته الثالثة "بلاد صاد" للعرفاني أبي الحسن الششتري ضمن سلسلة مشروعه العرفاني، حيث بدأ الكاتب بذكر الظروف التي أحاطت بولادة الششتري من تنازع بين الأمراء وتعاونهم مع الأعداء على ضياع الأندلس : "في هذه الأجواء الحزينة ولد علي الششتري في ششتر، إحدى قرى وادي آش سنة 610هـ.<sup>3</sup>، كما أتى الكاتب على ذكر شيوخ الششتري عامة و من أحب علي أيديهم سلوك طريق التصوف خاصة قائلاً : " أما في الزهد والتصوف والرقائق فقد أخذ

<sup>1</sup> محمد العدلوني الإدريسي : أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، ط 1، 2005 م، ص 86-87.

<sup>2</sup> عبد الإله بن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 42.

<sup>3</sup> عبد الإله بن عرفة : رواية بلاد الصاد، مصدر سابق، ص 32.

عن أبي علي بن محمد بن بقي الغساني، الذي أودع في الفتى حبّ أهل الله و الزهد في الدنيا والإقبال على الله في كل شيء. ومن بين من تأثر بهم كثيراً وليّ الله أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم بن بشر القيسي، وكان يأتي كثيراً إلى بجانس، وهي من قرى وادي آش ليزور قرابته في هذه القرية، .... ومما يذكره له إعجابه الشديد بمحيي الدين بن العربي الحاتمي وكان يحفظ أشعاره الكثيرة.<sup>1</sup> وفي هذا المقطع نقراً أسماء المشايخ : أبو علي بن محمد بن بقي الغساني وهو "من أهل وادي آش، يكنى : أبا الحسن سمع على الكاتب الجليل أبي القاسم البراق، وكان زاهداً فاضلاً، أخذ عنه الناس، وروى عنه الأستاذ أبو علي ابن أبي الأحوص وغيره، وكان حياً سنة 627 هـ.<sup>2</sup> و وليّ الله عبد الملك بن إبراهيم بن بشر القيسي ذكره المقرئ في نفع الطيب : " ومن الراحلين الولي الصالح أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم ابن بشر القيسي وهو ابن أخت ابن صاحب الصلاة البجاسي .... وقال فيه : راضوا نفوسهم لتتفاد للمولى سراً وعلناً، وزهدوا في الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا...<sup>3</sup> كما ذكر محي الدين بن عربي الحاتمي وقد سبقت ترجمته فلا عجب أن يشبّ علي الفتى على محبة الزهد وانتهاجه كسبيل يرسم وفقه حياته القادمة. ومن بعد ذلك استشهد بالشيخ عبد العزيز المهدي وقد كان الشيخ في زمان الدولة الموحّدية ويكفي لبيان لعلو شأنه ومنزلته أن الشيخ محيي الدين ابن عربي من تلاميذه الذي خصه برسالة (روح القدس في محاسبة النفس) واعترف بفضلته وتضلعه في مجال التصوف، إذ صدرها بقوله : " من محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي، إلى وليّه في الله تعالى، وأخيه الركن الوثيق أبي

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد الصاد، مصدر سابق، ص 42.

<sup>2</sup> ابن بشكوال : كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة لأبي احمد بن إبراهيم الغرناطي ، تحقيق : شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 2008 م، ص 296-297.

<sup>3</sup> احمد بن محمد المقرئ التلمساني : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، لبنان، د.ط، 1968 م، مجلد 2، ص 690.

محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدي، نزيل تونس، قد فزت يا أخي في زمانك بخلال لم أقدر أن أراها في غيرك منها معرفتك بمرتبة العلم وأهله، وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال، ولم تلحظ منزلتك الدنيوية من تعظيم الناس لك، وتقبيلم يدك، وإتيان السلاطين إلى بابك<sup>1</sup> ويضيف السارد: "فما أنشد الحاتمي أول بيت من تلك الأبيات إلا وقد كاد عبد العزيز المهدي أن يصعق من هؤل ما سمع، وعظم المام الذي رامه. ولم يفتن لمقام الحاتمي إلا الشيخ ابن خميس الجرائحي، فتكاشفا في حضرة عليّة".<sup>2</sup> وقد عدّه الحاتمي من رجال الله في رسالته السابقة الذكر وفتوحاته المكية: "ومنهم رضي الله عنهم أبو محمد عبد الله بن خميس الكتاني، جرائحي بمدينة تونس، كان من سادات القوم، مرابطاً بمرسى عبدون، لقيته وزرته حافياً على قدمي في شدة الحر تأسياً بشيخي أبي يعقوب الكومي وأبي محمد الموروري، قالوا لي إنهما زاراه على هذه الحالة، الهمة الله بقدمي إليه فاستقبلني مستبشراً وهو يتوكأ على عصا لكبر سنّه قبل وصولي عنده. جلست عنده أياماً نتذاكر في المعارف وصحبته مدة أقل بقليل من عام. وقبل أن أفارقه، أمرني أن أكتب حاله عن عبد العزيز المهدي وغيره. كان يجتمع بالخضر عليه السلام الذي لقيته أنا أيضاً بتونس".<sup>3</sup> وفي هذا المقطع نميز مكانة الشيخ الجرائحي وعلو كعبه بين أولياء الله، ثم أتى السارد على الذكر أبي حامد الغزالي وتدرجه في الكتابة وتعريفه للحدود والمنطق ونقده للفلسفة وتجريحه لمذاهبها من أجل إثبات عجز العقل، وتقرير أن هناك أن هناك طريق آخر غير طريق العقل أقدر منه على تبديد ظلمة الشك بنور اليقين وهو طريق الصوفية الذي يعتمدون فيه

<sup>1</sup> محمود محمود الغراب: شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، مطبعة نصر، دمشق، ط 2، 1994 م، ص 9.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 43.

<sup>3</sup> عبد الباقي مفتاح: ختم القرآن محيي الدين ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2009 م، ص 195.

على القلب ويدركون فيه الحقائق الإلهية بالذوق والكشف بعد أخذ النفس بالطاعة والإخلاص وتصفيتها من شوائب الحس وأدران المادة بالرياضات والمجاهدات. وكان عليّ الششتري يعقد المجالس للتدريس والإفتاء: " وكان من بين من حضر هذا المجلس الربّاني بعض من أئمة الصوفية وأرباب الصلاح. وأغلب من ظهر نجمه آنذاك أتباع الشيخ أبي مدين الغوث، وأباع تلميذه الأخير، الشيخ الأوحدي الأنور، أبو احمد جعفر ابن سيدبونة في شرق الأندلس، وانقل أثره إلى عموم هذه البلاد وخاصة غرناطة بعد وفاته. كما كان الناس يتسامعون بأخبار محيي الدين بن العربي في المشرق، ..... وهو أحد ثلاثة ظهوروا في مرسية، وثانيهم أبو الحسن المراكشي وثالثهم، عبد الحق بن سبعين.<sup>1</sup> نجد على رأس أئمة التصوف المذكورين في النص السابق القطب الرباني الغوث أبو مدين التلمساني الذي " كان يتردد إلى مجالس العلماء في مدينة فاس وخصوصا مجالس الشيخ أبي الحسن حرزهم، حتى فتح الله عليه بالمواهب العلية والأسرار الربانية وحقق التوجه والعمل، وبلغ في مقامه الامل... ثم انصرف مشرقاً وتردد في بلاد أفريقية واستوطن في الآخر "بجاية" وكثرت تلامته وظهرت بركاته عليهم ... لذلك يقال له شيخ مشايخ الإسلام، وإمام العباد والزهاد.<sup>2</sup> وكما هو معلوم فإن الشيخ ابن سيدبونة من أقطاب الصوفية ذكره صاحب الوافي في كتابه قائلاً: " رجع (من الحج) مائلاً إلى الزهد والتخلي، كان شيخ الصوفية في زمانه علا ذكره، وبعد صيته في العبادة إلا أنه كانت فيه غفلة."<sup>3</sup> ومما تورده كتب التاريخ أن حادثة أثرت في الحياة الروحية للششتري هي لقاءه بابن سبعين في بجاية وهذا ما عزا

1 - عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 123.

2- عبد الحليم محمود : شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث (حياته ومعراجه إلى الله)، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1985 م، ص 50.

3- صلاح الدين بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط. 2010 م، ج 9، ص62.

بالروائي للإكثار من حكايات ابن سبعين مع الششتري حيث افتتن هذا الأخير بعظمة ابن سبعين وعُدَّ من الثلاثة المقدمين السابق ذكرهم ودعاه ابن سبعين إليه بكلمات صوفية رهيبة جعلته ينجذب إلى مغناطيس النفوس واكسیر الذوات كما عبر عنه في إحدى أشعاره وصاح فيه ابن سبعين قائلاً: "إن كنت تريد الجنة فاذهب إلى أبي مدين، وإن كنت تريد تريد رب الجنة فهلم إليّ فتبعه الششتري وفنى فيه الفناء الكامل كما يقول ابن عجيبة.<sup>1</sup>" وكان ابن سبعين صوفياً يمزج الصوفة بالفلسفة ال عنه الغبريني في كتابه الدراية: "ومنهم الشيخ الفقيه الجليل النبيه العارف، الحاذق الفصيح البارع، ابو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن سبعين من اهل مرسية، له علم وحة ومعرفة ونباهة وبراعة وبلاغة وفصاحة،.... وهو أحد الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس... وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام.<sup>2</sup> وللشيخ ابن سبعين مذهب في الحب الإلهي واضح فيه تأثره برابعة العدوية التي كانت تعبد الله لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره بل ابتغاء وجهه الكريم وشوقا إلى ذاته العلية ودليل ذلك عبارته السابقة التي صاح بها في وجه الششتري، وكانت شهرة ابن سبعين قد قامت على واحد من كتبه (المسائل) وهو عبارة عن رسائل تضمنت أجوبة عن أسئلة كان قد بعث بها امبراطور صقلية فريديريك الثاني إلى خليفة المسلمين حول موضوعات الفكر الفلسفي اليوناني القديم خاصة عند أرسطو. ومن مشاهير من ذكر السارد الحلاج الذي أوردنا نتقا من لطائفه في ما سبق من صفحات. كما ذكر السهرودي شهاب الدين أبو حفص قائلاً: "قضيت بعض الوقت في تدبر أحوال أهلي حتى رضوا بالمقام في هذه المدينة، وكنت أتشوق لرؤية أصحاب أبي مدين، فذهبت

<sup>1</sup> - عبد الله أنيس طباع : القطوف اليانعة: من ثمار جنة الأندلس الاسلامي الدانية، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، د ط، 1986 م، ص 234.

<sup>2</sup> - أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرّف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق : عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 2. 1979 م، ص 236-237.

لزيرة القاضي محيي الدين بن سراقه، أحد تلامذة السهروردي صاحب عوارف المعارف، وجلست في مجلسه وأخذت عنه، وكلمني عن أبي مدين كثيراً....<sup>1</sup> وقد ميّز السهروردي الصوفي الذي "كان فقيها شافعي المذهب شيخاً صالحاً وعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرّج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، وصحب عمه أبو النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ...<sup>2</sup> عن السهروردي المقول صاحب فلسفة الإشراق. وقد تدرّج الروائي في ذكر الشخصيات المصاحبة للششتري مريدين أو شيوخ بما يؤدي بهذه الشخصيات للعب دورها الفعّال في مسيرة الأحداث على طول النص السردى، الذي أبدعه الروائي، وكان لزاماً عليه ألا يأخذ الشخصية كما هي في الواقع المجرد، بل يضيف إليها من عنده ويعيد تشكيلها في مخيلته ولا يمكن تواجدها خارج مخيلته، حتى وإنّ شابته الشخصية الحية الموجودة في الواقع. ولا ينبغي تقديم الشخصية دفعة واحدة بل يجب تركها تتحرك وتتكشف تدريجياً مع الأحداث، فالشخصية في أي نص سردي ملزمة بالحرية والاستقلال عن مبدعها حتى أنه ليس من الضروري أن تعبر عن فكره ورؤيته "قالبطل مثلاً ليس نسخة طبق الأصل عن الروائي، ولهذا لا يمكن تصوره بحال من الأحوال تابعا تبعية ربوبيته سواء في شعوره أو لا شعوره."<sup>3</sup> فتناول الكاتب من صاحبهم الششتري من باب أن للصُّحبة الأثر العميق في شخصية المرء وفكره وأخلاقه، لأنّ الصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثر الروحي والعملي، ونراه يذكر مجموعة كبيرة من رجال التصوف كأبراهيم بن دهاق وعبد الله الإشبيلي الحلوى والجنيد سيد الطائفة وتاج العارفين (وقد

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 152.

<sup>2</sup> - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت. لبنان، 1970 م. مجلد 3، ص 446.

<sup>3</sup> - طرابشي جورج : الروائي وبطله (مقاربة في اللاشعور في الرواية العربية)، دار الآداب، بيروت لبنان، 1995 م، ص 8.

خصصنا له ترجمة فيما سيأتي من صفحات ضمن الرواية الخاصة به)، ومن مشاهير الصوفية الذين استعان بهم الروائي عبد القادر الجيلاني الذي استدل به السارد ليثبت صلاح شخصية التقت به قائلاً: "أراك قد تسرعت كثيرا في الحكم على أحد عباد الله ونكرت عنه ما نكرت من الزيع والضلال وعبادة الشيطان حاشاه حاشاه من ذلك، وإنما هو أبو الفضائل عدي بن مسافر الأمويين وهو ممن هربوا من العباسيين إلى كردستان. وينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم. وقد لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه.<sup>1</sup> فالشيخ الجيلاني حجة لمن معه وبركته تحل على كل من أخذ عنه أو كان من مريديه كم أورد الراوي ابن الفارض شاعر الصوفية الأول وصریح العشق الإلهي مؤلف القصائد المشهورة عبر الزمان والمكان موظفا لغة مادية تمثيلية بحيث أراد أن ينقل صورة الحب الروحاني إلى أذهانهم، فاتجه في التعبير عن مواجيدته وعواطفه وأذواقه إلى القصيدة الغنائية مستعينا في ذلك بلغة موسومة بطابع التلويح والرمز وهي لغة استمدتها من أساليب الشعر العذري الذي عني بتصوير العفة في الحب ومعنى ذلك ابن الفارض عبر عن حبه الغلبي بلغة الحب الإنساني جاريا في ذلك على طريقة الصوفية في الإشارة إلى مواجيدهم والتلويح لأذواقهم ومعانيهم من خلال أساليب مستعارة من الشعر الغرامي<sup>2</sup> وقبل أن نختم مع الشخصيات العرفانية في (رواية بلاد صاد) نرجع على العلمين المذكورين في المتن أولهما: أبو الحسن الشاذلي الذي أسس مع إخوانه من صوفية ذاك مدرسة خاصة نأت بالتصوف عن الفلسفة وخلصته منها واتجهت إلى الأخلاق والسلوك والروحانيات الخالصة، هو شيخ الطريقة الشاذلية،

1 - عبد الإله ابن عرفة: رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 199.

2- عاطف جودة نصر: شعر ابن الفارض، دار الأندلس، لبنان، ط 1، 1982 م، ص 112.

وأصل مددها، وقطب دائرتها الذي تدور عليه كان كبير المقدار عالي المنار<sup>1</sup>. وثانيهما عفيف الدين التلمساني الذي يعتبر واحداً من أعظم شعراء التصوف الإسلامي في التراث الصوفي كله، وقد ساهمت الظروف والمناخات الثقافية التي عاشها في تلمسان والمحيط المعرفي الذي كان يحيط به في تكوين شخصيته الأدبية والروحية على السواء، فلقد تأثر بابن عربي وقام بشرح كتابه فصوص الحكم، كما تأثر إلى حد بعيد بلغة ابن سبعين، وموسيقى وابن الفارض الشعرية بالإضافة إلى تأثيرات كل من النفري وصدر الدين القونوي وغيرهم<sup>2</sup>. والقارىء لهذا الصنف في كل الروايات يلحظ جليا عدم تركيز الروائي في وصفه لهذا النوع على الصفات الخارجية (البنية المورفولوجية) بل ركّز على البنية الروحية ووصف الحالات السيكلوجية للأبطال وسعة علمهم وقربهم من المولى عز وجل.

وقد ذكر كذلك في (رواية طوق سر المحبة) مع ابن عربي شخصيات أخرى. ومن الشخصيات العرفانية التي أثّرت بها ابن عرفة رواياته شخصية الخضر والتي اختلف كثيراً من الناحية الدينية والتاريخية حولها، عن اسمه ونسبه ونبوته وحياته، وتعددت الروايات المتعلقة به، وما نُسب إليه من كرامات، مستندين في ذلك على قصته مع موسى عليه السلام الواردة في سورة الكهف وقد بسط ابن كثير حكايته في البداية والنهاية وساق أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد<sup>3</sup> حيث وجدوا فيها ملامح صوفية جمّة ألزموا من خلالها الخضر "الولاية"، من هذه

<sup>1</sup> - الحسن بن محمد القاسم الكوهن المغربي : الطبقات الشاذلية الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2. 2005 م، ص 21.

<sup>2</sup> - محمد الراشد : مسارات وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط 2، 2009 م، ص 32.

<sup>3</sup> - انظر البداية والنهاية للإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير ، مكتبة صفا، القاهرة، الطبعة الأولى 2002، ص 268 وما بعدها

الملاحم ما عرف بالعلم اللدني الذي شبهوه بالتصوف، ذلك أنه يحصل عن طريق الذوق والمكاشفات، ويربط العلائق مع الله دون وسائط، وجعلوا قصته دليلاً على أن هناك ظاهراً شرعياً، وحقيقة صوفية باطنة. وعليه احتقوا بشخصية الخضر ولم تخل كتابتهم منها، ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم إليه كما يدعي الكثير منهم لقاءه وإلباسه إياهم الخرقة. ومن ثمّ فالشخصية العرفانية ليست مثل الشخصية التقليدية وقد ذكرها السارد في (رواية بحر نون) بالاسم مرة وأخرى بالاسم والكنية فهو يحضر باسمه الذي يحيل إلى المرجعية العرفانية، ففي المقطع السردى يقول السارد: "ثم رأيت الخضر الذي سقاني شربة من ماء الحياة، ماء بحر نون. ورأيت إدريس فعلمني علم القلم الذي غمس في النون فخط علم التفصيل"<sup>1</sup>. وفي المقطع الثاني يقول: "فقال اعلم أيها الأمير أنه يظهر لنا من هذا البحر شخص له نور تضيء له الآفاق فينادي بصوت يسمعه البعيد والقريب يا أولاد حام استحيوا ممن يرى ولا يرى و قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأنا أبو العباس الخضر"<sup>2</sup>.

وهناك الكثير من الشخصيات العرفانية المحلية التي بدأها الراوي بملفوظ "سيدي" من مثل سيدي عبد العزيز الدبّاغ وسيدي عبد القادر الفاسي في رواية بحر نون وأبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي وكذا رضوان الجنوي و"هو الشيخ أبو النعيم ويكنّى كذلك بأبي الرضى، سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي ثم الفاسي دارا وولادة ومنشأ ووفاة، ذكره صاحب سلوة الأنفاس بقوله: هو

"الشيخ الإمام، علم الأعلام، حسنة الليالي والأيام، حامل لواء المحبة والمراقبة والشهود والعيان، القائم في مقاماتها بميزان القسط على ما عرف من أكابر هذا الشأن،

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق ص 53.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص 135.

سراج العارفين، وشمس المريدين، محيي رسوم الطريقة الشاذلية بعد اندراس آثارها، ومطلع شمسها بدورها في آفاق الحنيفية السمحة بعد حُبُو أنوارها، القائم لله بحجته في عباده وبلاده، البالغ من النصح للشريعة المحمدية غير خائف في الله لومة لائم أقصى مراده<sup>1</sup> وقد كان له دور كبير في رجوع معنيو إلى أهله فقد دله عليهم بدون سابق معرفة بينهم مما يوحي أنه انكشف عنه حجاب المعرفة حسب اصطلاحاتهم، وقد زاره معنيو في قبره بعد زمن من وفاته مع ابن عمه محمد كبير عائلة آل معن التي وردت في رواية الحواميم، والتي كان ختامها مسك حيث ذكر مجموعة من العرفانيين فنجد الراوي ينهي الرواية بالمقطع السردى التالي: "تبدلت إسبانيا ونسي ديغو فلاسكيز أو لم يُلقن أن هؤلاء الذين يحاول توثيق طردهم وتشيدهم هم أبناء قِمْم إنسانية شاهقة لا يوجد بمثلها الزمان كابن العربي الحاتمي والششتري وابن رشد وابن طفيل وابن حزم وابن الخطيب وأبي مدين التلمساني وأبي العباس المرسي. هؤلاء نشأوا وعاشوا هنا قبل قرون، وحلَّ محلهم قومٌ نكروا أسلافهم، فهل يُهلكُ إلا القومُ الفاسقون"<sup>2</sup>.

في رواية (الجنيد أَلْم المعرفة) يؤدي العنوان الوظيفة الأساسية المرجوة منه وهي تعيين النص، والذي يمكن من خلاله التعرف على العلاقة المبنية بين انص وعنوانه، والتي تحيل إلى النوع الثاني من تحديد جيرار جينيت، أي إلى العناوين الموضوعاتية، فكلمة "الجنيد" بوصفها الجزء الأول من العنوان تشير أول ما تشير إلى لب العملية السردية المتمثلة في الشخصية الرئيسية في المتن أي (الجنيد) وقد ترددت هذه الكلمة كثيرا داخل الرواية، والجزء الثاني (الألم) أي الضرر الجسدي أو النفسي الترتب عن حادث ما، والجزء الأخير (المعرفة) وما لها من أهمية حيث عدّها الصوفية دعامة

<sup>1</sup> - محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، دار الثقافة، المغرب ط1، 2004 م، ج2، ص290.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص236.

الدين، ونلاحظ في حديثهم عن منازل الطريق وهي ربطهم لثمره الطريق المتمثلة في المعرفة بأغاب المقامات "والمعرفة الصوفية معرفة مباشرة لا يمكن أن يُطلع عليها أي نقلها لإنسان آخر وذلك لأن الحالات الصوفية أشبه بالشعور منها بالعقل، وما يعلنه الصوفي من تفسير لفحوى محتويات شعوره الديني يمكن أن يبلغ إلى الناس على صورة قضايا، ولكن محتويات الشعور الديني نفسه لا يمكن الاطلاع عليها، أي نقلها لغيره"<sup>1</sup> والحقيقة أن الاستدلال على طريق المعرفة الصوفية يكون بخوض التجربة، وقد خاض الجنيد التجربة بكل ألم وبكل محبة فالمعرفة غاية من غايات أصحاب التصوف. وقد استهل ابن عرفة روايته بالحديث عن هذه القامة بالشكل التالي: " ألم تسمع عن سرِّ بغدادَ أيُّها الصاحب بالأسرار والأنوار ؟ فتعالَ معي أحكي أبي القاسم الجنيد وطائفة أهل الاستبصار في مدينة السلام."<sup>2</sup> "ومثَّل هذا القرن العصر الذهبي للتصوف في أرقى مراتبه واصفاها ، فاصبح طريقاً لتصفية النفس، وتحصيل المعرفة في مقابل طريقة أهل النظر من الكلاميين"<sup>3</sup> من صوفية هذا القرن أبو القاسم الجنيد الذي كانت له مكانة عالية في نفوس الصوفية قديماً وحديثاً، ومكانته لا تساميهها مكانة أحد من رجال الصوفية كلهم، فهو ليس مجرد شيخ من شيوخهم الأوائل، بل هو شيخ وسيد وإمام، شيخ للطريقة، وإمام للخرقه والحقيقة، وسيد للطائفة. وقد جعله السلمي في كتابه الشهير طبقات الصوفية في الطبقة الثانية بل جعله الأول في هذه الطبقة حيث يقول : " منهم أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز، وكان ابوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له : القواريري. أصله من نهاوند من بلاد الجبل ومولده ومنشؤه بالعراق. وكان فقيهاً، تقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقاته، وصحب السري السقطين والحارث

<sup>1</sup> - محمد إقبال : تجديد الفكر الديني في الإسلام، تحقيق : عباس محمود، دار الهداية، الجزائر، ط 2، 2000 م، ص 30.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 11.

<sup>3</sup> - أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ط1933، 1 م، ص 92.

المحاسبي، ومحمد ابن القصاب البغدادي، وغيرهم. وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة.<sup>1</sup> ومن كلامه : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنتات، لأن التصوف هو صفة المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا.. كما قال حارث عن نفسه : عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري.<sup>2</sup> وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً له يرشده ويوجهه ويربي نفسه ويصح مسلكه فكا للجنيد شيوخ كثر وعلى رأسهم الحارث الوارد اسمه في هذا المقطع السابق وهو الحارث المحاسبي : أبو عبد الله "عَلَّمَ العارفين في زمانه، وأستاذ السائرين، الجامع بين عِلْمِي الباطن والظاهر، شيخ الجنيد. ويقال : إنما سُمِّي المُحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه.

قال ابن الصّلاح : ذكره الأستاذ أبو منصور في الطبقة الأولى، فيمن صحب الشافعي وقال : كان إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام، وكتبه في هذه العلوم أصول من يصنّف فيها. ثم قال : لو لم يكن في أصحاب الشافعي في الفقه والكلام والأصول والقياس والزهد والورع والمعرفة إلاّ المُحاسبي لكان مُعَبِّراً في وجوه مخالفه، والحمد لله.<sup>3</sup> وهذه الفقرة تبين لنا المكانة التي كان يتمتع بها المحاسبي شيخ الجنيد وما يقابل ذلك في الرواية ما قاله السارد : "... بعد ذلك، اتَّجّه نحو دار الحارث بن أسد المحاسبي، ففتح له بنفسه الباب وبشّ في وجهه، ثم دعاه للدخول. كان بيتاً بسيطاً به فناء، وله دَوْرٌ عُلوِي، فدخل إحدى الغرف المطلّة على الفناء وجلس على حصير، ودعا السريّ إلى الجلوس، فجلس عن يمينه. أخذ جرّةً وصبّ في كوز بعض الماء، ثم

<sup>1</sup> - أبو عبد الرحمن السُّلمي : الطبقات الصوفية، تحقيق : أحمد الشرباص، مؤسسة دار الشعب، ط 2، 1998 م. ص 49.

<sup>2</sup> - أبو عبد الرحمن السُّلمي، الطبقات الصوفية، مرجع نفسه، ص 49.

<sup>3</sup> - أبو نصر عبد الوهاب السُّبكي : طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1964 م، ج 2، ص 275.

ناوله لضيغه فشرب حتى ارتوى"<sup>1</sup> ومن هذا الوصف يتبين لنا زهد وتقشف الحارث واعراضه عن الدنيا وقد تتكرر ذكر الشيخ وأورد له السارد عدّة محاورات. وهو أستاذ أكثر البغداديين روى عن يزيد بن هارون، وروى عنه ابن مسروق والجنيد وغيرهما. كما ورد اسم لعلم آخر من أعلام الصوفية في هذا المقطع وهو السريّ السقطيّ خال بطل روايتنا الجنيد البغدادي والسريّ يقول ابن الملقن: "وأما خاله وأستاذه سريّ، فهو أبو الحسن سريّ بن المغلس السقطيّ، أحد الأوتاد. كان أوجد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، ملازماً بيته لا يخرج منه ولا يراه غلا من يقصده. وكان تلميذ معروف الكرخي. قيل: كان يوماً في دكانه، فجاء معروف ومعه صبي يتيم، فقال له: اكسه! قال سري: فكسوته، وفرح به معروف، فقال: بغض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه! قال: ففقت من الدكان وليس شيء أبغض إليّ من الدنيا وما فيها، وكل ما أنا فيه من بركاته."<sup>2</sup> ما أكدته كتب التراجم عن سيرة الرجل وكذلك ما أثبتته الروائي في متنه حول السريّ السقطيّ وقيل ان اسمه من الثياب البالية التي كان يتاجر فيه وتسمى السقط وقد كان نعم المعين لابن أخته الجنيد واختصر له الطريق وأزال عنه الحيرة في الكثير من المواقف، فقد سلك درب قبله وعرف معالمه ومخاطره، كما أستدعيت شخصيات صوفية أخرى اتخذها الجنيد مشايخ تربي على فكرهم منهم ما أورده السارد قائلاً: "لازمْتُ دروسي على شيوخه، المحاسبي وأبي ثور، فكنت أقصد الأول ليلاً، والثاني نهاراً. وفي بعض الأحيان، كنت أرافق الحارث المحاسبي خارج بغداد"<sup>3</sup> بالإضافة للمحاسبي الذي سبق ذكره نجد أبا ثور "وهو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، الإمام الحافظ، سلك المذهب الحنفي في بادئ الأمر ثم صحب

1- عبد الإله ابن عرفة: رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 48.

2- سراج الدين ابن الملقن: طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شديبة، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 2، 1994 م، ص 160.

3- عبد الإله ابن عرفة: رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 147.

الشافعي وان من أقرب أصحابه قال أبو بكر الأعمش : سألت أحمد عنه فقال : اعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في مسالخ سفيان الثوري... وقال أبو حاتم بن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا. صنف اكتب وفرع على السنن، وذب عنها رحمه الله...<sup>1</sup> تبين هذه الشهادات المستقاة من كتب السير والتراجم الموثوقة المكانية التي حضيت بها شيوخ الجنيد وبالتالي مكانته هو ذاته، ويكفي أنه عاصر إمام زمانه أحمد بن حنبل الذي التقاه وسمع منه، فقد كان ممن عاشوا محنة خلق القرآن، كما ورد على لسان الراوي شخصيات أخرى منهم الحسن البصري الذي يقول عنه أبو نعيم في الحلية : " ومنهم حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن أبو سعيد بن أبي الحسن. الفقيه الزاهد، المتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً، ولشهوة النفس وتخوتها واقذا.<sup>2</sup> والعصر الذي عاش فيه الجنيد اعتبر العصر الذهبي للإسلام والمسلمين على جميع الأصعدة لا سيما الجانب الفكري لذلك لا نستغرب كثرة المشايخ وشهرتهم العلمية والتاريخية فقد ورد أسماء كل من بشر الحافي " أبو نصر بن عبد الرحمن صحب الفضيل بن العياض، وكان عالما ورعا. قال يحيى بن أكثم ك قال لي المأمون : لم يبق في هذه الكورة أحد يستحي منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث.<sup>3</sup> وكذلك معروف بن فيروز الكرخي "وهو من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والفتوة مجاب الدعوة. وهو من موالى على بن موسى الرضا...دفن ببغداد وقبره يزار. من كلامه لولا إخراج حب الدنيا من قلوب العارفين ما قدروا على فعل الطاعات، ولو كان من حب الدنيا ذرة في قلوبهم لما صحت لهم

<sup>1</sup> - محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، أشرف على التحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 11، 1996 م، بيروت لبنان، ج 12، ص 73-74.

<sup>2</sup> - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ج 2، ص 131-132.

<sup>3</sup> - أبو عبد الرحمن السلمي : الطبقات الصوفية، مرجع سابق، ص 17.

سجدة واحدة. وكان يقول العارف يرجع إلى الدنيا اضطرارا والمفتون يرجع إليها اختيارا.<sup>1</sup> ومن أقرانه وأصحابه (الجنيد) الذين ذكرهم الراوي في المتن سمنون المحب الذي اشتهر بالمحبة وتسمّى لكثرة حديثه عنها وكان يقول عن نفسه سمنون الكذاب وهو سمنون بن عبد الله الخواصأصله من البصرة من كبار مشايخ الصوفية صحب السريّ والقصاب والقلانسي تعرض لمحنة غلام الخليل...<sup>2</sup> ونضيف إليهم أقرب أصحابه النوري وهو أحمد بن محمد النوري أصله من خراسان، صحب سري السقطي وابن ابي الحواري، ومحمد القصاب، وقد اجتمع بكثير من المشايخ كان مذكورا بكثرة الاجتهاد، حدثت له محنة اضطرته إلى الخروج من بغداد وهجر إخوانه، كان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان كان الجنيد يعظّم شأنه. كان رحمه الله يقول : أعز الأشياء في زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة<sup>3</sup> . وهناك العديد من السادة والأكابر في هذا الطريق ممن ذكرهم الراوي في ثنايا الرواية لا يتسع المجال لذكر الكل لذلك سنقوم بتصنيفهم في الجدول التالي :

جدول(1) اسماء الشخصيات العرفانية في رواية الجنيد ألم المعرفة

رقم الصفحة	الصوفي
لا تكاد تخلو صفحة من ذكره	الجنيد
/45.47.48.49	الحارث

<sup>1</sup> عبد الوهاب الشعراني : الطبقات الكبرى المسمى لوائح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، تحقيق ك أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 2005 م، ج 1، ص 133.

<sup>2</sup> أبو نعيم : حلية الأولياء، مرجع سابق، ج 10 ص 301.

<sup>3</sup> أبو القاسم القشيري : الرسالة القشيرية، تحقيق : عبد الحلیم محمود، محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة مصر، د ط، 1989 م. ص 73.

56.61.62.63.64.69.71.77.86.119.120.121.147.1 .78.179.189.238.315.316	المحاسبي
45.46.47.48.49 56.61.71.72.77.106.109.115.144.188.189.197.1 .98.199.200.201.207.321	السري السقطي
.147 .70 إلى 64 الصفحة من التلميذه من الشيخ وتلميذه .77.148.149.150.152.153	أبو ثور الكلبى
.77.188	بشر الحافى
.102.197	معروف الكرخى
.142.143.144.145.146.161.182.257.322	إخوان الصفا
.227.263.267.268 .188.208.225.226 ..270.272.273.281.282.283.284.287	سمنون
188.208.272.273.276 .277.278.279.271.294.295.299.319.	النورى
264.265.292.293.295.299.300.300.301.302.303	الحلاج

.304.305.307.308.313.318.330.	
295.298.302.303.306.307.318.319	الشبلي

أما هؤلاء الافاضل فقد ذُكروا مرة واحدة في الرواية كالحسن البصري ورويم البغدادي وأبو حمزة البزاز، سهل التستري وعمرو بن مكي، وقد ربط الروائي بين بدايات الخلق في سورة البقرة، وبدايات قصص بني اسرائيل وبدايات المتصوفة، فالسري أول من تكلم في الاعتقاد، يقول صاحب روضة الناظرين " : ومنهم شيخ الأمة ومقتدى الأئمة العراف بالله..كان أعبد أهل الخرقه وأروعهم فما بالك بغيرهم وهو خال شيخ الشيوخ تاج العارفين أبي القاسم الجنيد البغدادي...وله كلام رشيق في الحقيقة وهو أول من تكلم في علم التوحيد وأسراره على الناس...<sup>1</sup> والحلاج أول من سلك الطريق الذي اختلف حوله العلماء ، وأول من صُلب بتهمة الزندقة، وعصر هؤلاء أو ما ظهر فيه محنة خلق القرآن وما تعرضت له الأمة الإسلامية وهي في أوج عطائها متربعة على عرش الفكر والرقّي والتطور.

كما كان الزمن بداية لظهور مجموعة غير معروفة حتى الآن وهم "اخوان الصفا وخلان الوفا" ، أتى الكاتب على ذكرهم أربعة عشر مرة. كانت فاطمة وأخوها من أعضاء هذه الجماعة السريّة، ولها طقوس خاصة ، وتجمعات مريية، تركت إرثا فلسفيا وفكريا لا يستهان به، البعض يضعها ضمن دائرة التصوف وآخرون يربطونها بالحكايات الباطنية، والأغرب أنها أسماءهم مجهولة لحد الآن إلا ما ذكره التوحيدي. والغرابية والغموض كانا يلفان كلام فاطمة في جوابها على الجنيد قائلة : " الطالب المستبصر عند إخوان الصفاء وُخلان الوفاء أن يكون عالماً خبيراً فاضلاً، نكياً

<sup>1</sup> - أحمد بن محمد الشافعي : روضة الناظرين و خلاصة مناقب الصالحين، تحقيق : ممدوح إبراهيم محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2015 م، ص 19.

مستبصراً، فارسيّ النسبة، عربيّ الدين، حنفيّ المذهب، عراقيّ الآداب، عبرانيّ المخبر، مسيحيّ المنهج، شاميّ النُسك، يونانيّ العلوم هنديّ البصيرة، صوفيّ السيرة. فقلت معترضاً : مهلاً فاطمة، كيف يستقيم جمع هؤلاء في واحد؟<sup>1</sup> وفي العصر وصل الاختلاف المذهبي إلى أعلى درجاته، ومن بين ما يذكره ابن الأثير في حوادث 306 هـ أنه " وقعت فتنة بين العامة والحنابلة، فأخذ الخليفة جانباً منهم، وسيّرهم إلى البصرة وحبسوا"<sup>2</sup> واقتلت بغداد على شفا حرب أهلية اضطر الخليفة الراضي إلى توجيه انذار للحنابلة، وكانت الغلبة لأهل السنة فمنعوا غيرهم الحرية، فتأسست الحركات السرية من بينها "إخوان الصفاء وخلان الوفاء"، وهي " جمعية سرية تأسست على الأغلب في مدينة البصرة حاضرة الثقافة الإسلامية، في زمن ما من النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وتركت لنا ميراثاً فكرياً وروحياً متميزاً، بقيت آثاره فاعلة في الثقافة العربية عبر عصورها..."<sup>3</sup> هذه الجماعة السرية التي لجأت إلى الأسلوب الرمزي في تعبيراتها، محاولة حماية منتيميها من الاخطار المحتملة لم يُعرف عنها ولو النزر اليسير وأغلب المستشرقين الذين قاموا بدؤاسات حولهم يربطهم بالإسماعيلية، يقولون في الرسالة الثامنة والأربعين : " ان لنا اخوانا واصدقاء من كرام الناس، وفضلائهم متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من اولاد الملوك والامراء والوزراء والعمال والكتاب، ومنهم طائفة من اولاد الاشرافوالدهاقين والتجار، ومنهم طائفة من اولاد العلماء، والأدباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم من اولاد الصنّاع والمتصرّفين وأمناء

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 135.

<sup>2</sup> - ابن الأثير الجزري : الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987 م، ج 6، ص161.

<sup>3</sup> - فراس السواح : طريق إخوان الصفاء ( المدخل إلى الغنوصية الإسلامية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط 3، 2016 م، ص21.

الناس"<sup>1</sup> والعديد من الآراء تتحاز إلى الرأي القائل أن الجماعة نقلت نشاطها إلى بغداد بعد أن اطمأن مؤسسوها أن عاصمة الدنيا باتت آمنة وصالحة لنشر مذهبهم وبث دعوتهم، ولم يكشف تاريخياً إلا مكان نشاطها وقد وظف الكاتب ملاسبات تكوين الجماعة وغموضها في روايته ليضفي عليها نوعاً من التشويق من جهة ومن جهة ثانية لتبيين خطورة العصر الذي عايشه بطلنا الجنيد السالك.

لقد كنا من السالكين في عرف الصوفية فانقلنا من رواية إلى أخرى وارفقنا من مقام إلى آخر علنا نمسك بدلالات هذه الشخصيات العرفانية في الملفوظات السردية التي تضمنتها هذه النصوص السردية العرفانية.

وعلى اعتبار أن هذه الشخصيات عرفانية، فإن هناك مقصدية ماثلة وراء اختيارها ووضعها في هذا السياق الروائي من منطلق كونها "من اختيار منشئ العمل أساساً، فهو الذي ينتقي ملامحها وسماتها، ويحدد لها موضعاً معيناً من عالم المغامرة، ويربطها بجملة من العلاقات المختلفة يختارها ويبنى هذا كله (في خطاب معين) على نحو مخصوص ووفق أساليب وطرائق ورؤى متباينة"<sup>2</sup> غير أنه يبقى دائماً مرتبطاً بمرجعيتها وعلاقتها بواقع ثابت وموضوعي خارج عن إطار العمل، يستلزم هذا تسلح القارئ بثقافة معينة تؤهله لتلقي هذه الأعمال. وقد استغل ابن عرفة التراث الصوفي لإضفاء تركيب جديد على شخصياته السردية التي تسلحت بالأفكار والسلوكيات الصوفية لتأسيس شكل آخر من الحضور: "وتحيل إلى معنى تام وقار تتضمنه ثقافة ما، يؤدي هذا التوظيف مهمته، ويحقق الغرض منه، حسب مشاركة قارئ هذه الثقافة هي المسؤولة عن وضوحها في النص، وأدائها للمعنى المقصود، وبعبارة أخرى، فإن

<sup>1</sup> اخوان الصفا : رسائل اخوان الصفا وخلان الوфан مركز الشر- مكتب الاعلام الإسلامي، قم، إيران، دط، 1984 م، المجلد الرابع، ص165.

<sup>2</sup> الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة، دار الجنوب تونس، د ط، 2000 م، ص101/102.

مقروئية هذه الشخصيات.. مرتبطة مباشرة بدرجة مشاركة القارئ في هذه الثقافة"<sup>1</sup> وهذه الشخصيات وقفت على مرجعيات عرفانية أشاعت روحانية عمقت المعنى الصوفي وعززته بقوة الطرح الخيالي. وإحياء هذه الشخصيات وبعثها من مرقدتها جاء تلبية لرغبة ملحة لدى الكاتب [مثل غيره من الكتاب العرب] في خلق هوية روائية عربية بعيدة عن تقليد الغرب عن طريق إعادة توظيف التراث والأخذ منه بشكل فني جديد، فقام الكاتب باستدعاء الشخصيات الصوفية العرفانية التي مرت معنا مستفيدا من كتابات كبار المتصوفة كالحاتمي والششتري والحلاج والقشيري والبسطامي والرومي.... وغيرهم ليكونوا قدوة للمتلقي أثناء تلقيه ردود أفعالهم في أحلك الظروف. مستثمرا فيها التصوف بكل مقاماته وأحواله ومظاهره ما انعكس جليا على بنية الروايات من الناحية الجمالية والدلالية، وبهذه الحلة ظهر هذا النوع الجديد المسمى : "الرواية العرفانية" .

## 2.1. الشخصيات الأسطورية :

اتفق الدارسون على أن الأسطورة هي العمل الخارج عن المؤلف، الخارق للعادة في صفات الإنسان، وهي تأسر أسرار الحياة والكون في أسلوب قصصي، يدور حول التقاليد والعقائد الدينية والاجتماعية، عاشت الأسطورة مع الإنسان القديم يخزن فيه أحلامه، ويبحث من خلالها عن الأسرار التي تحرك حياته، وخوارق الطبيعة، ومصادر الخير والشر<sup>2</sup>. والأسطورة متشابكة مع الأدب لأن قوامها أساسا الكلمة فهي " نص أدبي، وضع في أبهى حلة فنية ممكنة أو هي صيغة مؤثرة في النفوس وهذا ما زاد في سيطرتها و تأثيرها وكان على الأدب والشعر أن ينتظرا فترة طويلة قبل أن ينفصلا عن

<sup>1</sup> - إبراهيم صحراوي : تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، دار الآفاق، الجزائر، ط 2، 2003 م، ص 159.

<sup>2</sup> - محمد محمود أبو عزيز : الفيصل، مجلة ثقافية شهرية، ع 280. يناير/فبراير 2000 م. المملكة العربية السعودية، ص 53.

الأسطورة. لقد وضعت معظم الأساطير السرية والسومرية والبابلية في أجمل شكل شعري ممكن"<sup>1</sup>

وفق هذا المنظور يمكننا القول إن النصوص العرفانية في صورتها العامة شخصيات أسطورية في أبعادها ودلالاتها، إنها تجسد الصراع المرير والأزلي بين الإنسان والآلهة، آلهة الشر والقمع والتشريد والاحتلال، صراع أهل الحق ضد أهل الباطل. فالمتعمن في الروايات العرفانية (النماذج) يرى أن دلالتها العامة تتقاطع بأسطورة "بروميثيوس" الذي خدع الآلهة وفضّل عليهم البشر ولم يتوان في مساعدتهم حتى إنه سرق النار من زيوس وأهداها للبشر فأرسل إليه هذا الأخير نسرا يأكل من كبده كل يوم، فيلتئم الكبد ليعود النسر لقمضه وتجديد آلامه<sup>2</sup>. وكذلك تفعل قوى التسلط والقمع على امتداد الزمن، حكام، قساوسة، جيوش... على تعميم الكراهية والحقد والظلم وإقصاء الآخر مما ينتج عنه الشعور بالعدم والموت الحسي والمعنوي المتكرر مثلما يتكرر أكل كبد "بروميثيوس". وتتقاطع شخصية "بروميثيوس" مع شخصية الكاتب والصور المختلفة التي يتخذها في نصوصه: يونس، ابن معن، معنينو، ابن حزم... في كونهم يؤدون دورا مماثلا. فمثلما تجرأ "بروميثيوس" على تحدي الآلهة لإضاءة البشر وتحضيرهم، كذلك فعل الكاتب - من خلال شخصيات رواياته- إذ تحدى القوى الباغية بوعيه، بفضحه لسلوكاتهم وكذبهم، وغاص إلى الأعماق حيث عبر عن المظلومين والمسجونين والمشردين والمخالفين بتعاطف منقطع النظير باعتباره واحداً منهم يطمحون إلى العدالة والحرية.

<sup>1</sup> - فراس السواح : مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط2، 1981. ص16.

<sup>2</sup> - عبد المعطي شعراوي : أساطير إغريقية (الآلهة الكبرى)، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 2005، ج 3، ص85.

ورواية (الحواميم) تحيلنا على ديونيزوس الإله الشريد الذي يمثل النقيض الآخر لكل الآلهة إنه رمز للجنون واللاعقل، رمز للخمر الذي يغيب كل تفكير عقلائي ومعقلن. لهذا السبب هاجر ديونيزوس من بلاد اليونان - كرها ثم طوعا فيما بعد- ليحارب أنظمة العقل، ويحرر الشعوب المستعبدة من الولاء لقيم لا تخدم الحياة. ديونيزوس هو إله غير معترف به من طرف آلهة العقل، لأنه رمز للجنون والتهو، رمز لانحلال القيم السائدة (المثالية)، رمز للاندفاع الحيوي<sup>1</sup>. باختصار إنه رمز للحياة وهكذا كانت سيرة "معنيو" بطل روايتنا ولنتأمل رده: "لعلي أشاطرك الرأي جزئيا، لكنني مع ذلك أعتقد أننا نحتاج إلى لحظات اليأس والانتكاسة والجروح لكي نذكر الناس بالشرور التي تتهددهم ونصِفُها لهم حتى نُؤدِّ فيهم بواعث مقاومتها والتطهر منها فتنشأ في ذواتهم عوالم جميلة تقابل تلك الشرور قد تنبت النبتة في أرض متعفنة..... إنني أقاوم من أجل هذه الذاكرة الإنسانية التي جعلت التعايش بين مختلف الناس ممكنا، بل ضروريا"<sup>2</sup>.

وفي رواية (بحر نون) نتمثل أسطورة أبي الهول الذي يلقي الألباز على كل من يدخل مدينة طيبة، ويعاقب بالقتل كل من أخفق في إيجاد الحل وكذلك الملكة نونة تطرح على بطل الرواية مجموعة من الألباز قائلة: "لقد هيأت لك بعض الأسئلة والألباز إن استطعت أن تحلها تمكنت من الوصول إلى سر مملكة نون، وسيتمادي الحكي معك، وعندما تنهزم جحافل الظلام مع أضواء الصباح الأولى يكفُ الحكي وأتوقف عن الحكي المباح، وتبدأ مرحلة أخرى أمامك، يلزمك خلالها حلُّ المسائل التي

<sup>1</sup> - طلال محمود حرب : معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1999 م، ص 177.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص148.

طرحت عليك<sup>1</sup> وينجح البطل يونس في حل جميع المسائل كما فعل "أوديبي" من قبل، مع فارق جوهرياً أن الشيخ يونس لم يقتل من طرح عليه الأسئلة . كما تتقاطع شخصية البطل مع شخصية أوديسيوس (أوليس) ملك إيثاكا الذي عاقبه إله البحر بالتيه في البحر عشر سنين والشيخ يونس تاه في البحر مدة من الزمن لا نعرف مداها. ولا تخلو رواية من لمسة جمالية أنثوية وفي هذا المضمار يلوح اسم عشتار أو عشتروت عند الأقاليم السامية وأفروديت عند الإغريق وفينوس عند الرومان، كالوشم في ظاهر اليد. "هي القمر المنير، وهي كوكب الزهرة، هي النور، ورمزها الشعلة الأبدية، وهي العتمة والظلمة وما يخفى. هي القاتلة، وهي الشافية، هي العذراء الأبدية، وهي الأم المنجبة. هي البنول، وهي البغي المقدسة، هي ربة الحكمة، وهي سيدة الجنون، هي الإشراق بالعرفان، وهي غيبوبة الحواس وسباته، التقت عندها المتناقضات وتصالحت المتناقضات"<sup>2</sup> وقد اشتركت في هذه الشخصية الواحدة في السلوك والأفعال المتكررة بالأسماء والأماكن كل من "الملكة نونة" في الرواية الأولى و"حياة" زوجة البطل في الرواية الثانية و"صبح" في (رواية بلاد صاد) و"فاطمة" في (رواية الجنيد ألم المعرفة)، و "نعم" زوجة ابن حزم الظاهري في الرواية الأخيرة والأندلس بشكل عام في الروايتين الأخيرتين مما حفز ابن حزم لكتابة مؤلفه الشهير "طوق الحمامة" في الحب والعشق ومراتبهم وأحوالهم ولنقرأ هذا الحوار الذي دار بين ابن حزم وفتى صقلبي: " فقال الفتى: ولماذا نتكلف في تفسير الحب بهذه الأساطير اليونانية؟ فقلت: إن الحياة الإنسانية في عمقها، وما تحمله من مشاعر قوية تحتاج في تفسيرها وتأويلها والحديث عنها إلى أساطير كبيرة. إنَّ الحبَّ بحسب هذه الأسطورة يجعل من الحب شيئاً قديماً

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص145.

<sup>2</sup> - ميادة كيالي: المرأة والألوهة المؤنثة في حضارة بلاد الرافدين، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الدار البيضاء، بيروت، 2015.

قبل وجود أواني الحب في الكائنات الإنسانية.... إن الحب هو الأسطورة الحقيقية قبل أساطير اليونان وغيرهم. ثم أَرَدَفَ : وبماذا عنونت رسالتك في المحبة؟ فقلت: طوق الحمامة في ذِكْرِ الأُلْفَةِ والأُلَاف<sup>1</sup>.

ولا نبرح هذه الرواية إلا وتصادفنا شخصية ديونيسوس (باكوس أو باخوس عند الرومان) إله الخمر ومصدر النشوة التي تثور في أعماق الإنسان. ذلك الإله الأسطوري الذي وُلِدَ ولادة خارقة، وُلِدَ ليكون والداً للفن الشعبي الديني. لقد غنى لأتباعه وهو في قمة النشوة، وغنوا معه مريدوه وأتباعه الذين نظموا المراثيات (الديثورامبوس)، والخمريات المستوحاة من جلساته، وكانت لهذه الجلسات التأثير البالغ والكبير على نوء المسرح اليوناني ومنها خرجت التراجيديات التي ترتبط به بشكل مباشر. وهذه الحال نجد عليها مرافق ابن حزم وصديقه "أبا عامر ابن شهيد" فها هو يقول رداً على ابن حزم: "لن يمنعني عن تَصَيُّدِ الصبايا والإيقاع بهن إلا الموت. إنها طبيعتي يا صاحبي التي جُبِلْتُ عليها، فإني من أسرع الخلق محبةً وأقلهم صبراً على طلبهن"<sup>2</sup> فهذا الهوس بالنساء والتفنن في اصطيادهن لا يماثله إلا اهتبال "ديونيسوس" بهن، وسيرة الشخصيتين متماثلة. هذا على المستوى العام، أما على المستوى الخاص فقد لاحظنا استخدامين مختلفين للأسطورة في النصوص السردية العرفانية الثلاث تمثل الاتجاه الأول في توظيف الأسماء المستقاة من الأساطير على تنوع مصادرها من مصرية قديمة إلى يونانية ورومانية ومحلية... ذات الدلالات المعطاة مسبقاً وإدراجها ضمن سياقات مختلفة لتؤدي دلالات معينة. والاتجاه الثاني في بعض الشخصيات التي أُسندت لها صفات تميزت بالمبالغة والتضخيم فارتفعت بهم من مستوى الأفراد العاديين إلى مستوى الأفراد الأسطوريين كصفات الطهر والصفاء والنقاء.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 282.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 87.

وأول شخصية تصادفنا في هذا الباب هي شخصية "حورس" إله الشمس عند قدماء المصريين ومن بين أهم الآلهة بل أكثرهم شهرة وهو رمز القوة والعدل والمثالية والنظام، وتجد في كل المعابد والبرديات رسمة الصقر التي ترمز له وعينه لا تقل شهرة عنه فهي رمز للسيطرة والغموض، حيث فقد إحدى عينيه في واحدة من المعارك ضد عمه، فتدخل الإله "توت" واستبدل عينه بأخرى لها قدرات سحرية بفضلها استطاع أن يتغلب في معاركه ومن هنا أصبحت عين "حورس" رمز القوة وتستخدم من عصر الدولة القديمة كتميمة لمنع الحسد وجلب القوة والسحر. وفي هذا المضمار يذكر السارد هذه الشخصية في أثناء تواجد بطل رواية بحر نون داخل أحد المعابد الفرعونية يقول البدوي: "كل فرعون كان يسمى بخمسة أسماء مختلفة تعطى له في حفل ترسيمه. وهذه الأسماء متبوعة بمجموعة من الصفات والنعوت الملكية تتضمن أولاً اسم حورس، أول ملك على مصر"<sup>1</sup> وهذا متوافق مع بداية الحكاية في انتهاج الغموض كسبيل لعرض موضوع الرحلة التي سيقوم بها البطل بحثاً عن الكتاب، وربط في مقام آخر "حورس" بالنجوم: "فقال صاحبي: والمصريون القدماء يسمون الجبار، حورس، أي إله الشمس الصغير. ثم أردف قائلاً: انظر إلى النطاق ونجومه الثلاثة وإلى يد الجوزاء، هذا النجم العملاق، وانظر إلى السيف..."<sup>2</sup> وهذا العلم تتلاقى عنده مختلف المعارف من علم تنجيم، وعلم فلك، وعرفان وتصوف وغيرها من العلوم. ثم ذكر "ابن رع" رع هو إله الشمس لدى المصريين القدماء، وقد كان رع إلهها رئيساً في الدين المصري القديم في عصر الأسرة الخامسة، وكان يرمز إليه بقرص الشمس وقت الظهيرة. ... وقد كان يعتقد أن رع-حوراخي هو الإله الحاكم في كل أنحاء العالمين: "السماء والأرض"

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 29.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص 35.

و"العالم السفلي"<sup>1</sup> يقول البدوي شارحا للشيخ يونس : "وأخيراً الاسم الخامس، وهو اسم الولادة مسبقاً بعبارة " ابن رع". وهذا الأخير يمكن أن يحمله العديد من الفراعنة أو الرمامسة"<sup>2</sup> ولن نغادر مصر فقد أتى السارد على نكر شخصية أسطورية أخرى وهي "أنوبيس" هو الاسم اليوناني لإله الموتى القديم، ذي رأس ابن آوى في الميثولوجيا المصرية، وقد ورد ذكره خلال شرح الملكة نونة لتاريخهم الحافل بالمغامرات والرحلات، تسرد نونة قائلة : " فلما دخل القساوسة لتمسيحهم ظنّوهم يقَدِّسون الكلاب فسموا أرضهم بجزر الكناري من canis وهو الكلب باللاتينية. والواقع أن الكلب كان موجوداً في حضارتنا وله مكانة محترمة. وقد انتقل مع أسلافنا إلى الحضارة المصرية مع الكائن "أنوبيس"<sup>3</sup> ويأخذ أنوبيس هيئة حيوان ابن آوى أحد فصائل الكلاب، فيصوّر في هيئة ابن آوى رابضاً على مقصورة تمثل واجهة المقبرة باللون الأسود، وتبدو أذناه كبيرتين، ويرتدي أحياناً طوقاً حول عنقه، ربما تكون له قوة سحرية. وقد يصوّر في هيئة ابن آوى بجسم بشري ورأس حيوان، أو في الهيئة البشرية الكاملة، التي نادراً ما يصوّر بها. وكل هذه الشخصيات ذات المرجعية الأسطورية مُستلّة من "كتاب الموتى" وهو مجموعة من الوثائق الدينية والنصوص الجنائزية التي كانت تستخدم في مصر القديمة ، لتكون دليلاً للميت في رحلته للعالم الآخر، أُستخدمت من بداية العصر الحديث للدولة المصرية القديمة . مصطلح "الكتاب" هو المصطلح الأقرب لوصف هذه المجموعة الواسعة من النصوص التي تتكون من عدد من التعاويذ السحرية تهدف إلى مساعدة رحلة شخص ميت إلى الآخرة. تم تأليف هذه التعاويذ من قبل العديد من الكهنة وهو يعتبر أقدم كتاب انتهى إلينا علمه، دون في عصر بناء الهرم

<sup>1</sup> -<https://wikipedia.org/wiki> رع.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 29

<sup>3</sup> - مصدر نفسه ، ص 101.

الأكبر"<sup>1</sup> وإذا انتقلنا إلى الأساطير العربية المحلية تلك الخاصة بالمغرب العربي عامة والجزائر على وجه الخصوص نجد اسم "تين هينان" وهي امرأة أسطورية، نعرفها اليوم من خلال التقاليد الشفوية للطوارق، التي تصفها بالمرأة الجميلة والقوية. لا توجد كتابة تثبت وجودها، وتم تناقل حكايتها من جيل إلى جيل. أخبرنا أسلافنا عن الملكة تين هينان، وكان أجدادهم هم من أخبروهم عنها. إنها الأم المؤسّسة لمجتمع الطوارق والأساس المتين لهويتنا الأمازيغية، هكذا يقول العديد من السكان الأصليين من الطوارق في تمنراست.. يصورونها ملهمةً وامرأة جميلة لا تقاوم، طويلة، مع وجه لا تشوبه شائبة، وبشرة مضيئة، وعيون ضخمة وأنف ناعم<sup>2</sup> وقد ذكرتها الملكة نونة وهي بصدد التعريف بأسرتها والشرف الذي حازوه من غابر الأزمان وكان من بين أسلافنا جدتها "تينهينان" تقول نونة : "تين هينان هي حواء الصحراء، الآتية من بعيد، أمنا جميعا. ثم أرتني تمثالا صغيراً لامرأة ذات عجز مرتفع، وقالت لي : هذا التمثال يعود إلى عهد الطوفان، وهو يمثل إحدى ملكات نون القديمة، وقد كان في ملك الملكة تين هينان. وقد خلفت هذه الجدة ثلاث بنات هن جدات قبائل الطوارق المختلفة، الأولى واسمها تينارت (الظبية)، والثانية اسمها تهنقوت (الغزالة)، والثالثة اسمها تمرالت (أرنب)"<sup>3</sup>.

وسنعدّل عن هذه الشخصيات إلى الميثولوجيا الإغريقية لنرى مدى تواجدها في النص السردي العرفاني. وأول شخصية نلتقيها "أثينا" وعرفت بأنها إلهة الحرب وحامية المدن وخاصة أثينا التي سميت باسمها، وكانت إلهة الحكمة والزراعة (ثم التفت سادن طاعن في السن إلى سولون قائلاً : اعلم أن مدينتكم أثينا أقدم من مدينتنا سايس بألف

<sup>1</sup> - <https://wikipedia.org/wiki/<wiki>كتاب الموتى>

<sup>2</sup> - موقع عربي بوستarabicpost.netتين هينان -ملكة الطوارق-الجزائرية/ثقافة عامة.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص138.

عام<sup>1</sup>، وفي الصفحة الموالية يذكر الراوي "هرقل" شخصية شهيرة في الميثولوجيا الإغريقية، وتُنسب إليه كثير من القصص والبطولات، كما تُنسب إليه بعض الآثار المادية، ومن أشهرها أعمدة هرقل، وهو الاسم الذي أطلقه الرومان على مضيق جبل طارق الذي يصل بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وتقول الأسطورة إنه شق الصخر لفتح مضيق جبل طارق، كما نصب أعمدة هناك. وهناك شخصيتا "بوسيدون" إله البحر و"كليطو" زوجته التي أنجبت منه ولده البكر و وارثه "أطلس" كل أسماء هذه الشخصيات الميثولوجية مترابطة وتهدف إلى تأكيد وجود جزيرة "أطلانتس" التي اكتسبت اسمها من أطلس ابن بوسيدون من كليطو وهذه الجزيرة أول من ذكرها أفلاطون في محاوراته ففي محاورته الشهيرة المعروفة باسم طيماوس يحكي كريتياس أن الكهنة المصريين استقبلوا سولون في معابدهم وهذه حقيقة تاريخية ثم يشير إلى أنهم أخبروا سولون عن قصة قديمة تحويها سجلاتهم وقد حكمها إله البحر "بوسيدون" بنفسه وبنى فيها أجمل المساكن والاستراحات لزوجته، وكان حدود هذه الجزيرة هي حدود العالم القديم أي أعمدة هرقل، ويسأل الشاب يونس الملكة نونة عن هذه الحضارة : وكيف نشأت هذه الحضارة يا مولاتي ؟

قالت الملكة : يحكي أفلاطون أن بوزيدون، ملك البحر والزلازل كان هو الحاكم على الجزيرة الأصلية، لكنه تعشق أثناء تجولاته، بكليطو التي كانت تسكن إحدى تلال الجزيرة. ومن شدة غيرته على محبوبته، منع بوزيدون الناس من الاقتراب منها... وقد تزوج بوزيدون من كليطو التي أنجبت له خمسة أزواج من الذكور.... وكان الوارث الرئيس ولده الأكبر أطلس. وتناسل من هؤلاء ذرية كثيرة<sup>2</sup> ونلاحظ هنا شبكة العلاقات المعقدة الرابطة بين هذه الشخصيات والموضوعة الأساس للرواية المختزلة

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق ، ص104.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص108.

في العنوان الفرعي "رحلة البحث عن الجزيرة الأطلسية" وقد قام ابن عرفة بتأنيث روايته بكل هذه الشخصيات وجعل المتصدر للحكي أفلاطون الفيلسوف الشهير ليعطي مصداقية لما يقوله ويخلع على الرواية رداء الحقيقة، وقد قام كبير الآلهة "زيوس" بتدمير هذه الحضارة وإغراق الجزيرة . وقد ذُكِرَ "زيوس" كبير آلهة الأولمب على لسان أرسطوفان الشاعر الذي ادعى أننا لم نكن دائماً في هيئتنا الحالية ؛ ففي قديم الزمن، كان البشر يمتلكون رأسين، وأربع أذرع، وأربع سيقان، وضعف قوة أي منا الآن. خائفاً من قوتهم وتمردهم، أمسك زيوس سيفه وهوى على أجسادهم قاسماً كلا منها إلى نصفين. ومنذ تلك اللحظة، كُتِبَ على كل منا أن يعيش معذباً إلى الأبد بحنين لا شفاء منه لنصفه الآخر.<sup>1</sup> ويشرح ابن حزم لفتى خصي من الصقالبة كيف أصبحوا بهذه الحال حسب رأي الأسطورة اليونانية قائلاً : " لقد كان يعيب هؤلاء، الكبر والخيلاء، فنأزعو أرباب الأولمب في صلاحياتهم وأرادوا أن يصبحوا أرباباً مثلهم كما يزعم صاحبنا الشاعر، فَصَعِدُوا إلى السماء لمقاتلتهم، لكن كبير أرباب الأولمب، زيوس، اتخذ قراراً بإضعافهم بدل قتلهم"<sup>2</sup> وفي الملفوظات السابقة يصلُ ابن حزم بين بداية أمر الحب في الأساطير الإغريقية ونشأته، وكذا تسلُّطه على النفوس واحتلاله القلوب كما بيَّن في كتابه الذي ألفه في هذا الموضوع .

وفي موضع سابق يتقمص ابن حزم دور "سيزيف" ويتسربل بروجه، بعد أن توفي أخوه أبو بكر وزوجته ثم فُجِعَ بفقد والده وخسارة أملاكهم وأموالهم والكارثة الكبرى لحظة فقدانه "نعم" حب حياته التي عشقها منذ كان صبياً ولم يجد له فكاً من هذه السبيل إلا سبيل العلم حتى ينسى آلامه وجروحه يقول السارد: " هكذا خُلِقَ الإنسان. كل صخرة

<sup>1</sup> -The symposium, plato : M. C. HOWATSON, Cambridge University Press, Royaume-Uni, 2008.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 278/279.

تطلب البحر حتى تتكسر أمواجه عليها، ولا بدّ لي من بحر العلم لكي تتكسر أمواجه على صخرتي، فلأحمل صخرة جسدي في هذا الكون، كما حمل من قبل الماكر سيزيف في أساطير الإغريق صخرة هذا العالم يرجو أن يصل بها إلى قمة الجبل<sup>1</sup> وهو يصير على التخلص مما هو فيه عن طريق العلم والمحاولة والتكرار للأفعال مثلما يكرر سيزيف أفعاله بدحرجة الصخرة وصولاً بها إلى أعلى الجبل لكن بمجرد وصوله يسبق عليه عقاب كبير الآلهة زيوس فتفتلت منه الصخرة ليعاود المحاولة كل مرة، والفرق بين الرجلين أن سيزيف مآله الفشل بينما ابن حزم هدفه النجاح.

إنّ المتفحص لروايات ابن عرفة العرفانية يجده قد وظّف شخصيات أسطورية من مصادر متعددة، أضفت على المتون الروائية الأفكار التي أراد الكاتب تسريبها مأخوذة من أفواه متعددة، ومرجعيات مختلفة متناغمة فيما بينها، داعمة لأواصر النسيج الأسطوري، مستلهمة الشخصيات المذكورة واحدة تلو الأخرى، لتشكل معادلاً موضوعياً يمثل دعوة صريحة لتحرير الإبداع من كل ما يكبله، وقد قام ابن عرفة بهذا التوظيف وفق معايير عدّة فهو أحياناً يأخذها ليزين بها نصوصه ويجعلها متوفقة فنياً، أو ليخفي وراءها أغراض اجتماعية وأخرى سياسية ودينية، وهذا ما أجاده الكاتب عن طريق نقل الشخصيات الأسطورية من عالم إلى عالم آخر، متباعد في الزمان والمكان دليل على التحكم والقدرة على العطاء والبعث، ودليل على موسوعية المؤلف وعبقريته في حسن الاستغلال. ومن خلال الروايات المتضمنة للشخصيات السابق ذكرها لاحظنا أنها تمتلك خاصية التفسير والشرح، فهي تفسر وتشرح ما يحيط بالإنسان من ظواهر مختلفة، وتجيب عن عديد الأسئلة التي يمكن أن تطرح، وللأسطورة بعد جمالي طعم الروائي به أعماله حتى تنال الحظوة والاهتمام الذي ينتظره من قبل القراء ف"علماء

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص224.

الجمال يقدر بأن الأعمال التي استلهمت الأساطير هي أعلى النماذج الفنية وأرقاها"<sup>1</sup> ، وهكذا كان توظيف الأسطورة استجابة للحاجات الفكرية والجمالية، وتعزيزا لفعل المثاقفة ساهم في إعادة تشكيل مقومات البناء الروائي، وزادت الشخصية المرجعية الأسطورية من حمولة النص وألقه.

### 3.1. الشخصية الاجتماعية :

هذه الفئة من الشخصيات تختلف عن سابقتها السياسية والدينية والثقافية، كونها لا تحيل على نماذج معينة من الماضي، أو الحاضر، وليست آتية من الثقافة. إنما هي شخصيات تحيل على نماذج اجتماعية، وليس لها وجود فعلي خارج الرواية، ولكن يمكن أن توجد باعتبار بعض سماتها وأفعالها مستقاة من مجتمع ذي وجود حقيقي في بعض جوانبها تحيل عليه<sup>2</sup>. لم يرد ذكرها في كتب التاريخ والأدب وليس لها دور مؤكد فيهما، فهي شخصيات تخيلية "ساهم الراوي في تشكيلها وإضفاء طابع الحياة عليها بجعلها تُعايش الشخصيات المرجعية، أو تعيش إلى جانبها"<sup>3</sup> لم يقدم "فيليب هامون تعريفا لها واكتفى بأن يعطي أمثلة عنها فيمكن أن تراها كل يوم في الحياة الواقعية (العامل، الفارس، المحتال)<sup>4</sup> فهذه النماذج لا يقصد بها شخصية روائية ما تؤدي دورها إما عامل أو فارس أو محتال، ولكن هي نماذج ليست مقصودة بعينها، وإنما الفئة التي تنتمي إليها في المجتمع. وقد حَفَلت النصوص العرفانية قيد الدراسة بالعديد من هذا الصنف وسنقوم بعرض بعض العينات منها.

<sup>1</sup> - جابر عصفور وآخرون : الأسطورة والإبداع، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، د ط، 2005 م، ص 145.

<sup>2</sup> - الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، ط1، 2000م، ص102.

<sup>3</sup> - سعيد يقطين : قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،

1997م، ص 92.

<sup>4</sup> - Op.Cit.Philipe Hamon , pour un statut sémiologique du personnage, p 122.

وفي رواية (بحر نون) نلتقي الشخصية الأولى وهي شخصية الكُتبي " والتي لم يقدم الكاتب أية معلومات مسبقة عنها والكتبي هو ذلك الشخص الذي يقوم بشراء الكتب القديمة والمستعملة ليعيد بيعها لمن يهتم بقيمتها، فهو تاجر بالدرجة الأولى، وقد ابتدأت به الرواية ليبين الكاتب محورية الكتاب في الرواية وأهميته، لكن الكتبي لم يلتفت إلى ما يحتويه وكان همّة الثمن الذي سيجنيه من وراء هذه الصفقة، وبعد حوار مع الشيخ يونس انزعج منه هذا الأخير وهو يروج لبضاعته يرد السارد على لسان الكتبي: " فقال الكتبي: دعنا من هذه الأسمار والتخاريف يا شيخ يونس، فأنت تعلم أن أهل زماننا لا يهتمون بمثل هذه الأمور، وكتابك عندهم ليس بذئب<sup>1</sup> وهذا الصنف موجود في المجتمع، يقومون ببخس بضاعة الطرف الآخر واستغلال فاقتهم وعوزهم، وهو من الطبقة المتوسطة ومثلها متواجد بين ظهرانينا في أيامنا هذه.

وثاني شخصيات هذا الصنف شخصية " الشيخ " وهي قامة إسلامية لها مهام جسيمة ونبيلة من تدعيم وترسيخ الثقافة الإسلامية الصحيحة والأصلية ونشرها، عقيدة أو فقها وأصوله بصفة عامة وتربية صوفية بصفة خاصة، مستمدة مبادئها ومنابعها من الكتاب والسنة، وعمل السلف الصالح. وكان لها دور كبير في بعض المجتمعات ولازال لاسيما في دول المغرب العربي، وتمثل طبقة لها مكانة مرموقة بل مقدسة في أوساط العامة حيث تمكنوا من ترسيخ الاعتقاد الشعبي - المتذر من الواقع المعيش - بكراماتهم، باعتمادهم على رأسمالهم الرمزي، حيث يعتبر النسب الشريف والتصوف أبرز مكوناتها، وتحضر نماذج الكرامة في أقوال هؤلاء الشيوخ وأفعالهم، من خلال مجموعة من الطقوس الدينية (الربانية) التي يمارسها الشيوخ ويتربى عليها المریدون في رحلة الزهد والخلو حتى يصل أعلى مقامات التصوف ولا أدل على ذلك ما تردف به

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 17.

أوصاف شيوخ الزوايا، وأعلام التصوف مقرونة بصيغ من قبيل: القطب الكامل، الولي الكبير، الشيخ الزاهد، المسكين، وفي هذا المقطع السردى يتضح المقصود: "عزمت أن أبحث عن ضالتي وأن أسعى في طلب المعلم الذي يخرجني من جهالة الغفلة إلى نور الحضرة. وقد كنت في بداية استوائي قد اتخذت شيخاً للتربية يقوّمني إذا اعوججت، ويقيمني إذا انتكست. أخذت عنه علوماً وأذكراً وحباً وعرفاناً وتربية وآداباً. سلكت على يديه زماناً وأزماناً. وكان رجلاً أمياً من معارف المحدثات عالماً بعلم القديم. تسألته عن المسألة لم يسمع بها من قبل فيأتيك بالجواب للتو من غير مطالعة ولا مدارس<sup>1</sup> وقد تكرر ذكره مرات عديدة في الرواية لتأكيد مقاصد الكاتب، وهو يرمي من وراء ذلك إلى وجوب وجود الدليل الذي يدل على الطريق، الخبير بالمسالك لتيسير وتسهيل أي رحلة ينوي الإنسان القيام بها، وهذه الرحلة العرفانية يختص بتدبر مقتضياتها رجل عرفاني ولا أفضل من شيوخ الصوفية للقيام بهذه المهمة التي لا تقل خطورة عن الرحلة في حد ذاتها. ولابد لهذا الشيخ أو الشيوخ من أتباع ومريدين وطلبة وقد ذكرهم السارد من ضمن من ذكر في متنه الروائي وهؤلاء يمثلون الطبقة الدنيا من المجتمع في عمومهم، من الفقراء والبؤساء الذين اضطرتهم الفقر والعوز للمرابطة في هذه التكايا والزوايا لضمان قوت يومهم وإدراك علومهم يقول الكاتب على لسان الشيخ يونس: "وبعد تعب أشرفت على زاوية الشيخ في رأس جبل سيدي معروف، وحولها بيوت بعض مريديه الواقفين على خدمته والنهل من علومه"<sup>2</sup> ويعتبرون رعايا للشيخ لأنهم استعاضوا به عن السلطة الفعلية وأصبحوا يأترون بأوامره وينتهون بنواهيته، وبعد أن تزوّد البطل بما يحتاجه من علوم واصل رحلته إلى حيث الملكة التي أمرته بصناعة سفينة، لكنه لا يعرف عن النجارة شيئاً فتواصل مع بعض أصحاب المهن لمساعدته يقول الشيخ يونس: "اتصلت بنجار سفن

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص43.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص47.

مسن علّمني صنعة النجارة وبناء السفن.... وبعد أن انتهينا من السفينة انتقلت إلى تجهيزاتها فاتصلنا بحائك يصنع القلاع والأشرعة للسفن<sup>1</sup> والنجار والحائك من الطبقة الكادحة في المجتمع التي تعتمد على سواعدها وإتقانها ولم يكن لهم من دور في الرواية باستثناء المساعدة في بناء السفينة في المقطع السردى السابق الذكر ثم يخنفون.

وفي (رواية الحواميم) تتمثل الشخصيات الاجتماعية في عدد كبير من الجيوش ورجال الشرطة وعرب وقشتاليين ومسلمين ومسيحيين ويهود.... وغيرهم من الذين كانت لهم أدوار مميزة في الرواية. وطبيعة المجتمع المليء بالمتناقضات والقائم أساساً على الصراع الديني يستلزم وجود طرف معتدٍ وطرف مقاوم مثل الطرف الأول القشتاليون المسيحيون الذين كانوا يلمون باليوم الذي يطهرون فيهم أرضهم من المسلمين وهذا ما يظهر في مفتتح الرواية: " لكن المسيحيين نكثوا بنود المعاهدة التي ضمنت حقوق المسلمين في مملكة غرناطة. لقد تجمّع ما بقي من سكان المدينة في ربض البيّازين، وعملت إيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة على نقل القشتاليين إلى الأحياء الأخرى من المدينة، ثم بدأ العد العكسي لطرد المسلمين.."<sup>2</sup> فالملفوظات مسيحيين ومسلمين تمثل كل طبقات المجتمع المتواجد آنذاك، بالإضافة إلى عدد قليل من اليهود والذين تعرضوا بدورهم إلى القشتلة أو التنصير بمفهوم أوضح، والرافضون يُقتلون أو يُنفون، وهذه الشخصيات مجموعات من البشر تشترك في خصائص عديدة أهمها الدين والذي نُسبوا إليه في التسمية بصفته العامل الحاسم في التقسيم والفرز.

وهناك فئة أخرى ذُكرت في هذه الرواية وهم الأندلسيون، سكان الأندلس من أحفاد الفاتحين المسلمين الذين دخلوا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية. ومجموعة أخرى

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص160/161.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص19.

سُميت بـ "الموريسكيين"، والتي تعني "المسلمين الصغار" الذين بقوا في إسبانيا الكاثوليكية مُظهرين المسيحية وأبطنوا الإسلام خوفاً من محاكم التفتيش، الذين عمّدوا المسلمين عنوة. أُعتبرت هذه الطبقة المجتمعية من أكثر الطبقات المجتمعية اضطهاداً عبر التاريخ البشري، وكتب التاريخ تعج بقصص التعذيب التي مارستها محاكم التفتيش على الموريسكيين.

في هذه الرواية (الحواميم) نجد عائلة ابن معن واحدة من العائلات التي شكلت مجموعها الموريسكيين: "ومن بين العائلات الأندلسية التي بقي بعض أفرادها في غرناطة، بنو معن. كان هؤلاء يعيشون من الزراعة والتجارة. كان كبير هذه العائلة شاباً في مقتبل العمر. لقد عاش قبل سقوط غرناطة طفولة وادعة ثرية"<sup>1</sup> هذه العائلة تمثل المعادل الموضوعي للمسلمين في وقت عزتهم، أيام كانوا أسياد العالم. كانت الأسرة تتمتع بالزراعة والتجارة، كوَّنت من خلالهما ثروة وفرت لها حياة وادعة، لكن المسلمين رغم سيطرتهم على إسبانيا والبرتغال وجزء من جنوب فرنسا لم يعاملوا الآخر المختلف دينياً بتمييز أو عنصرية، أو إجبارهم على اعتناق الإسلام بل كانوا متعايشين في مجتمع تظله سماء العدل وتقله أرض المساواة، عكس ما حدث لهم بمجرد سيطرة الكنيسة على مقاليد الحكم في الدول المذكورة، حيث أصبحت معاملة أفراد المجتمع على أساس ديني أولاً وعرقي ثانياً، هذا الظلم الاجتماعي عانت منه عائلة ابن معن وأفرادها، فالوالد مات نتيجة عدم تحمُّله الأحداث وترك ابنه الشاب يواجه مصيراً مجهولاً. رفع الولد التحديّ وواصل مشوار الوالد: " ثم لما دخلت إيزابيلا لم يتحمل والده الصدمة فتوفي وتركه لم يطرَّ شاربه ولا بقلَّ وجهه بعد. تزوج من عائلة موريسكية وعاش شبيبته في ظل حكم غريب، لكنه كان حريصاً على ضمان أسباب عيش أسرته

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص20.

الثرية، لذا كان يناهز بأهله وأولاده عن النزاعات والخصومات، وخاصة مع القشتاليين<sup>1</sup>. يوضح الكاتب هنا دور الأب عبر التاريخ ومهمته النبيلة في قدسية حماية العائلة، والمحافظة على أمنها وسلامتها، ولو بطرق غير مشروعة، وفي حالة "ابن معن" المحافظة على استمراريتها، فهذه الأسرة تَهْدِهَا خطر الموت، والتصفية من قبل الأعداء الذين رأوا فيهم المحتل، والغازي الذي احتكر واستغل بلادهم لقرون عديدة وعليه الآن أن يدفع الثمن. كانت الأسرة مثالا للترابط والتعاون والانسجام وسادت علاقات المودة والمحبة بكل سرية، وفق فطرة بني البشر ووفق الشرع الإسلامي، وكان الأب راعي كل تلك المشاعر بحرص شديد، لئلا يفتضح أمرهم لمحاكم التفتيش. وفي الأخير قرر الجد أن يسافروا ويرتحلوا من هذه البلاد التي لم تعد آمنة وسلم المشعل لولده البكر مخاطبا إياه بهذه العبارات: "الرأي عندي يا أبا عبد الله أن تأخذ أخواتك وإخوتك الصغار وترحل إلى فاس للاستقرار هناك حتى نتمكن من اللحاق بكم مع بقية الأسرة، إن كتب الله لنا النصر"<sup>2</sup> وقد حرص الأب على التضحية بنفسه في سبيل أن تستقر العائلة في مكان آمن بعيدا عن أيدي وأعين الأعداء. والعدو المتسلط يفترض وجود مقاومة وقد كانت. تمثلت المقاومة في رجال معروفين وآخرين مجهولين لا نعرف عنهم شيئا ومن جملة هؤلاء ما أشار إليه السارد بعبارة أوجه المقاومة قائلاً: "تكلم أحد أوجه المقاومة، وكان رجلاً شجاعاً مقداماً يميل إلى مقاومة القشتاليين بدل مهادنتهم وأثنى على حكمة ابن معن ثم طلب من الفقهاء أن يحتوإعامة الناس على رفض التصير وعلى الاستعداد للمواجهة. ثم أخبرهم أن المقاومة هي السبيل الوحيد"<sup>3</sup>، فالمقاومون كانوا جزءاً من المجتمع الموريسكي آمنوا بضرورة التصدي للطغيان بما

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 21.

<sup>2</sup> مصدر نفسه ، ص28.

<sup>3</sup> مصدر نفسه، ص 27.

يملكون من وسائل مادية ومعنوية، وكان صوت لا يُستهان به ضد الصوت الآخر في المجتمع الذي يرى أن لا طائل من المقاومة وأنهم غير قادرين على مجابهة القوة العاتية لمجموع جيوش وفرسان عدّة ممالك صليبية. كانت فئة الشباب تمثل التيار الأول من المجتمع رأت في المقاومة سبيل الخلاص، أما التيار الثاني فقادته فئة الشيوخ الأكثر خبرة، ودراية بتقلبات الحياة : "في خضم هذه الأحداث كان الأندلسيون في غرناطة يقاومون في صمت وإخوانهم الآخرون الذين رفضوا ذلّ المسيحية والتخلي عن دينهم وعاداتهم ولغتهم هربوا إلى جبال البُشَرات يعيشون حياة الأحرار، يغيرون بين الفينة والأخرى على جموع القشتاليين ويصيبون منهم مقتلاً"<sup>1</sup>، ونتج عن هذه المقاومات أسرى، وعبيد عملوا فيما بعد في التجديف بقية حياتهم في المراكب التي كانت تكتشف العالم الجديد، وبعد أن اطمأن الشيخ ابن معن على أسرته قاوم القشتاليين ومحاكم التفتيش، برفضه التنصّر ومفارقة دين آبائه وأجداده، ودين الحق، فزجّ به في السجن مع المهرقطين.

وهناك فئة اجتماعية أخرى متواجدة في المجتمع الإسباني في ذلك الزمن، وهم مجموعة من الناس من أتباع المصلح "مارتن لوثر" البروتستانتية الذي رفض مبادئ الكنيسة الكاثوليكية، وكان أغلب هذه الفئة من المضطهدين والمغلوب على أمرهم، يتعرضون للتعذيب والقتل على يد محاكم التفتيش، التي كانت تصدر الأحكام على هؤلاء بالحرق أو الشنق في الساحات العامة كما فعلوا مع ابن معن الذي قاوم للحظة الأخيرة التي حُكم عليه فيها بالإعدام و طلب منه القاضي التوبة من الإسلام : " نعم أريد أن أتوب منكم، وأطلب من العلي القدير أن تتوب جميع كائنات الأرض من أفعالكم وظلمكم. أنا عربي، أنا مسلم وسأظل مسلماً"<sup>2</sup> وفي اللحظة الأخيرة له على

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر نفسه، ص36.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص119.

الأرض وأثناء سقوطه تتفقه حليمة المرأة المقاومة والتي تؤكد له البقاء على العهد والمقاومة حتى آخر رمق، قائلة: " لا زلنا على العهد يا سيدي فلا تبتئس بما يصنعون لقد أخذوا مني ابنتي الوحيدة حياة لكنني أناضل من أجل الحياة الحقيقية، ونضالك من أجل الحرية يشحنني بحياة أقوى ستحمل بطون نساءنا الأطهار والشرفاء الذين سيجاهدون هذا الضلال والظلم والشر"<sup>1</sup>، في اللحظة شديدة السواد تظهر المرأة النصف الأخر من المجتمع، تظهر كمقاومة كما تظهر كأم وزوجة مناضلة ومقاومة فقدت ابنتها لكنها كانت تمثل الزوجة الوفية التي ظلت معينة لزوجها الذي فقد النطق بعد فقد ابنته، وهذه الفئات المجتمعية المحرومة التي عانت الفقر والحرمان والجوع في الأندلس المسيحية كانت تُعد بالآلاف جراء ظلمهم وتجريدتهم من أملاكهم من قبل إسبانيا المسيحية، ولم تختلف شخصية الأم عن الشخصية التقليدية للأم العربية العاطفية التي تساند زوجها في أحلك الظروف، سمتها التسامح والعطف وهي إشارة للأمة الإسلامية وما كانت عليه إبان حكمها الأندلس ثمانية قرون. وكان الصراع بين هذه المرأة التي كانت زوجة و أمًا وأمةً ضد ممثلي المسيحية.

وَأصل الموريسكيون مقاومتهم رغم قتل أعداد كبيرة منهم كان "معينيو" -وهو حفيد ابن معن- الذي فرَّ مع المجاهدين السلاوين وتربَّى عند 'رئيس' بحري منهم، كان "معينيو" يساعد والده بالتبني في أعمال القرصنة البحرية ضد الممالك المسيحية وخاصة مملكة القشتاليين، عملوا على تحرير الكثير من الأسرى الموريسكيين، ومن بين من حرروا أسيرة في غاية الجمال واللطف، وقع محمد (معينيو) في حبها فاتخذها زوجة له بعد أن بادلته الشعور نفسه، وقاما بتكوين أسرة امتدادًا لأسرة ابن معن كما عملا على إقامة علاقات اجتماعية جديدة في وطن جديد، وكانت قد قصت قصتها

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص125.

لمعنيو بصوت حزين: " قصة حياتك حزينة. أما أنا فلا أعلم شيئاً عن طفولتي سوى أنني من عائلة أندلسية عريقة. أخذني قساوسة محاكم التفتيش من أمي وأنا طفلة صغيرة ووضعونني في أسرة قشتالية طيبة. ثم علمت من خادم موريسكي مسنّ تاريخ المسلمين في هذه البلاد<sup>1</sup> ذكرت الفتاة أنها أخذت من أمها رغم أنها أخذت من والديها الاثنين، وذلك لمكانة الأم عند أبنائهم الصغار والعلاقة الخاصة التي تربط الفتاة بأمها. كما ذكرت القساوسة وهم مجموعة من رجال الدين، لهم مكانتهم الرفيعة في المجتمع المسيحي، ولعل اسمهم بالنسبة لنا نحن المسلمين مشتق من القسوة دلالة على أفعالهم. وتواصلت عمليات القرصنة في البحر الأبيض المتوسط. كان المجاهدون يغيرون على السفن القشتالية وينهبون ما فيها، وأحياناً يغيرون على الشواطئ الإسبانية وينقلون الموريسكيين الفارين من التعذيب إلى المغرب. في إحدى الطلعات وبعد انتهاء المعركة: " وصل معنيو بسفينته مع باقي الأسطول المكوّن من سبع سفن جهادية إلى مدينته فاستقبلهم الأهالي بالهتاف والزغاريد. أمر الرئيس بعدّ جميع الناجين فكان عددهم 1664 ناجياً من بين رجل وامرأة وطفل<sup>2</sup>. كان من بينهم المرأة الأم وزوجها اللذان التقيا بابنتهما بعد فراق طويل. والناجون هم من الطبقة المستضعفة التي أهانتها الكنيسة وجعلت منها الخدم والعبيد، ومن ينظّفون الكنائس ومن يعملون في حظائر الخنازير للإمعان في إذلال المسلمين وتركيعهم. انصهر الناجون في المجتمع السلّوي بالمغرب وأصبحوا جزء منه.

وفي رواية (طوق سر المحبة) يعود بنا الكاتب إلى قرطبة أيام كانت في قمة مجدها، ليصفها لنا ويصف الحركة التي كانت تميزها: " كانت المدينة مكتظة بالقرويين القادمين من البوادي والأرياف لشراء ما يلزمهم وفي الباحات الممتدة على

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص153.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص225.

سور القصة بين باب عبد الجبار والباب الجديد كان المهرجون، ويعرفون عند القرطبيين باسم أهل التخيل يرتدون زيَّ القرويين ويستخفون بحركاتهم ولباسهم"<sup>1</sup>، نلاحظ في الفقرة السابقة هذا العدد الكبير من الشخصيات الجماعية والاجتماعية، من مثل القرويين والمهرجين والقرطبيين وكل هؤلاء من الطبقات المتوسطة، أي عوام الناس وفيهم الفقراء والأغنياء، الصغار والكبار، نساء ورجالاً. كما ذكر السارد الحاسبين الذين يقرؤون الغيب للعوام، والحالمين بالسعادة وكذلك القصاصون الذي يحكون حكايات طويلة من السيرة النبوية يذكرون بها القوم. في مقطع آخر ذكر الراوي زوجة ابن حزم حيث تلقى نبأ ولادتها بابنه الثاني: " تلى أبو عمر أحمد بن سعيد في هذا اليوم خبر ولادة زوجته مباشرة بعد سلام الإمام من صلاة الصبح متم ثلاثين من رمضان"<sup>2</sup> في المقطع هذا ذكرت زوجة الوزير التي كانت تحمل ولده، ووضعت في اليوم الأخير من شهر رمضان الكريم، وهذه المرأة لها مكانة اجتماعية مميزة لصفة زوجها ومكانته هو الآخر في المجتمع، بوصفه واحداً من السلطة الحاكمة والتي تمثل قمة المجتمع. ولا تقل قيمة الإمام اجتماعياً عن قيمة السلطة السياسية التي كان يمثلها المنصور بن أبي عامر والذي كانت غزواته لا تنتهي بجيشه وأسطوله الذي لا يقهر، وهامم يغيرون على مدينة "شانت ياقب" أو القديس يعقوب: " تحرك الجيش من الفرسان في الوقت الذي تحرك أيضاً الأسطول الأندلسي من مرساه أمام قصر أبي دانس جنوبي مدينة أشبونة على الشواطئ الغربية يحمل المشاة والعتاد والمؤن"<sup>3</sup> والجيش وفرسانه والمشاة هم من الطبقة المجتمعية المتوسطة التابعة للسلطة، تحذوهم الحماسة والإقدام لما سيغنمون من مال وأسرى رجالاً ونساء، وكان من بين الأسرى صببية صغيرة أهداها المنصور لوزيره

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص16.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص17.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص21.

ابن حزم، تربت مع ابنه محمد الذي كان يكبرها بسنتين، نمت بينهما علاقة حب قوية انتهت بزواجه منها وبعد أن كانت تحمل صفة الجارية -وهي من أخط الدرجات في سلم الدرجات الاجتماعية- أصبحت زوجة تتمتع بكل حقوق الزوجة في أسرة كريمة تحظى بالنفوذ والجاه والأموال، فكانت عيشتهم عيشة هنية، حتى فقدوا كل ما ملكوا بعد تبدل الأيام.

نلتقي بشخصية الصديق في هذه الرواية متمثلاً في "أبو عامر بن شهيد" والساحب شخصية اجتماعية بالغة الأهمية في حياة الشخصية المحورية في أي رواية، إذ لا يمكن تصور حياته بدون صديق، وقد ناسبه ابن شهيد لتمييزه بالمرح وحب اللعب، والانطلاق كما تميز بقدرات أدبية وشعرية رغم معاناته بسبب العوز الذي يعيش فيه بعد أن كان في أسرة كريمة الأب وزيرا مقرباً من مركز القرار والسلطة، فتخلّى عن كل حياته المترفة وزهد فيها، ولبس الخرقه وترك العائلة تواجه مصير الفقر والعوز، كل هذا والصديق المتهم الساخر ظل بجوار صاحبه يسانده ويؤازره يقول السارد: "اتصلت بصاحبي أبي عامر أحمد بن شهيد. دعوته إلى بيتنا وأطلعتة على رغبتني في الانتجاع في مصيف أرملاط، فقال لي مبادراً : بورك فيك يا عليّ، فأنت تعلم قصر اليد هذه الأيام بعدما ألزمتنا الوالد، رحمة الله عليه، بالزهد والتقشف حتى لم يترك لنا إلا ما يسد الخلة. وقد كنا نعيش سابقاً مرفهين، فعرضك لي مقبول"<sup>1</sup>

وكما كان لابن حزم أصحاب فقد كان له في الجهة المقابلة أعداء كادوا له وألبوا عليه الحُكام وهذا ما يورده : "إلا أن بعض ذوي النفوس المريضة ممن كان يسوؤهم حُطوتي نقلوا عني وعن صاحبي محمد بن إسحاق تنقيلات ملفقة، مفادها أننا نسعى في

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 77.

القيام بالدعوة للدولة الأموية ... دخلنا السجن في القصة وكان ذلك من شرِّ ما لقيت"<sup>1</sup> كما كان صاحب ابن عبّاد من أشد أعدائه فقد قام بإحراق كل كتبه. والعدو يساهم في تأجيج الصراع والدفع بالسرد إلى الأمام ولا يخلو أي مجتمع من أعداء وأصدقاء تحكمهم أساليب مختلفة للتعامل وتجمعهم علاقات إما ائتلافية وإما اختلافية. وعلى العموم فقد نسجت هذه الشخصيات التي وردت على لسان السارد شبكة من العلاقات كانت عماد النصوص السردية .

#### 4.1. الشخصية المجازية :

تميزت الشخصيات السابقة الذكر بصفات وملامح جسدية ومعنوية يستطيع الدارس بسهولة اكتشاف الصفات المورفولوجية لها لأن السارد يعتمد على التصوير الخارجي القائم على الملاحظة، وتقوم هذه الشخصيات بنسج علاقات بينها بحيث تتأثر فيما بينها، فتقوم "بإنجاز أفعال أو التعبير عن رغبات معيّنة، أو التظاهر بأمر ما، وهي تبطن أمراً آخر، وينبثق من وراء ذلك معنى الشخصية وعلاميتها، وتجسد الشخصية في هذا النوع صفة أو عدّة صفات معنوية"<sup>2</sup> هذه الصفات تكون قابعة في ثانيا النص، يستجليها القارئ بعد تفكيكه لمدلولات النص فتكون هذه الصفات في مجموعها شخصية مجازية قد تكون إيجابية مثل الحب والعدل والخير والعلم أو سلبية مثل الكراهية والبؤس والجهل والظلم وفي الروايات العرفانية نصادف عدّة شخصيات مجازية أبرزها :

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص252.

<sup>2</sup> - شريط أحمد : سيميائية الشخصية الروائية، ملتقى السيميائية والنص الأدبي، جامعة عنابة، ماي1995، ص220.

## 1.4.1. الحب و المحبة :

يدفع الحب باعتباره عاطفة إنسانية وشعورا عميقا، إلى القيام بمختلف الأعمال في سبيله، يجمع بين طرفين يتولد عن هذا الاجتماع شعور بالانجذاب والإعجاب نحو شخص ما أو شيء ما، وهو يعطي نوعا من الراحة والفرح والسكينة والهدوء، تجسدت هذه الصفة في العلاقات بين بعض الشخصيات ونقصد هنا العلاقة بين الجنسين (الرجل والمرأة)، وفي ذلك يقول ابن حزم الأندلسي: " وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع، لا على ما حكاه محمد بن داود -رحمه الله- عن بعض أهل الفلسفة : الأرواح أكرّ مقسومة، لكن على سبيل مناسبة قواها في مقرّ عالمها العلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها. وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال والشكل دأباً يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد، والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا..."<sup>1</sup> ، ولا يمكن لأي كان أن يفيدك بتعريف جامع للحب فهذا رأي صاحب كتاب الزهرة : " إذا رُمّت إخفائه وُجد، وإن حاولت إظهاره فُقد، هو شيء يمنعني عن وصف جنسه، اشتغالي به في نفسه، وتقطعني مسامرتة عن المسامرة به، و يعوقني التفرد بمعاناته عن التعرض لصفاته...."<sup>2</sup> فالحب يزود الفرد بطاقة عالية في وجوده المستقل، ويربطه بتيار من العلاقات الانفعالية مع

<sup>1</sup> - علي ابن حزم الأندلسي : طوق الجمامة في الألفة والألاف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2014م. ص 13.

<sup>2</sup> - محمد بن داود الأصبهاني : الزهرة، تحقيق : ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط 2، 1985 م، ج 1، ص 38.

شخص آخر، ويحقق صيغة من الوجود يريدها، أو قد يرغب في الاحتفاظ بها"<sup>1</sup> فالحب عملية حميمية تحصل داخل النفس تسير بها نحو كيان الغير باستمرار. والحب ظاهره يوحى بالسعادة والأمان، ولكن باطنه من قبلة العذاب ولوعة الفراق فالعاشق المتيم يهيم بمعشوقه، والزاهد في محرابه يناجي خالقه، والعابد في صومعته يسبح بحمد ربه، والصوفي يرتقي في أحواله طلباً للحب المطلق نحو معبوده، "فكما أن المتصوف يسعى إلى الذوبان في الله كذلك يرمي العاشق إلى الفناء في المعشوق. ولا يبقى له حينئذ إلا التأوه"<sup>2</sup> إنها أحوال التائهين والمجلهين الذين استبد بهم الحب.

تجلى ذلك في رواية (بحر نون) بعد رحلة طويلة برية ثم بحرية وبعد انفصال البطل عن موضوعة الحب هاهو في آخر المطاف يظفر بما كان يمني به النفس ويجتمع مع الملكة نونة في أرض الحب: "كانت نيتي سليمة، وكنت أعلل نفسي المريضة أن ما جمعتي بنونة أكثر مما يفرقني، فقد التقمنا الحوت معاً وحضننا نفس البطن وربينا باليقطين واجتمعنا في جبل عرفة، وهذه أمور وقع فيها الاشتراك أوهمتني وكأني زوج نونة، بل كنت أمني النفس بفتح جديد لأرض النون"<sup>3</sup> ويحصل المراد وكان في نفس الملكة ما كان في نفس يونس ولم تكن لترضى بغيره زوجاً، وهذا ما توضحه في ردها على طلبه للزواج منها: "فقال نونة: لن أقبل سواك ملكاً في مملكة النون، يا عين العين، فأنت صاحب هذه الفتوح، ولتقرأ الكتاب-الفاحة، فأنا

<sup>1</sup>- فارس كمال نظمي : الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار تاراس للطباعة والنشر، كردستان العراق، ط 1، 2007 م، ص 15.

<sup>2</sup>- لوك فيري : الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ترجمة : محمد هشام، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 2002م، ص 126.

<sup>3</sup>- عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 202.

عين تلك الفاتحة<sup>1</sup> وركبا سفينة الحب الخالص واستعدا حياتهما وانتهت "رحلة البحث عن الجزيرة الأطلسية".

وفي (رواية الحواميم) نرى تجسّد حب ابن معن لعائلته من أجل ذلك ضحى بنفسه في سبيل سعادتهم فعمل على مغادرتهم أرض الخطر والعذاب إلى حيث الدعة والسلام، كما نجد الحب الذي ولد على ظهر سفينة بحرية، بعد غزوة جهادية قام بها المجاهدون السلاويون على السواحل الإسبانية، بين محمد معنينو حفيد ابن معن وحياة التي أنتزعت من بين أحضان والديها يقول السارد على لسانها "أنا لا أعرف أحداً سواك، وقد أنستُ إليك وإني أعرض نفسي عليك، ولو أن النساء لا تفعل"<sup>2</sup> لكن محمد لم يتسرع، وظنّ أن الأمر اضطرار وأنها مجبورة على ما تفوهت به، وأراد أن تأخذ فرصة وتقرر مصيرها دون ضغوط حال ما تعود إلى اليابسة وتستقر لكنها رفضت وأكدت على سلامة قرارها وأن القدر أعانها واختار لها حلماً من أعظم أحلامها تفاؤلاً، وسقطت الدموع من عينيها خشية فقدانه مثل ما فقدت والديها من قبل، فأجاب الرجل: "لا تحزني ولا تخافي، فقد كنت أريد فقط أن أتيقن من خلوص أحاسيسك تجاهي. وهذا من عزة النفس لدى الرجال أن يشعروا بأنهم معشوقون. اسمحي لي على هذه النزوة الذكورية"<sup>3</sup> واستدلت حياة على هذا الحب بوروده في كتاب الوجود، وأن هذا اللقاء في عرض البحر مقدّر. والعناية الربانية هي من جمع بينهما وغمرتها السعادة بعد أن عاشا طوال السنين الماضية في حزن وكآبة.

رواية (طوق سر المحبة) كان الحب أكثر وضوحاً فيها والعنوان دليل ذلك " سيرة العشق عند ابن حزم" ف علي ابن حزم عَشِقَ جاريتَه " نَعَم" منذ كان صبيّاً " شَبَّتْ نَعَم

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 203.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 156.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 156/157.

وَفَرِهَتْ فَسَلَبَتْ لبي بحسناها وبهائها وشقرة شعرها وزُرقة عينيها. كانت مقاييس الجمال عندي تنحصر في الشقراوات"<sup>1</sup>. وبما أنه ابن الوزير فلم يكن من مانع يمنعه من الدخول على النساء، فكان يراها كل ما أراد ذلك فتشتعل جذوة الحب في قلبه، وقد تجسد الحب في أقواله وأفعاله وقد رزقه الله حب هذه الصبية، التي حين تريد أن تُقسم تقسم بهذا الحب " أدركت نَعَم سِرِّ توَلُّهي بها فابتسمت لي وعانقتني ثم أمضت قبلة على خَدِّي. فخارت مقاومتي من حسنها"<sup>2</sup>. وكان ابن حزم في غاية السرور وانكب على العلم ينهل منه في المساجد، فاطلع على الفقه على المذاهب الأربعة كما اطلع على المذهب الظاهري الذي كان يناسب نفسيته، كل هذا والحب هو حافزه ومحركه للتحصيل والعبّ من علوم شتى كالمنطق والفلسفة والحكمة والطب وغيرها وكانت نَعَم وراءه تدفعه للمزيد، رغم ذلك كان يحدث بينهم ما يحدث بين العشاق من عتاب وتلاوم بسبب الغيرة أو الوشاة أو النسيان. وبعد خصام بينهما طال على غير العادة بسبب الغيرة قرّر أن يكتب عن موضوع الحب ومراتبه فكانت تحفته الخالدة " طوق الحمامة" والتي كانت نَعَم السبب الرئيس في تأليفها. فالنظر في تجربة الحب هو تأمل الإنسان في وجوده لأن الحب حالة قصوى من حالات الشرط البشري ولا يمكن الإحاطة به من جميع الجوانب. ويعتبر صاحب طوق الحمامة أن أجناس المحبة، كمحبة الحسن ومحبة قضاء الوطر، تنقضي بانقضاء علالها،"حاشا لمحبة العشق الصحيح المتمكّن من النفس، فهي لا فناء لها إلا بالموت"<sup>3</sup>.

وباعتبار الحب أصل العواطف وأسناها، والمحرك الأساس للفعل والباعث الأصيل في تحقيق مبدأ اللذة، وإستجلاب المصالح ودرء المفاسد إذ عبره نتجاوز فكرة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص51.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص83.

<sup>3</sup> - ابن حزم الأندلسي : طوق الحمامة، مرجع سابق، ص8/6.

الموت ونحقق التوازن في الحياة يلقي على القلب السكينة ويكسوها بلبوس السعادة فالجنيد لم يهدأ له بال حتى وصل إلى محبوبته بعد سنوات من البحث المضني وبعد أن اکتوى بنار الحب وكابد أشواقه يقول الجنيد: "كنت أحبها حبا كبيرا، وكانت تبادلني الحبّ نفسه، إن لم يكن حبُّها يزيد على حبِّي خلافاً لتحفُّظي. ولعل الحب أوفق لطبيعتها النساء منه لطباع الرجال"<sup>1</sup> ولما كانت محبة الله هي الأصل يعتقد الجنيد بأن محبته تعالى لأوليائه ظهرت آثارها في زمن الميثاق ، حيث أحب الأولياء ربهم، فكانوا أول مجيب لخطابه، فمحبة العبد لربه محصلة ونتيجة لمحبة الرب له. وفائدة سلوك الطريق الصوفي هي تيقن العبد من محبة الله تعالى ويعرف الجنيد المحبة فيقول : " المحبة ميل القلوب"<sup>2</sup> معناه أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلف ويقول أيضا : " كل محبة كانت لغرض، إذا زال الغرض زالت تلك المحبة"<sup>3</sup>. ولما كان جمال المرأة من أنفس ألوان الجمال وأغلاها وأشدها تأثيرا على النفوس لدى الصوفية وغيرهم، ومن هنا هاموا بجمال الحسان واتخذوه وسيلة للوصول إلى معرفة الجمال المطلق وفي هذا الصدد يقول الجنيد : " كما أن النساء حبات الشيطان، فهن حبات العرفان إذ قد يتوصل العاقل عن طريق عشقهن إلى معرفة مبدعهن"<sup>4</sup> وقد أورد السارد حكاية "بدعة" الجارية التي فقدت عقلها ودخلت المارستان (مستشفى الأمراض العقلية) بسبب محبتها لله جل جلاله قائلاً : " فقلت : يا جارية، أراكِ تذكرين المحبّة، فلمن تُحِبِّين ؟ قالت : لمن تعرّف إلينا بآلائه، وتحبّب إلينا بنعمائه، وجاد علينا بجزييل عطائه، فهو قريب إلى

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 179.

<sup>2</sup> - محمد ابن إسحاق الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2013 م، ص 238.

<sup>3</sup> - عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية، تحقيق : معروف مصطفى، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م، ص 325

<sup>4</sup> - داود الأنطاكي : تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، عالم الكتب، القاهرة ، ج1، 1972م، ص 35.

القلوب مجيب، تَسَمَّى بأسمائه الحسنى، وأمنا أن ندعوها، فهو حكيم كريم، قريب مجيب. فقلت لها : فِيمَ حُبستِ ؟ فقالت : قومي عابوا علي ما سمعت منهم. فقلت لصاحب المارستان : أطلقها. ففعل<sup>1</sup> والحب الإلهي عند الجنيد وجماعته ليس ضرباً من الشطح أو لونا من ألوان الخيالات ، بقدر ما هو ثمرة حقيقية للإيمان القوي والتدين العميق، كما أن أثره ينعكس على الفرد تهذيباً وعلى حاجة المجتمع ارتقاءً وهذا ما تعرض له ابن عرفة أثناء سرده لحكاية الجنيد والششتري وابن عربي والشبلي والسري السقطي والحلاج و..... وغيرهم من أهل العرفان.

وقد تكونت علاقات من الحب والمحبة بين مختلف الشخصيات في المتون المدروسة وارتباط بين أبطال الروايات ومواطنهم الأصلية التي نشأوا بين أحضانها.

يونس ← الملكة نونة

معينو ← حياة

مصطفى ← حليلة

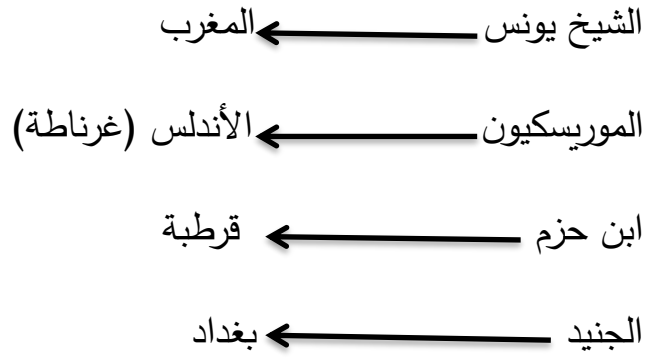
ابن حزم ← نَعْم

الششتري ← صُبْح

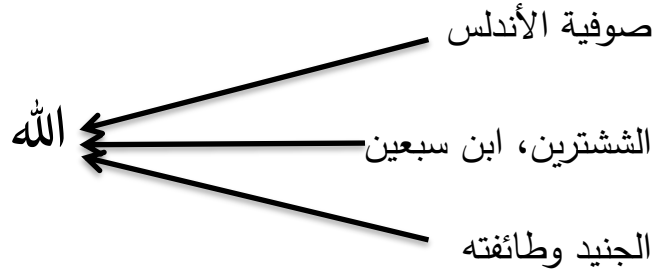
الجنيد ← فاطمة

شكل (6) علاقات الحب بين شخصيات الروايات.

<sup>1</sup> - سيد بن حسين العفاني : صلاح الأمة في علو الهمة، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 1997، 1، م، مج 7، ص



شكل ( 7 ) ارتباط الشخصيات بالأماكن.



شكل ( 8 ) المحبة.

والمحبة مقام بل غاية المقامات كما يصفها الغزالي: " المحبة هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات، فما بعد المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا. ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالسب والصدور والزهد".<sup>1</sup> وقد تجلت في كل المتون الروائية التي تعرضنا لها.

#### 2.4.1. الحقد والكراهية :

يشكل الحقد والكراهية، باعتبارهما عاطفة إنسانية نابغة من أعماق النفس البشرية، شخصية اعتبارية في النصوص الروائية العرفانية، نجده المحرك الأساس لسلوكيات الأفراد والجماعات "والكره يتصف على وجه العموم بأنه قوة تدمير وتفكك تمضي في

<sup>1</sup> - الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين، تحقيق : سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2004 م، ج 4، ص 286.

اتجاه الحرمان والموت"<sup>1</sup> وذلك بادٍ وظاهر من خلال تحكم الأهواء والانفعالات في مسيرة القشتاليين في رواية الحواميم، وكان الحقد والكره اللذين عمرا نفوس المسيحيين حائلين دون مواصلة المسلمين عمارتهم لأرض الأندلس كما فعل أسلافهم من قبل. فيزابيلا ومن والها من مسيحيين بدت البغضاء من أفواههم وتبدت في سلوكهم وأخذت طابعا دينيا (صليبيا) " يراد بها : الحرب التي لا هدف لها ولا مبرر، وعلى شكل من القسوة المبيدة والافناء الشامل، تخلو من أي مُثُل، ولا ترعى ذمة ولا تلتزم بعهد ولا تُبقي شيئا أو تترك أحداً، وتعمل ذلك ابتداءً، بل تقابل به وبشكل أعنف من سبقتها منه خير وفضل وإحسان في المعاملة"<sup>2</sup> "وعملت إيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة على نقل آلاف القشتاليين إلى الأحياء الأخرى في المدينة. ثم بدأ العد العكسي لطرده المسلمين فتكاثر التحرُّشات والمضايقات وتحولت إلى محاربة عاداتهم وإرغامهم على التنصير وقشتلتهم شيئا فشيئا"<sup>3</sup> والأكد أن من يكره أحدهم لا يستطيع أن يراه ماثلا بين عينيه صباح مساء، لذلك قرروا طرد كل المسلمين بل وكل من يخالفهم في العقيدة والتوجه من يهود وبروتستانتين، فقد كان الإكراه مشروعاً عند غير المسلمين و"كانت مأساة المسلمين هناك من أفظع مآسي التاريخ، حيث هاجر كثير من مسلمي الأندلس إلى الشمال الإفريقي بعد سقوط مملكتهم، فرارا بدينهم وحریتهم من اضطهاد النصارى الأسبان لهم، وعادت أسبانيا إلى دينها القديم، أما من بقي من المسلمين فقد أجبر على التنصر أو الرحيل، وأفضت هذه الروح النصرانية المتعصبة إلى مطاردة

<sup>1</sup> ميلاني كلين ، جون ريفير : الحب والكرهية، ترجمة : وجيه أسعد، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1993 م، ص 11.

<sup>2</sup> عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة 92-897 هـ (711-1492م)، دار القلم، دمشق/بيروت، ط 2، 1981م، ص 529.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 19.

وظلم وترويع المسلمين العزل.<sup>1</sup> وقد تجسدت هذه المشاعر البغيضة في محاكم التفتيش التي كانت تحرق الناس أحياء، وجعلت الكثير من المخالفين يدفعون ثمن ذنوب لم يقترفوها، وهذا الكره ناتج عن حقد دفين لقرون في اللاوعي الجمعي للمسيحيين انفجر مع وصول إيزابيلا وفرناندو إلى الحكم فقاموا بمجازر ضد الإنسانية لتصورهم أن المسلمين اغتصبوا أرضهم وفرضوا الإسلام عليهم عنوة، وبدأت نُذُر الشؤم تخيم على البلاد فحولوا المساجد إلى كنائس وتم تنصير الآلاف من المسلمين بعد أن استيقظت نوازع الشر والحقد في نفوس القوم " كان الحسد والأثرة يطبعان سلوك القشتاليين تجاه المسلمين. ثم تحوّل الحسد إلى النعمة عليهم"<sup>2</sup>، بلغ الحقد مداه بعد صدور المرسوم اللعين الذي أصدرته إيزابيلا سنة 1502 والذي تقول فيه : " إن من واجب أهل قشتالة طرد أعداء الدين المسيحي، من مملكتي قشتالة وليون، ويتحتم على جميع المسلمين في المملكتين ، ممن لم يتعمدوا بعد، الرحيل فلا يبقى ذكر فوق سن الرابعة عشرة ولا أنثى عمرها يزيد على الثانية عشرة في قشتالة وليون، بعد شهر نيسان من نفس العام إلا إذا تنصروا."<sup>3</sup> بل وصل الأمر إلى ضرب من الجنون حيث أجازت محاكم التفتيش "محاكمة الموتى والغائبين وتصدر الأحكام في حقهم، وتوع العقوبات عليهم كالأحياء، حيث تصدر أموالهم، وتعمل لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق، أو تنبش قبورهم ويستخرج رفاتهم لحرقه"<sup>4</sup> ولا أدل على الحقد والكره الذي يكنه هؤلاء للمسلمين ما وصى به الملك فرديناند أولاده قبيل هلاكه قائلاً : "عليكم أن تعملوا على

<sup>1</sup>- فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني : وسطية الإسلام في دوافع الجهاد، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، 1431 هـ (2010). د ط، ص 115.

<sup>2</sup>- عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص20.

<sup>3</sup>- William Thomas : Queen Isabella of Spain, Sheed & Ward, Landon, 1931. P.212.

<sup>4</sup>- محمد عبده حتاملة : الأندلس، التاريخ، الحضارة والمحنة دراسة شاملة، المكتبة الوطنية، عمان الأردن، 2000، د ط، ص1128.

على تحطيم أتباع الديانة المحمدية<sup>1</sup> ويكفي أن ننقل في هذا الموطن تلك العبارة الموجزة القوية، التي يجمل فيها الدكتور "لي" وهو من أحدث الباحثين في هذا الموضوع، مأساة العرب المنتصرين إذ يقول في مقدمة كتابه إن تاريخ امورييسكيين لا يتضمن فقط مأساة تثير أبلغ عطف ، ولكنه أيضاً خلاصة لجميع الأخطاء والأهواء التي انحدرت بإسبانيا في خلال قرن، من عظمتها أيام شارل الخامس إلى ذلتها في عصر كارلوس الثاني.<sup>2</sup> وهكذا تميزت الشخصيتان (الحقد والكراهية) بالاستدامة والاستمرارية تعتمل في النفوس حتى تتصير آخر موريسكي أو جلائه عن شبه الجزيرة الأيبيرية.

ولما ننتقل إلى (رواية طوق سر المحبة) نجد الحقد هو المحرك الأساس ونقطة تغير أحداث الرواية برمتها، فعائلة الوزير ابن حزم كانت تعيش في دعة وسلام وجاه حتى قدوم واضح الصقلي وهو واحد من القواد الصقالبة والذي كان يكره الوزير أحمد بن سعيد، وبمجرد أن انتقلت السلطة إلى يده وأضحى الحاكم في خلافة متضعضة انتقم شر انتقام من غريمه الوزير يقول ابن حزم الابن/السارد : " وكان والدي ممّن شملهم هذا الانتقام، ف جاء القائد واضح الصقليّ إلى بيتنا في بلاط مغيث مع جملة من رجاله، وكان يكره والدي لمنافسة سبقّت بينهما، فدخل دارنا وأمر رجاله أن ينهبوها، فلم يراعوا حرمة ولا ذمّة وأخفروا جنابنا.<sup>3</sup> وهكذا كان هذا العنصر (الحقد) هاما منذ ظهوره على السطح أدى إلى افتقار العائلة وسجن الوالد ومن بعد ذلك وفاته، ثم جلاءهم عن الزاهرة بعد النكبة الكبرى بوفاة "نعم" زوجة وحببية ابن حزم/ البطل ومنذ هذه اللحظة

<sup>1</sup> جمال يحيوي : سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1492-1610م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،

الجزائر، 2004 م، ص

<sup>2</sup> محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،

1966، ط 3، ص 5.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 213.

توالت النكبات على بطلنا بسبب الحقد الذي ظهر بأشكال مختلفة وخاصة من العلماء والفقهاء الذين كان يخالفهم ابن حزم في المذهب أو في فهم بعض المسائل الفقهية والتي كانوا يتربحون من ورائها.

### 3.4.1. التسامح :

يتسم بهذه الصفة أصحاب النفوس الزكية والهيم العالية، ويتحلى جلّ المسلمين بهذا الخلق النبيل. ورغم رحابة اللغة العربية وسعتها إلا أنها لم تهتدي لتعريف واضح المعالم لمفهوم التسامح، ويركز جميل صليبا في معجمه الفلسفي على معنى التسامح في اللغة العربية، الذي يشير إلى التساهل، ويستدل على ذلك بتعريف الجرجاني للمسامحة التي تعني "ترك ما يجب تنزُّها"<sup>1</sup>. ويعرّفه آخرون بأنه ما يتصف به الإنسان من الصفات التي تمكنه من معاينة الناس، رغم اختلاف وجهات نظرهم أو آرائهم. وللتسامح كما جاء في المعجم السابق ذكره معان متعددة فمعناه الأول يشير إلى فكرة التحمل أو الاحتمال، أي احتمال بلا اعتراض، كل اعتداء على حقوقه بالرغم من قدرته على صدها أو دفعها. ويذهب المعنى الثاني إلى منح الآخر حرية التعبير. والمعنى الثالث احترام آراء الغير<sup>2</sup>. والتسامح كسلوك فهو معنى "أن يعامل الإنسان أخاه الإنسان بوصفه إنسان في فضاء يسمح للأخر بفعل ما يمكن أن نسمح لأنفسنا بفعله"<sup>3</sup> والكاتب في (رواية الحواميم) يُورد على لسان ابن معن التالي : " لا بد أن نبذلّ المالَ والأنفسَ في سبيل هذه البلاد التي استطعنا أن نلقن العالم من خلالها درساً في التسامح والمدنية والإنسانية، كنا نعيش جميعاً مع بعض، يهوداً ومسيحيين

<sup>1</sup> - الجرجاني : كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000 م، ص 210.

<sup>2</sup> - جميل صليبا : المعجم الفرنسي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982 م، ج 1، ص 271.

<sup>3</sup> - تركي الدخيل : التسامح زينة الدنيا والدين، دار مدارك للنشر، المملكة العربية السعودية، 2019 م، ص 100.

ومسلمين"<sup>1</sup>. فالحضارة الإسلامية تميّزت بهذا الرقيّ في التعاملات الذي أساسه التسامح وقبول الآخر أياً كان توجهه الديني أو السياسي أو عرقه ولونه، فلا اعتبار للأمور الشخصية. كان ذلك جلياً في محاورة معينو للفتاة التي أسروها في عرض البحر تلك الصبية المسلمة التي انتزعت من أهلها من قبل محاكم التفتيش وتربت في بيت مسيحي الظاهر أنهم أحسنوا إليها فاعترضت على الشاب حين قال أنه سينتقم من كل المسيحين فأجابته قائلة: "اسمح لي أن أخالفك بعض الشيء. أنا لا أقرُّ بالانتقام، وإنما أسعى لإحقاق الحق والعدل. والأسرة القشتالية التي تربيت فيها كانت تحسنُ إليّ كثيراً ولم تُقصر أبداً في تربيتي وتعليمي ومنحي كلّ أسباب الترفّ والعلم والحياة. فالمسألة ليست بيننا وبين القشتاليين ، بل بين نوازع الخير والشر في الإنسان."<sup>2</sup> وهذا ما يدعو إليه الغرب تحت عدّة مسميات "حوار الحضارات" مرة وحوار "الأديان أخرى" وثالثة "التعايش السلمي" مستندين إلى دراسات اجتماعية ونفسية. لكن المسلمين في تصورهم استندوا على الكتاب والسنة مُبرزين سماحة الإسلام وتسامحه، ذلك أنه يكرم الإنسان ويقر الاختلاف، ويبيح حرية اختيار الدين وينهى عن محاربة غير المسلمين ويدعو إلى تبادل المنافع والمصالح، ويبرز تسامحه في معاملته لأهل الكتاب. وحضارة الأندلس وثقافته العقلية والنقلية والفعلية خير شاهد على ذلك. وهكذا تتحول الشخصيات المجازية إلى عنصر دافع للصراع بين الشخصيات البشرية ومحدد لمصائرهما.

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص28.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص 153-154.

## 4.4.1 الألم

عبّرت الرواية العرفانية عن الألم، وأصبحت هي أيضاً ديوان العرب، المعبر عن الآلام والآمال، فأرخت للحياة في الأندلس إبان السقوط بأشكالها كافة، ودوّنت ما كان يعتصر القلب من آلام جسدية ونفسية ووجودية واستطاعت أن تكون الناطق باسم المجتمع بأطيافه كافة. والألم بمعنى الوجد ويُعرّف بأنه: "خبرة انفعالية، وحسية غير سارة مرتبطة بوجود تضرر حقيقي أو كامن في النسيج الحي أو يمكن وصفه من خلال مفاهيم مثل هذا التضرر"<sup>1</sup>، فهو ظاهرة فسيولوجية عصبية تتميز بإدراك احساسات مزعجة وغير مريحة تؤثر على الحالة النفسية والجسمية للفرد ولا تكاد تخلو رواية منه في رواية (الحواميم) الرواية الألم إن جاز التعبير تحكي الرواية قصة ألم أمة كاملة فُهرت وعُدّبت وقُتلت وهُجرت فألم أكبر من هذا وأي معاناة أشد من أن يُجتث المرء من أرضه ويُبعد عن وطنه ومثال ذلك ما جاء على لسان السارد: "لقد أصبحوا يعاملون المسلمين الموريسكيين كالعبيد بل وأفطع من ذلك. لقد اختلط الحقد والأرة مع الوحشية فسالت أودية بدماء الأبرياء. واعتدي على النساء والفتيات، ونكّل بالشيوخ والعجزة، انتقاماً من الشباب المقاوم" ولكم تصور الألم الناتج عن مثل هذه الممارسات. والألم الذي نتج مفارقة حياة الطفلة الصغيرة لوالديها وألم مفارقة مصطفى لعينيه وفقدته النور الذي كان يهتدي به وألم فقد ابن معن لعائلته واحداً تلو الآخر واستشعرنا الألم مع ابن حزم عندما انقلبت به الدنيا وفقد والديه ثم أخوه الوحيد وبعد حب حياته نعم، ألم إكتوى بناره ليل نهار، وهذا ما حدث للششتري فبعد كان أميراً ابن أمير خلع الملابس الملكية ولبس الخرقة، والأطفال يصيحون عليه في الأسواق مجنون.. مجنون.. وفي رواية الجنيد قاسى ألم الحب سنوات قبل أن يعثر على محبته

<sup>1</sup> - أحمد حسانين أحمد : سيكولوجية الألم، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 1، 2011 م

ويتزوجها، ثم عانى ويلات السجن مع طائفته بعد تليفق التهم لهم بالزندقة، وقد وظّف الكاتب الألم لنسج الحكمة في رواياته وإضفاء الجانب العاطفي النفسي على مجريات الأحداث .

#### 5.4.1. الحرف :

الحروف هي أساس اللغة وبتكبيها تتكون المعاني، فلا معنى لوجودها منعزلة، لأنها غير مستقلة المعنى بمفردها، إلا في كتاب الله عز وجل فإنها تخرج عن المؤلف لذلك جعل ابن عرفة من الحرف شخصية مستقلة بذاتها وأفرد له مساحات كبيرة من البيانات (كما سنعرض) التي كان يصدر بها رواياته منها : "فهل أنت مستعدّ أيها القارئ لتكتشف أصول نورانيتك، وتكتشف المعنى فيك؟ فأنت حرف جاء لمعنى. فقف على الحرف فيك تجد المعنى منك فيك"<sup>1</sup> وفق هذه العبارة التي جاءت في تصدير رواية الحواميم يضع ابن عرفة الحرف في مكانة مركزية في المشروع السردى العرفاني، فمصدريته القرآن الكريم وأساسه الفواتح النورانية كما يوضح ابن عرفة في كتابه جمالية السرد في الرواية العرفانية : "تعتبر الفاتحة النورانية في هذه الأعمال هي الشخصية الرئيسية التي تتحجب لفائدة البطل التاريخي المنوه به في العمل. فهذه الفاتحة النورانية هي الشخصية التي تتلون كل مرة بلون معين حتى تخفى على القارئ، فيتوهم أنّ البطل هو الشخصية الفلانية بينما الجنس الأعلى للشخصية هو الحرف أو الفاتحة النورانية"<sup>2</sup> وبهذا المعنى يكون للحرف معانٍ متجلية في الفكرة التي وضعت لها ومن أجلها. فالحرف هو الحد للحقائق والموجودات، وعند الصوفية حجاب مغايرة يجب على الصوفي تخطيّه وقد ألهمتهم بتفسيرات مجازية مدهشة، كانت المادة الأولية للغة

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 11.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة وآخرون : جمالية السرد العرفاني، مصدر سابق، ص 17.

صوفية سرّية ستروا بها أفكارهم على العامة بغية تحقيق فهم أعمق لمعاني القرآن. كما التفت الصوفيون بآياتهم العرفانية إلى الأحرف المقطعة في القرآن الكريم، وحاولوا أن يقدموا إجابات عن دلالتها الخفية التي لم يظفر بها أهل المذاهب الأخرى، فجعلوا لهذه الحروف دلالات غامضة ملتبسة لا يُفهم إلا في ضوء المجاهدة الصوفية، ونظرتها إلى اللغة وطريقتها في اشتقاق أساليب جديدة تتناسب مع كشوفاتهم ورؤاهم إن الصوفية يدركون أن الحرف الذي يتوسلونه حرف بمعنى حافة وحد، والحرف بمعنى العدول والتقدير والانحراف وأن الحرف مقام ، حجاب، ولذلك أسقطوا عن اللغة وظيفتها التعبيرية النقلية، وأشعلوها بطاقة كشفية رائية، ولقحوها..... ورموز وتلوينات....<sup>1</sup>

وفي هذا يقول ابن عربي: "وعالم الحروف أفصح العالم لسانا وأوضحه بيانا، وهم على أقسام، كأقسام العالم المعروف في الحرف فمنهم : عالم الجبروت....ومنهم العالم الأعلى ... ومنهم العالم الوسط، ....ومنهم العالم الأسفل وهو عالم الملك والشهادة.... ولكل عالم رسول من جنسهم، ولهم شريعة تعبدوا لها ... وفيهم عامة وخاصة وخاصة الخاصة، وصفا خلاصة خاصة الخاصة."<sup>2</sup>

وقد تنبه الحلاج إلى هذا المبحث فألف كتابه "الطواسين" كلمة مؤلفة من حرفي(ط) و(س) ليؤكد على أهمية الحروف قائلاً: " القرآن لسان كل علم، ولسان القرآن الأحرف المؤلفة، وهي مأخوذة من خط الاستواء أصله ثابت وفرعه في السماء، وهو ما دار عليه التوحيد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - طاهر رياض : حرف الحرف، الدار الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1998 م.

<sup>2</sup> - ابن عربي : فتوحات مكية مرجع سابق، ج 1، ص 58.

<sup>3</sup> - قاسم محمد عباس : الحلاج، الأعمال الكاملة، رياض الريس للكتب، بيروت لبنان، ط 1، 2002 م، ص192.

وكانت سلسلة روايات العرفان كلها على هذه الشاكلة فالرواية الأولى كانت "جبل قاف" والرواية الثانية "بحر نون" وقد شكّل حرف نون مركزية هذه الرواية ولكل حرف دلالاته. وحرف النون في دلالاته الرمزية يشير في المنقول الإسلامي خاصة إلى الحوت، إذ يقابل المعنى الأصلي لكلمة "نون" التي تشير إلى الحوت. بهذا المعنى دُعِيَ سيدنا يونس (النبي يونان) "ذا النون" وعنوان الرواية مرتبط بمضمونها فكل مقومات الرواية مرتبطة بحرف "نون" فالبطل اسمه يونس والبطلة "نونة" والشارد "يوح" والاسم منحوت من اسمي نوح ويونس وحرف النون مُنحجب في اسم "يوح" لكنه أول ما يلفت الانتباه، كما أن اسم نوح يجذب فكرة السفينة والطوفان كما يستدعي اسم يونس البحر والنون الحوت الكبير الذي التقمه، والأهرامات والفراعنة وارتباطهم بالغرق في قصة بني إسرائيل، ونون مرتبط بالقلم وبسيدنا إدريس الذي تكرر اسمه ونون النفس الكلية عرفانياً. ونجد ذلك في تقديم ابن عرفة لروايته (بحر نون) بعد أن نظّم قصيدة من 25 بيتاً حول فاتحة الكتاب أو نونة كما سماها حيث يقول: "والمفتاح الأعظم للرواية، في سورة الفاتحة التي تضم عشر نونات. أما سورة ن وآياتها 53 (وهو عدد: أحمد، باعتبار ن آية مستقلة كما في العديد من المصاحف) فهي تحتوي على 132 نون، (وهو عدد: محمد) فالمقصود من النون في النهاية هو الإنسان الكامل الجامع للحقيقة الأحمدية الإجمالية، والحقيقة المحمدية التفصيلية. وقد ظهرت الحقيقتان في النونات العشر لفاتحة الكتاب، خمس لهذه، وخمس لتلك.<sup>1</sup> والملاحظ تعويل الكاتب على الحروف وربطها بحساب الجمل في علم الحروف.

رواية "بلاد صاد" مركبة من كلمتين الثانية كما هو واضح حرف "الصاد" وهي نهاية المشروع في سلسلته الأولى كما أشار الكاتب في تقديمه لهذه الرواية قائلاً: " لقد

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص11.

اكتمل المشروع الآن في إحدى صورته، وهي هذه الثلاثية : جبل قاف، بحر نون، بلاد صاد. ولعل ما قاله الشيخ ابن ناصر الدّرعي في رجزه الشهير :

واجعل بصادٍ وبقافٍ وبنونُ  
ألف حجاب من بعدها يكون

ما يجعل القاريء يقتنع بأن هناك نظاماً معيناً لمثل هذه الكتابة.... وعليه فقد كانت البداية منه، ثم عرّجنا على نون الإجمال وهو مقابل للتفصيل في قاف وأنهينا المشروع بصاد وهو الجمعية في الإنسان الكامل لحقيقتي التفصيل والإجمال<sup>1</sup> ، ويضيف الباحث محمد غازي عرابي : "الصاد هو صمود علم العارف في وجه التقلبات"<sup>2</sup>.

وفي الرواية التالية "الحواميم" ارتبطت الفاتحة "حم" بسبع سور في القرآن الكريم كما كانت المهيمنة في الرواية فأغلب أسماء الشخصيات بالحاء والميم (حليمة/مصطفى، حياة/معينون) أو ثنائيات ضدية (حياة/موت، حاضر/ماضي) وهذا ما بنيت عليه الرواية التي تكونت من سبعة ألوية كل منها يبدأ ب"حم" وينتهي بالآية الأخيرة للسورة الموافقة، "فالحاء حرف الحضور، والنور يقتضي الحضور والميم حرف المعنى والنور يقتضي المعنى وهذا الأدب هو أدب الحضور وأدب المعنى"<sup>3</sup>. كانت هذه الفاتحة النورانية الثنائية.

أما الفاتحة النورانية الثلاثية والتي تتألف من ثلاثة حروف تمثلت في رواية "طوق سر المحبة" وأفتتحت الشعراء والقصص بهذه الحروف الثلاث (ط س م). وقد خصصها الكاتب لسيرة ابن حزم الأندلسي، الذي اعتبر قامة فكرية في تاريخ البشرية.

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 9-10.

<sup>2</sup> محمد غازي عرابي : النصوص مصطلحات التصوف، دار قتيبة، دمشق، دط، 1985 م، ص 95.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 10.

وقد اهتم السارد بصديقه ابن شهيد صاحب كتاب "الزوابع والتوابع" والذي يحكي فيه قصة لقائه بالشعراء جاهليين وإسلاميين وفي هذا رمزية لسورة الشعراء، وقصصهم، والقصص التي رواها ابن حزم والتي حدثت معه وله وهو إمام الظاهر بلا منازع من أجل ذلك اختاره ابن عرفة كبطل لروايته رغم انه دأب على اختيار قامات عرفانية كشخصيات ظاهرية وابن حزم خاض معارك فكرية شرسة وكان ذا لسان صارم حتى قيل فيه (سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان)، رغم ذلك بنى منهجه على الحب وذلك واضح في "طوق الحمامة".

وفي رواية (الجنيد ألم المعرفة) لا تتفصل الكلمة عن دلالة حروفها، بل يمكن القول إن دلالة ليست سوى محصلة لمجموع دلالة حروفها الظاهرة والباطنة على السواء. وحاول الصوفية تقديم إجابات عن الدلالة الخفية لهذه الحروف لم يظفر بها أهل المذاهب الأخرى، " ووضح الزملكاني ما أجمله الباقلاني فنكر أن الألف واللام والميم يكثران في الفواتح مالم يكثر غيرها من الحروف، لكثرتها في الكلام، ولأن الهمزة من الرئة فهي من أعرق الحروف، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم، فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم، والميم مطبقة لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقتا"<sup>1</sup> ومن هذا الوصف يتضح أن الروائي استعمل هذه الفاتحة ذات المخارج الهوائية والتي تخرج مع الألف وبالألف فدللت في معتقده على الألف. ربط الصوفية بين عالم الحروف ومراتب الوجودن فالدلالة اللغوية التي منها تصنع أنسجة النص القرآني، تفكيكا يردّ كل دال منها إلى محيطه الرمزي فيصير كلّ حرف، مختزنا مرتبة وجودية وإشارة قلبية تفيض على جوازات العقل وتتعدى إلزامات المنطق<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - حسين نصار : فواتح السور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2002 م، ص 25-26.

<sup>2</sup> - نصر حامد أبو زيد : هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 2002 م، ص 223-224.

وقد ناسب مفتتح سورة البقرة بقصة آدم وخلقه من تراب، دون أب ولا أم وذكر في سورة آل عمران نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى عليه السلام وفي هذا إشارة للبداية، وفي الرواية إشارة لبداية أمر التصوف مع الجنيد وطائفته ، وبداية مسلك آخر مع الحلاج وأتباعه، وهناك خلاف كبير بين المتصوفة حول منازل الحروف ودلالاتها العرفانية وهذا الخلاف لا يقف عند حد معلوم.

### 1. الشخصيات الإشارية (الواصلة) :

نجد في الأعمال الأدبية نوعا ثانيا من الشخصيات، تختلف عن سابقتها بعدم انبائها على إطار مرجعي خارجي، بل هي علامة على حضور المؤلف والقارئ أو من ينوب عنهما في النص: شخصيات ناطقة باسمه، جوقة التراجيديا القديمة رواة، ساردون... فنانون الخ ويكون من الصعب أحيانا الإمساك بهذه الشخصيات بسبب تدخل عناصر أخرى تشوش عملية التواصل<sup>1</sup>، وتتحدد قيمتها بالعودة إلى الفضاء الزماني والمكاني والسياق الذي ترد فيه، ولأن كل نص يخلق المفاتيح والإشارات الخاصة به سنحاول في هذا المقام الكشف عن هذه الإشارات التي تمثل حضور قطبي العلاقة المؤلف والقارئ في المتن. ويعتبر السارد وسيطا بين المؤلف والقصة يقوم بنقل عالم المؤلف بأمانة، ينوب عنهم مكلف بالظهور مباشرة (بضمير المتكلم أنا) أو بطريقة غير مباشرة (ضمير الغائب) في العالم الروائي، وحيث إنه كذلك فالروائي يُسندُ له بعض العلامات والإشارات التي تُثبتُ حضوره الفعلي في النص وتؤكد إمكانية تواجده في المتون الروائية ويتمثل ذلك في :

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد : سيميولوجية الشخصيات السردية، مرجع سابق ، ص 36.

## 1.2. تعقيبات/تعليقات السارد :

من المعلوم أن السارد شخصية متخيلة كالشخصيات الأخرى، لكنها شخصية خاصة فهي تتوب عن المؤلف وتتوسط بينه وبين مؤلفه، لذلك فهو يؤدي وظيفة السرد بشكل موضوعي وكيفما يميلها عليه خالقه (المؤلف) الذي تنطبق عليه مقولة : " المبدع خالق يطل من عل على عالمه الروائي، ولكن لا يتدخل في خلق"<sup>1</sup>. وعليه ستؤخذ التعليقات هذه التي ينطق بها السارد ويوضح فيها ويعلق على الأقوال والأحداث الشخصية و/أو أفعالها كإشارات وتلميحات على إقحام المؤلف نفسه في البناء النصي<sup>2</sup>. وهذه التعقيبات والتعليقات عرفت صورة واحدة تكررت بصياغات مختلفة كشف عن وجهة المؤلف وموقفه الحقيقي، وتظهر تدخلاته المضمنة في خطاب السارد أو الشخصية، هيمنته المباشرة والكلية على العالم الروائي وعلمه بظواهر الأمور وبواطنها فنجد :

تولّى الراوي السرد نيابة عن الكاتب في الصفحات الأولى فقط، ليترك المهمة بعد ذلك للساردين (أبطال الروايات )، فالبيّن في الملفوظات السردية في فاتحة (رواية الحواميم) والتي تشير إلى أحداث تاريخية حقيقية وقعت في السنة المذكورة : "بعد سقوط مملكة غرناطة سنة 1492، هاجر كثير من وجهائها وعلمائها إلى الضفة الجنوبية باتجاه المغرب وبقي آخرون في دورهم وأراضيهم يعيشون حياتهم كما كانوا من قبل، بحسب المعاهدة المبرمة بين آخر ملوك غرناطة أبي عبد الله وملوك إسبانيا الكاثوليك"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - سمر روجي الفيصل : الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003 م، ص16.

<sup>2</sup> - سمر مرزوقي، جميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، د.ت. ص108/109.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص19.

وفعل ذلك في (رواية بلاد صاد) و(رواية الجنيد ألم المعرفة) حيث استعرض الحالة العامة للبلاد أثناء ولادة على الششتري وكانت الأندلس في مرحلة الانهيار يقول الراوي: "في هذه الأجواء الحزينة ولد علي الششتري في ششتر، إحدى قرى وادي آش سنة 610 هـ<sup>1</sup> وفي الرواية الأخرى بدأ الكاتب بسرد قصة بغداد وعظمتها والظروف المحيطة والبيئة التي خرج منها الجنيد " ألم تسمع عن سرّ بغداد أيها صاحب الأسرار والأنوار ؟ فتعالَ معي أحكي لك حكاية أبي القاسم الجنيد وطائفة أهل الاستبصار في مدينة السلام."<sup>2</sup>

وكذلك فعله في رواية "طوق سر المحبة" حيث تحدث الكاتب على لسان السارد مدرجا تاريخ ميلاد ابن حزم ووصفا قرطبة قبيل انتهاء رمضان: "طَسَمَ شهر رمضان فهلّ الطفل صارحًا قبل طلوع الشمس يوم الأربعاء مُتِمَّ الثلاثين عام 384هـ. كانت قرطبة كالطفلة اللعوب تستعدُّ للعيد في هذا اليوم المشمش. الناس في حركة دائبة، والأسواق مكتظة لشراء لوازم العيد. ازدادت الجلبة والزحام عند عصر هذا اليوم."<sup>3</sup>

أما في الرواية الموسومة بـ "بحر نون" فقد أورد الكاتب تعقيبه على تساؤل السارد حين رأى بقع المداد على كساء شيخيتعثر في مشيته، ممسكا بعصا تضبط توازنه وهو في العقد التاسع، استغرب السارد اشتغال الشيخ بالكتابة دون أن يتخذ ناسخا : "كنت أخاطب نفسي، لماذا لم يتخذ هذا الشيخ ناسخاً يملي عليه ما اتسع له حلمه وصدرة من المعارف والتجارب ؟ لا شك أن قِصَرَ يده منعه من ذلك."<sup>4</sup> فهذا التعليق من الكاتب على حالة الشيخ لوصف حالته المادية بصفته الوحيد العالم بها

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 32.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 11.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 15.

<sup>4</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 15.

وفي موقف آخر يبين السارد عن توجه الكاتب ناطقا باسمه موضحا رأيه في موضوع قديم جديد، فجاء في الحوار الذي دار بين الشيخ والكتبي الذي كان يبيع الكتب القديمة حول قيمة الكتاب ورأى صاحب المكتبة أن غالبية الزبائن تهتم بالغلاف الخارجي للكتاب وهذا الرأي موجود في المجتمع وبكثرة في الحاضر كما في السابق، وجاء رد الشيخ والذي يمثل رأي الكاتب بوصفه رجل علم ومعرفة ولنستمع : "ولكن أغلب زبائني لا يهتمون إلا بالقشر الخارجي للكتاب ولا يهتمهم كثيراً ما احتوى عليه، إلا من شذّ منهم. فقال الشيخ : تلك علامة الجهالة وآية النذالة. فما الكتاب إلا بما فيه، لا بما عليه، وبما احتوى عليه، لا بما احتوى به. فقال الكتبي : وما هو موضوع الكتاب ؟" <sup>1</sup>

وفي "رواية طوق سر المحبة" نجد موقفاً آخر حيث تتحد شخصية السارد والتي كان البطل مضطعاً بها، مع رؤية الكاتب فيعبر البطل "ابن حزم" عمّا يدور في عقل الكاتب قائلاً : "كنت رغم صغري أمتاز بحدّة الذهن وصفائه وأستعمل لغة أنيقة، وأؤمنُ أنبناء الفكر الصحيح يحتاجُ إلى لغة رفيعة سليمة" <sup>2</sup> وهذه النظرة لطالما كانت شعار الكاتب عبد الإله ابن عرفة والتي كانت مبنوثة في البيانات التي كانت تنصدر الروايات العرفانية في محلها حتى إنه كان يصرح بذلك سواء في الملتقيات الأدبية أو اللقاءات الصحفية، وفي هذه الرواية تحديداً يسمي البيان الأدبي والذي أدرجه في نهاية الرواية عكس ما دأب عليه من وضع هذه البيانات في البدايات، وعنونه بـ "بيان أدبي حول القداسة في اللغة" وهو يقصد اللغة العربية والتي اقتبست نور القداسة من القران الكريم يقول ابن عرفة في البيان السابق الذكر: "إنّ قداسة اللغة العربية التي ندافع عنها هي دفاع عن بذرة الروح المتبقية في الإنسان، التي تملأ الكون محبة ومعرفة ورحمة، وهي تسمح لنا بالانفتاح والإبداع ، ولا تعني أبداً الجمود والانغلاق في

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص17.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص39.

نصوص أو عصور بعينها وأفهام بذاتها، بل إننا نفتحها على المغامرة الإبداعية بكل معرفة وحرية<sup>1</sup>. حتى إنه أقام هذا الصرح العرفاني على دعامة اللغة فهي عنده تحتل المرتبة الأولى، ويظهر ذلك جليا أثناء حديثه عن تأسيس مشروعه السردي العرفاني الذي بناه على ثلاث دعامات :

" **الدعامة الأولى** تقوم على أساسين اثنين : أولهما اللغة الرفيعة من جهة البعيدة عن الإسفاف والتلهيج"<sup>2</sup> وقد أشرنا إلى ذلك في المدخل عند الحديث عن مقومات السرد العرفاني. وفي رواية "الحواميم" يؤكد الكاتب ابن عرفة على المعاني ذاتها على لسان إحدى الشخصيات المشاركة في أحداث الرواية وهو إمام الموريسكيين الذين تخلفوا عن الذهاب إلى المغرب أو لم يستطيعوا المغادرة ، فكانوا يلتقون كل جمعة ويقومون صلاة الجمعة محافظة عليها وعلى أركان الإسلام لئلا تتدثر من بلاد الأندلس، ولما صعد الإمام المنبر نكّر الحاضرين بقصص المبطلين من قبلهم ونصح وأوصى بالمحافظة على عرى الإسلام في هذه البلاد التي كثرّت لهم عن أنيابها وأرادت بهم ولهم شرا، ومما قال الإمام في كلمته منسجما ومتسقا مع أفكار ابن عرفة مبدع هذا العالم الروائي وشخصه متوافقا وذاته وأفكاره التي عبر عنها في مناسبات عدّة حول قداسة اللغة العربية ومكانتها يقول السارد : " إنّ القشتاليين قد فهموا أن العربية هي حصننا المنيع، والطريق الأول والأخير إلى مصادر ديننا وهويتنا، ولهذا منعونا من الحديث بها ليسهل عليهم استمالة من شَطَّ به المزار فلم يتكلم لغة الجنة ولغة القران ولغة نبينا عليه الصلاة والسلام. اعلموا إخوة الإيمان أن مجرد الحديث بالعربية عبادة مأجورة. وهذا من فضل الله علينا ودليل ساطع على عظمة هذا اللسان

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 344.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص6.

العربي المبين"<sup>1</sup>. نستبين من هذا الطرح على تمسك الكاتب بطرحه وفكره فيما يخص اللغة العربية. رغم تعدد الشخصيات وتعدد السياقات واختلاف الروايات في مواضيعها فإن الثبات كان السمة البارزة للكاتب.

وفي رأي آخر يظهر صوت الكاتب على لسان السارد في معرض تعليقه واستنكاره لما فعله ويفعله الكاهن المسيحي "خيمينس" لاسيما حرقه للكتب والمخطوطات الأندلسية : "لم يكن أمام الكاهن إلا هذه المناورة الأخيرة، بل الجريمة العظمى في تاريخ الإنسانية. ولعل من يأتي من الأجيال القادمة أن ينبش عن هذا التاريخ الدموي والإجرامي الكبير."<sup>2</sup> فالكاتب يحمل المسؤولية للأجيال المستقبلية بالنسبة لأحداث الرواية أي أنه يتحملها وجيله، وكل المعاصرين له وهذا رأيه الذي عبّر عنه بكل قناعة، ويتضح موقف مماثل للكاتب على لسان ابن معن الشيخ الشخصية المحورية في القسم الأول من رواية "الحواميم" حيث يقول: "كنا نعيش جميعا مع بعض، يهوداً ومسيحيين ومسلمين .... إن البشرية وُلدت هنا على أرضنا، البشرية التي تفسح المجال أمام كلّ أحد. لم نُقم حدوداً وهمية بين بني الإنسان."<sup>3</sup> وهذه المبادئ هي التي يتبناها ابن عرفة وقد طرحها للنقاش في مناسبات عدة أثناء تناوله لموضوعة حوار الحضارات أو الأديان، وفيها أبان عن سماحة الإسلام وتخلق أهله بالحلم والأناة وهذا ديدنهم في كل وقت وحين. ونسمع صوت المؤلف واضحاً بلسان السارد الشيخ يونس أثناء زيارته شيخه عبد اللطيف فيقول: "فلزيارة آداب ..... والأدب مع عباد الله عموماً، ومع أهل الله خصوصاً، هو من أعظم النوافل وأسنى القربات، وبه

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 44.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 30.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 28.

ينتفع الإنسان عاجلاً وأجلاً<sup>1</sup> وهذه من القيم والأخلاق التي تخص الروائي عبد الإله بن عرفة الذي يقدر الشيوخ ويجلهم

## 2.2. السارد المرجعي :

وظّف الساردُ المرجعَ في النصوص الروائية العرفانية توظيفاً متنوعاً، تراوح بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر والأسطورة والأدب والفلسفة والفكر بوجه عام، فالكاتب يُكَلِّف السارد بمهمة السرد، لكن لا يتركه حراً طليقاً بل يملّي عليه ما يجب أن يقول وما لا يجب، ويعينه بالعدّة اللازمة لأداء فعل القول. وتعد هذه المرجعيات التي ظهر بها السارد في النص إشارات على تواجد الكاتب في العالم السردّي الذي هو صانعه. كما تدل على العلم والثقافة الواسعة التي يتمتع بها، ونهله المستمر من المصادر العرفانية والمعرفية لإيمانه العميق باحتواء هذه الأخيرة على خلاصة تجارب الإنسان ووعيه ورؤاه للواقع والحياة والموت وقضايا كبرى وكثيرة، وقد ظهر السارد (بعد دراسة الروايات العرفانية النماذج وغيرها) على صورتين : الأولى السارد أكبر من الشخصية، والثانية السارد مساو للشخصية والنوع الثاني هذا يتضح من خلال الضمير النحوي "أنا" وهو الذي أطلق عليه "جيرار جينيت" اسم Narrateur Auto diégétique سارد ذاتي الحكّي فالسارد لا يقول إلا ما تقول إحدى الشخصيات<sup>2</sup> وهو متواجد في جلّ الروايات العرفانية، أما النوع الأول فالسارد عالم وعارف بكل ما يحدث في الرواية NarrateurOmniscient/omniprésent سارد موسوعي Archi-Narrateur، يدرك المشاعر والأحاسيس والأفكار، يتحرك في كل الأمكنة وفي كل الأزمنة، والملاحظ أنه يعرف في أحيان كثيرة تمازجا كبيرا مع الشخصية الرئيسية

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص47.

<sup>2</sup> - جيرار جينيت : خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة : محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر الحلي، المجلس الأعلى للثقافة، المغرب، ط 1997، 2، ص 201.

فيصنفها بشكل ملفت يوحى بالمطابقة بينهما واعتبارهما شخصية واحدة، فيصير السارد ساردا وبطلا ومؤلّفا في ذات الوقت، فكأنه كما تقول سيزا قاسم: "ينتقل في الزمان والمكان دون معاناة، ويرفع أسقف المنازل فيرى ما بداخلها وما في خارجها، ويشقُّ لوب الشخصيات، ويغوص فيها، ويتعرّف على أخفى الدوافع وأعمق الخلجات، وتستوفي ذلك عنده جميع الشخصيات فكأنها كلها منأكبرها شأنًا كتابٌ منشور أمامه يقرأ فيه كل ما يدور في نفوسها"<sup>1</sup> ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في رواية طوق سر المحبة والتي تتمثل سيرة ابن حزم الظاهري والعنوان الفرعي للرواية يدل على ذلك.

وفي كل الروايات يظهر اعتماد السارد المرجع في مواضيع وسياقات مختلفة من أجل توصيل المعاني وتبليغها ومن ثمّ تثبيتها في ذهن القارئ والذي يقوم من جهته بعقد مقارنات وعلاقات وترابطات للوصول إلى المعنى الذي يصبو إليه المؤلف فمثلا : ﴿وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (20). [سورة المزمّل] وردت هذه الآية الكريمة في رواية (بحر نون) وآيات أخرى كثيرة مبثوثة بين ثنايا الرواية، والآيتان الكريمتان: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] وكذلك نجد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59] وغيرها من الآيات البينات من كتاب الله شواهد لتأكيد حضور المؤلف في نصوصه، وتوظيفه الجيد للمرجع المتمثل في هذه الشواهد القرآنية، وكلها أتت في سياقها المناسب. وقد نهل أيضا من السنة النبوية فالسارد في رواية الحواميم حين ترقيه المنبر يوم الجمعة بصفته إماما ذكر أحاديث للرسول عليه الصلاة والسلام

<sup>1</sup> - سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ت، 1984، ص132.

: " وسرد رواية الإمام مالك من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت) ثم أتى بحديث ثان (ومن لغا فلا جمعة له). ثم ختم بقوله أنصتوا رحمكم الله. أنصتوا يغفر الله لي ولكم<sup>1</sup>. والروايات تحتوي على أحاديث نبوية شريفة لكننا اخترنا هذا المثال لتوضيح المراد فقط.

هذا وقد فرض المؤلف نفسه في نصوصه العرفانية عبر عدّة مرجعيات، ذكرنا منها المرجعية الدينية (قرآن وسنة). وفي هذه الملفوظات يتبين لنا المرجع المعتمد على الأسطورة من ذلك: " فأفلاطون يحكي أن جزيرة الملوك الأطلسيين نشأت من زواج الكائن البحري بُورِيُون (أبو زيد نون)، والجميلة كليتو التي كانت تسكن التلة الرائعة<sup>2</sup>، و"كما حَمَل من قبل الماكر سيزيف في أساطير الإغريق صخرة هذا العالم يرجو أن يصل بها إلى قمة الجبل، لكنه ظل يكرر هذا الأمر إلى الأبد... وأرجو أن لا ألقى نفس مصير سيزيف في عذابه الأبدي"<sup>3</sup> فالسارد الذي تماهى مع الشخصية الرئيسية في الرواية والمتمثلة في "ابن حزم" لجأ إلى الأسطورة كمرجع وظّفه لبلوغ غايته وتبليغها للقارئ. وبالنسبة للعرفان والصوفية فإنه أكثر من أن يحصى فالمرجعية العرفانية سمت بها نوعية الرواية التي نحن بصدد دراستها، ففي رواية بحر نون يورد المؤلف على لسان السارد/البطل: "إِذَا هَاجَمْتِي الشُّوون بسطوتها ساكنتها في أوان وفارقتها في زمان، وعاشرتها في كون وقَلِيْتُها في آخر. فالعالم عوالم وهي ممكنات بالأصالة، واجبة بالصورة والنيابة، فما كان حقا في ممكن كان باطلا في آخر، والعكس صحيح.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص38.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 97.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص224.

لقد صار قلبي قابلا لكل صورة بل صار هيولى كل معنى وسورة.<sup>1</sup>  
 وفي هذا البيت يقتبس السارد من شعر الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ويعتقد اعتقاده الذي تبناه الكثيرون من أشهرهم ابن الفارض وجمال الدين الرومي، كما استعان المؤلف بالشعر الموثق في عدد كبير من صفحات الروايات النماذج لاسيما الشعر الصوفي كما أشرنا آنفا والذي ابتدأت به أغلب الروايات فقد أورد المؤلف أشعار الشيخ ابن عربي الحاتمي التي تتوافق مع تيمة الرواية. وفي (رواية بحر نون) نجد على سبيل التمثيل التالي: "ثم كنت أنشد مع القائل :

ألفٌ قبل لامين وهاء قرّة العين

ألف أول الاسم

ولامان بلا جسم

وهاء آية الرسم

. تهجّي سرّ حرفين تجد اسما بلا أين.<sup>2</sup>  
 وهذا من قبيل الشعر الصوفي الذي أتى به الكاتب على لسان الشيخ يونس البطل/السارد وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع بالإضافة للشعر الشعبي الذي أورده الكاتب على لسان واحد من مريدي الشيخ الذي حل عليه البطل ضيفا: "قام أحد الأدباء واستأذن من الشيخ في إلقاء قصيدة عن الشاي أو الأتاي كما يسمى هنا، فأذن له، فأنشد : واصل شراب خليفة الأمجاد واترك مقال أخي هوى وعناد."<sup>3</sup> إلى نهاية القصيدة التي تعرضت لفوائد الشاي والذي يظهر أن المؤلف يهيم به لدرجة مدحه بهذه

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 40.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 56.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 53.

القصيدة والتي احتوت على عشرة أبيات وبهذا يتحول المرجع كيفما كان نوعه إلى مصباح ينير درب القارئ ويوضح له السبل ويوجهه ليدرك المعاني المختلفة التي سعى الكاتب إلى توضيحها وترسيخها. ونجد الكثير من الأشعار والأزجال التي طعم بها الكاتب (رواية بلاد صاد)، فالششتري شاعر موهوب معروف وله ديوان متداول بين الناس ضمنه شعر بلغة عربية فصيحة، وزجل بلغة عامية أندلسية ومغربية ومن ذلك قوله<sup>1</sup> :

كنتُ على شاطئ وادي                      حتى سمعتُ المنادي  
أعطيتكم يا عبادي                      من قبل أن تسألوني

ومن الزجل بلغة عامية ما كان يتغنّى به في الأسواق قائلاً : " دخلت الأسواق  
وغنّيت وتبعني المئات مُعرِّفاً بطريق الآخرة معرضاً عن حبال الشيطان، وأنشدت :

شويخ من أرض مكناس                      وسط الأسواق يغني  
آش عليّا من الناس                      واش على الناس منّي

وللجنيد السالك شعر جيد يتداوله مريدوه ومحبه من ذلك ما اله في علم التصوف :

علم التصوف علم ليس يعرفه                      إلا أخو فطنة بالحق معروف  
وليس يعرفه من لا يشهده                      وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص63.

### 3.2. اختيار الشخصيات/انتقاء الموضوعات والأساليب :

إن استخراج موقف الكاتب الإيديولوجي من النصوص الروائية يعني بلا مرية أنه حاضر فيها ومتدخل فيما يكتب، فهو مبدع العالم التخيلي و"لا يمكن استنباط الموقفاالإيديولوجي للمؤلف إلا بشكل غير مباشر، من طريقة اختيار العالم الروائي وانتقاء التيمات والأساليب وكذا من المواقف الإيديولوجية التي تمثلها المستويات الخيالية (أي السارد/المسرود له/الممثلون) التي يمكنها أن تتحدث بلسانه"<sup>1</sup> واختيار المؤلف لنوع محدد من الشخصيات والمواضيع والأساليب يعكس الموقف والفكرة التي يرغب في نقلها إلى القارئ وتثبيتها في عقله. وبعد قراءة متأنية للروايات العرفانية (النماذج وحتى النصوص الأخرى) نجد ابن عرفة قد تعمد استخدام شخصية-نمط تكررت بأفكار وصفات متفاوتة ومتقاربة في الوقت نفسه، إنها شخصية العالم والعارف والتي أسند إليها مجموعة من الصفات: نكي، ملتزم، قارئ نهم، حب الاطلاع، حب المغامرة، عارف، متسامح، مريد... وقد كانت في رواية "بحر نون" ممثلة في الشيخ يونس والشاب يوح والملكة نونة وشيوخ الصوفية و..و.. وكانت كل هذه الشخصيات محبة للمعرفة تسعى إليها مهما كلفها من ثمن، وفي المقطع السردي التالي والذي يقول فيه الشيخ يونس: "يا من أجرى على لساني قديم كلماته، ولولاه لكنت على العي محسوبا من عجاواته. أنت القائل المتكلم، ألهمتني وأدنت لي فنطقت، وأيدتني فقطفت، ومن حدقي شربت ماء قدحي، ومن حان سكري حان شكري فلهجتُ بجمدك."<sup>2</sup> نجد هذه الشخصية التي تفيض بلاغة لا بد أن تتمتع بالصفات التي أشرنا إليها سابقا والتي زوّد بها الصانع مصنوعاته، وبالإضافة إلى الفصاحة فقد

<sup>1</sup> - جاب لنتقلت : مستويات النص السردي الأدبي، مجلة آفاق، ص80.

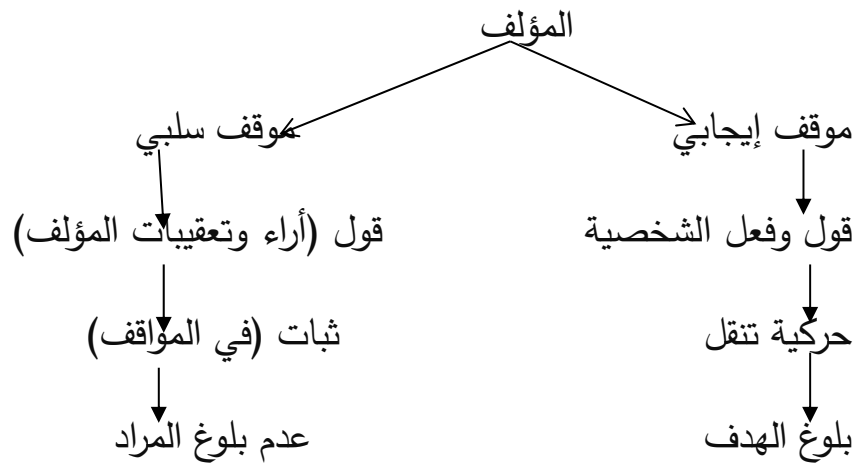
<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص39.

اغترفت الشخصية من المعين الصوفي ما شاءت وأبانت عن توجهها بل أظهره الكاتب من خلالها وعن طريق كلامها، والسارد بنفسه يعترف أنه لا يعرف هذا الذي قاله: "وأحسست أن عجمة لساني قد فُكَّت من قيودها بسرّ ذلك التتوير الذي أطلق لسان التعبير، فهجمت الأفكار أسرابا كأنها طيور تطير، وأنا بينها طائر أُغير، أفدُمها وأمسك ببعضها ثم أرسلها. ثم أراها قد اصطفت منتظمة في صدري تنتظر أمري لكي تبرز من مكن وجودها إلى واجبه، ومن قوة كمونها إلى فعل ظهورها، فقلت، وكان يمكن أن لا أقول"<sup>1</sup> والملاحظ في هذه الملفوظات موسوعية السارد حيث استعمل عبارات صوفية وألفاظا فلسفية واستعار كلمات من عند أصحاب الكلام، بيّنت طريقه وسلوكه وأنه من المناصرين لأهل التصوف، كما نلاحظ ذلك أيضًا في نهاية (رواية الحواميم) حينما كان بعض الرسامين من بينهم "فيلاسكيز" و"فرانيسكو هيريرا" يوثقون لحظة طرد المسلمين من إسبانيا عن طريق الريشة والرسم، ومحاولتهم تحرير الرسم الإسباني من التبعية للرسم الإيطالي على حسب رأي السارد، وربط ذلك بالتححرر من المسلمين، لكن المؤلف على لسان سارده الذي توسط لينقل للقارئ أفكاره، ويؤكد أن المقارنة في غير محلها، فالمسلمون أخرجوا إسبانيا وكل أوروبا من بحر الظلمات إلى نور الوجود: "تبدّلت إسبانيا ونسي ديبغو فيلا سكيكز أو لم يُلقن أن هؤلاء الذين يحاول توثيق طردهم هم أبناء قمم إنسانية شاهقة لا وجود بمثلها الزمان كابن العربي الحاتمي والششتري وابن رشد وابن الطفيل وابن حزم وابن الخطيب وأبو مدين وأبو العباس المرسي. هؤلاء نشأوا وعاشوا هنا قبل قرون، وحلّ محلهم قوم نكروا أسلافهم، فهل يُهَلِّكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص39.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص236.

فالكاتب وظّف الموضوعات التي خاض فيها وأراد أن يوصل للقارئ أفكاره عن طريق السارد، وهكذا سمحت لنا هذه المقاربة للشخصية الإشارية من تتبع مواطن تدخل الكاتب وحضوره في النص حضوراً مباشراً، سواء أكان ذلك من خلال آراء وأحكام أو تعقيبات/تعليقات السارد أو من خلال شخصيات أخرى أو مواضيع وأساليب متنوعة. كما نستطيع التمييز بين صوتين للمؤلف في هذه الروايات أولهما الصوت الواقعي المنطقي الذي اتخذ صورة الوصاية القائمة على أفعال النصح والأمر حسب مؤهلاته التي تمتع بها من علم بدقائق الأمور ووعي كبير وواقعية، وأما ثاني الأصوات فكان أقرب إلى المثالية، قامت بدوره بعض الشخصيات التي أثّرت الروايات النماذج وهو ناتج عن وعي بالواقع وإدراك للوضع لكن في المقابل إصرار على المقاومة والتصدي ومواصلته من أجل التغيير.



شكل (9) أصوات المؤلف.

في رواية (بحر نون) قامت الشخصية المحورية الشيخ يونس بناء على برنامجه السردية الانتقال من حالة اللاتوازن إلى حالة التوازن بعد ما تحركت وقامت برحلات برية وبحرية فأدت هذه الأقوال والأفعال إلى الحصول على الكتاب في نهاية الرحلة والزواج بالملكة. كذلك في (رواية بلاد صاد) تحول حالة الشخصية المحورية من

وضع إلى وضع فبعد أن كان أميراً ابن أمير سليل العائلة العريقة والثرية، أصبح لابسا للخرقة يتبعه الأطفال في الأسواق. أما في الحالة التالية فالانتقال كان من حالة التوازن إلى عكسها فالمسلمون كانوا في مأمن من نكبات الدهر وانتقلوا إلى حالة عدم الاستقرار (رواية الحواميم) لكنهم قاموا وتصدوا للحملات الصليبية ومن بعدها لمحاكم التفتيش لكن دون جدوى فقد ضاعت الأندلس وللأبد. وفي (رواية طوق سر المحبة) فابن حزم الظاهري كان يعيش حياة هادئة وادعة يحدها الحب من كل جهة الأهل والحببية والأصدقاء والرعية بحكم منصبه ومنصب والده من قبل لكن في لحظة يضيع كل شيء فلم تجد لا الأقوال ولا الأفعال رغم الثبات على ما كان يعتقد وتأسيسه لمذهب جديد لكن لم يكتب له الذكر إلا في كتب التاريخ.

### 1.3.2. الحوار :

إنّ تقنية الحوار عنصر تكويني في البناء السردى، وهي وسيلة بيد الروائي المقتدر، تُجسّد رؤيته للكون، وإحساسه بالحياة، ومهارته في رسم أبعاد شخصياته الروائية وإمكاناته الفكرية، وهي مهمة للقارئ الذي يعتمد إقباله على جاذبية الحوار وقدرته على الإقناع والإثارة، ومن تنوع الحوار السردى. فالحوار السردى الفعّال هو الذي يرفع الحجب عن عواطف الشخصية، وأحاسيسها المختلفة، وشعورها الداخلي تجاه الأحداث، والشخصيات، بطريقة تخلو من الافتعال. كما أشارت إليه "مريم فرنسيس" بأنه: "حديث معلن أو مضمّر بين طرفين أو أكثر يوحي ليعبر من خلاله عن شعوره الداخلي، أو لفكرته، ويحاكي واقعه، ويبين معاناته بطريقة فنية إبداعية مؤثرة"<sup>1</sup>. وعن طريقه يُمرّر المؤلف ما يريد تمريره من رؤى وأفكار، وفي نماذجنا

<sup>1</sup> - مريم فرنسيس : في بناء النص ودلالاته (نظم النص التخاطبي)، وزارة الثقافة، د ط، دمشق، سوريا، 2001م، ص95.

الروائية العرفانية احتل الحوار بشكليه الداخلي والخارجي حيزا كبيرا فيها ومن ذلك ما نجده في بداية رواية "بحر نون" حيث أوضح المؤلف عن رأيه في قيمة الكتاب والمتمثلة في محتواه لا في شكله، وذلك عن طريق الحوار الثلاثي الذي دار بين الشيخ يونس/البطل والشاب يوح/السارد وصاحب المكتبة . " ثم توجه إليّ بالسؤال قائلاً : ما اسمك يا ولدي ؟ فقلت له : اسمي يوح. فقال : جعلك الله شمس المعارف والعلوم، آمين. ثم أردف : إني أرى أن يوح يمكن أن يهتم بمثل ما جاء في هذا الكتاب. فقال الكتبي: صدقت ! ولكن أغلب زبائني لا يهتمون إلا بالقشر الخارجي للكتاب ولا يهمهم كثيراً ما احتوى عليه، إلا من شذّ منهم. فقال الشيخ: تلك علامة الجهالة وآية النذالة. فما الكتاب إلا بما فيه لا بما عليه، وبما احتوى عليه، لا بما احتوى به"<sup>1</sup>.

في رواية "بلاد صاد" يبدأ الحوار بين علي الششتري وشيخه أبو مروان، حيث مثل الحوار بيئة نفسية في باطن البطل مكنته من فهم ذاته وتحديد هدفه، فالحوار السردى الفعّال هو الذي يرفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة ، وشعورها الداخلي اتجاه الاحداث، والشخصيات بطريقة تخلو من الافتعال.

وفي رواية "الحواميم" نجد الشيخ ابن معن ينتفض ضد جلاديه مجادلا لهم حينما سأله قاضي تحقيق محكمة التفتيش عن ارتباطه بملة الإسلام : " لما انتهى النائب العام من قراءة المحضر، التفت إلى ابن معن سائلا : -هل تُقرُّ بهذه التهم الموجّهة إليك؟ - نعم، أُقرُّ بها . -هل تنوي أن تتوب عن ملة محمد ....وتدخل في الدين الصحيح ؟ -نعم أريد أن أتوب منكم، وأطلب من العلي القدير أن تتوب جميع كائنات الأرض من أفعالكم وظلمكم. أنا عربي، أنا مسلم. وسأظل عربيا مسلما.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص17.

سأدوي بها حتى تبقى تفرع آذانكم وتصك أصماخكم وتزلزل قلوبكم.<sup>1</sup> ويصرح الكاتب على لسان بطله بافتخاره بهذا الانتماء. والكثير من الحوارات التي دارت في ثنايا الرواية بين المسلمين وغيرهم "الغرض منها الوقوف بين ثقافة التصادم والصراع وثقافة التبعية والانهازم لإيجاد مساحات مشتركة من التلاقي والتداخل والتتاقف وتجاوز تضخم الصوت الواحد"<sup>2</sup> كالحوار الذي دار بين معينو وسرفانتس في حين يتبرأ اليوم الكثير من المسلمين من دينهم وأصولهم العربية بحجة نبذ العنف و التطرف الذي ألحقوا قبحة بالإسلام، والغرب من جهته يعادي ملة محمد بزعم الإرهاب، وهذا النمط من التعبير الفني والذي يكتسب أهمية قصوى "بفضل وظيفته الدرامية في السرد، وقدرته على تكسير رتابة الحكيم، بضمير الغائب الذي ظل يهيمن على أساليب الكتابة الروائية"<sup>3</sup> وهو ما يجعل الحوار قريبا من قلوب القراء وأسماعهم ويمكن الكاتب من الكشف عن الأحداث بسهولة .

وفي مقام يجاهر المؤلف برأيه على لسان حياة الأسيرة في محاورتها مع البطل/السارد، وذلك بنبذه للانتقام كمسلك يسلكه الإنسان في حياته، بل يستعيض عنه بالسماحة والمسامحة وهذا من شيم المسلم، وأن لادخل لدين المرء في اتخاذ موقف منه فالإسلام يقدر كل الأديان السماوية" - قصة حياتك محزنة أيضاً يا حياة. نحن ضحايا وحشية هذا الزمان القشتالي. وقد أقسمت أن أنتقم منهم. -اسمح لي أن أخالفك بعض

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص119.

<sup>2</sup> عبد الله التطاوي : الحوار الثقافي مشروع التواصل والإنماء، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط 1، 2006 م، ص 111.

<sup>3</sup> عبد الله رضوان : أدباء أردنيون دراسات في الأدب العربي الحديث، الينايبع للنشر والتوزيع، د.ط، عمان، الأردن، 1996 م، ص279.

الشيء. أنا لا أُقِرُّ بالانتقام، وإنما أسعى لإحقاق الحق والعدل .....- لعل حماسي في استعادة حقوقي أعمانى عن حقيقة مبادئ الأمة التي أنتمي إليها"<sup>1</sup>

والموقف نفسه نجده في (رواية طوق سر المحبة) مع والد ابن حزم الوزير أبي عمر والمنصور : "التفت المنصور إلى وزرائه وقواده وقال لهم : ما ترون أنني فاعل بهذه المدينة؟ فقالوا واحدًا تلو الآخر: لعلمكم يا مولاي تهدمونها حتى يبأس النصارى أن يعمرها هذه الأرض . فلما جاء دور أبي عمر ابن حزم قال : أرى يا سيدي أن لا تفعل إلا ما كان من أسوارها وحصونها"<sup>2</sup> وهكذا يدافع ابن حزم عن إبقاء الكنيسة قائمة وعدم التعرض لدور العبادة كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام. وقد عبّر ابن عرفة صراحة في البيان الأدبي الذي صدرَ به رواية (الحواميم) حيث قال: "إن إسبانيا التي قدمت للعالم أعظم صورة للتعايش وأبرز مثال للسماحة بين أتباع الديانات الثلاث هي نفسها إسبانيا التي قدمت أبشع صورة على إخفاق هذا التعايش والسماحة."<sup>3</sup> والمحاورات كثيرة ومثمرة في الروايات المدروسة، منها ما جاء بين ابن حزم والفقهاء الحاسدين له، وبين ابن حزم وأصدقائه الأدباء والشعراء، ومعينو في رواية (الحواميم) ومجادلاته مع سرفانتس والمساجين وسجانيهم، ومحاورات الشيخ يونس والملكة نونة وأحاديثه مع شيوخ التصوف، ولا يتسع المجال لذكرها كلها ونكتفي بالأمثلة التي أوردناها. وفي رواية "الجنيد ألم المعرفة" دارت حوارات عديدة بين قامات فكرية ودينية وصوفية وفلسفية تتم عن اقتدار الكاتب وتمكنه من توظيف الحوار، فبواسطته خلق فجوات مكانية داخل النص ملأها بجمل حوارية بين المأون ومستشاريه، بين معارضي ومؤيدي بدعة "خلق القرآن"، بين السري السقطي وأحمد ابن حنبل ، بين الجنيد

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص154.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 31.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص14.

والحارث المحاسبي، بين الجنيد وسمنون المحب.... ظهرت فيها معلومات غير مباشرة كشفت عن الملامح الفكرية للشخصيات الروائية وتوقف الزمن مفسحا المجال للشخصية لتقديم نفسها معبرة بصدق عن أفكارها ومشاعرها دون تدخل السارد ولنتأمل هذا الحوار الذي دار بين قطبين من أقطاب صوفية بغداد " وبعد ذلك فاتح السريّ بقوله : ما الذي أتى بك يا سريّ ؟ فقال السريّ : أحببتُ أن أتحدّثَ إليك رغم علمي بانشغالك. فقال ك ليس للعبد شغلٌ إلّا بخالقه، وليس له شغلٌ إلّا الوقوف على خدمته. فقال السريّ : وأين المحبة في ذلك؟ فقال المحاسبي : لا بد من الخدمة فنغن وفيت بها ظهرت عليك ثمار المحبة. فقال السريّ : وكيف تفهم المحبة ؟ فقال المحاسبي : المحبة ميلتك إلى المحبوب بكليتك. فقال السريّ أليس الميلث نقصا؟ فقال المحاسبي : من الميل ما يكون كاملاً ألا ترى مثلاً أنّ القاضي حين يحكم لأحد المتقاضين لا بدّ أن يميل بالحكم إلى أحدهما. أفانّ مالى إلى الحقّ، هل يكون ذلك الميل نقصاً أم كاملاً ؟ فقال السريّ : بل كاملاً.<sup>1</sup> من خلال هذا يتبين لنا أسبقية المحاسبي على السريّ السقطي وعلو كعبه عليه، بالإضافة لذلك أوضح لنا هذا الحوار إيديولوجية الكاتب ومعتقده فوظائف الحوار أكثر من أن تعدد.

ومن أنواع الحوار المناجاة وهي : " حديث النفس للنفس، واعتراف الذات للذات، لغة حميمة تندس ضمن اللغة العامة المشتركة بين السارد والشخصيات، وتمثل الحميمية والصدق والاعتراف والبوح.<sup>2</sup> وهذا النوع موجود بكثرة ، والصوفون أكثر ما يحدّثون أنفسهم، ويبوحون لذواتهم بما يدور في خلد كل منهميقول الجنيد في رواية (الجنيد ألم المعرفة) : "...إنّ ما نسجه عنكبوتٌ أوهامك خيوطٌ واهنة وآمالٌ سائمة ترعى في جبانة العدم وبحر النسيان. فلا تُلقِ بمراكب النجاة في بحر متلاطم الامواج

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة ، مصدر سابق، ص 48.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، مرجع سابق، ص182.

متاعظم الأرياح. فلعلّك إن فعلت هلكت. : كنتُ أخاطب نفسي من حديقة يأس أنسي، فركبني غمٌ عظيم.<sup>1</sup> وهنا تصريح واضح من السارد بأنه يُحدث نفسه كما نلاحظ في حديث النفس تنويع الضمير فتارة بضمير المخاطب (أنت) وأخرى بضمير المتكلم (أنا)، ويفترض السارد هنا وجود سامع مفترض، ويرد هذا النوع من الحوار الداخلي في غالبية الروايات حيث تقع بالأحداث إلى الأمام ونجد في معجم المصطلحات الأدبية: "طريقة للسرد يلتزمها بعض كتّاب الرواية في الكشف عمّا يدور في نفوس شخوصهم بعيداً عن تقديم الحدث أو الحوار الملفوظ ومن غير تقيّد بالترتيب النحوي أو المنطقي للكلام ويكون ذلك محاكاة لتطور الأفكار في الذهن الذي يشرد من موضوع إلى غيره دون قاعدة أو اتجاه معين"<sup>2</sup>، وقد زادت المناجاة في اللمتون جمالية خصّة، وأدت وظائف مختلفة على مستوى السرد الروائي، فأسهمت في بعث الحدث إلى الأمام، وأضأت جوانب مهمة كانت مبهمّة وغير واضحة.

إن تقنية الحوار عنصر تكويني في البناء السردّي يدعم السرد والوصف، وهو وسيلة بيد الروائي الماهر تجسده رؤيته للكون، وإحساسه بالحياة ومهارته في رسم أبعاد الشخصيات الروائية وإمكاناته الفكرية، وفي الروايات النماذج وجدنا أنّ الحوار كان مبنوياً في كافة فصول الروايات وأقسامها، ولم يقتصر دوره على إيقاف نمو السرد، بل كان له دور عميق في الكشف عن اللحظات المتأزّمة والمشحونة بالنقاشات، والتي من خلالها حاول كل طرف إثبات وجهة نظره.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 111-112.

<sup>2</sup> - مجدي وهبة- كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة، لبنان، ط 2، 1984 م، ص 389.

### 2.3.2. القارئ :

يذكر فيليب هامون (منطلقاً من اللسانيات) أن النصوص تحمل بين ثناياها علامات وإشارات تدل على حضور القارئ تقابل العلامات والإشارات الدالة على وجود المؤلف، يوجه له الخطاب الأدبي. وقد أتى بمفهومه هذا من الإشارات في اللسانيات التي تهتم بالمتلفظ والمتلفظ له (المستمع) في الوضعية التلفظية: " الذات المتلفظة المشار إليها بالضمير النحوي "أنا" JE، والمتلفظ له (المستمع) الذي يدل عليه الضمير النحوي (أنت)، وهو المخاطب والمعني بالخطاب فكل أنا هو أنت بامتياز، وكل أنت هو أنا بامتياز"<sup>1</sup> وقد وفرت لنا النصوص الروائية مجموعة من الإشارات والعلامات التي تفترض حضور القارئ في النصوص وتكشف عن إدماج الكاتب له في عالم الروائي، سواء في صورة مباشرة أو غير مباشرة.

### 3.3.2. الإشارات غير المباشرة :

يفترض المؤلف وهو يُنتج نصّه قارئاً معيناً وبالرجوع للسياقات المتنوعة، التي اعتمدت على سنن محددة (اللغة، الصفات، اختيار الأمكنة والأزمنة والشخصيات، الأساليب، المرجعية....)، وهو يؤسس لنوع خاص من الخطاب " يبني على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيًا، قاصداً إقناع الآخر بدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"<sup>2</sup> يتبين أن المؤلف قد سار وفق استراتيجية معينة، والاستراتيجية هي " المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن

<sup>1</sup> - MAINGUNEAU.D : Elements linguistiques pour le texte litteraire, ED : Durade, Paris, 1993. P.6.

<sup>2</sup> - محمد العبد : النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، العدد 60، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف وخريف 2002 م، ص 44.

مقاصده، والتي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه السياق -سياق التلفظ- بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل<sup>1</sup> متوقعا قارئاً محددا يتقبل النص ويفهمه " فلكي ينظم المؤلف استراتيجيته النصية عليه أن يرجع إلى سلسلة من القدرات، التي تعطي المضمون للعبارات التي استعملها، وعليه أن يتحمل أن مجموع القدرات التي يرجع إليها هي نفسها التي يرجع إليها قارئه. يتوقع قارئاً نموذجياً يستطيع أن يتعاون من أجل تحقيق النص بالطريقة التي يفكر فيها المؤلف، ويستطيع أن يتحرك تأويلياً كما تحرك المؤلف توليدياً"<sup>2</sup>.

فاللغة الموظفة في النصوص التي يُخاطب بها المؤلف قارئه، والسنن التي تحكمها كالتقديم والتأخير واختيار معجم خاص، التكرار، الاستعارات، الكنايات والمجازات وغيرها موجهة لقارئ متمكن قادر على إدراك معانيها وسبر أغوارها، قارئ ينتمي إلى النخبة ذي مستوى ثقافي ومعرفي محددين وتبين ذلك نسوق هذا المقطع السردي على لسان الشيخ يونس السارد/البطل: " فإن تَكَثَّرَتْ فَالْكَيْ تَدْرِكُ نَسْبِكَ الْكَثِيرَةَ، وَإِنْ أَنْتِ تَوَحَّدْتِ رَجَعْتَ إِلَى أَصْلِكَ الَّذِي بَدَرْتَ مِنْهُ، وَهَكَذَا تَتَلَطَّفُ بِلَطَائِفِكَ وَتَتَجَوَّهَرُ بِرُوحَانِيَّتِكَ فَتَرْجِعُ كَمَا كُنْتَ. فليس التكثر إلا مرحلة من مراحل إدراكك. فلا تقف عندها بل وحدِّ كثيرك وكثر واحدك، ثم أفنَّ عن الكل، وكن قابلاً لما يحل بك وينزل معك، ولا تقف مع شيء أبداً لأن مطلوبك وراء كل ذلك، ودونك مهالك وممالك."<sup>3</sup> فالملحوظ في عبارات هذا المقطع السردية أنها موجهة لقارئ خاص مزود بمعارف خاصة وليس أي قارئ كان يستطيع فهم ما هو مكتوب وبالتالي تفقد عملية التواصل جوهرها. ولو انتقلنا

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2004 م، ص 62.

2- أمبيرتو إيكو : القارئ النموذجي، ترجمة : أحمد بوحسن، مجلة آفاق، ص 142.

3- عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 38.

إلى مقاطع في الروايتين المتبقيتين ولناخذ رواية طوق سر المحبة والتي استعمل فيها المؤلف لغة خاصة ولنقرأ هذا المقطع: "ابتسمت قليلاً، ثم أنهيت حديثنا قائلاً: طريقي طريق طَسْمٍ وأسرار، وطريقك طريق طَمْسٍ وغربة ومحو. فإن كنت على مذهب عمر بن أبي ربيعة، فأنت على مذهب الحلاج لما يقول في ثلاثياته: سَكُوتٌ ثم صَمْتُ ثم خَرَسٌ وَعِلْمٌ ثم وَجْدٌ ثم رَمَسٌ .

إلى أن يقول :

وَقَبْضٌ ثم بَسْطٌ ثم مَحْوٌ وَفَرْقٌ ثم جَمْعٌ ثم طَمْسٌ<sup>1</sup>

فليس باستطاعة من لا يعرف معاني هذه الكلمات و ما ترمز إليه هذه الحروف المقطعة أن يصل إلى الدلائل العميقة التي يرمي إليها الكاتب، ولا بد من الاطلاع أيضا على مذهب كل من ابن أبي ربيعة والحلاج في المحبة (المسلك المادي والمسلك العرفاني)، أحدهما مرتبط بالطمس والآخر بالطمس في إحالة للفواتح النورانية في القرآن.

وفي (رواية الحواميم) نجد السارد يقول في إحدى المحاورات: " لقد حاول إيراسموس أن ينقذ إسبانيا من جنونها القاتل لما أصبح مستشارا لكارلوس الخامس وألّف من أجله كتابا أسماه إعداد الأمير المسيحي مخالفا بذلك التقليد الذي ساد في أوروبا بعد كتاب الأمير ميكيافيل<sup>2</sup> ونفترض هنا المعرفة المسبقة من لدن القارئ لما كتبه المؤلف من كلمات فلا بد للمتلقي من أن يتعرف على هاتين الشخصيتين أولا إيراسموس وميكيافيل وكتابيهما. والصراع الدائر آنذاك في أوروبا بين المذاهب المسيحية القديماء والمجددين الذين مثلهم مارتن لوثر المصلح الشهير الذي حارب الكنيسة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 176.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 146.

الكاثوليكية فكرياً وألغى صكوك الغفران. كما يمكن اعتبار القرائن المرجعية التي تحدثنا عنها سابقاً والتي استخدمها المؤلف بمثابة الدليل الواضح على نوعية القارئ الذي يريده أن يُقرئه ما ينتجه ويتتبع دلالاته. ووجود هذه المرجعيات المختلفة، يبدو كتقنية يختار وفقها المؤلف قارئه ليُدمجه في عالمه التخيلي فيتعاون معه على إنتاج الدلالات والمعاني فهذه عينات فقط ولم نُرد الاستفاضة في الموضوع لكثرة الشواهد وعدم القدرة على إيرادها كلها، والمقصود أن تكون الشفرة مشتركة بين الباحث والمتلقي حتى تستقبل الرسالة على أكمل وجه.

### 4.3.2. الإشارات المباشرة :

ويمكن عدّها ضمن الإشارات الشخصية وهي بشكل عام الإشارات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعدّدة عن شخص واحد وذاته المتلفظة تتغيّر بتغير السياق الذي تلفظ فيه. وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداولياً، لأنّ الأنا قد تحيل على المتلفظ الإنسان أو المعلم أو الأب وهكذا..<sup>1</sup> وقد ذكر ذلك السكاكي حين حديثه عن الضمير فحدد الضمير بأنه " عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو إلى المخاطب أو غيرهما بعد سابق ذكره"<sup>2</sup> يعد الضمير "أنت" علامة مباشرة وواضحة للمعنى بالخطاب، أو للموجه له، وسبق وأن ذكرنا أن كل "أنا هو أنت بامتياز وكل أنت هو أنا بامتياز." وقد استعمل المؤلف هذه التقنية، على لسان السارد أو الشخصية السارد أو الشخصية الرئيسية لمخاطبة قارئه مباشرة، وإدماجه في النص ومادام الضمير "أنا" يحيل على المتكلم (السارد)، فإنه يستلزم ذاتاً أخرى تستمع له وتقرأ حديثه: "أنا عليّ، ووالدي الوزير أبو عمر سعيد ابن حزم،

<sup>1</sup> عبد الهادي بن ظافر الشمري : استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، مرجع سابق، ص 82.

<sup>2</sup> السكاكي : مفتاح العلوم، طبط وتتحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 2، 1987 م،

وُلِدْتُ في قصرنا الملاصق لقصر المنصور بن أبي عامر في مدينة الزاهرة شرقي قرطبة. وتربيتُ في حُجور جاريات القصر يُعَلِّمَنِّي ما أحتاج إليه من قرآن وأدب ولغة وخط.<sup>1</sup> فابن حزم يعرف عن نفسه لشخص يستمع إليه افتراضاً بإشارة "الأنا" في هذا الاقتباس عنصر لغوي يحيل على اسم العلم عليّ حولت الأنا اللغة إلى خطاب تحادتي آني، وهذا علة تسميتها بضمائر الحضور أي وجود صاحبها وقت الكلام و"الحضور قد يكون حضور المتكلم كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها أو حضور إشارة كهذا وفروعها".<sup>2</sup> نعم، أنا أعترف لك بأننا إخوة في الإنسانية، بل إخوة في الإيمان. لا يجب أن نترك الناس تعتقد أن دين المسيح عليه السلام هو هذا الذي يمارسه هؤلاء الأشقياء. إنني أعتقد أنهم حرموا من الرحمة في حياتهم فاستيقظت فيهم نوازع الشر الكامنة في الإنسان<sup>3</sup>. وضمير المتكلم من أكثر الضمائر في كلِّ حالته إن تُلَفِّظ به أو كان داخل البنية العميقة للخطاب كونه يعود إلى منتج الخطاب ، ويدل على ذاتيته فهو مركز المقام الإشاري وقد كان الضمير نقطة ارتكازية لوضع ذاتية السارد وبهذا الضمير يدرك المتلقي سلطة المتكلم وتمكّنه، والأنا في هذا المقطع عنصر إشاري تحيل على المتلفظ ألا وهو الشيخ ابن معن وهو محور الخطاب من منظور تداولي ، جعله ذلك ينطلق من ذاته ليُعَيِّن نفسه على رأس العملية التواصلية، فأشار لنفسه من خلال (أنا، إنني) ليؤكد للمتلقين بأنه تعبير صادق عن ما يختلج في نفسه من أحاسيس وعواطف تشمل جميع العناصر المختلفة الأبعاد التي تُشكّل عالم الإنسان الاجتماعي والسياسين والثقافي. "وبينما أنا أرسم في ذهني شريط

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 38.

<sup>2</sup> تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1994 م، ص 108.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 85.

الأمس حتى لا يغيب إلى غير رجعة من ذهني، إذ دقَّ الباب طارقاً بالنهار طرقات خفيفة. قمت للتو وفتحت الباب وأنا أتوقع أن أرى صاحب الأمس، لكني رأيت رجلاً مختلفاً.<sup>1</sup>

وفي رواية (الجنيد ألم المعرفة) نجد هذا الحوار: "إني جمعتكم اليوم لأمر هام، فقد صانَعني امبراطور المسلمين بالهدايا والرسائل اللطيفة، ثم إنني حاولت أن أداريه لجهلي بمقصوده وفحوى طلباته، فلما ألحَّ عليّ مراراً، لم أجد بُدَّ من أن أكتب له كي يبعص لي سفارة تخبرني عن رغباته... وأنتم تعلمون رأيي في الكتب الإغريقية الوثنية."<sup>2</sup> ، وتشترك الإشارات في قضية واحدة وهي أن معناها لا يتحدد إلا عند الاستعمال، فلا نستطيع في هذا المقطع أن نعرف المتكلم الذي جمع قومه ولا نستطيع أن نعرف كذلك المخاطبين دون معرفة السياق والمكان والزمان، انطلاقاً من نقطة ارتكاز يجسدها إلقاء القول، لأنها حسب ميلنر تفتقر إلى الاستقلال الإحالي، كونها لا تستطيع بمفردها تعيين مرجعها<sup>3</sup>

كما نلاحظ في هذه الأمثلة المأخوذة من الروايات استخدام المؤلف للضمير "أنا" الذي يشكل مع الضمير "أنت" القارئ علاقة ذاتية، لأن المؤلف حينما يوظف الضمير "أنا" فإنه لا يلغي إطلاقاً "أنت" بل يدمجه في خطابه. والمرجع الوحيد للضمائر النحوية هو الخطاب إذ وحدها لا تحيل على أي شيء، غير أنها تقنية من تقنيات التخاطب "فأنت هو الشخص المخاطب في الإنية الخطابية المحينة والذي يحتوي على الإنية اللسانية أنت"<sup>4</sup>.

ومما لاحظناه أن المؤلف نوع الضمائر في الروايات النماذج عند مخاطبته للقارئ، مرة بالضمير أنت وأخرى بالضمير أنتم وثالثة بضمير نحن وهذا يدل على

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص43.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة ، مصدر سابق، ص 28.

<sup>3</sup> أن روبول- جاك موشر : القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين من جامعة تونس،

المركز الوطني للترجمة، تونس، ط 2، 2010 م، ص 110.

<sup>4</sup> E.BENVENISTE, Probleme de linguistique general, T1, Gallimard, Paris, 1976. P,32.

معان كثيرة. فالمؤلف لما يخاطب القارئ مرارا بالضمير أنتم، قد يعني ذلك جمعا للضمير أنت فيصبح الخطاب عندها موجها لعدد كبير من القراء يريد إشراكهم في بلوغ مقاصده وللايضاح نأخذ هذا المثال من (رواية بحر نون) : "أيها الأحباب، يا أمة الاصطفاء، أنتم بذرة العالم الطاهر، تبحرون على سفينة الحب الخالص مسافرين عبر جميع الحضرات حتى تصلوا إلى حضرة الذات"<sup>1</sup> والجلي هنا أن المؤلف في هذا الملفوظ يخاطب قراءه مباشرة، معتبرا إياهم طرفا مهما وعنصرا فعلا في إعادة إنتاج النص، تاركا لهم فرصة توقع دلالات أخرى بناء على مجموعة من المعطيات التي وفرها لهم على طول النص من شخصيات، مواضيع وأحداث وقضايا ومغامرات. أما فيما يخص الضمير الثالث والمتمثل في الضمير النحوي "نحن" والذي يظهر دائما في النصوص في صيغة الضمير المتصل "نا" فالمؤلف يقرب القارئ إليه أكثر فيندمجان ليصبحا شخصية واحدة تجمعهما الحالات والانفعالات والأفعال والأفكار نفسها حيث كان قبل هذا منفصلا عنه بعض الشيء : "تحمده سبحانه وتعالى ونشكره، وشكره ذخيرة لا تبديد وأمل لا يخيب، ونستغيث به في كل كرب ألم وكل خطب أهم. فمنه الإعانة وبه الاستغاثة، وإليه النشور."<sup>2</sup>، كذلك يقصد المؤلف من توظيفه لهذا الضمير " مسح النبرة الحادة التي يتركها الضمير أنا فتصبح العبارة بذلك عامة وأكثر شمولية."<sup>3</sup>، وزيادة على الضمائر النحوية والإشارات الدالة على حضور القارئ في النص، أسماء يصبغ بها المؤلف قارئه تكسبه رتبة اجتماعية أو أخلاقية نحو ما في هذا النموذج : " فقال لي : يا سيدي أحوال أهل الله لا يعلمها إلا الله."<sup>4</sup> ونكتفي بهذا المثال التوضيحي لفظة "سيدي" وغيرها من الألفاظ الموثقة في الروايات العرفانية

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص167.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق ، ص39.

<sup>3</sup> - Op.Cit.E.BENVENISTE, Probleme de linguistique general, P,235.

<sup>4</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص70.

بصفة عامة والنماذج المدروسة بصفة خاصة والتي يخاطب بها ابن عرفة قراءه تشير إلى المكانة التي يوليها لهم مما يدل على احترام المؤلف وتقديرهم لمتتبعي أعماله الأدبية والمنفعلين والمستجيبين والمتأثرين بها.

لقد رأينا من خلال الشواهد التي عرضناها طبيعة حضور القارئ في النصوص العرفانية، ومهما كانت صور هذا الحضور فقد أعطاها المؤلف وضعا خاصا مكنها من التحرك في النصوص بكل حرية كأى شخصية أخرى ، وذلك عن طريق إدماجه بصفة مباشرة أو غير مباشرة في العالم الروائي. فالقارئ هو القطب الثاني للعمل التخيلي وبدونه لن يكون للنص وجود حسب رأي مدرسة كونستانس الألمانية صاحبة نظرية التلقي، فالقارئ يفكك ويعيد تركيب النص بملء فراغاته وترميم ثقوبه بالمعاني التي تفرضها علاقة الدوال مع بعضها البعض ولا تتحقق هذه المعاني إلا مع نهاية النص والقراءة.

### 3. الشخصيات الاستذكارية ( العائدية ) :

يبني فيليب هامون مفهومه للشخصية الاستذكارية أو المتكررة على ضوء مفهوم "العوائد" "Anaphores" في اللسانيات، ويعرف دومنيك مانجنو العائد: "نعني بالظواهرالعوائد Phénomènes Anaphoriques علاقات تكرار عنصر بعنصر آخر داخل النسيج النصي"<sup>1</sup>.

يقدم فيليب هامون لتصنيفه هذه الفئة من الشخصيات بحديث موجز عن العائد كدليل لساني، تميزها خصائص وصفات تحدد وظيفتها في الوضعية التلفظية "إنها دلائل تحيل على دليل منفصل عن الملفوظ نفسه، قد تكون قريبة أو بعيدة عنه، او

<sup>1</sup>- Op.Cit.D.MAINGUENEAU, Elements linguistiques pour le texte littéraire, P.163.

سابقة في السلسلة الكلامية -أو الكتابية- أو لاحقة بها. أما وظيفتها فهي أساساً ربطية Cohésive، أبدالية Substitutive، واقتصادية Economique، إذ تنقص من حجم البلاغ وطوله، ويمكن تسميتها بصفة عامة استنكارية.<sup>1</sup>، ويقدم ف. هامون مجموعة من الصور التي تظهر عليها هذه الدلائل : كاسم العلم، أدوات التوكيد، الضمائر والبدائل المختلفة وقد ميز بين ثلاثة أقسام رئيسية هي :

1-العائد البسيط Anaphore simple : ونعني به إعادة العنصر بالشكل والمعنى نفسيهما نحو : ( سندرلا.....سندرلا.....).

2-العائد الوفي Anaphore Fidele : أي تكرار العنصر معتمدين في ذلك على تقنية : أداة التعريف و/أو الضمائر النحوية نحو : ( فتاة.....الفتاة.....هي.....).

3-العائد غير الوفي Anaphore Infidèle : حيث يطرأ على العنصر المكرر بعض التغيير المعتمد على البدائل المعجمية La substitution lexicale : نحو : (الفتاة...الشابة....الإنسانة المسكينة....)<sup>2</sup>

ويؤكد ف. هامون أن معنى هذه العوائد، عائم ومتغير ولا يتحدد إلا ضمن السياق الذي يحيل عليه. فالمرجعية اللسانية لهامون أتاحت له تحديد فئة من الشخصيات تتشارك مفاهيمها وتنطبق مميزاتها ومفهوم مميزات العائد اللساني، وهي الشخصية العائدية (الاستنكارية) التي لا يكتمل معناها هي الأخرى إلا ضمن سياق معين، وتبرز في حالات الاستنكار أو الاسترجاع التي تقوم بها شخصيات النص المختلفة، ووظيفتها الأساسية ربطية ونظمية، تشد ذاكرة القارئ. ويعد اللحم والذكرى، مقولات الأسلاف وغيرها -ممن يشير إليها هامون- أفضل الصور التي تظهر عليها

<sup>1</sup> - Op.Cit.Ph.Hamon, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, p 121.

<sup>2</sup> - Op.Cit.D.MAINGUENEAU, Elements linguistiques pour le texte littéraire, P.163.

هذه الشخصيات<sup>1</sup>. ويؤكد الباحث على أن هذا النوع من الشخصيات، هو الذي يهمله أكثر في دراسته ( وأن النظرية العامة للشخصية سوف تتبلور انطلاقاً من مقولات المعادلة Équivalence، الإبدال Substitution، والعائد Anaphore، فالملفوظ الأدبي يتميز باستقلاليته، وخلقه لسنن ونحو خاصين به، هذا النحو الذي يوظف الإسترجاعي أكثر من المرجعي والتقريري، وكل شخصيات الملفوظ حمل "الإسترجاعية" بشكل دائم وهي وظيفة اقتصادية، أبدالية، ربطية، وشاحذة لذاكرة القارئ<sup>2</sup>).

وبناء على هذا الطرح النظري، وبعد تتبع الشخصية الاستذكارية في المتون الروائية، وجدنا أنها وردت بصور مختلفة تباينت إلى قسمين الأول يقوم بتأويل الدلائل والقسم الثاني يمتلك قدرة كبيرة على التذكر والاسترجاع، تتدخل الأولى لشرح وضعية الشخصية الرئيسية و واقعها وتظهر لها حقيقته وتكشف لها عن خباياه والثانية والتي جسدتها الشخصيات الرئيسية اتخذت الحلم، حلم اليقظة، الغفوة، الذكرى، الفلاش باك كوسيلة للهروب من الواقع والانفصال عنه ولو لحين، ويكتسي هذا الهروب صبغتين أساسيتين: قد تستعيد الشخصية ماضيا يبعث على الاطمئنان والراحة والأمل تعكسه شخصيات الجد، المدينة الغريبة، الأعلام الأدبية، التاريخية، الأسطورية، الفكرية عامة التي تمت بصلة للعلم والثقافة والتجربة والحكمة. وقد تستحضر ماضيا يزيدا كآبة وضياعا ويظهر في الشخصيات : السلطات بكل أنواعها، المدن الضائعة والمحتملة، والفقراء...

وتعمل وظيفة استرجاع هذه الشخصيات وتكرار حضورها في ذهن الشخصية المحورية وذهن القارئ على شحذ ذاكرة هذه الأخير، فهناك شخصيات تحمل معنى معطى مسبقاً، محدد في التاريخ الثقافي والمعرفي، يكون من السهل على القارئ فكّ شفراتها وأبعادها، وشخصيات ذات معان مضبوطة في القواميس، لكن يقوم المؤلف

<sup>1</sup> - Op.Cit.Ph.Hamon, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit. P.123.

<sup>2</sup> -Ibid, P.124

بمليته تدريجياً وفي سياقات متنوعة، بمعان يختارها على حسب توجهه. كما تعمل على إيجاد نقاط مشتركة بين الشخصية المسترجعة وبين شخصيات الواقع، والربط بين وضعية هذه الأخيرة وبين الماضي والحاضر، لتأكيد امتداد الأول في الثاني، وإثبات أن ما تعرفه الشخصية الرئيسية من حالات في اللحظة الراهنة ما هو إلا نتيجة حتمية لما ذاقته وعرفته في ما مضى. وسندعم هذا التحليل بمجموعة من الشواهد لكل نوع من النوعين اللذين ذكرنا

### 1.3. شخصيات ذات قدرة على التذكر :

إن معظم الشخصيات الرئيسية في الأعمال الروائية تتذكر ماضيها وتسترجعه، وهذا الماضي كما أشرنا سابقاً تشغله فئتان متعارضتان من الشخصيات، كل منهما تمارس أثراً إيجابياً أو سلبياً على الشخصية. ونستطيع أن نميز في هذا الماضي: ماض قريب متصل بالشخصية، ومرتبطة بحياتها (طفولة، شباب) والأحداث والتجارب التي مرت بها، والآثار التي خلفتها فيها. وماض بعيد يتعلق بالبشرية جمعاء (ماض عام) وتحاول الشخصية الربط بين البعيد والقريب وتبين استمرارية الأول في الثاني وتواصلهما في الحاضر، وهذا من خلال استحضار مجموعة من الأعلام ذات الدلالات المثبتة على امتداد الزمن وربطها بالسياقات المتنوعة لخدمة أغراض معينة.

"تمايل الرجل قليلاً وفرح بمغادرة الكتبي، ثم جلس على دكة في الدكانة وأخذ نفساً عميقاً. وإذ بي أراه يغطس في بحر ذاكرته وكأنه لوح يقرأ فيه.... ولكنني كنت أعلم منه عنك الشيء الكثير وأنت شاب صادق صالح تذكرني بما كنت عليه... وإليك الحكاية حول هذا الكتاب. عندما استوى عودي ونيقت على الأربعين بقليل يممّت صوب المشرق أبغي حج بيت الله الحرام"<sup>1</sup>، تعود شخصية الشيخ يونس إلى اللحظة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 19/18.

التي كان فيها في عنفوان رجولته وقراره بالذهاب إلى الحج ثم يسترسل في الحكى على مدار الرواية حتى لحظة وصوله إلى الدكان ولقائه بالشاب يوح، فيتذكر أعدادا كبيرة من الشخصيات، فهذا ذو النون المصري ومحمد علي باشا وبونابرت وشامبليون، وقد عملت على شحذ ذاكرة، القارئ واكتفى الراوي بذكر الأسماء دون الإطناب في الحديث عنها، لأن معناها ممتلئ مسبقا، ومجرد ذكرها في الملفوظ يستحضر القارئ سماتها وميزاتها فالقارئ يدرك أن شخصية ذي النون المصري وقيل أنه كان يعرف اللغة الهيروغليفية مرتبطة بالعرفان، ومحمد علي مؤسس مصر الحديثة، ونابليون احتل مصر بزعم إدخال المدنية للعرب، وشامبليون من العلماء المرافقين لنابليون في هذه الرحلة الاستعمارية. والمشارك الجامع بين هذه الشخصيات وكيفية ربطهم من قبل الشخصية الرئيسية/السارد خلال مقطع سردي واحد أثناء رجوعه إلى الماضي، وذلك راجع لارتباطهم بالأهرامات المصرية التي احتوت فيما مضى على الكتاب المنشود. فذو النون معادلٌ ذكْرُهُ للجانب الروحي المعروف عنه وبه، ومحمد علي باشا إشارة للبناء والتخطيط، أما نابليون فيستدعي الحرب والخراب، فالكل يعرف قصة توجيه مدافعه للأزهر الشريف ومحاولة هدمه رغم ادعائه التحضر والتحرر، وبالنسبة لمرافقه شامبليون فشخصيته تستحضر الجانب العلمي الاستكشافي.

وهكذا كل شخصية تُستَحْضَرُ إلّا وتستدعي معها مجموعة من المفاهيم والمعاني التي عُرفَتْ عنها. فجيوش نابليون نهبت وسرقت ومن ضمن ما نهبت هذا الكتاب الذي سقط بين يدي أحد الضباط الذي لم يعرف قيمته، فقام ببيعه لأحد الكتبيين من المغرب، وعند هذا الحد ينتهي ذكر محمد علي وبونابرت وشامبليون.

وفي (رواية الحواميم) نجد هذه الملفوظات التي يرجع بواسطتها السارد إلى الوراء: "ومن بين العائلات الأندلسية التي بقي بعض أفرادها في غرناطة، بنو معن.

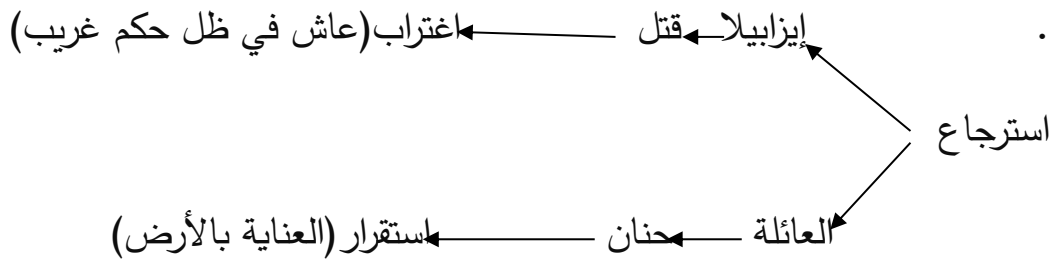
كان هؤلاء يعيشون من الزراعة والتجارة. كان كبير هذه العائلة شاباً في مقتبل العمر. لقد عاش قبل سقوط غرناطة طفولة وادعة ثرية. ثم دخلت إيزابيلا لم يتحمل والدها الصدمة فتوفي وتركه لم يطرَّ شاربه ولا بَقَل وجهه بعد. تزوج من عائلة موريسكية وعاش شبيبته في ظل حكم غريب<sup>1</sup> ولنقارنه بهذا المقطع على لسان السارد/البطل الشيخ ابن معن. "تذكّر غناء زوجته في تلك الربى أيام الصبى والغزل. ثم تذكر قبل ذلك تهليل أمه له وهو محموم جراء لفحة شمس تعرض لها، وتذكّر والده وهو يقربه العلم ويعلمه أصول التجارة والعناية بالأرض."<sup>2</sup> في المقطع الأول يرجع الراوي إلى مرحلة شباب ابن معن وتحمله المسؤولية بعد وفاة والده بسبب الملكة القشتالية إيزابيلا، والتي يستدعي ورودها حتماً مفاهيم من قبيل الحقد والظلم والعنصرية والقتل والتشريد، فقد عرفت عبر التاريخ بكرهها للمسلمين بصفتهم محتلين غزوا أرضهم وتملكوها، وكانوا سبباً في تناقص عدد رعايا الكنيسة جراء دخول الإسبانيين والبرتغاليين في دين الله أفواجا وتمسكهم بمعتقداتهم لقرون عديدة، واختلاط الدماء العربية بالدماء القشتالية، مما أزعج الرهبان والقساوسة حتى وانتهم الفرصة بقدم هذه الملكة الظالمة، فتحقق للكنيسة الكاثوليكية أكثر مما كانت تصبو إليه، كما ذكر الراوي عائلة بني معن وهي من العائلات العريقة في غرناطة لها تاريخ مجيد في العلم والثراء، ولها علاقات مع عائلات عربية وأخرى مسيحية ويهودية بحكم عيشهم في ظل الدولة الإسلامية التي لا تعرف هذا التفريق المقيت بين أبناء الوطن، فالكل له حرية الاعتقاد شرط احترام حريات الآخرين.

كل هذه التصورات استدعتها لفظة عائلة فاسترجع من خلالها السارد هذا التاريخ الحافل للعائلة دون أن يصرح بذلك كما استدعت كلمة إيزابيلا كل ما أوردناه

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص20/21.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص109.

بخصوصها، حتى لفظة الوالد التي من المفروض أن تَسْتَحْضِرَ ما هو إيجابي استدعت ذكريات أليمة لاقترانها بذكر إيزابيلا ملكة إسبانيا. وفي ملفوظات المقطع الثاني تسترجع الشخصية الرئيسية /السارد بنفسها ما مضى أيام صباه وقبلها تغزله بزوجته وصوت غنائها، وقبلهما سهر أمه لمداواته من حمى تعرض لها، وتعليم والده إياه التجارة والتكفل بالأرض وخدمتها. فهذه الملفوظات ( الزوجة، الأم، الوالد) تستحضر معاني الحب والحنان والرحمة والتربية الحسنة، المهام الطبيعية والمنطقية للعائلة منذ فجر التاريخ مارستها مع الشخصية الرئيسية. واستعادة السارد لماضيه مع هؤلاء الأشخاص لم يتطلب منه الإطناب في الوصف وتعليل تصرفاتها والمواقف التي تتخذها. فالملكة إيزابيلا صورتها مرتبطة بالوحشية وعكسها العائلة ارتبطت صورتها بالحنان والرحمة والدعة



شكل (10) وظيفة إيزابيلا مقابل وظيفة العائلة

فالسارد وهو الشخصية المحورية في العمل الأدبي (الشيخ ابن معن) وفي لحظاته الأخيرة قبل الإعدام، أراد أن يركن إلى الراحة ولكن كيف السبيل؟ إلا سبيل العودة إلى الماضي والقيام بعملية الاسترجاع والاستذكار، فعادت إليه الطمأنينة وهدأت نفسه ورضي بقضاء الله وقدره بعد أن كان مليئاً بالخيبة والأسى والعجز إشارة إلى كل الموريسكيين.

وفي رواية "طوق سر المحبة" نجد ابن حزم الوالد يسترجع شطرا من التاريخ، وهو بصدد الإجابة عن استفهام ولده حول بلوغ المنصور هذه المكانة، وكيفية اكتسابه لهذه السلطة يقول السارد: "جلس على كرسي وثير، وأخذ نفساً طويلاً، وكأنه يعتزم أن يستحضر سيرة غنية، ثم قال: لقد كان المنصور من أسرة عربيّة، وكان والده عبد الله ابن أبي عامر زاهدا عفيفاً متقللاً من الدنيا، وقد دخل جده الأعلى عبد الملك المعافري إلى الأندلس مع طارق بن زياد بداية الفتح"<sup>1</sup>. استعاد السارد في هذا المقام اسم شخصية طارق بن زياد التي تحيل بطريق مباشر إلى قصة فتح الأندلس والكلمة الشهيرة التي خاطب بها القائد طارق جنوده، وتم الفتح وكان من هؤلاء الجنود جدّ المنصور الذي يسترجع أحمد بن سعيد ابن حزم سيرته وذكر عروبة أصله ونقاوته، لاختلاط البربر والصقالبة والعرب في ذلك الوقت وكثرة الجوارى وملك اليمين، فكل لفظة في استرجاع الماضي لها دلالتها المحددة. وقد لاحظنا أن الشخصيات الرئيسية في الروايات أو الساردين قد استرجعوا مجموعة من الأسماء التاريخية (الأدبية والفكرية والعرفانية والعسكرية)، سواء منفردة أو متتابعة لتحقيق مجموعة من المعاني، فهي ذات كفاءة حكائية تشتغل كما لو كانت اختزالاً لبرنامج الحكائيوتوجيها له على إنتاج شفافية معينة، وبغض النظر عن طبيعة العلاقة التي تقيمها مع المسمى - علاقة تواردية، ترابطية أو تنبئية- فإنها ستشكل عنصراً هاماً في مقروئية السرد لأنها تنجح دائماً في الاندماج ضمن النية الحكائية الشاملة للعمل وتمدها بكل ماهي في حاجة إليه من الوضوح والشفافية.<sup>2</sup> وإدراجها ضمن نسق معين يجعل القارئ يتوقع المدلولات التي يريد المؤلف ترسيخها في ذهنه وأمثلة ذلك كثير ومنها ما حكاه ابن شهيد حين لقائه مع شياطين الشعراء وهو يسترجع هذه الذكرى التي ألف عنها كتابه الشهير "رسالة

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 43.

<sup>2</sup> حسن بحرأوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 256/257.

التوابع والزوابع" فقال : لقيت شيطان امرئ القيس وشيطان طرفة، وقيس بن الخطيم، وأبي تمام، والبحتري، وأبي نواس، وأبي الطيب المتنبي<sup>1</sup> فد استرجع كل هذه الشخصيات متتابعة وهي في ذهن القارئ متبلورة لا تحتاج المزيد من الإيضاح ومعانيها واضحة. وسبب ورود هذه الشخصيات بكثرة في مقامات مختلفة هو اطمئنان الشخصيات الرئيسية في الروايات الثلاث لها وراحتها عندما تعود إلى فضاء معين وتنتقل إليه بواسطة الذكرى. والسارد كما أشرنا سابقا هو لسان حال المؤلف.

### 2.3. شخصيات تؤول الدلائل :

ترد هذه الشخصيات في المتون الروائية لتعلق على وضعية الشخصية وتدعوها إلى الأخذ بمجموع النصائح حتى تستقر في المستقبل. وتسجل هذه الشخصيات فصلة مع الحاضر الذي تعيشه الشخصية الرئيسية، لتعقد وصلة مع المستقبل الذي تتوقع فيه أن تحقق توازنها شرط نزولها من عليائها وترك مثاليتها فهي في الوقت نفسه تؤول الواقع وتتوقع المستقبل. وتدخل في إطار اللواحق حسب رأي جيرار جينيت: " إذ تعمل على المستوى الوظيفي بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة، تكون غايتها حمل القارئ على توقع حادث ما أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات. كما أنها تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض..<sup>2</sup>"، ويضيف الكاتب (حسن بحراوي) " في حالات كثيرة يكون الاستشراف مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم، وهذه

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 270.

<sup>2</sup> - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 132.

هي الوظيفة الأصلية والأساسية للاستشرافات بأنواعها المختلفة. وقد يتخذ هذا الاستباق صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص.<sup>1</sup>

ومن قبيل الاستشرافات والتطلعات: فناء الشخصية المحورية: " حينها حصل الفناء إذ لم يعد للعبد وجود إلا بربه. ثم عاينت الحضرة الشريفة التي كانت تقودني إلى مواطن السعادة الأبدية، ويا لها من لذة لا تعدلها لذة في الوجود حيث تطالع في الغيوب. إن المرء حينها يصير شفافاً كالسراج يرى ما بداخله ويضئ ما حوله بنور كالكوكب الدري."<sup>2</sup> فالشيخ في هذه اللحظات انقطع عن واقعه ليدخل عالماً آخر حيث توقف الزمن وانتابته أحاسيس لم يعهدها في عالمه المادي الذي يعيش فيه وتطلع إلى نفسه فرآها شفافاً كالزجاجة مضيئة كالكوكب مقتبسا من آية النور الذي سرى فيه. وفي مقام آخر يقوم الشيخ عبد اللطيف بإسداء النصح للشخصية الرئيسية قائلاً: " فعليك أن تقف على واد نون ليخبرك عن بحر نون. وإن الجزر المسماة باللسان العجمي بالأسور والكناري أو الجزر الخالدات،...أما الكتاب المشهود الذي تبحث عنه فإنه مدفون بين يدي تمثال أبي الهول الذي يحرس مداخل تلك الحضارة الغابرة"<sup>3</sup> ، فشيخ الصوفية المسمى عبد اللطيف ينصح صاحبه ومريده، بأن يجد وادي نون حتى يصل إلى مراده كما أخبره أنه سيجد كتابه الذي يبحث عنه وأشار إلى المكان الذي يجب أن يبحث فيه، وكان الشيخ يتكلم وكله ثقة فيما يقول وكأنه يرى ما يقول رأي العين. وفي موضع آخر من رواية طوق سر المحبة) يذكر البطل/السارد انتشاءه بعدما قبّله حبيبته ودخوله في عالم آخر: " فرأيت ما لم أرَ من قبل، وقطعت تلك الحجب في رمس قبر عين فانية إلى روض قلب عين باقية. لقد سافرت بي تلك القبلة

<sup>1</sup> - حسن بحرأوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص133.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص57/56.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص60/59.

إلى زمن غير الزمن الذي كنت فيه، ورأيت تلك الصبية تنتحب لفراق والدها، ورأيت المنصور يزهو بهدم المدينة. ثم رأيت كأن كتلة الزمن قد خرجت من محارة شانته ياقب ثم عادت إليها في لمحة قبلية<sup>1</sup> والملاحظ هنا أن الزمن توقف بل لم يعد الزمن الذي نعرفه ونحس بتثاقله أحيانا، وبسرعته أحيانا أخرى، وقد ذهب ابن حزم أبعد من ذلك حين استبدل وحدة قياس الزمن، فمن المتعارف عليه أن الزمن مجموع الأيام والليالي أو هو مجموع ساعات النهار، فوحدة القياس هذه استحالت إلى "قبلية" وأصبحت معيارا بدل عدد السنين والأعوام، وبالتالي تقاس أعمار بما يوافقها من قبلات وليست أي قبلات بل تلك التي تخرج بصاحبها من الشقاء إلى السعادة. وتأمل معي قول ابن معن في (رواية الحواميم) وهو يستبشر ويُبشِّر السيدة حليلة ومن ورائها الموريسكيين بأن الشمس حتما ستشرق، والأفضل قادم لا محالة قال هذه الكلمات وهو مقبل على الآخرة مدبر عن الدنيا: "رفع ابن معن عينيه في حليلة المرأة الشجاعة ولاحظ منه ابتسامة النصر. لازلنا أمتنا بخير لم تمت جذوة الأمل في النفوس. لم تقفر هذه الأرض من الإيمان والخير سيأتي غد أفضل وسنعيد بناء هذه المدينة الفاضلة في أرض الأندلس من جديد."<sup>2</sup> فهذا التطلع للمستقبل واستشرافه بالخيرية التي ستعمه في قادم الأيام وبالأفضلية التي سيكون عليها هؤلاء الذين لا مأوى لهم في الوقت الراهن وقد استعمل السارد فعل المضارع "سيأتي" ليثبت استمرارية الأمل وحياته في النفوس وانتقاله من شخص إلى آخر وستبنى أندلس جديدة مبنية على ثلاثية أفلاطون "الخير والحق والجمال" أسوارها الأخلاق، ترابها العدل وسمائها شريعة الإسلام السمحة، يسكنها البشر باختلافهم وتمايزهم فالدين لله والوطن للجميع، هذا ما تنبأ به ابن معن قبيل سفره الأخير.

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 140.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 125.

ولمّا كان الاستشراف فعلاً لشخصية تهدف به إلى استباق معرفة لاحق في علم الغيب فقد لعب السريّ هذا الدور في رواية (الجنيد ألم المعرفة) في بداية المتن حيث يقول: "سيكون بإذن الله نجماً بين العلماء، وشمساً بين الصُّلحاء. ألا ترى ما أرى يا أبا الجنيد من نباهة وعلم وصّلاح؟"<sup>1</sup> وفي العالم الواقعي كما في العالم الروائي للاستشراف مكانة بين الصلحاء فهم يتوسمون الخير في أشخاص من صغرهم وكأن باب الغيب يفتح لهم ومن ذلك: "ما جاء في كتاب "صفوة الصفوة": قال الجنيد: كنت بين يدي سري السقطي ألعب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام، ما الشكر؟ فقلت: ألا تعصي الله بنعمه، فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك."<sup>2</sup> فالتوقع فعل متعلق بالمستقبل، مسجل في لحظة زمانية آنية، فالسريّ توقع لابن أخته أن يصول ويجول على المنابر وفي حلقات العلم كشيخ يتحلق حوله خلق كثير وقد كان.

### 3.3. مقولات الأسلاف :

كانت النصوص العرفانية مؤثثة تأنيثاً محكما بأقوال الأسلاف من نثر وشعر، واسترجاع هذه المقولات في المتون الروائية، وما تحمله من دلالات وإيحاءات، عمل على تقوية المعنى، والاقتصاد في السرد وشحذ ذاكرة القارئ، إذ أنه من المعروف أن الكاتب يلجأ إلى استخدام هذه التقنيات، ليعبر عن رأي أو فكرة فيكتفي بالشاهد كونه يحتوي حمولة دلالية بمفرده تغني السارد عن كثرة الوصف والتعبير. وتعمل أيضاً على الربط بين الوضع الذي قيلت فيه والوضع الذي تعيشه الشخصية.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص46.

<sup>2</sup> - صالح أحمد الشامي: مواعظ الإمام الجنيد، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2007 م، ص5.

سعى الكاتب إلى استعمال عبارات وكلمات من التراث الشعبي استقرت في الذاكرة الجمعية منذ القدم مثل "أسوقي، وأسمخ، وأقبلي، وخاصة الحرطاني. وقد قيل في معنى هذه الكلمة ما قيل، ولعل أبرز ما انتهى إليه القول هو أن فئة الحرطين مأخوذة من الحرّاثين لاشتغالهم بالحرّاث. ثم قيل أيضا إن الحرطاني هو تخفيف لكلمة الحرّ الثاني باعتبار أن الحر الأصلي حر أول<sup>1</sup> فهذه الكلمة "حرطاني" توارثتها المخيلة الشعبية عبر أزمنة متعددة، ظلت تؤدي نفس المعنى، وحتى في النص وقد أطلقتها قبائل الصحراء على السود، وفي اللهجة الأمازيغية تعني الأسود المائل للسمرة بعد أن كانت تنطق عندهم "أحرضان" وبسبب تداخلها مع اللغة العربية أصبحت إلى ما هي عليه اليوم.

وهناك أيضا بعض الملفوظات كـ "سيدي" و"مولاي" التي استعملت بكثرة في (رواية بحر نون) وقد استقرت هاتان الكلمتان في المجتمع المغربي لاسيما الكلمة الثانية والتي تتم عن الاحترام والتقدير والتبجيل وهي خاصة بأصحاب المناصب السياسية الذين يجمعون بين الرياسة المدنية والعلم الديني أو عن طريق الوراثة للحكم أما اللفظة الأولى فهي مرتبطة أكثر بشيوخ الزوايا من الصوفية وعلماء الطرق الدينية أو "الطرقيّة" كما تسمى في المجتمع، ولا يُنادى الشيخ إلا بها مفردة أو يؤتى بها مقرونة باسم الشيخ مثل سيدي معروف، سيدي عبد العزيز الدباغ، سيدي عبد القادر الفاسي،.. ومولاي علي الشريف ومولاي سليمان، والمولى رشيد، وغيرهم.

وفي (رواية طوق سر المحبة) نعثر على هذه الصورة التي رسمها المؤلف بريشة فنان: "وفي ركن آخر من أركان المدينة العتيقة المعروفة بالقصبة غير بعيد عن الباب الجديد بين السوق والقصبة، جلس بعض الحاسبين يقرأ الغيوب للعوام والحالمين

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص86.

بالسعادة وبالذي يأتي أو لا يأتي"<sup>1</sup>. والمستفاد من هذه اللوحة أن هؤلاء لايزالون موجودين بيننا إلى اليوم إذ يقومون بنفس العمل الذي كانوا يقومون به من قبل وهو بيع الأوهام للناس والنصب عليهم والتحايل لإفراغ جيوبهم، والأمر الثاني هو الأسماء التي كانت موجودة في الدولة الإسلامية بأرض الأندلس، وهي الأسماء نفسها الموجودة عندنا والتي امتدت في التاريخ وصمدت حتى الآن على الأقل في الجزائر، وهناك مدن عديدة تسمى بالقصبة وأشهرها التي تقع في الجزائر العاصمة. وكذلك مداخل المدن تُعْتَبُ بالأبواب و"باب جديد" في الأندلس في الماضي له امتداده في المستقبل في عاصمة الجزائر. فهذه الأسماء متعارف عليها ومتداولة في كل دول المغرب العربي وحتى في بلاد الشام وفي موضع آخر يتفق البطل/السارد/ابن حزم على السفر مع صاحبه ابن شهيد الذي : "قام من نومه ولبس ثوباً لم يكن ليلبسه في قرطبة مخافة الزرارية به، فكان مثل أبي براقش ، فلا تدري هل هو زيُّ ملوك أم زيُّ الفُتاك لا يَثْبُت على أيِّ منهما"<sup>2</sup>. ويرد في هذا المقطع ذِكْرُ أبي براقش الذي يتشام به المُلقَّب به ويتبرم منه، فقصّة المثل معروفة ومبثوثة في كتب الأدب فالاسم يشير إلى حيوان فالمثل يرجعه إلى كلبة كانت وبالاً على أصحابها وتسببت في مقتلهم وهلاكهم، وابن شهيد ينزعج من الاسم للسبب نفسه فمنذ قدومه إلى أسرته زهد والده الذي كان وزيراً وطلّق الدنيا فباتوا لا يملكون شيئاً، وكلما وردت هذه اللفظة استدعت عند القارئ قصة المثل وعادت به الذاكرة إلى أجواء أمثال الميداني. أما الحيوان الآخر الذي تشير إليه [براقش] فهو طائر ملون كالثوب الذي ارتداه أبو عامر ومن مقولات الأسلاف العالقة في الذهن أشعار الحلاج فقد كررها البطل وهو على حبل المشنقة كررها على مسامح جلاديه رغم عدم فقههم لفحواها:

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص16.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص83.

اقتلوني يا عداتي  
 ومماتي في حياتي  
 إن في قتلي حياتي  
 وحياتي في مماتي<sup>1</sup>

إن استرجاع الشخصية لهذه الألفاظ والأمثال والأبيات التي اقتصرنا على نماذج منها فقط إنما مرده إلى دعم المؤلف للمعاني التي يرغب في إيصالها للقارئ، كما أنها اشتغلت ك تقنية اقتصادية تجاوز بها المؤلف الإكثار. وأن هذه المقولات (مقولات الأسلاف) شكّلت عناصر مساعدة على قراءة النص وفهمه، وعملت على تقوية محتوى المتون العرفانية، وكسرت رتابة الحكيم القائم على الوصف والسرد.

وفي الأخير، بعد قيامنا بهذه المحاولة التي استهدفت دراسة أصناف الشخصية حسب وجهة نظر فيليب هامون (مستقيدين من ما وفّرهُ الدرس اللساني) : تعاملنا في التحليل مع المستوى الدلالي بشكل كبير، انطلاقاً من النص وتراكيبه وأدلته وعلاقات هذه الأدلة بعضها ببعض. وعمدنا أثناء التحليل إلى التقديم لكل صنف بأوليات لسانية توخيا للدقة وموضوعية الطرح وكانت النصوص السردية العرفانية منذ البداية تتفاعل فيها وتتحرك أنواع عدة من الشخصيات لذلك خصصنا لكل نوع حقه من التحليل والتفكيك، وقمنا بإضافة شخصيات أخرى غير تلك التي حددها فيليب هامون تكرر حضورها في المتون الروائية وتعددت معانيها، ولاحظنا أيضا إمكانية انتماء شخصية لأكثر من نوع، وهكذا استخلصنا مختلف الأبعاد والدلالات التي حملتها الشخصيات متجاوزين المفهوم التقليدي لها الذي يراها مؤنسنة فقط، كما سمحت دراسة الشخصية بالتعرف على كل الآليات التي وظفها المؤلف في نصوصه من أجل تبليغ رؤاه وأفكاره

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم ، مصدر سابق ، ص 129.

للقارئ وذلك عن طريق إشراكه فيما يكتب بإدماجه في النصوص بصفة غير مباشرة تصديقا لدوره المحوري في إعادة إنتاج النص أثناء تلقيه، كما اعتمد المؤلف طرقاً مختلفة من استرجاعات وتطلعات خدمت السياقات المتنوعة ورسخت أفكاره في ذهن القارئ. وبفضل هذه التحاليل والغوص في أعماق مختلف الشخصيات، أُتيح لنا أن نتعرف على نظرة المؤلف لقضايا كبرى تشغل الرأي العام العربي والإسلامي كقضية حوار الحضارات أو الأديان والأعمال الوحشية والمجازر التي ارتكبتها إسبانيا المسيحية في حق المسلمين، والتاريخ خير شاهد على ذلك واعتذارها من اليهود ورفضها الاعتذار من المسلمين وعدم تحمل ذلك تاريخيا ولا أخلاقيا. وثاني القضايا الكبرى قضية الحب التي تكلم عنها ابن حزم وموقفنا منه وقضايا التصوف ومشروعها ومشروعيتها. ونستطيع أن نضيف قضية أعلام التصوف التي تقل الأعمال الإبداعية في حقهم، والدراسات الأكاديمية حولهم وقد أسميتها محاولة لا أدعي فيها الإجابة ولا بلوغ الحد المطلوب .

# الفصل الثاني :

## مدلول الشخصية

## تحديدات أولية

1 الدليل اللساني والشخصية

2 مدلول الشخصية

2.1 دلالة الأسماء الموظفة في الروايات

2.1.1 الاسم التاريخي

2.1.1.1 الاسم الذي جذرت له الثقافة

2.1.1.2 أسماء الشخصيات المؤنسة

2.1.1.3 أسماء الشخصيات غير المؤنسة

2.1.2 الاسم المركب

2.1.3 الاسم التاريخي للمكان الجغرافي

2.1.3.1 الأماكن المغلقة

2.1.3.1.1 البيت

2.1.3.1.2 السجن

2.1.3.2 الأماكن المفتوحة

2.1.3.2.1 المدينة

2.1.3.2.2 البحر

2.2 البطاقة الدلالية للشخصية

2.2.1 نموذج الشخصية العرفانية

2.2.2 نموذج شخصية المحبوبة

2.2.3 نموذج شخصية العدو

2.3 تقديم الشخصيات

2.3.1 المقياس الكمي

2.3.2 المقياس النوعي

2.3.2.1 طريقة التقديم غير المباشرة

2.3.2.2 تقديم الشخصية عن طريق الراوي

2.3.2.3 التقديم المباشر

## 1. تحديدات أولية :

انطلاقاً من الدليل اللساني بنى فيليب هامون مقاربتة للشخصية ومنها استخلص مجموعة من المفاتيح سمحت له بدراسة كل جانب من جوانبها على حده، وسنقوم بدراسة الدليل اللساني كما عرّفه اللسانيون في بحوثهم والعلاقة التي أقامها هامون بينه وبين الشخصية

## 2. الدليل اللساني والشخصية :

يُعرف دي سوسير الدليل اللساني بأنه: "وحدة نفسية ذات وجهين، وهذان العنصران مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، ويتطلب أحدهما الآخر ونطلق على التأليف بين التصور concept والصورة السمعية image acoustique الدليل، ونقترح الاحتفاظ بكلمة دليل لتعيين المجموع، وتعويض التصور والصورة السمعية على التوالي، بمدلول ودال".<sup>1</sup> ثم يشرح دي سوسير ما مقصوده بالدال والمدلول موضحاً أن: "الأول مفهوم مركب من مظهر حسي فيزيائي تدركه العين كتابة ويدركه السمع ملفوظاً، أما المدلول فهو المظهر المجرد المتمثل في الصورة الذهنية التي يدلنا على ذلك الدال وتسمى العملة التي يقترن فيها الدال بالمدلول دلالة، والدليل لا يوحد الشيء والاسم ولكنه يوحد المفهوم والصورة".<sup>2</sup> ويشير العالم اللغوي دي سوسير إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية ليس لها ضابط منطقي يحكمها أو قانون تخضع له كما أن هذا الدليل

<sup>1</sup> - حنون مبارك : دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص37.

<sup>2</sup> - رشيد بنمالك : السيميائية بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر، 1988 م. ص15.

ثابت ومتغير في الوقت نفسه "فالدليل ثابت كونه اعتباطيا، لا يمكن أن يُراجع وفق قانون منطقي، كما أنه متغير، كونه اعتباطيا كذلك، فهو غير قابل للتغير. فاللغة عاجزة عن الدفاع عن نفسها أما العوامل التي تغير من لحظة إلى أخرى العلاقة بين الدال والمدلول، فإنها إحدى نتائج اعتباطية الدليل.<sup>1</sup> ويرتبط الدليل حسب رأي باختين بالمتكلم والمخاطب، حيث يستعمل الأول نوعا معينا من الأدلة، في مقام معين قصد إبلاغ المخاطب هدفه، فيدركه ويفهمه فلا يمكن لأي خطاب حسبه أن يدرس خارج الايديولوجيا وخارج بنية فعل القول. وفق هذه التعريفات للدليل اللساني قام "ف.هامون" وتمشياً مع هذه المفاهيم بدراسة الشخصية الروائية بوصفها وحدة دلالية قابلة للوصف والتحليل، أي من حيث هي دال ومدلول، وليس كمعطى ثابت وقبلي: "إن الشخصية كتصور سيميولوجي يمكنها أن تحدد في مقاربة أولى كمورفيم مفصل بشكل مضاعف، مورفيم غير ثابت، يتجلى في شكل دال لا متواصل (مجموع من الإشارات) يحيل على مدلول لا متواصل (معنى أو قمة الشخصية)"<sup>2</sup>. وكما أشار دي سوسير من قبل على علاقة الدليل بالدوال الأخرى ضمن نسق اللغة، كذلك يؤكد هامون أن الشخصية كمورفيم لا يتحدد إلا من خلال شبكة علاقات التشابه، والتقابل، والتراتبية، والانتظام، التي تربطها على مستوى الدال والمدلول تتابعيا و/أو تزامنيا بالشخصيات والعناصر الأخرى في العمل الأدبي

وخلص فيليب هامون بعد درس متعمق إلى مجموعة من الظواهر: على مستوى المدلول "الشخصية كونها مورفيمًا لا متواصلًا فهي وحدة معنى، ونعتقد أن هذا المدلول قابل للتحليل والوصف" ولا تكتمل ملامح الشخصية إلا مع القراءة ونهاية "مختلف التحولات التي كانت سندا لها وفاعلا فيها، إلا أن مدلول الشخصية لا يتشكل

<sup>1</sup> - F.DE SAUSSER Cours de linguistiques générale, Payot, Paris, 1972, P112.

<sup>2</sup> - Op.Cit.PH. HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit .p,124.

من خلال التكرار فقط ولكن يتشكل أيضا من التقابل أي في علاقة الشخصية مع شخصيات الملفوظ الأخرى، ومن هنا تأتي أهمية إحصاء المحاور الدلالية التي تقف وراء تشكيل الشخصية وتقابلها مع الشخصيات الأخرى.<sup>1</sup> كما يجب الأخذ بعين الاعتبار السياق الذي وردت فيه، والعلاقات التي تنشئها مع عناصر أخرى في العمل الأدبي.

أما على مستوى الدال، فيرى هامون أن معنى الشخصية يتبدى من خلال جملة من الإشارات والعلامات " إذ لا تظهر إلا من خلال دال لا متواصل، أي مجموعة من الإشارات التي يمكن تسميتها السمة، وفي هذا الإطار فإن اختيار اسم لشخصية معينة، عادة ما يتم انطلاقا من الوقع الذي يحدثه المظهر الصوتي للدال ويساهم هذا الأخير بشكل كبير في تحديد السمة الدلالية.<sup>2</sup>"

إن هذه السمات والعلامات المختارة من قبل المؤلف تكون وفقا لتوجهه الجماليوهي تختلف من كاتب إلى آخر، فقد يركز على الاسم الشخصي أو على ضمير نحوي، أو طرق أخرى متنوعة.

فالنظرة للشخصية من قبل البنائية المعاصرة مستمدة في مجموعها من مفهوم الوظائف في اللسانيات، ذلك أن الكلمة في الجملة لم ينظر إليها على أنها تحمل دلالة ما خارج سياقها، بل إنها لا تأخذ دلالتها إلا من خلال الدور الذي تقوم به وسط غيرها من الكلمات ضمن النظام العام للجملة، وكذلك الشخصية فإنها تحمل أهمية بالغة في الرواية كونها الدليل الفاعل في حركية السرد، وبدون هذه الفعالية والتناغم في الإمكانيات المتاحة، لا يصبح أمامنا إلا نص خطي فارغ من كل دلالة إنسانية راغبة

<sup>1</sup> - T.TODOROV, O.DUCROT, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Seuil, Paris, 1972, P.287.

<sup>2</sup> - سعيد بنكراد : سيميولوجية الشخصيات السردية، مرجع سابق، ص9.

في وصف جميل للحياة فالشبكة التي تنسجها الشخصية مع مثيلاتها في الخطاب السردى مستقاة من المجتمع، حتى تعبر بصدق عن المواقف والمبادئ الراقية من هذا الواقع الذي نعيشه، والخطاب الذي يصل إلى قارئه ويفعل فعله فيه يتحتم عليه أن يكون متوافقا مع الظروف واختيار الأسماء كما يدلل فيليب هامون قائلا: "إن الشخصية الروائية هي علاقة لغوية ملتزمة بباقي العلاقات في التركيب الروائي المحكم أو المنتج لمرسله تجد حقيقتها في التواصل، وتصنيف الشخصيات الروائية وتحديدها من المقاربة الأولى كنوع من المورفيم ذي المحور الثنائي المرتجل الذي يظهر عبر الدال المتقطع (بعض الإشارات) والذي حيل إلى مدلول متقطع (معنى الشخصية أو قيمتها)، سيعرف إذن من خلال حزمة من علاقات التشابه، والتناقض والتراتب والتنظيم التي تقيمها، على مستوى الدال والمدلول بصورة تزامنية أو تعاقبية، مع الشخصيات الأخرى"<sup>1</sup>

### 3. مدلول الشخصية :

أدرجنا فيما سبق أن فيليب هامون قد أشار فيما يتعلق بالمدلول "إلى أن الشخصية وحدة معنى قابلة للتحليل والوصف، وإذا قبلنا أن هذه الشخصية الناشئة من الوحدات الدلالية، لا تتشكل إلا من عبارات صادرة عنها أو من قبل شخصيات أخرى من شخصيات النص، فإن الشخصية ستكون سندا لثوابت وتحولات القصة"<sup>2</sup>، وقد استقى ذلك من الدليل اللساني الذي ينقسم إلى دال ومدلول، ويعني اللسانيون بالدال الصوت، وبالمدلول الفكرة، وهو يعني بالدال في الشخصية مجموع الإشارات التي يمكن تسميتها "سمته" ومدلول يقصد منه معنى الشخصية. ومن جهة أخرى نجد أن

<sup>1</sup> - فيليب هامون : شعرية المحكي، ترجمة : غسان السيد، الجمعية التعاونية للطباعة 2001، ص 151/152.

<sup>2</sup> - Op.Cit. PH, HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, p.124.

فلاديمير بروب الذي تحدث عن الشخصية وربط معناها بالوظيفة التي تؤديها، والوظيفة عنده هي الفعل الذي تقوم به الشخصية مهما كانت، فهي ثابتة ودائمة (الوظائف)، وهي مجموع الأجزاء المكونة للخرافة الشعبية وعددها محدود. كما يحددها غريماس فيما أطلق عليه اسم العوامل والممثلين، بينما تزيفتان تودوروف يجمل معنى الشخصية في جملة العلاقات التي تنشئها مع شخصيات أخرى، وحصرها في ثلاث: علاقة الرغبة، المشاركة، والتواصل. كما يرى أن الشخصية شكل فارغ يملأ تدريجياً بالصفات والأفعال.

وهكذا تتميز الشخصية عن غيرها بوحدة أو مجموعة من الصفات التي تتصف بها أو الفعل أو الأفعال التي تؤديها. ومعنى الشخصية كما يضيف فيليب هامون مختلف تماماً عن معنى المورفيم الذي يدركه المخاطب مباشرة.

إنّ البطاقة الدلالية للشخصية ليست معلومة مُعطاة قبلاً وثابتة، ولكنها بناء يتم بالتدرج زمن القراءة، إنها نتاج لمشاركة الأثر السياقي "التركيز على العلاقات الدلالية الداخل نصية وللنشاط الاستذكاري وإعادة البناء الذي يقوم به القارئ".<sup>1</sup> وهو يرى أن صفات الشخصيات ووظائفها من أهم الموضوعات التي تحدد مدلول الشخصية، وقد حدد صفاتها في أربعة محاور وهي الجنس والأصل الجغرافي، الإيديولوجيا والثروة أما وظائفها فتعرف عن طريق ستة محاور وهي : الحصول على المساعدة، توكيل وقبول التعاقد، الحصول على معلومات الحصول على متاع، مواجهة ناجحة.<sup>2</sup>

### 1.3. دلالة الأسماء الموظفة في الروايات :

<sup>1</sup>- Op.Cit.PH, HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit p.124.

<sup>2</sup>- سعيد بنكراد : سيميولوجية الشخصيات السردية، مرجع سابق، ص 45.

بعد تفحص الروايات (النماذج موضوع الدراسة) توصلنا إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الأسماء، كان حضورها طاغيا في متون الروايات العرفانية، واعتمادا على الافتراض الذي وضعه فيليب هامون، والمتمثل في كون السياق السابق هو الذي يتحكم في الدليل، إذ باختياره وتحقيق دلالة واحدة من بين جملة الدلالات المحتمل حضورها ووجودها في النص، ويمكن توسيع هذا السياق المرتبط بالنص فقط إلى مجال أوسع وأرحب وهو سياق التاريخ والثقافة.

### 1.1.3. الاسم التاريخي:

يلجأ الكاتب إلى توظيف أسماء تاريخية في أعماله، وإظهار شخصيات تاريخية في النصوص يأتي دورها في الرواية متوقعا بحكم أن هذا الدور قد تحدد قبلا في خطوطه العريضة بنص تاريخي سابق مكتوب وثابت.<sup>1</sup>

ومعنى الشخصية ذات الاسم التاريخي لا يُحتاج لمعرفته إلا لثقافة القارئ ومدى اطلاعه أو امتلاكه الكفاءة الثقافية بمعنى أصح، ومن دونها لا يستطيع بلوغ مرامي النص ولا أبعاده، من أجل هذا أكد فيليب هامون على ضرورة التعرف على الاسم التاريخي وفهمه للإلمام بوظيفته في النص، فالمعرفة توم على الأهلية والكفاءة والفهم بالعودة إلى النص وعلاقاته الداخلية<sup>2</sup>، وغالبا ما يؤدي استخدام هذه الأسماء المرتبطة بالتاريخي إلى ما يسمى بالاقتصاد السردي، أو كما يقول فيليب هامون : التراكم الاقتصادي للأدوار السردية. Condensé de rôles narratifs.<sup>3</sup>

وبحكم أن الروايات العرفانية مستقاة من التاريخ الإسلامي عموما فكانت الشخصية الصوفية (العرفانية) مهيمنة على النصوص العرفانية، وكانت هذه

<sup>1</sup>- Op.Cit.PH.HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, p 126/127.

<sup>2</sup>- Ibid.

<sup>3</sup>- Ibid.

الشخصيات أدبية، سياسية، علمية، فلسفية أو غيرها غالبا ما ترد على لسان الشخصية المحورية، مرة منفردة ومرات جملة ; أي مجموعة من الشخصيات مذكورة أسماؤها تباعا، تعلم القارئ بها مسلطة الضوء على فعلها أو أفعالها دون التفصيل في وصفها أو ذكر ملامحها الجسدية، تُعرّف بها أكثر دون إدماجها في العمل مباشرة في شكل حوارات أو كلمات تنطقها أو أعمال تقوم بها، فتغير من مجرى الأحداث ومسار الروايات أو تبقى على ثباته.

بالإضافة إلى هذا فذكر هذه الأسماء التاريخية من قبل السارد تُبين مدى ثقافته وتعكس مستواه المعرفي العالي، فيدلي بآرائه في الحياة ومواقفه منها ومن الوجود والإنسان والعالم العربي والمسلك الذي سلكه والنتيجة التي وصل إليها، فقد خاضت شخصيات الروايات في مواضيع متشعبة تخصّ المسلمين عامة، وسلوكياتهم وسلوكيات أعدائهم. فالشخصية التاريخية التي يسميها فيليب هامون ب "الشخصية القدر *Personnage destin*" تؤدي بنا إلى عقد مقارنة بينها وبين الشخصيات الرئيسية في الروايات النماذج ونلاحظ مواطن التشابه والاختلاف ونذكر رأي الشخصية فيها وفي أفعالها، وبالنسبة للشخصيات التاريخية الممثلة للسلطة والتي تعبر عن السيطرة والتحكم والظلم، فيؤتى بها لربط العلاقة بينها وبين من يعارض عمل الشخصية الرئيسية ويقف في طريق إتمام برامجها.

في بعض الأحيان يرد اسم الشخصية التاريخية على لسان الشخصية الرئيسية دون أي معلومات تُسندُه، إذ يستعين الكاتب باسم شخصية لا نعرف سوى أنها معروفة تاريخيا، ولا يذكر ما عُرفت به من صفات أو أفعال، فيضطر المتلقي لإقامة علاقة بينها وبين البطل، ويبحث عن وظيفتها الحقّة في السياق الذي أنت فيه، ومن ذلك قول السارد في بداية رواية ( بحر نون ) : "وقد سرق الكتاب بعد الحملة الفرنسية على

مصر أيام محمد علي حيث هاجمت جيوش بونابرت بلادنا فنهب الكتاب ضمن ما نهب. وقد كان بيد أحد ضباطهم، وانتهت ورقة منه إلى شامبليون الذي استأنس بها، بالإضافة إلى حجر رشيد ليفكّ الكتابة الهيروغليفية.<sup>1</sup> في هذا المقطع السردى وردت ثلاثة أسماء لشخصيات معروفة في التاريخ معناها ممتليء مسبقا ومعطى قبلي حدده نص التاريخ، كما أنها جاءت مجردة من أي لقب قيمى عادة ما يرتبط بها مثل القائد أو الزعيم أو الإمبراطور أو لقب الباشا الذي دائما يقترن باسم محمد علي... ولكن الكاتب لم يذكر معها أي معلومات تُدلل عليها، إلا أن السارد لم يعلق الباب كلية، بل ترك إشارات، من ذلك ربط كلمة مصر بأيام محمد علي، وكلمة "أيام" عند اقترانها باسم شخصية تنتمي إلى حقل السلطة أيًا كان نوعها سياسية، عسكرية أو غيرها فهي دلالة على فترة زمنية حكمت فيها هذه الشخصية. كذلك ذكر نابليون وهو (امبراطور فرنسا يُعد أحد أعظم القادة العسكريين في جميع العصور، غزا مصر 1798-1799 ودوَّخ بفتوحاته القارة الأوروبية...)<sup>2</sup> وارتبط اسمه بكلمة جيوش التي كان يقودها في المعارك بصفته قائدا عاما لها، وحاكما لفرنسا، وبالتالي فهاتان الشخصيتان ينتميان لعالم العسكرية والسلطة، كما ارتبط اسم شامبليون بحجر رشيد من جهة والكتابة الهيروغليفية من جهة أخرى، وهذا يحيلنا إلى العالم اللغوي الكبير "جان فرانسوا شامبليون" الذي كان ضمن مجموعة العلماء التي رافقت نابليون بونابرت أثناء دخوله مصر، ويعدُّ أول من فكَّ طلاسم الهيروغليفية، " كلل شامبليون نجاحه بعد أن نشر ترجمة كاملة لنص حجر رشيد في عام 1828 م، وهو نفس العام الذي تشكّلت فيه بعثة فرنسية -توسكانية ضمت 12 عضوا، على رأسهم شامبليون، هدفها زيارة مصر ودراسة آثارها عن قرب، والتأكد من نجاح مشروع شامبليون في قراءة النصوص

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص23.

<sup>2</sup> منير البعلبكي : معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1992 م، ص 450.

المصرية وجها لوجه.<sup>1</sup> وما ذُكر في المقطع السابق لا يكفي لإدراك وظائف هذه الشخصيات في الرواية، بل يجب أن يكون القارئ على درجة معينة من المعرفة والعلم بها وتغدو العودة إلى قاموس الأعلام ضرورية في أحيان كثيرة للتعرف على هويتها، والإمساك بدلالاتها، ومن ثمَّ عقد علاقة بين ما عُرفت به وما يريد النص الروائي تحقيقه من معانٍ من خلال توظيفها، فكل من محمد علي باشا ونابليون بونابرت وشامبليون كان لديهم من العزيمة والإصرار لتحقيق أهدافهم الشيء الكثير. وبالرجوع إلى سيرهم نجد أن "محمد علي" واجه صعوبات كبيرة من أجل تأسيس وتكوين دولة مستقلة لا تخضع لحكم الخلافة العثمانية ولا لسيطرة الباب العالي، وهذا فعل نابليون الذي تحدى الجميع من أجل توسيع إمبراطوريته وتحقيق أمجاد ولو على حساب آلاف الجثث من جيوشه أو من أعدائه لا فرق عنده. وشامبليون الذي أخرج الحضارة الفرعونية للعلن وأزاح الستار عنها بعد محاولات عديدة، بعد أن استسلم كل العلماء البريطانيين والألمانيين والإيطاليين الذين كانوا معه في المواقع وظل يُجالد بصبر كبير حتى تحقق مراده. ووجه الشبه الذي أراده السارد من وراء كل ذلك تمثل في قوة العزيمة والثبات على نهج تحقيق الهدف مهما كانت الظروف، وهذا ما رآه البدوي ومن كان وراءه في شخصية البطل، لذلك تم اختياره من بين الكثيرين لهذه المهمة الخطيرة نظرا لأهمية الكتاب الذي يحمل أسراراً من الماضي بل حتى من المستقبل وخرائط للكنوز. فمثلاً أصرت الشخصيات المذكورة على تحقيق آمالها وطموحها حتى دونت أسماؤها في سجل التاريخ يجب أن يشابه فعل البطل أفعال هذه الشخصيات.

في (رواية بلاد صاد) ذُكر عدد كبير من أمراء الدويلات وملوك الطوائف وأمراء الموحدنين وغيرهم ممن يُعرف من السياق التاريخي، فقد ذكر السارد شجرة الدرّ و

<sup>1</sup> - قاسم زكي : مأساة نفرتيتي وأخواتها: قصة نهب وتهريب الآثار المصرية للخارج منذ الأزل وحتى يومنا هذا، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2019 م، ص 171.

بييرس وأقطاي وأبيك من المماليك كما ذكر من الأيوبيين صلاح الدين والملك العادل والملك الصالح.....

في رواية " الحواميم " يَرِدُ على لسان سرفانتس وهو يحاور السارد/ البطل معينو : " لقد حاول إيراسموس أن ينقذ إسبانيا من جنونها القاتل لَمَّا أصبح مستشارا لكارلوس الخامس وألف من أجله كتاباً أسماه "إعداد الأمير المسيحي" مخالفاً بذلك التقليد الذي ساد في أوروبا بعد كتاب 'الأمير' لميكافيل'. لقد كان قريبا من الأمراء وحاول أن يؤثر في سياسة الملوك. فكتب أربعة شروح للأناجيل الأربعة وقدم كل واحدا منها لملوك أوروبا الكبار. فرانسوا الأول ملك فرنسا، هنري الثامن ملك إنجلترا، فرديناند إمبراطور ألمانيا، وكارلوس الخامس إمبراطور إسبانيا وهولندا.<sup>1</sup> ونلاحظ في المقطع تعدد الأسماء المعروفة تاريخيا، والبداية مع إيراسموس وقد ذُكر سبع مرات من طرف سرفانتس الأسير في صفحات سابقة وقد كان رائد الإنسانية في عموم أوروبا وخبيرا في التربية، يقول عنه عبد الله محمد إسحاق : " وكان تصور إيراسموس للدين مغايراً لما كان الناس معتادون عليه من قداسة مفرطة لرجال الدين، وكان يطالب بتقية الدين المسيحي من الشوائب التي علقته به ، ذلك قبل ظهور حركة الإصلاح الدينية بقيادة الراهب مارتن لوثر مع منتصف القرن السابع عشر الميلادي. خلال تلك الفترة عكف إيراسموس على تحقيق الإنجيل بشكل بسيط قريب إلى فهم العامة....."<sup>2</sup> كما عمل مستشارا للإمبراطور كارلوس الخامس والذي ورد اسمه في المتن الروائي أربع مرات، وفي هذه المرة ذُكر بدون لقب سابق للاسم أو لاحق به وذلك لارتباطه بإسبانيا وما أصابها من جنون، فلم تكن ساعتها إمبراطورية ولا مملكة ولا حتى إمارة، ثم أُعيد ذكره

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص144.

<sup>2</sup> - عبد الله محمد إسحاق : محطات في حركة التنوير الأوروبية، دار ابن رشيد، القاهرة مصر، ط1، 2017م، ص68.

مرة ثانية في آخر المقطع ولكن مع لفظة إمبراطور، ذلك أن اسمه ورد مع أسماء كبار ملوك أوروبا، وكان من اللائق نكرهم بألقابهم المعتادين عليها، كما ذكر السارد ميكيافيل (نيكولاي ميكيافيلي)، ولإزالة اللبس فقد اقترن نكره بكتاب "الأمير" وهو أشهر كتاب أُلِفَ في عصر النهضة، وفي ظل الظروف في تلك الفترة تحولت السياسة إلى فن توظيف الممكن لبناء المجتمع، فكثيرا ما نجد نيكولاي يوصي الأمير بتوظيف القوة والسلطة الروحية الناعمة والتظاهر بالدين والأخلاق والمكر والخداع أيضا إذا دعت الضرورة ذلك بهدف الحفاظ على استقرار المجتمع وأمن الناس وممتلكاتهم وسعادتهم يقول في كتابه الشهير: "إن الإنسان الذي يريد امتهان الطيبة والخير في كل شيء يصاب بالحزن والأسى عندما يرى نفسه محاطا بهذا العدد من الناس الذين لا خير فيهم. ولذا فمن الضروري لكل أمير يرغب في الحفاظ على نفسه أن يتعلم كيف يبتعد عن الطيبة والخير، وأن يستخدم هذه المعرفة أو لا يستخدمها وفقا لضرورات الحالات التي يواجهها."<sup>1</sup> في حين لم يكن أرسطو يحتاج إلى هذه الحجة لأنه يعتبر السياسة معطى طبيعيا في الإنسان، فالسياسة هنا تحضر كآلية للتنظيم وإحداث العودة إلى الأصل في حالة وقوع إضراب سياسي واجتماعي في الدولة المدينة. لكن مع الفلسفة السياسية لنيكولاي تحولت السياسة إلى محور جميع الأفكار والممارسات بهدف اختراع مجتمع ممكن، وبذلك ربط السياسة بالبراغماتية في حين ربطها أرسطو بالأخلاق والطبيعة، "ومفهوم أرسطو للسياسة أنه علم تدبير شؤون المدينة وهو مفهوم إغريقي بكل معنى الكلمة... ثم هو يبحث عن أصول السياسة في طبيعة الإنسان ثم لا يجد تفسيراً لها إلا من خلال هذه الطبيعة."<sup>2</sup> والبون شاسع بين النظرتين، فأرسطو راهن

<sup>1</sup> - ميكيافيلي : الأمير، تعريب : خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، لبنان، دط، 1960م، ص208.

<sup>2</sup> - فاروق عبد المعطي : أرسطو أستاذ فلاسفة اليونان -جزء-9. دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992م، ص 57-58.

على عقل الإنسان، الواجب عنده أن يكون هذا العقل هو المسيطر على الشهوات والغرائز وبالعكس عند ميكيافيلي فالغرائز هي المسيطرة قبل كل شيء.

لقد أصبح الدين والأخلاق أدوات يمكن أن توظفها السياسة، ولكن ليس أهدافا يجب أن تحققها السياسة، هذه العلمانية التي أحدثها نيكولاي، وهذا الطرح يجب تلمس ثوريته في القرن السادس عشر في إيطاليا حيث كانت الكنيسة تحكم وتوظف السياسة لصالح الديني ومصالح رجال الكليروس والإقطاعيين. في هذه الملفات يحاول سرفانتس إثبات رحابة المسيحية وسعة صدرها، وتقبلها للرأي والرأي الآخر، وأنها لا تقل عن الإسلام في تعدد مذاهبه وسماحته، كما يحاول السارد إقناع المتلقي بأن مفكري وحكام تلك الفترة كانوا يفصلون السياسي عن الديني فهذا ميكيافيلي دعا إلى النظر للمنفعة دون غيرها وكذلك الملك هنري الثامن فك ارتباطه بالكنيسة والبابا وادعى القدسية لنفسه، فكانت بريطانيا من أوائل من انفصل عن الكنيسة، وكذلك باقي الملوك الثلاثة كانت لديهم مشاكل مع الكنيسة لتعولها وسيطرتها على كل مناحي الحياة في أوروبا، وبذلك يُثبت أن الحرب التي تقوم بها إسبانيا لا علاقة لها بالدين ولا بالمعتقدات وإنما القضية لا تعدو أن تكون طرد غزاة عن بلاد احتلوها لقرون.

الدين الإسلامي ← سماح ← تعدد (مذاهب)

الدين المسيحي ← تقبل الآخر ← تعدد (أربعة شروح للأناجيل الأربعة).

شكل (11) سماحة الإسلام

نعثر على اسم لواحد من الفاتحين المسلمين الذين خلد لهم التاريخ وهو القائد طارق بن زياد" وكان طارق جندياً عظيماً. ظهر في غزوات المغرب بفائق شجاعته وبراعته وقدّر موسى مواهبه ومقدرته. ثم اختاره لفتح الأندلس فعبّر البحر. ونزل بالبقعة

الصخرية المقابلة التي ما زالت تحمل اسمه إلى اليوم. أعني جبل طارق<sup>1</sup> نُكِرَ اسمه في ( بحر نون، الحواميم، طوق سر المحبة)، وسنقوم بتدوين المقاطع الذي نُكِرَ فيها والبدائية مع (رواية بحر نون) : " قالت الملكة : إن للثور مكانة كبيرة في الحضارة الأطلسية وعند المينويين في جزيرة كريتس، وفي حوض البحر الأبيض المتوسط عموماً، حيث لازال الشعب الإسباني يحتفل بمصارعة الثيران. وفي هذا الجبل كان هناك تمثال ثور قبل أن يدخل طارق بن زياد الأندلس.<sup>2</sup> وفي (رواية الحواميم) : " سوف تُفْتَحُ إسبانيا من جديد... وسيمشي الفاتحون على خطى طارق، وسينفتح الطريق أمامهم في صورة خارقة. وفي مضيق جبل طارق سوف يظهر جسر من حديد، وسوف يعبرُ العرب فوقه، وسوف يفتحون إسبانيا وسوف يصلون إلى جليقية<sup>3</sup>.

أما في رواية (طوق سر المحبة) فنجد المقطع التالي : "لقد كان المنصور من أسرة عربية، وكان والده عبد الله بن أبي عامر زاهداً عفيفاً متقللاً من الدنيا. وقد دخل جده الأعلى عبد الملك المعافري مع طارق ابن زياد بداية الفتح، لكنهم لم يؤثروا لهم مجداً.<sup>4</sup> كما أشرنا سابقاً فإن اسم طارق موجود في المتون الروائية العرفانية قيد الدراسة لكن مدلوله يختلف من رواية لأخرى، حسب السياق والظروف التي نُكِرَ خلالها، ليخالف بذلك المدلول الذي عُرفَ به تاريخياً كفاتح لبلاد الأندلس، ورجل شجاع، وقائد عسكري محنك، ليتحوّل اسمه إلى نقطة فاصلة بين زمنين وحقتين متباينتين، تمثل الأولى الوثنية التي كانت منتشرة عن طريق عبادة الأصنام التي كانوا يقيمونها للآلهة الكثيرة، فاله للبحر وآخر للحب، وثالث للزراعة ورابع للعالم العلوي، و

<sup>1</sup> - محمود شلبي : حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط 1، 1992 م، ص 88.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 111.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 192.

<sup>4</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 43.

والله خاص للعالم السفلي كذلك .. لكن بعد دخول طارق الأندلس اختفى التمثال الذي كان مقاما بالجبل الذي تسمى باسم المنتصر طارق، فلم تذكر بطولاته ولا معاركه التي خاضها ولا حتى خصومه وأعداؤه. وهذا ما كان متناسبا مع أحداث الرواية التي تبحث عن الجزيرة الأطلسية، والعدد المهول من الآلهة المرتبطة بهذه الجزيرة من جهة، ومن جهة أخرى ارتباطها بالحضارة الإغريقية. وفي المقطع الثاني جاء اسم طارق مفردا من غير "ابن زياد" لكن الكاتب ترك بعض العلامات التي يهتدي بها القارئ ليحدد مدلول المرسل بأن مقصوده ابن زياد، وذلك عن طريق إدراج هذا الاسم التاريخي ضمن حديثه عن إسبانيا وإعادة فتحها، فالفتاح الأول هو طارق بن زياد والنبوءة تشير إلى أن الفاتحين الجدد سيتبعون خطى طارق، والتنبوء هذا يأمل في أن تتساوى وتتماثل أفعال هؤلاء الفاتحين الجدد بأفعال وأعمال طارق بن زياد حتى تتساوى النتائج ويعاد فتح إسبانيا. ولو تأملنا السياق الذي ورد فيه المقطع السردى السابق لوجدنا السارد قد أقمحه بعد الحالة المزرية التي وصل إليها المسلمون من تقتيل وتهجير وتعنيف وطرد وتشريد وتنصير.... فلم يعد لهم من ملجأ إلا أحلام اليقظة والنبؤات التي تُدخِلُ السُرور إلى القلب ولو للحظات وطارق بحكم ما حقق من انتصارات، وكان سببا في إعمار هذه الأرض مما يُدخِلُ السُرور إلى أفئدتهم فهو الرمز بالنسبة لكل ساكنة الأندلس المسلمين.

في الرواية التي تتحدث عن ابن حزم يذكر الوزير ابن حزم الأب طارق بن زياد في معرض سرد سيرة حياة المنصور بن أبي عامر الذي حقق انتصارات كبيرة وقام بتوسيع رقعة الخلافة وزيادة سيطرة المسلمين على ممالك مسيحية، فبداية هذا القائد(المنصور) كانت مع قدوم جده رفقة الفاتح طارق وكان بإمكان الكاتب أن يذكر قدوم جده مع الفاتحين لكنّه تعمد ذكر طارق ليماثل كذلك بين ما فعله هذان الرائدان،

فقد استطاعا أن يهزما الجيوش الصليبية بفضل حنكتهما، وأدخلاهم بيت الطاعة وفرضا على البقية دفع الجزية عن يد وهم صاغرون. رغم تباعد الزمن بين القائدين واشتراكهما في الروح العسكرية. وعليه تتأكد أقوال فيليب هامون في كون نسبة ثبات الاسم، والدور الذي يحدده له التاريخ قبلا، والشخصية المتحولة إلى قدر، لا يمنع أن تكون له "وظيفة سردية مميزة خاصة بالعمل الأدبي نفسه"<sup>1</sup>، فالكاتب قد يمدّ الشخصية التاريخية مدلولاً آخر غير المتعارف عليه تاريخياً، ويجري عليه تعديلات في الوظيفة والدور وفق ما تمليه عليه أهدافه. ومن أجل تبيين الدلالة المراد إثباتها في النصوص الروائية، يعتمد السارد على السياقات التي تهئ للمعنى الجديد لشخصية طارق بن زياد في كل نص، فالاسم التاريخي طارق تحول المدلول المثبت له عبر التاريخ إلى علامة فارقة في النص الروائي الأول، وفي النص الثاني تحول إلى نبوءة، وفي النص الأخير غدا وجها للمقارنة والمماثلة. من هنا يتبين لنا كيف يتصرف الكاتب في المعاني الثابتة للشخصية التاريخية، ليحقق الأفكار التي يود إبلاغها للقارئ، وبتوظيفه لهذه الشخصيات يحدث ما يسميه فيليب هامون بتراكم اقتصادي للأدوار السردية فلا يحتاج ذكرها (الشخصيات) إلى الإطناب في تعريفها مادامت دلالتها تتبلور مباشرة في ذهن القارئ ويحدد دلالة واحدة محتملة .

### 1.1.1.3. الاسم من منظور المرجعية الثقافية:

ونحن نقرأ روايات عبد الإله بن عرفة (بحر نون، بلاد صاد، الحواميم، طوق سر المحبة، الجنيد ألم المعرفة) 'لاحظنا توظيفا مكثفاً لأسماء تعارف المجتمع على إسنادها لأشخاص معينين بحسب مهنتهم : طبيب، معلم، قاضي، طبيب، جلال، أو لصفة من الصفات المميزة لهم، سواء كانت روحية أو جسدية مثل : المنتهز،

<sup>1</sup> - PH.HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, P.127.

المستغل، الجاهل، الطيب، أو بناء على مراتبهم الاجتماعية نحو: الغني، الفقير، وأسماء اتفق إسنادها لأمر كثيرة وهي أسماء مسننة يأتي بناؤها معتمدا على شفرات وضعتها القوانين الاجتماعية واتفق على استعمالها، فشاعت وثبت معناها.

تحمل هذه الأسماء دلالة جاهزة، يتوقعها القارئ حال اطلاعه عليها " فدائرة فعلها مفترضة من أول إشارة".<sup>1</sup> هذا وقد تصرف الكاتب في معنى الشخصيات الحاملة لهذه الأسماء، تصرفا تمليه عليه الأفكار التي يريد ترسيخها في النصوص الروائية ويمكن تصنيف هذه الأسماء إلى صنفين :

- أسماء مؤنسة.

- أسماء غير مؤنسة.

### 2.1.1.3. أسماء الشخصيات المؤنسة :

كان حضور الشخصية باسمها الذي فرضته ثقافة المجتمع في العالم الروائي واسعا، ونستطيع تقسيمها إلى قسمين بحسب المدلولات التي تؤديها في العمل :

-أسماء ذات الدلالة الإيجابية.

-أسماء ذات الدلالة السلبية.

استخدم الكاتب بالنسبة للنوع الأول مجموعة من الأسماء التي تؤدي وظيفة إيجابية في النصوص، وتكون مساندة للشخصية المحورية وتعينها في تنفيذ برامجها، وهي شخصيات تحمل مبادئ وقيما، وتعرض عن الإغراءات، يتعاطف الكاتب معها ويساندها، معجبا بها ويتألم لألمها. وتبدو شخصية "الشيخ" أكثر الشخصيات ارتباطا بالشخصية الرئيسية في (رواية بحر نون) و(رواية بلاد صاد) وأكثرها تأثيرا عليها وقد

<sup>1</sup> - PH.HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, p.127.

حافظت على المعنى الذي خولته لها الثقافة، وللشيخ مرتبة عظيمة في التربية الصوفية، فهو المعلم والمرشد والناصح والداعية، وهناك من يفرق بين شيخ الصوفية وشيخ الطرقية فالأول يختص بالعلم والأدب، والثاني بالبركة، وفي هذا الباب يقول السهروردي: "وإذا تزكت النفس انجلى مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية، ولاح فيه جمال التوحيد، وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلي، فأحب العبد ربه لا محالة..... فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني، فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية، فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين"<sup>1</sup> وهذا النوع من المشايخ الذي يعنيه الكاتب في نصه، ولنقرأ مع السارد قوله: "وقد كنت في بداية استوائي قد اتخذت شيخاً للتربية يقوّمني إذا عوججت، ويقمّني إذا انتكست. أخذت عنه علوماً وأذكّاراً وحبا وعرفانا وتربية وآداباً، سلكت على يديه زمناً وأزماناً ومازلت. وكان رجلاً أمياً من معارف المحدثات عالماً بعلم القديم. تسألته عن المسألة لم يسمع بها من قبل فيأتيك بالجواب للتو من غير مطالعة ولا مدارس"<sup>2</sup>. وفي موضع آخر يقول: "وكان الشيخ عن التصرف هكذا، وكانت همته نافذة يفعل بها ما يشاء، فيطلع على الغيوب المقيدة لا المطلقة، أي المفاتيح الثواني والثالث للغيب لا الأولى التي علمها عند المولى"<sup>3</sup>، وقد حافظت شخصية "الشيخ" على المعنى الذي رسّمته لها الثقافة: إنها رمز لمنتهى العلم والحكمة وتعرف ما هو كائن، زاهدة وعفيفة، وندرك من خلال ذلك أن سلوك الطريقة لا يتم إلا بوجود الشيخ، الذي يقوم بفعل سياسة النفس الإنسانية وتوجيهها نحو سبيل المعرفة الإلهية، وهي مرتبة يمكن إدراكها للسالك بتحقيق سرها فيه والبطل/السارد لم

<sup>1</sup> - شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف، تحقيق الشيخ عبد الحليم محمود، مكتبة الإيمان. القاهرة. ط 1. 2005، ص 153.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 43.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 61.

يبدأ ولو بحركة إلا بمباركة من شيوخه، فتكرر حضور هذه الشخصية في غالب الأحيان على لسان الشخصية الرئيسية التي تعرّف بها وتكشف عن هويتها حينما تستعيدّها، وتستعيد صفاتها وأعمالها، وكثيرا ما ساهمت كشخصية مساعدة في تحقيق حالات الاطمئنان والراحة والأمل والتفاؤل، كفعل شيخ البطل ( الشيخ عبد اللطيف) معه دوما وهذا على لسان السارد : "هدأت الأعضاء ووجمت النفوس، وخملت الأنفاس واسترخت كل جارحة وأخذتنا سنة خفيفة، ثم زالت الواردات، التفت إليّ الشيخ قائلا : ها قد غنمت ما جئت من أجله في غفلة من الزمان.."<sup>1</sup> . وتؤكد كل الملفوظات التي يتلفظ بها السارد عن مدى إعجابه بشخصية "الشيخ" وتعلقه بها وثقته فيها وقد حافظت هذه الشخصية على معناها في كامل الرواية وكانت حافزا ليونس لنسج عوالم من الخيال الذي أشعره بقيمة الرحلة على المستوى الروحي والعرفاني. كما وردت هذه اللفظة (الشيخ) في (رواية الحواميم) بنفس المدلول الذي تكلمنا عنه فيما سبق حيث يقول معنيو الشخصية الرئيسية/السارد في النص الروائي الثاني: " وفي أوقات الراحة كنت أقصد القرويين وأحضر مجالس العلم، وخاصة مجالس الشيخ التاودي بن سودة، والشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، .... وكثيرا ما كان يحدثني عن سيدي رضوان الجنوبي وكلما همت أن أسأله صرفنا صارف وقتي."<sup>2</sup> فالبطل يقدر شيخه ويحترمه ويبجله ولا يقطع أمرا دونه وكلما أتيحت له الفرصة استغلها وحضر مجالس الشيوخ. وفي (رواية طوق سر المحبة) ترد لفظة شيوخ على لسان ابن حزم الشخصية الرئيسية في النص الروائي قائلا : "منذ هذا الخروج الرسمي، لحقت بحلقات الحديث والفقهِ والجدل التي كانت تقام في جامع قرطبة إلى حدود سنة 403 هـ، فسمعت من شيوخ جلة مثل عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمي، وأحمد بن محمد الأموي بن الجسور،

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص57.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : الحواميم، مصدر سابق، ص176.

ويحي بن عبد الرحمن<sup>1</sup> بن مسعود، وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني. في هذا المقطع يورد ابن حزم أسماء شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم و"الشيخ" في هذا الملفوظ لا تحمل المدلولات ذاتها التي ذكرناها سابقا والتي وردت في النصين الأول والثاني، فهؤلاء شيوخ فقه وعلم شرعي يناقض العلم المُحصّل عند الصوفية فالشيخ هنا تأتي بمعنى الأستاذ الذي يدرّس طلبته ضمن حلقات في الجامع والمربي الذي يتعهد أولاده بالرعاية حتى تحصيل ما يلزمهم من علوم، ورغم تغير المدلول إلا أن شخصية "الشيخ" لم تخرج عن دائرة الإيجابية فكانت معينة للشخصية الرئيسية ومساعدة لها في مرحلة من مراحل حياتها كما نشير إلى أن هذا الملفوظ(الشيخ) جاء مخالفا ومغايرا للمدلولين السابقين، فورد بالمعنى المتعارف عليه وهو الرجل الطاعن في السن وهذه الأمثلة المأخوذة من الروايات الثلاث توضح ذلك من مثل: "كنت أتجول في المدينة العتيقة ثم عرّجت على صديقي الشيخ الكتبي وجلست في دكّانته. وما لبث أن جاء شيخ عجوز يتعثّر في أذيال كسائه، ولولا عكازته لانهار على وجهه."<sup>2</sup> و: "ثم استرعاه صوت شيخ متسول فرقّ له قلبه وأخرج ما لا من جيبه ودسّه في يد الشيخ..."<sup>3</sup> و: "تعلم السجناء مع الوقت أن يحترموا غربة هذا الشيخ الهرم صاحب الشيبة المباركة، وإصراره على عبادته وسط هذا اليأس القاتل، وانتقلت إليهم خَيْرِيَّتُهُ شيئا فشيئا فصاروا يخدمونه ويقدمونه ويستمعون إليه."<sup>4</sup> ومن الأسماء التي حافظت على مدلولاتها التي عرفت بها، والمستمدة من المجتمع حيث مثّلت علاقات روحية وروابط دموية لا تزول أبدا، ومن هذه الأسماء: الأب أو الوالد، الابن أو الولد، الجد والحفيد. وكانت هذه الشخصيات حامية ومحافظة على علاقات القرابة التي تربط بعضها ببعض،

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة: طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص42.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة: بحر نون، مصدر سابق، ص15.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة: طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص18.

<sup>4</sup> عبد الإله ابن عرفة: الحواميم، مصدر سابق، ص91.

واحتلت علاقة الوالد بولده في (رواية طوق سر المحبة) حيزًا كبيرًا في فضاء هذا النص فكانت علاقة ابن حزم بوالده علاقة مميزة، " قام بعد ذلك للصلاة. وقف ابنه أبو بكر إلى جانبه يقلد حركاته، فلما سجد امتطى ظهره فتلبّث الوالد ريثما ينزل ابنه عن ظهره، فلما لم يفعل ذلك أخذه ووضعته إلى جانبه ثم أكمل صلاته. غمرته السعادة ورفع يديه بالدعاء في صمت.<sup>1</sup> من هذا المقطع السردى نستشف معاملة الوالد مع ابنه تطبيقًا لما فعله الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام مع حفيده الحسين رضي الله عنه، ثم هذا الفرح والسعادة التي انتابته وغمرته، والقارئ للرواية يتعرف أن الذي فعله الوالد كان بعد أن أنجبت زوجته ابنه الثاني فصلّى لله وشكره على نعمه، وهكذا كانت المهمة الفطرية للوالد حب أولاده والرفق بهم وهم صغار، وحسن معاملتهم وتربيتهم، والابن من جهته رغم صغر سنه إلا أنه قام بتقليد حركات والده، وهذا تأكيد من الكاتب على مشابهة الأبناء للآباء، وهذا ما يفعله الأولاد طوال التاريخ محاولة تقليد للوالدين ومماثلتهم في الأقوال والأفعال. والكاتب لم يوظّف هذه الشخصيات لغير ما رسم لها المجتمع من مهام وأعمال، وقد ساعدت هذه الشخصيات البطل على تجاوز الصعاب وتحملها. فهذا ابن حزم يتحدث عن نفسه وعن الدور الذي لعبه والده في حياته قائلاً: "كما كنت أحب أخي أبي بكر، إلا أنّي أعترف أنّي كنت أحياناً متسلطاً معه رغم أنّي أصغره بخمس سنوات. وقد أدرك والداي قوة شخصيتي وعنادي، فعالجه أبي بالحزم في تربيتي والحرص على غرس احترام الرتب في نفسي، وعالجته أُمّي بمزيد من الحنان حتى كنت أشعر باستواء أخلاطي وطبائعي على قانون معتدل في السلوك."<sup>2</sup>، وكذلك دور الجد لا يقل أهمية عن دور الوالد في حالة غيابه فيصير في مكانه ويقوم بدوره.

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص20.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص39.

والقراءة المتأنية لرواية (الحواميم) نلاحظ عبرها العناية التي أولاها الجدّ "ابن معن" لحفيده معنيو، حتى أنه ضحى بنفسه في سبيله إنقاذ حياته الروحية والعقائدية فقام بتهريبه لكي لا يتعرض للتصير، حيث كان قبل ذلك يعلمه تعاليم الدين الإسلامي خفية، بعيدا عن أنظار القساوسة ومحاكم التفتيش: "أما ابن معن فقد تقدم به السن وأصبح شيخا هرما ورزقه الله حفيدا صغيرا حرص على تربيته تربية أسلافه"<sup>1</sup> وكان القساوسة -كما أسلفنا- يستجوبونه بين الحين والآخر عما يلقنه جده بالترغيب مرات وأخرى بالترهيب، لكن ذلك لم ينفع مع الحفيد الذي ظل ثابتا على عهده الذي قطعه لجده، حتى قرر الجد الهرب مع حفيده للمغرب، وذهبا قبالة السواحل ينتظرون السفن القرصانية التي تأتي من المغرب والجزائر تنقل المشردين والمطرودين من المسلمين، وتساعدهم على الجلاء من أرض الظلم والطغيان، وقد نجح الجد في مسعاه واستطاع أن ينقذ حفيده، أمّا هو فلم تساعد رجلاه على إكمال الطريق فقبض عليه وأُقتيد إلى السجن: "قرر ابن معن أن يهرب بابن ولده إلى بلاد الإسلام ..... أمر ابن معن حفيده أن يجري بأقصى قوته حتى يركب في السفينة. تردد الصبي لحظات لكن الجد انتهره ليهرب وبقي في مكانها يملك نضارة الشباب ليلحق ببقية الفارين."<sup>2</sup> وهناك أسماء لشخصيات عرفت عبر التاريخ بنفس المهام ولم تحد عنها ووظفها الكاتب بنفس المدلولات التي اشتهرت بها، فالصديق والساحب والأقرباء كل هؤلاء كان ديدنهم المساندة والحماية لذويهم.

وفي (رواية بحر نون) نلاحظ قدوم الأهل والأقارب للشخصية الرئيسية بعد سفرها وغيبتها الطويلة: "بعد أشهر وصلت إلى وجهتي ودخلت داري، جاءني الأقارب والأصدقاء يطمئنون على حالويهنوني بالعودة سالما غانما، شهراً كاملاً حتى انقطع

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص51.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص55.

الزوار وعاد الأمر كما كان.<sup>1</sup> ، فهذه مهمة الأقارب والأصدقاء الاهتمام بمن يصادقونهم ومواساتهم والفرح لفرحهم والحزن لمآسيهم وهذا ما فعلوه مع البطل يونس قبيل عودته من مصر، وكانت زيارتهم متواصلة لمدة شهر كامل.

وفي (رواية طوق سر المحبة) حينما يعتزم البطل/ابن حزم السفر اتصل بصاحبه حتى يكون رفيقا له ووافق الصديق على طلب صديقه ثم سأله عن سبب هذه السفرية : "أتصلت بصاحبي أبي عامر أجمد بن شهيد. دعوته إلى بيتنا وأطلعته على رغبتني في الانتجاع في مصيف أرملاط، فقال لي مبادراً: بورك فيك يا عليّ، فأنت تعلم قصر اليد هذه الأيام بعدما ألزمتنا الوالد رحمه الله بالزهد والتقشف حتى لم يترك لنا ما يسد الخلة، وقد كنا نعيش سابقا مرفهين فعرضك لي مقبول"<sup>2</sup> وحدثت الفتنة في مجمل قرطبة وأراد الأصحاب الثلاثة مغادرتها فكيف يكون الفراق، يقول ابن حزم في ذلك : " لقد فررنا نحن الثلاثة من الاضطهاد، واستقر بنا المقام في مالقة. ثم أبى صاحبنا ابو عامر إلا السفر نحو شرق الأندلس، بينما بقيت مع أبي بكر نُدبِر أمرنا حتى نجد وجهة آمنة، خرجنا لنودع أبا عامر، فلم يتمالك أبو بكر نفسه من البكاء وظل ينتحب.... وبدأنا نلوح له ونحن في حالة من الحزن الشديد، وكأننا نتوقع أن لا نراه ثانية"<sup>3</sup> وهذا حال الأصحاب عند الفراق، فالوفاء من طبعهم، والكاتب لم يخرج عن المألوف في الواقع، ذلك أن الرواة عودونا على مخالفة المألوف في نصوصهم الروائية خاصة عند الحديث عن الصديق فدائماً ما يذكر قرين الخداع والمكر وترك الصديق في أحلك الظروف وفي أصعب المواقف. فالشخصيات هذه أدت الدور المتوقع منها ولم تحد عنها. وهناك شخصيات كثيرة مثلت الجانب الإيجابي من مثل المسلمين

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص46/47.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، م س، ص77.

<sup>3</sup> مصدر نفسه، ص228/229.

والمؤمنين والجيوش الإسلامية في روايتي (الحواميم وطوق سر المحبة) وكذلك المقاومين والبحارة في (رواية بحر نون) والقراصنة في (الحواميم) والعلماء والفقهاء وغيرهم الكثير في النصوص الروائية.

أما النوع الثاني والذي يمثل أسماء الشخصيات ذات الدلالة السلبية في النصوص الروائية نجدها دائماً معارضة لبرامج الشخصية الرئيسية، وتكون عموماً ممثلة في السلطة بكل أشكالها التي تستطيع التحكم في مصائر الناس وحياتهم، ومثال ذلك السلطة المالية من أصحاب الأموال والثروات والسلطة القانونية، شخصيات تحتل مراكز حساسة تؤهلها للتصرف في القوانين وتنفيذها كالحكام والسلاطين والوزراء والشرطة، القضاة وغيرهم

وعند الوقوف على لفظة القاضي فهي تدل مباشرة على العدل والإنصاف والمساواة في الأحكام بين الجميع، ويتوقع القارئ عند مروره عليها تجسيد وظائفها ودورها الحقيقي المتعارف عليه، غير أنه يخيب ظنه بعد التقدم في القراءة ونمو السرد وتطور الأحداث، حيث يسند الكاتب للقاضي دوراً مخالفاً للمعهود، ويملؤه على امتداد النص بدلالة التعصب والحقد والمصلحة الذاتية، والأمثلة كثيرة عن ذلك في (رواية الحواميم) أين قام قضاة محاكم التفتيش بفعل الأباطيل، واخترعوا الأراجيف لإدانة المسلمين دونما جريمة: " فبعد أن تصدر محكمة دي ديثا حكمها الفوري ينفذ الحكم بالإعدام شنقاً أو بتقطيع جسد المحكوم عليهم بكماشات حامية كالجمر. لقد سقت الدماء تلك الأرض بماء الشهداء.<sup>1</sup> وهذا مما لا يتصوره عاقل الحكم بالإعدام والتنفيذ في الساعة ذاتها، وفي موضع آخر يأمر القاضي بحرق أحدهم دون ذنب اقترفه سوى أنه يخالفهم في المذهب فهو من أتباع المصلح مارتن لوثر الذي كان في بدايات

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 60.

ظهوره في أوربا والتي كانت كلها كاثوليكية: " وبعد أيام وصل إلى علمي أنهم أخذوه إلى ساحة عمومية وتُليّت أمام الغوغاء عريضة بالتهمة الموجّهة إليه وأكبرها الخروج عن ملة المسيح وشق عصا طاعة الكنيسة والبابا.... ولما بدأ القاضي يقرأ البيانات كانت العامة الجّهلاء تقاطعه وتصرخ في وجه المتهم وتبصق في ناحيته وبعضهم يقذفه بما في يده، ثم أضرمت نار عظيمة وألقي المسكين فيها حياً.<sup>1</sup> وكان قضاة محاكم التفتيش يلصقون التهم بالأبرياء ظلماً وبهتاناً، وتجرحهم إلى السجون عنوة، فالعدل من آخر انشغالاتهم. وفي موضع آخر من (رواية طوق سر المحبة) يورد السارد ما يلي: " ثم دعا القاضي ابن ذكوان لكي يذهب إلى البربر ويُعلمهم بأن المهدي حاجب الخليفة ونائب عنه. فلما وقف أمام سليمان المستعين ورجاله أخبرهم بمقالته التي سمعها من المهدي فضحكوا عليه وسخروا منه قائلين: سبحان الله أيها القاضي يموت هشام بالأمس وتصلي عليه أنت وغيرك، واليوم يعيش وترجع الخلافة إليه.<sup>2</sup> وهذه الآفة لم يسلم منها حتى قضاة المسلمين، فقد كانوا لعبة بيد القوي حاجبا أو نائباً أو قائداً للجيش، فهاهو القاضي ابن ذكوان قاضي قرطبة يشارك في مسرحية موت الخليفة الشرعي، فتقام له جنازة رسمية يؤمها القاضي بنفسه، ليتضح بعد زمن يسير بأنها كانت لعبة، حتى تتم السيطرة على الحكم لتعاد الحياة إلى الخليفة المتوفى، والملاحظ في تلك الفترة أن القضاة كانوا مرتبطين برباط ديني قوي، فقضاة محاكم التفتيش قساوسة أو رهبان، وقضاة المسلمين فقهاء وعلماء دين لكن دورهم الذي وظّفهم فيه الكاتب كان سلبياً للغاية. في رواية (الجنيد ألم المعرفة) لا يبعد فعل القاضي في محاكمة الجنيد وسمنون والنوري عن فعل هؤلاء القضاة.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم مصدر سابق، ص 88/89.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 210.

ومن الشخصيات التي حملت دلالة سلبية في النصوص الروائية : الحكام وأصحاب النفوذ والسلطة ونورد هذه الملفوظات من بداية (رواية الحواميم) : "بحسب المعاهدة المبرمة بين آخر ملوك غرناطة أبي عبد الله وملوك إسبانيا الكاثوليك. لكن المسيحيين نكثوا بنود المعاهدة التي ضمنت حقوق المسلمين في مملكة غرناطة. لقد تجمع من بقي من سكان في ربض البيّازين، وعملت إيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة على نقل آلاف القشتاليين إلى الأحياء الأخرى في المدينة. ثم بدأ العد العكسي لطرد المسلمين فتكاثرت التّحرّشات والمضايقات وتحولت إلى محاربة عاداتهم وإرغامهم على التصير شيئاً فشيئاً".<sup>1</sup> وفي هذا المقطع يتراءى لنا إعلان متناقضان لكنهما سلبيان، فالأول ما قام به الملك أبو عبد الله من بني الأحمر من تضييعه لملك آبائه وأجداده ومساهمته في القضاء على دولة وحضارة عمرها ثمانية قرون حتى قالت أمه قولتها الشهيرة: "ابك كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال" فالوظيفة التي أوكلت للملك أبي عبد الله هي ذاتها الوظيفة التي تَبَّهّا له التاريخ، حيث ترك مدينته للغزاة، ورعاياه تحت رحمة محاكم التفتيش فعانوا معاناة سجلها التاريخ، وأبيدت آلاف الأسر المسلمة، وهذا الفعل الثاني المناقض للأول والمتمثل في الأعمال الوحشية التي اقترفتها الملكة إيزابيلا وزوجها الملك فرناندو من تقتيل وتحريق وسلب ونهب تحت غطاء المسيحية وتطهير أرض المسيح من أعدائه وغسلها بدماء المسلمين، وتوارث ملوك إسبانيا هذه السلوكات وأصبحوا يتقربون للكنيسة ولشعوبهم باضطهاد المسلمين وتشريدهم وتغريمهم: "كان عهد كارلوس عهد حروب متتالية وصراعات في كل مكان ضد العثمانيين والفرنسيين والبروتستانت، لكن لم يحرز أي نصر ضد خصومه، فقرر الاعتزال في أحد الأديرة وتنازل عن الملك لابنه فيليب الثاني، كان هذا الرجل متعصبا مثل جدته إيزابيلا، وقد عانى الموريسكيون عناء في عهده، لقد كانت ابتسامته قريية

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 19.

من خنجره، رجل متنازع الأهواء تغلب عليه المشاكسة.<sup>1</sup> وقد كان كل من تقلد الحكم في الأندلس في تلك الفترة يسير وفق هذا المنهج، فشرد الآلاف وقُتل الآلاف وتتصر الآلاف... و... والملوك عادة كما أظهرهم التاريخ ذوي أخلاق، من عائلات وسلالات معروفة، لا يتورطون في الفتك بالآلاف وتشريد وطرد مثلهم وتسخير آخرين في العمل في التجديف ما بقي من أعمارهم. وقد أبدى الكاتب تبرمه من هذه الأفعال ونفوره ممن اتخذها سبيلا من الحكام. ومن بين الدلالات الكثيرة المحتملة في النص، يحدد دلالة واحدة والمتمثلة في الحقد الذي ملأ قلوب هؤلاء الملوك ضد كل ما يمت للإسلام بصلة ومحاولة اجتنائه من عموم إسبانيا، وغالبا ما ترد أفعالها على لسان الشخصية الرئيسية دون تدخلها في مجريات الأحداث أو المشاركة في النص بالحوار، مذكرة القارئ بها.

في (رواية طوق سر المحبة) ننتقل إلى حاضرة قرطبة أيام المنصور وحكمه، نجد ما يقابل الملك عند المسيحيين الخليفة عند المسلمين، والخليفة وقتئذ لم يكن له فعل يذكر فكان معزولا ليس له من الأمر شيء: "وهاهم يرون أنه استغل علاقة مشبوهة مع زوجة الخليفة الحَكَم حتى تمكَّن حُبُّه من قلبها فسَهَّلت له كلَّ شيء، ثم انقلب عليها وعلى ابنها الخليفة الشرعي فحجر عليه الدخول والخروج."<sup>2</sup> فالحاكم محجور عليه، والحكم بيد شخص آخر لا علاقة له بالحكم أو بتفويض الناس، وكلما تُذكر الخلافة إلا ويتبادر إلى الذهن العدل والمساواة والنزاهة والإيثار، وكل الأخلاق الحميدة، كفعل الخلفاء الراشدين أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والخليفة هشام المؤيد لم يكن يتصرف إلا في ختم الخلافة ولم يبق له إلا الدعاء على المنابر رفقة الحاكم الفعلي الذي كان يقرر مصيره.

<sup>1</sup> - مصدر نفسه، ص 48.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 38.

ومن الأسماء التي كانت تحمل دلالات سلبية: القساوسة والرهبان فرجال الدين هؤلاء ارتبطت معاني أسمائهم بالطيبة ومعرفة الحق، لكنهم في النص الروائي الذي يحاكي سقوط الأندلس (رواية الحواميم) استحالوا إلى جلادين استحلوا دماء وأعراض وأموال الناس ممن يخالفهم التوجه والعقيدة، فكان الكهنة هم رؤساء محاكم التفتيش، بل والأغلبية من أعضاء هذه المجالس من ممثلي الكنيسة حسب رتبهم، يتم تعيينهم من قبل السلطة القائمة بمباركة البابا، وكان الراهب أو الكاهن يشرف بنفسه على مختلف العمليات من التحري على المتهمين حتى إيصالهم إلى المشنقة، مروراً بأنواع شتى من التعذيب والإذلال، يقول الراوي: " كان هذا البابا متعصباً متزمناً حتى مع المسيحيين. وكان ضد المذهب البروتستانتي الجديد. وأقام محاكم تفتيش في هولندا، أحرقت الآلاف من المهترقين الإصلاحيين. كما كان يسعى إلى تكثيف جهود المسيحيين ضد الإسلام.<sup>1</sup> وقبله في هذه الملفوظات وصلت حدّة الحقد والكراهية لدى هؤلاء إلى درجة لا تطاق يرى اللغة التي هي أصوات نجسة: " تفاقم الوضع مع الكاهن الجديد الذي عينته إيزابيلا بدل الكاهن طليبة السابق، والذي كان يسعى إلى استمالة المورييسكيين بأساليب الدهاء والترغيب والتعويل على الوقت في تدوير الفروق، بل لقد عمد إلى ترجمة الإنجيل إلى العربية. لكن بعد أن حلّ محله الكاهن خيمينيس، فإنه أوقف الترجمة لاعتقاده أن العربية نجسة وستلحق نجاستها بالكتاب المقدس.<sup>2</sup> فكل رجال الدين الذين ذكرنا خانوا عهودهم وبدلوا مبادئهم لأجل تحقيق مصالح شخصية وتحرير عقد نفسية، وكان من المفترض أن يكونوا أول من يدافع عن المظلومين والمضطهدين لما يحملون من قيم إنسانية، بصفتهم ممثلي المسيح عليه السلام، وناشري مبادئه التي توارثوها من الحواريين .

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 49.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 23.

وهذا ابن حزم الظاهري في (رواية طوق سر المحبة) يكشف زيف الفقهاء الذين يضعون قناع الدين بينهم وبين الناس ويخادعونهم كما يقول السارد/البطل: "عُيِّنَت للتدريس في جامع قرطبة، فكنت أُدرس الفقه على غير مذهب الإمام مالك، السائد في بلادنا، بعدما اختلفت مع بعض فقهاء المالكية بسبب مما لآتتهم لطالبي السلطانحيث اتخذوا الدين غطاءً لأهوائهم، فزَيَّنُوا لكل طامع متغلب طلب الملك، وسخَّروا نصوص الدين لهذه الأغراض."<sup>1</sup> . يميظ ابن حزم اللثام عن هذه الفئة التي ظهرت في المجتمع في وقت الفتن وأصبحت تراعي مصالحها كالتساوسة والرهبان الذين تكلمنا عنهم سابقاً، ويزيِّنون للحكام المتغلبين سوء أعمالهم، ولا يرضون بالمنافسة من أي أحد يستعملون النصوص الشرعية لخدمة توجهاتهم وميولاتهم، نسوا أن الإسلام رحب واسع يتقبَّل كل الآراء مادامت لا تخالف الأصول، ولا تمس بثابت من ثوابته، والكتاب أوضح أفعال هذه الجماعة الطامعين في الدنيا المتناسين للآخرة وأسند لهم أسماء متعددة: فقهاء، علماء، أئمة، أصحاب المالكية، ونسب إليهم الكاتب أفعالاً خسيصة وأعمالاً دنيئة لا يفعلها العلماء والفقهاء تحت أي ظرف من الظروف، يقول الكاتب على لسان بطله: "وبعد مدة قصيرة توفيّ الوالي الذي كان يساندني، فعاد الفقهاء إلى التشنيع عليّ عند خَلْفِهِ، ولم يكن يجمعني به صداقة ولا صحبة، فطلب منّي الخروج من الجزيرة. خرجت مرة أخرى من مَيُورقة باتجاه دانية سنة 440 هـ. لم أنشب أن وصلت دانية حتى تلقَّني فقهاؤها وعلمائها بالنكاية والاستنكار."<sup>2</sup> والأمر لا يختلف في رواية (بلاد صاد) مع ابن الرمي الذي عاد الششتري ولاحقه من مكان إلى آخر، وكذا فعل غلام الخليل مع الجنيد وأصحابه حينما أودعهم السجن في رواية (الجنيد ألم المعرفة).

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق ، ص289.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص308.

بالإضافة إلى هذه الشخصيات نعثر على شخصيات أخرى تحمل دلالات سلبية ولا تساهم إطلاقاً في تغيير الأحداث أو حتى في رفضها، وتتمثل في الشخصيات الجماعية : الناس، المسلمون، الحاضرون، الموريسكيون، القشتاليون، المسيحيون النبلاء، القرطبيون.. إلى غير ذلك من الشخصيات التي تمثل مجموعات مختلفة تربطها علاقة من نوع ما. ويَعْمَدُ الكاتب إلى إظهارها جاهلة أو غير مبالية أمام ما تعانيه، أو ما يُفرض عليها من قوانين، بل أحياناً تبدو شريكة الشخصيات المعارضة فيما بلغته من وضع مترد. ويثير هذا في الغالب نقمة الشخصية الرئيسية عليها وعلى ردود أفعالها المتمسة بالثبات والسكون، كما يصف الكاتب هذه الشخصيات الجماعية بالجمود والتحجر وتعطل الفكر .

رأينا كيف أن الكاتب استطاع أن ينقل القارئ من المعنى الإيجابي للشخصية والمتفق عليه والذي رسخت له الثقافة إلى المعنى السلبي وكيف اختار للشخصيات الوظيفة السردية المناسبة بعد أن تصرّف في بعض الأدوار، وحافظ على البعض الآخر مثل ما هو موجود في الواقع.

ونستطيع إجمال أهم الأسماء ذات الداليتين الإيجابية والسلبية التي تواترت في النصوص الروائية المختارة :

### جدول 2 أسماء ذات دلالات إيجابية أو سلبية

الأسماء ذات الدلالة السلبية	الأسماء ذات الدلالة الإيجابية

<p>الشيخ الكتبي، الإسبان والبرتغال، المحتلون،</p>	<p>رفقاء صالحون، شيخ الخانقاه، أحد البدو، الأعراب، الأقارب، الأهل، الأصدقاء، شيوخ الزوايا، الشيخ عبد اللطيف، الملكة نونة، خدم، نجار، حائك، وصيفات بحارة، الرجال والنساء</p>	<p>رواية بحر نون</p>
<p>الحاسدون، المرءون، الشرطة، ابن الرمي..</p>	<p>الصالحون، طائفة الدراويش، الأصحاب،</p>	<p>رواية بلاد صاد</p>
<p>الملك أبو عبد الله من بني الأحمر، الملكة إيزابيلا، الملك فرناندو، القشتاليون، مغتصبون، قضاة، قساوسة، رهبان، كهان، جيوش، بابوات، محاكم تفتيش، مسيحيون، كاثوليك، جلادون، سجانون، زبانية، جنود، الرعاع، الأجلاف، الأعداء، اللئام، الأنجاس، الأمة النصرانية، الفرسان، أعيان، أساقفة، القوى المسيحية، المجرمون، السفلة، العصاة الباغية، اللعين، القُسس، التجار، الإسبان، الناس، الخائن، الطغاة..</p>	<p>غرناطة المسلمون، أهل موريسكيون، أندلسيون، الوالد، الجد، الحفيد، الزوج، الزوجة، بروتستانت، فقهاء، مقاومة، النبلاء، المجاهدون، زميلي، الثوار، المساكين، الأبناء</p>	<p>رواية الحواميم</p>

<p>الناس، النبلاء، الفقهاء، العلماء، المالكيون، أصحاب المذهب المالكي، الخليفة، قائد الجيش، الشرطة، الجنود، القضاة، رعايا الكنيسة،الجموع،العجوز، الطواغيت، النساء، الوزراء، البربر، الصقالبة، الآفاقين، الحلفاء، النصارى، اليهود، العدو، زبانية واضح الصقلي، السفهاء، اللصوص، العتاة، الظلمة، البربر،أهل قرطبة، فقهاء المالكية، أصحاب الدنيا، أهل سوء، الجهال، اعدائي، المتعسفين، اهل الجور،</p>	<p>الوالد، الابن، الحبيبة، الأصحاب، الأصدقاء، الشيوخ، الأخ، الجواري، الوزير، الزوجة، الإمام،الناس، المحبوب، الصوفية، مؤمنون، أجدادي، الثُدمان، حُماتي</p>	<p>رواية طوق سر المحبة</p>
<p>الباهلي، غلام الخليل، زمرد، الباطنيون،الاسماعيليون،القرامطة،الحشاشون.. المنافقون، أهل الدسائس...</p>	<p>الأئمة، الحجاج، عمار بيت الله، الفقهاء، العلماء، أصحاب المذاهب، الصحابة، التابعون، الخلفاء....</p>	<p>رواية الجنيد ألم المعرفة</p>

من خلال المعطيات التي يوفرها الجدول يمكننا ملاحظة توظيف الشخصيات ذات الدلالة الإيجابية أكثر من الشخصيات ذات الدلالة السلبية في (رواية بحر نون)، والأمر راجع إلى نوعية النص الروائي الذي يحكي رحلة بحث، أو مغامرة استكشاف تغلب فيها الشخصيات التي تساند وتساعد الشخصية الرئيسية، لأن الجميع متفق على إيجاد هذا الكتاب، أمّا في (رواية بلاد صاد) تحكي سيرة الششتري وكان الشخصيات الإيجابية الغالبة في المتن. كذلك كان الحال في (رواية الجنيد ألم المعرفة) غلبة الشخصيات الإيجابية في قصة حياة الجنيد . وفي الروائتين المتبقيتين غُلب وجود الشخصيات ذات الدلالة السلبية على الشخصيات ذات الدلالة الإيجابية ومرد ذلك إلى

الواقعية التي اتسم بها النصان فالأول يسرد قصة طرد المسلمين من بلاد الأندلس والثاني سيرة ذاتية لابن حزم الظاهري وما لاقاه من متاعب في حياته الاجتماعية والعلمية، في النص العرفاني للحواميم وظّف الكاتب الشخصيات ذات الدلالة السلبية بشكل مكثّف، حيث شغلت حيزاً فضائياً واسعاً في المجتمع الإسباني مسّت كل هيئاته المحورية تقريباً، إذ احتلت مراكز هامة شكّلت أعمدة الدولة واستخدمها الكاتب منوعاً في أسمائها وألقابها في البداية أعطاهما أسماءها المتعارف عليها، ملوك قضاة، وكان حضورها في المجتمع أكثر من الشخصيات ذات الدلالات الإيجابية ويعني هذا حدة الصراع بين طرف قوي مصر على تنفيذ مخططاته، وطرف آخر ضعيف لا يملك أي خطة للتصدي لعملية الاجتثاث التي طأته في مقوماته ومعتقداته بل في وجوده.

في (رواية طوق سر المحبة) وظّف الروائي عدداً من الشخصيات ذات الدلالة السلبية أكثر من نظيرتها ذات الدلالة الإيجابية، فطبيعة المجتمع عندما تطغى فيه المصلحة الشخصية على مصلحة العامة تكون هذه حاله، والكاتب من خلال ذلك يؤكد على الصراع الأزلي الموجود بين الأقوياء والضعفاء، الأغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء، والشخصيات الرئيسية في الروايتين عانت الأمرين من تصرفات الشخصيات ذات الدلالة السلبية، فلطالما عرضت برامجها وتصادمت معها أثناء تحقيقها، وقد ركّز الكاتب على الطبقات العليا من المجتمع المسيحي في (رواية الحواميم) التي كانت من أشد المعارضين للشخصيات المحورية فنجد من بينهم ملوكاً، وبابوات وقساوسة وأمراء، وفي الرواية الثانية (سر طوق المحبة) كانوا ذوي الدلالات السلبية كذلك من علياء القوم من فقهاء وعلماء ووزراء ممن كانوا يحسدون ابن حزم على مكانته وعلمه.

### 3.1.1.3 أسماء الشخصيات غير المؤنسة :

أثناء دراستنا لدلالة أسماء الشخصيات من منظور المرجعية الثقافية، تبنى الكاتب مجموعة من الأسماء تشير إشارة مباشرة إلى الحالة النفسية للشخصية الرئيسية في كل نص روائي، كالأمل والأسى والحزن.. وأسماء أخرى لمسميات مختلفة صارت هذه الأسماء في هذه الأعمال الروائية أسماء لشخصيات تتدخل لتعطي رأيها في بعض المسائل التي تخص الشخصية المحورية، وتقدم لها النصح أيضا.

ولو بدأنا برواية (بحر نون) لوجدنا شخصية الحية تخاطب الملكة نونة :  
فجاءتني الحية التي حيل بيني وبينها بجذع الشجرة فقالت لي: لماذا تهربين مني يا نونة ؟

فقلت لها : ومن أين تعرفين اسمي ؟

فقالت : وهل يخفى اسمك أو اسم رفيقك يونس على أحد من أهل هذه الأرض ؟  
فقلت لها : ماذا تريد مني، ولماذا تتبعيني ؟ فقالت : لا أريد بك إلا الخير، وقبل ذلك خذي هذا القرص المعجون من هذه الشجرة واقتاتي منه لكي تستردّي بعض قواك.<sup>1</sup>  
نلاحظ في الحوار الذي دار بين الملكة نونة والحية محاكاة واضحة لقصة أمنا حواء وكيفية خروجها من الجنة وأكلها مع سيدنا آدم عليه السلام من الشجرة التي نهاهما عنها المولى سبحانه وتعالى. وهنا نرى بوضوح الشبه الذي حاول الكاتب إدراجه هنا بين قصة آدم وحواء ويونس والملكة نونة من جهة ومن جهة ثانية قصتهما وتشابهها مع قصة سيدنا يونس عليه السلام، فبعد أن وجدت الملكة نفسها وحيدة في الجزيرة بعد تحطم السفينة، ظهرت لها الحية وجرى بينهما الحوار الذي أثبتناه سابقا، فتدخل الحية جاء لإعادة الأمور إلى نصابها وترجع الملكة إلى بشريتها، ويأتي مدلول الحية

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : بحر نون، مصدر سابق، ص195.

المعطى قبلا: أذية الإنسان، لتصرف عكس طبيعتها وتسدي النصح للشخصية الرئيسية ولا تريد لها إلا الخير حسب زعمها، ويبدو أنها تملك ما يسمى بمعرفة الفعل.

وفي (رواية الحواميم) نجد تدخل "حديث النفس" كشخصية تعبر عن ما في نفس الشخصية المحورية من هواجس، من خوف، من أمل، من أمان. فهاهي الشخصية المحورية في الجزء الأول من الرواية الشيخ ابن معن وهو في السجن يقول: "لكني كنت أنا الناطق والشاهد على هذه الإنسانية المضمحلة. كنت أقول في نفسي لا بد أن يبقى الإنسان ناطقا. لا بد أن يقاوم الصمت المفروض من الجلادين. ثم كنت أدفعه للكلام وأنتظر الجواب فلا يأتيني الجواب."<sup>1</sup> كان ابن معن يُحدِّث نفسه يحاورها وكأنه يحاور زميله في الزنزانة، فالكاتب وظَّفها وعمد إلى الحفاظ على مدلولها الجاهز، والقصد منها تنبيه الشخصية الرئيسية إلى أنها أكثر دراية منها، وحديث النفس متعارف عليه على أنه يعكس عدم قدرة الإنسان على التواصل مع الآخرين، والشخصية الرئيسية في النص الروائي العرفاني غير قادرة على التحدث مع زميلها في غرفة السجن لما لحق به من عذاب أجبره على فقدان الكلام لأيام عدة، كما أنه لا يستطيع محاوره سجانيه ولا حتى مجادلتهم في تلك الظروف .

في (رواية طوق سر المحبة) تتحول الصخرة التي جلس عليها ابن حزم الأندلسي إلى شخصية كاملة، تتدخل بطريقة مباشرة بالقول والفعل، يقول الراوي: "وبعدما أنصَبني المشي وصلت إلى صخرة كبيرة كأنها جبل فجلست عليها وآويت إلى جوارها، فانتفضت ونطقت على غير عادة كما ينطق الأحياء، وقالت لي : إنك تشبهني. استغربت من الصخرة تكلمني، ولم أدْرِ هل كنت في المنام أم في اليقظة أم بينهما. المهم أن الصخرة كانت تكلمني وكنت أسمعها كما أسمع الأحياء ينطقون" وألقت عليه

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : الحواميم، مصدر سابق ، ص 79.

الصخرة السلام فتحيرّ وتعجّب من كلامها : " فقالت لي : السلام عليك أيها القادم من لا أين. أنا جبل الطور، ومطلع النور. - فقلت لها : أوتكلمين؟ - قالت : أو لا تسمعني ؟ - قلت : بلى، ولكنّي أستفهم عن سرّ الكلام، من صخرٍ ليس من الأثام.<sup>1</sup>"  
ويتم الحوار على هذا النسق حتى منتهاه، ومن خلال أجوبتها تخبره كيف حضنت أصحاب الكهف، وكيف نسيّ موسى عليه السلام عندها حوته، ثم كيف ضربها فانفجرت بالماء وأخيراً أعلمته بحقيقتها، فليست إلا الأرض التي شاهدت وشهدت على كل أفعال بني آدم منذ أهبط . وقد لعبت دوراً مساعداً للشخصية الرئيسية ; فقد أجابت عن أسئلة وجودية فلسفية كانت تؤرق ابن حزم الظاهري، فأزاحت عنه ثقلاً وكان توظيفها لمقصد رمى إليه الكاتب، وقد كان.

### 2.1.3. الاسم المركب :

نجد في النصوص العرفانية لعبد الإله بن عرفة الاستعمال المكثف للأسماء المركبة، ذلك أن الفترات التي تحكي عنها الروايات كانت تستخدم هذا النوع من التسمية، وفي الحقيقة هي تقترب من التقنية التي تحدث عنها فيليب هامون ونقصد هنا الاسم المختلط ( nom mixte ) " وهي أسلوب يكمن في خلق أسماء أعلام مختلطة، يشبه بعض فونيماتها (واحد أو اثنين بالتقريب) أسماء الشخصيات التاريخية، وتهدف هذه التقنية إلى تحقيق إرساء مرجعي، وتنوع ضمنى لأدوار مبرمجة مسبقاً".<sup>2</sup>

نلتقي في (رواية بحر نون) أن الكاتب وظّف منذ البداية اسماً مركباً للشخصية المحورية فالسارد كان في دكان لصاحبه فدخل عليهم الشيخ : " دخل علينا في دكّانة صاحبي الكُتبي وبادرنا بالسلام. فرد عليه صاحبي، وكان من معارفه : وعليك السلام

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 317/318.

<sup>2</sup> - PH. HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, p.127.

يا شيخ يونس، ما الذي أتى بك هذه المرة؟<sup>1</sup> فالاسم كما هو ظاهر يونس مسبوقه بكلمة شيخ وهذه الكلمة كما أشرنا سابقا مدلولها في هذا السياق محصور في كبر السن وتستخدم في الاحترام والتوقير فمعناها جاهز مسبقا فكل شخص يحمل هذه الصفة وينعت بها إلا ويستحق التقدير والتبجيل، ويعيد الكُتبي الصياغة ذاتها في مخاطبة الشيخ خلال الحوار الذي دار بينهما من أجل تقييم كتاب: " فقال الكتبي: دعنا من هذه الأسمار والتخاريف يا شيخ يونس، فأنت تعلم أن أهل زماننا لا يهتمون بمثل هذه الأمور. وكتابك عندهم ليس بذى بال." <sup>2</sup> فلقب "الشيخ" جذرت له الثقافة من خلال المعاني التي أثبتتها له وهذا نجده بكثرة في الرواية ذلك أن الشيخ يونس عندما يرجع بذاكرته إلى الماضي يتذكر ويذكر كل الشيوخ الذين مر بهم أو تأدب وتلقى عنهم علوما، لكن لفظه الشيخ هذه يضاف لها مدلول آخر له امتداده أيضا في الثقافة العربية، فكانت القداسة وشرف العلم وعلو الهمة ونبل الأخلاق كل صفات تضاف إلى لقب "الشيخ" الذي لُقِبَ به الشيوخ. كما نجد شخصية رئيسية أخرى نوديت باسم مركب وهي "الملكة نونة" ولقب ملكة أو ملك معروف عبر التاريخ وفي ثقافات كثير من الشعوب، وهو لقب جاهز المعنى ولا يحتاج إلى النمو أثناء تقدم الرواية: " في تارودانت جاءني، وأنا بين النوم واليقظة، شابٌ بلباس أنيق وعلى رأسه عمامة خفيفة وقال لي: جئتك مرسلا من الملكة نونة، التي تأمرك أن تَمَثُلَ لمقابلتها." <sup>3</sup> ومقام المُلْك لا يضاهيه مقام ولا يمكن مناداة أو مخاطبة الملك أو الملكة باسمه بدون ألقاب التعظيم والتفخيم وما يليق بمقامه سواء في حضوره أو في غيابه، والملفوظ مَلِكا أو مَلِكة متبوع بالاسم

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص15.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون مصدر سابق، ص17.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص70.

الخاص بهما عادة ما يتلفظ به في غياب صاحبه، فهناك ألفاظ خاصة تستعمل في مواجهة الملوك والأمراء وذوي النفوذ يُخاطبون بها.

نلاحظ هذا أيضا في رواية "الحواميم" حيث ترتبط أغلب الألقاب بصفات أو نعوت ف "إيزابيلا" مرة ملكة وأخرى يتركب اسمها من صفة دينية عقائدية: " لكن المسيحيين نكثوا بنود المعاهدة التي ضمنت حقوق المسلمين في مملكة غرناطة. لقد تجمّع من بقي من سكان المدينة في ربض البيّازين، وعملت إيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة على نقل آلاف القشتاليين إلى الأحياء الأخرى في المدينة.<sup>1</sup> وهكذا بقية الملوك كلّ مسبق اسمه بلفظة إجلال وإكبار، ولو انتقلنا إلى الأسماء الأخرى من مثل أسماء رجال الدين فكل واحد منهم إلّا ويسبق بملفوظ آخر بالنسبة للمسلمين أو المسيحيين وفي هذا المقطع توضيح لذلك: " جاء الفقيه ابن معن مع بقية الفقهاء إلى أحد المساجد التي حُوت إلى كنيسة. ولما دخلوا أمرهم خيمينيس أن ينحنوا أمامه لتحيته، لكنهم امتنعوا ..... أخذ ابن معن الكلمة قائلا: يا غبطة الكاهن، إن التحية عندنا معاشر المسلمين فرض كفاي." <sup>2</sup> فابن معن يلتصق باسمه صفة "الفقيه" وهي رتبة في الدين الإسلامي تطلق على المتبحر في علوم الفقه والتمكّن من القضايا الشرعية التي تخص المجتمع و أحيانا يسميه الكاتب الشيخ للقيمة العلمية التي يمثّلها وكبر السن، وكذلك الأسماء الأجنبية للمسيحيين نجدها مرتبطة بالألقاب تمثل رتبة معتمدة في العقيدة الكاثوليكية، من مثل الراهب والقس والكاهن وهذه الألقاب تمنحهم سلطة دينية غير محدودة تجعلهم ينوبون عن المولى يغفرون لمن يدفع ويرجئون الفقراء. في رواية (طوق سر المحبة) ذكّر والد الشخصية الرئيسية المعروف ب "أبي عمر أحمد بن سعيد" يقول السارد: " تلقى أبو عمر أحمد بن سعيد خبر ولادة زوجته مباشرة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص19.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص24.

بعد سلام الإمام من صلاة صُبح يوم الأربعاء مِتْمَ ثلاثين من رمضان، إذ جاءه أحد الفتيان الواقفين على الخدمة مسرعا وأعلمه بالنبا فسرَّ بذلك سرورا عظيما<sup>1</sup>. وما نلحظه أن والد ابن حزم اسمه يتجزأ إلى ثلاث أجزاء "أبو عمر" و"أحمد" و"بن سعيد" والمقطع مشتق من العمر فهو يعبر عن التفاؤل بطول العمر لصاحبه، والثاني من الحمد، والثالث مأخوذ من السعادة التي ينشدها كل إنسان، فالعرب كانت تتشاءم وتتفائل بالأسماء، وتخاف العين فتطلق على أولادها أسماء حيوانات أو غيرها حتى تدفع عنهم الشر، والأسماء في الرواية كلها على هذه الشاكلة، وأكثر ما كان مستخدما الكنية وإنما كانوا (يعدلون عن الاسم واللقب إلى الكنية قصداً إلى تعظيم المكنى وإجلاله؛ لأن بعض النفوس تأتف أن تُذكرَ باسمها أو لقبها، وليس طريقُ التعظيم باللقب كطريق التعظيم بالكنية؛ لأنَّ التعظيم باللقب إنما هو بمعنى اللفظ)<sup>2</sup>. وأبُّ البطل كان وزيرا محترما وقد نودي به مرات عدّة في ثنايا النص؛ ففي زمانهم كانت هذه الكنى والألقاب مألوفة لا كزماننا، وفي موضع آخر يرد اسم ابن حزم الأب بكُنيتِه وصفته في الدولة حيث كان وزيرا للمنصور: "أرسل الوزير أبو عمر جاريةً يثق فيها إلى قصر المنصور الملاصق لداره لتأتي بالصبية نُعم. ذهبت إلى هناك إلا أن الرومية التي حازها المنصور أصرَّت أن تلتقي بالوزير فاستأذنت لمرافقة الصبية فأذن لها"<sup>3</sup>.

كما أنَّ الروايات النماذج حفلت بالكثير من الأسماء المركبة مؤلفة من لفظتين الأولى "عبد" وهي تشير إلى مملوك؛ شخص تحت تصرف شخص آخر و من صفاته الخضوع والطاعة المطلقة والخدمة، وكانت هذه التسميات شائعة عند العرب المسلمين

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 17.

<sup>2</sup> أفاده محمد محي الدين عبد الحميد في شرح قطر الندى (ص 134 هامش 2/ باب العَلَم)

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 35.

يطلقونها على أبنائهم (ولحد الساعة). مستقين ذلك من البناء الذي صيغت وفقه أسماء الله، فعملت هذه الألفاظ على تهيئة القارئ لنوع الدلالات المنتظر تحقيقها في النصوص، فمثلا شخصية الشيخ العرفاني الذي سافر إليه الشيخ يونس في رواية بحر نون كان اسمه مركبا من لفظتين " عبد اللطيف" وكان الشيخ فعلا كما رسمه الكاتب شخصية لطيفة جدا وحقق العبودية التامة لله عز وجل، يقول الشيخ يونس بعد رجوعه إلى وطنه: " بعد أيام قررت زيارة شيخي عبد اللطيف الذي كان يقيم في إحدى الفجاج بعيداً عن ضوضاء المدينة. وكان يحضر في بعض الأحيان إما لزيارة غيره من الشيوخ أو تفقد أقاربه وطلبته...وبعدها سرت إلى الشيخ عبد اللطيف الذي خرج للقائي مع مريديه. عَانَقَنِي ثم قَبَّلَ يدي وقَبَّلَت يده، وتلك عادة الفقراء في التصافح لإذهاب الكلفة وإرغام النفس على التذلل والخضوع."<sup>1</sup>، وهنا نعرف سبب تسمية الشيخ بهذا الاسم. ولم تكتمل دلالة شخصية الشيخ عبد اللطيف بمجرد ذكر الاسم بل تعرفنا عليها من خلال الخصائص التي تميّزت عبر صفحات الرواية. فالاسم المركب ليس كافيا لوحده لتحديد مدلول شخصية ما .

### 3.1.3 الاسم التاريخي للمكان الجغرافي :

يحمل المكان دلالات متنوعة وعلاقات مختلفة تربط الإنسان بواقعه المكاني، فيتفاعل كل منهما مع الآخر، لتنشأ علاقة مزدوجة بينهما، فتكون في اتصال أحيانا وفي انفصال حيناً آخر. فيبسط المكان حركته على الشخصيات، ليدلنا على مدى الجدلية التي توليها اللغة في إطار توظيفها داخل النصوص السردية. فهو يمثل " مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص48/47.

خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين.<sup>1</sup> فالمكان بالنسبة للشخصيات الرئيسية يعتبر المحيط الذي تتحرك فيه، فالشخصية لا تستطيع العيش خارج هذا الإطار، ففي المكان وُلِدَت وفيه نشأت وترعرعت وعلى أرضه تموت. وهي متفاعلة معه متأثرة به: "فالمكان في حركة أخذ وعطاء مع الشخصيات الروائية وأحداثها يتوجه بوجهتها، ويرتبط بحركتها، ويقدم بما يدفع أحداثها إلى الأمام دائما"<sup>2</sup> فلا بد من الاعتراف بأنّ المكان والشخصية دائما في حركة تبادلية يؤثر كل منهما في الآخر وحين يقوم الروائي ببناء الأمكنة في الروايات يعمد إلى جعلها منسجمة مع طبائع الشخصيات ومزاجها وهذا يحيل إلى حالة المجتمع الذي يعيش فيه، فالشخصية لها دور في رسم المكان وتشكيل أبعاده الدالة. ويؤكد فيليب هامون على الوظيفة المحورية للمكان؛ إذ من خلال وصفه يمكن للقارئ أن يتوقع مسار الشخصية في النص: "إن البيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث، وتدفع بها إلى الفعل، حتى إنه يمكن القول بأن وصف البيئة، هو وصف لمستقبل الشخصية."<sup>3</sup> وإذا كان وصف المكان وتقديمه مرتبط بتقديم الشخصية فهي لا تخضع كلية للمكان، وبالتالي يمكن اعتبار الفضاء الروائي بمثابة بناء يتم تشييده بالاعتماد على المميزات والتحديدات التي تطبع الشخصيات، منسجما ومتماشيا مع التطور الحكائي العام بحيث يحدث تطابق بين الشخصية والمكان. ولكل مكان خصوصيته في التأثير على الشخصيات الروائية، ونوعية هذا التأثير تختلف من مكان لآخر حسب طبيعة المكان الذي تعيش فيه هذه الشخصيات؛ فالأماكن المفتوحة يختلف تأثيرها عن الأماكن الضيقة، فلا تستوي نفسية من هو في السجن مثلا كمن هو حر طليق.

<sup>1</sup> - محمد بوعزة : تحلل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010، ص99.

<sup>2</sup> - شاهين أسماء : جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2001، ص17.

<sup>3</sup> - PH.HAMON : Introduction à l'analyse du descriptif, Ed : H,U,1981,p.113.

هذا وقد تنوعت الأمكنة في الروايات بين المفتوح والمغلق، بين العام والخاص، وفق "متطلبات التحليل السردى يمكن أن تكون كلية يوظف فيها المقولات الكلية العامة والعناصر، كما يمكن أن تكون جزئية تتبع مختلف المكونات العامة وما يتفرع منها، وترصد كيفية اشتغالها في الخطاب السردى<sup>1</sup>" وعليه تكون الروايات نصوصا سردية جامعة لمختلف الأمكنة مما يكسب النص ذوقا وإيقاعا فنيا.

ويمكن القول إنَّ الأمور تَسهُلُ على القارئ وتتضح له إذا ما صادف في النص السردى مكانا واقعيا معروفا باسمه، إذ يرى فيليب هامون: "أن الإشارة إلى اسم علم لمكان جغرافي، تمارس ثلاث وظائف :

- إرساء مرجعي لفضاء حقيقي من جهة.

- تحديد لدر شخصية من جهة أخرى.

- وكذلك تراكم اقتصادي للأدوار السردية المتوقعة.<sup>2</sup>

فاسم المكان الجغرافي يلعب دورا فعالا في معرفة وفهم الشخصية، وكذلك دلالاته معطاة وجاهزة والقارئ يستطيع توقُّع معطيات عدّة من الممكن أن تتوفر في هذا الفضاء دون غيره، ثم إن هذا الاسم يعمل على تبيين إذا ما كان الكاتب جسّد فيه حقّا تلك المعطيات المميزة له، أم أنه تصرّف فيه وأعطى له أبعادا أخرى غير التي نصّ عليها التاريخ. ظهرت فضاءات متعددة في النصوص المدروسة وعرفت تواجدا متواترا في كل النصوص بحيث لا يمكن استكمال دراسة الشخصية دون التعرض لهذه الأمكنة.

<sup>1</sup> - سعيد يقطين : السرديات والتحليل السردى (الشكل والدلالة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،

ط1، 2012 م، ص57.

<sup>2</sup> - PH.Hamon, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, p.127.

تَتَحَدَّدُ الفِضَاءَاتُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى حَيْثُ يَسْكُنُ بَطْلُ رِوَايَتِنَا 'بِحَرِّ نُونِ الشَّيْخِ يُونُسَ الَّذِي نَوَى حَجَّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لَمَّا بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ، فَسَافَرَ قَاصِدًا الْمَشْرِقَ: "عِنْدَمَا اسْتَوَى عَوْدِي وَنَبَيْتَ عَلَى الْأَرْبَعِينَ يَمَّتْ صُوبَ الْمَشْرِقِ أَبْغَى حَجَّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ... وَكُنَّا نَنْزِلُ عَلَى مَوَاضِعِ الْمَاءِ فَنَشْرِبُ وَنَغْتَسِلُ وَنَتَضَلَّعُ وَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا حَتَّى الْمَحَلَّةِ التَّالِيَةِ. لَقَدْ كَانَ عِدَدُ تِلْكَ الْمَرَاحِلِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْحِجَازِ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ. وَقَدْ أَوْقَفَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ صَالِحُ دَفِينِ آسْفِي الْأَوْقَافِ. فَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَّزَ رَكْبَ الْحَاجِّ الْمَغْرِبِيِّ"<sup>1</sup> فَالْمَلَاخِظُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ أَنَّ الْفِضَاءَ الْأَوَّلَ كَانَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ مَوْطِنًا وَمِنْشَأً الشَّخْصِيَّةِ. الشَّخْصِيَّةُ فِي اتِّصَالِ مَعَ الْفِضَاءِ الْأَوَّلِ.

الشَّخْصِيَّةُ <sup>٨</sup> بِالْفِضَاءِ (1). ذَاتُ <sup>٨</sup> الْمَوْضُوعِ. ثُمَّ انْفَصَلَتْ عَنْهُ وَاتَّصَلَتْ بِفِضَاءِ ثَانٍ. الشَّخْصِيَّةُ <sup>٧</sup> بِالْفِضَاءِ (1) <sup>٨</sup> بِالْفِضَاءِ (2). ذَاتُ <sup>٧</sup> الْمَوْضُوعِ (1) <sup>٨</sup> الْمَوْضُوعِ (2). ثُمَّ عَادَتْ مَرَّةً ثَلَاثَةَ لَلْفِضَاءِ الْأَوَّلِ وَانْفَصَلَتْ عَنِ الْفِضَاءِ الثَّانِي. ش <sup>٧</sup> ف (2) وَ <sup>٨</sup> ف (1). تَشِيرُ الْحَالَةُ الْأَخِيرَةُ إِلَى عَوْدَةِ الشَّخْصِيَّةِ إِلَى وَضْعِهَا الْأَوَّلِ فَحَضَرَ فِضَاءَهُ بِتَسْمِيَّاتٍ غَيْرِ الْمَغْرِبِ فَجَاءَ عَلَى لِسَانِ السَّارِدِ: "جَمَعْتُ مَا لَدَيَّ مِنْ مَتَاعٍ، وَتَأَهَّبْتُ لِلسَّفَرِ صُوبَ بِلَادِي. خَرَجْتُ فِي الْيَوْمِ الْمَوَالِي بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ بَعْدَ أَنْ أَخَذْتُ مَا يَلِزِمُ لِلسَّفَرِ. بَعْدَ أَشْهُرٍ وَصَلْتُ إِلَى وَجْهَتِي وَدَخَلْتُ دَارِي جَاءَنِي الْأَقْرَابُ وَالْأَصْدِقَاءُ يَطْمَئِنُّونَ عَلَى حَالِي وَيَهْنَأُونَ بِلِإِعْوَابِي سَالِمًا غَانِمًا"<sup>2</sup>.

فِي (رِوَايَةِ بِلَادِ صَادٍ) انْفَصَلَ الشَّشْتَرِيُّ عَنِ مَوْطِنِهِ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ وَظَلَّ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ حَتَّى وَافَتَهُ الْمَنِيَّةُ فِي مِصْرَ.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 19.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 46.

وفي النصف الأول من (رواية الحواميم) نجد الشخصية المحورية في حالة اتصال دائم مع الفضاء الذي استعمله الكاتب، تخلّل هذا الاتصال محاولة انفصال واحدة كانت فاشلة.

شخصية  $\wedge(1)$  الفضاء ذات  $\wedge(1)$  موضوع). والشخصية الرئيسية في الجزء الثاني كانت متصلة بالفضاء الأول وحدث الانفصال في المحاولة الناجحة لها عكس الشخصية السابقة " ابن معن الجد".

شخصية  $\wedge(2)$  فضاء  $\wedge(1)$  ← شخصية  $\vee(2)$  فضاء  $\wedge(1)$  ← شخصية  $\wedge(2)$  فضاء  $\wedge(2)$

ذات  $\wedge(2)$  موضوع  $\wedge(1)$  ← ذات  $\vee(2)$  موضوع  $\wedge(1)$  ← ذات  $\wedge(2)$  موضوع  $\wedge(2)$

وفي (رواية طوق سر المحبة) نجد أن الشخصية الرئيسية متصلة بالفضاء الذي وُلدت ونشأت فيه، ثم انفصلت عنه ورجعت إليه وانفصلت عنه وعادت إليه من جديد

شخصية  $\wedge(2)$  فضاء  $\wedge(1)$  ← شخصية  $\vee(1)$  فضاء  $\wedge(2)$  ← شخصية  $\wedge(1)$  فضاء  $\wedge(2)$ .

ذات  $\wedge(2)$  موضوع  $\wedge(1)$  ← ذات  $\vee(1)$  موضوع  $\wedge(2)$  ← ذات  $\wedge(1)$  موضوع  $\wedge(2)$

في هذا النص العرفاني نجد الشخصية المحورية "ابن حزم الأندلسي" قد تتقلّ في عدة أمكنة من قرطبة التي وُلد فيها وترعرع بها إلى مدن أخرى، إما للسياحة أو طريدا ولنستمع إلى ما يقول: "أنا عليّ، ووالدي الوزير أبو عمر سعيد ابن حزم، وُلدت في قصرنا الملاصق لقصر المنصور بن أبي عامر في مدينة الزاهرة شرقي قرطبة. وتربّيتُ في حُجُور جاريات القصر يُعَلِّمُنني ما أحتاج إليه من قرآن وأدب ولغة وخط<sup>1</sup>. وتراه في مقطع آخر يبين هذا الترحال والتخبط حين يقول: " فخرجت منها في حدود 450هـ، قاصداً إشبيلية التي كان يحكمها آل عبّاد.....ألقت بي عصا التسيار إلى

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 38.

أرض أجدادي في لبلّة، وتحديدًا في قرية مُنت ليشّم، وكانت لنا أملاك هناك. كما أنّ بعض أهاليها كانوا يقطنون المنطقة. خلوت مع نفسي في هذه البلدة بين أسرتي وأهلي وطلبتني الأوفياء<sup>1</sup> وكل المدن التي ذُكرت في الروايات تحمل مجموعة من الدلالات الثابتة التي لا تخفى على أيّ قارئ كونها مدناً تحمل فكراً وتراثاً عريقين، وثقافة ساهمت بشكل كبير في تبلور الثقافة العالمية، فقرطبة لا تخفى أفضالها على أوروبا في شتى مجالات العلوم وكذلك غرناطة، وهذه المدن كلها كانت منضوية تحت حكم الخلافة التي كان مركزها "الأندلس".

كان المسلمون يتمتعون بالسيادة في عموم البلاد التي كانت تحكم شبه الجزيرة الإيبيرية كاملة ما يعادل اليوم إسبانيا والبرتغال وجزءًا من جنوب فرنسا. يوضح السارد مكانة الأندلس في ذلك الزمان: "كانوا يدركون أنّ الخلافة الأمويّة حقّقت لبلاد الأندلس كثيرًا من الرخاء والجاه والأمن حتى استنقروا الناس في ألوان المراكب والدور والآثار ممّا لم يكن به عهدٌ لغيرهم."<sup>2</sup> وكانت قرطبة عاصمة عالمية بكل المقاييس المعتمدة آنذاك حيث توفرت على كل المقومات خاصة لمجالس العلم التي كانت مزدهرة بشكل ملحوظ، تضاهي كبرى الجامعات مما انعكس على الشخصية الرئيسية في النص العرفاني فكان من علماء الأندلس المعدودين والقامات الفكرية الإسلامية التي خلّدت اسمها في سجل الكبار، وشاعت الحرية الفكرية وتعددت المذاهب الدينية وكان لكل شخص الحرية في التعبد وفق المذهب الذي يراه مناسبًا، فكانت تقام المناظرات الطوال بين العلماء والفقهاء من مختلف المدارس، في الوقت الذي كانت الكنيسة تبيع صكوك الغفران، وتُحرق من كان يدرس الفلسفة أو يقرأ كتب العرب والمسلمين التي تُحرّر العقل، فكان لقرطبة الدور الأساس في إبراز مدى مساهمة أبنائها من علماء في

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة مصدر سابق، ص310/311.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص41.

مختلف الميادين والمجالات، فكانت الأم الرؤوم والحاضنة الكبرى لهذه العلوم والمعارف التي تُعَلِّي من شأن العقل كما تحافظ على النقل. وكان ابن حزم يعيش فيها على أحسن حال ولا يستطيع فراقها لكن الأيام دوّارة فبیتعد عنها مُكْرَهًا بعد أن مات فيها أغلب من يحبهم فلم يستطع المكوث بالقرب من مدافن أحبائه فغادرها إلى وجهة أخرى وما لبث أن عاد إليها وزيرا ثم عاود مفارقتها لكن هذه المرة هاربا بعد أن تمكّن أعداؤه من السيطرة عليها وهكذا ظلّ في كَرْ وفرّ بين اتصال ووصال بمدينةته حتى وافته المنيّة في أرض الأجداد رحمة الله عليه.

وكانت غرناطة سائرة في الدرب ذاته من رقي وازدهار مادي وترف فكري وعقلي، حتى سقوطها تحت سطوة الأعداء والجُهال الذين حوّلوا ربيعها إلى شتاء وطمسوا نجومها. يقول السارد في بداية سرده لسقوط هذه المدينة التي اعتبرها المؤرخون آخر قلاع المسلمين في الأندلس: "استمر الوضع على ما كان عليه ولم يتغير نمط الحياة سوى ما كان من بعض الشكليات. فالمسلمون في مملكة غرناطة كانوا أغلبية ونمط حياتهم أرقى من نمط نظرائهم من القشتاليين"<sup>1</sup> وغرناطة كانت من أكثر المدن ازدهاراً في عموم أوروبا ويكفيها فخراً تواجد "قصر الحمراء" على أراضيها والذي يُعدُّ جوهرة حقيقية ماثلة إلى اليوم في وجه الزمن ساردة حكاية عظمة بناته وعبقريتهم، وقد جمعت بين سحر الشرق وجمال الغرب، حيث تجلت فيها عبقرية الهندسة العربية الإسلامية و"جنة العريف" مصداقا لما نورده فهي عبارة عن مجموعة من الحدائق والمنتزهات مبنية بجانب القصر بحيث أنك تستطيع رؤيتها من كل مكان في غرناطة، وهي ذروة ما توصل إليه العقل العربي، كما أنها كانت ملتقى لعديد العلماء والفقهاء والمحدثين خاصة في حي البيّازين الذي لا يزال قائماً إلى الآن.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص20.

وقد عانى المسلمون وغيرهم من يهود وبروتستانت من اضطهاد وتكيل على أيدي إيزابيلا وزبانيته بعد استيلاءها على غرناطة وفق معاهدة التسليم التي أبرمها أبو عبد الله الصغير معها، وكان لهذا التأثير الكبير على السكان المسلمين، فبعد أن كانوا حاكمين أصبحوا محكومين يذوقون أنواع الإذلال والإهانات لمن لم يقتل، ومن بين هؤلاء، الشخصية الرئيسية الأولى "ابن معن" والشخصية الرئيسية الثانية حفيده "معينو" ، وهماهي العائلة تتذكر الفضاء الذي كان مصدر فخرهم وعزهم يقول السارد : "لقد كانوا يجلسون مجالس للسمّ ويتحدثون عن قوة بلادهم أيام الأمويين والمرابطين والموحدين حين حكموا رقعة جغرافية شاسعة امتدت شمالاً من جبال البرانس إلى نهر السنغال جنوباً، ومن بحر الظلمات غرباً إلى الحدود الليبية المصرية شرقاً وها قد ضاق بهم النطاق وضيق عليهم الخناق حتى لم يعد بإمكانهم أن يبرحوا حيّاً واحداً من أحياء مدينتهم غرناطة"<sup>1</sup> فرقة الخلافة التي كانت عاصمتها الأندلس وغرناطة واحدة من مدنها المتطورة كانت واسعة جداً ; بحيث انعكس ذلك على سعة التفكير عند أهلها وسعة صدورهم فكانت كل طائفة لا تنتمي للإسلام تمارس شعائرها وفق دياناتها تحت حماية الدولة الإسلامية، ولكن بعد سقوط الدولة والمدينة التي كانت تحمل هذه القيم أصبح الناس مشردين ، همهم مكان آمن ولقمة يسدون بها جوعهم، بعد أن كانت همتهم العلم والتحصيل. حاول الجدُّ ابن معن أن يفك ارتباطه بمدينته التي ولد على أرضها وتربى بين أحضانها وعشقها ، لكنّه لم يستطع وارتضى أن يموت بين يديها وهو مبتسم، أما الحفيد الذي كان رفة جدّه في غرناطة فقد انفصل عنها صغيراً بعد أن هرب به جده مخافة التنصير وارتحل من هذا الفضاء الذي جمع رفات أجداده ومآثرهم، إلى بلد إسلامي لا يفصله عن موطنه الأم إلا البحر، وكان يرجع إلى بلد المنشأ كلما سنحت الفرصة إلى أن كبر واشتدّ ساعده فرمى الأعداء وعاود مرات

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص23.

ومرات الرجوع إلى شواطئ الأندلس لإنقاذ مَنْ يمكن إنقاذهم من مطرودين ومشردين وفارين من بطش الإسبان. ويورد الكاتب على لسان السارد بعض الحقائق التاريخية قائلاً: "وبعد أن ركبنا البحر أخبرني بمغامراته مع القراصنة الأتراك في الجزائر. وأنه يسعى مع الغزاة السلاويين لعقد اتفاق مع أتراك الجزائر لتنسيق الهجوم على السفن النصرانية بعد الهزيمة التي ألحقها دون خوان النمساوي بالعثمانيين في ليبانتى سنة 1571م ثم احتلال وهران وتونس. في وسط البحر التحق بنا مركبان جهاديان كبيران وتوجهنا نحو الشمال لإنقاذ بعض إخواننا من شمال الأندلس الذين كانوا يحاولون الدخول إلى فرنسا"<sup>1</sup> وهكذا كانت الشخصية المحورية ترجع إلى الفضاء الأول للأسباب التي ذكرنا.

أمّا أبو القاسم الجنيد البغدادي فاسمه يدل على ذلك فهو لم يفارق بغداد إلا لأداء فريضة الحج، فبغداد كانت عاصمة الدنيا، وكل الناس كانت تسافر إليها لا منها.

كل هذه القراءات تدل على اتساع وكبر الفضاء العربي والإسلامي في الماضي والحاضر، وبعض الأمكنة مازالت تحتفظ بغموضها وإلغازها، بالنظر للأسرار التي تخبئها. وبالنسبة للمدن القديمة فقد كانت قرطبة مثالا للتعايش والرقى الحضاري الذي يتشوق به الغرب الآن، والفرصة الأولى التي سنحت للمسيحية في غرناطة انتقلت من الحضارة التي عمّرت حوالي ثمانية قرون في الأندلس ولم تُبق على المخالف ولو كان من نفس الديانة، فارتكبت أكبر الجرائم ضد الإنسانية وذلك بقتل وتشريد مئات الآلاف من المسلمين، ولم تتمكن من الاعتذار للمسلمين مثل ما فعلت مع اليهود، فبقيت وصمة عار تُزِن جبين اسبانيا المسيحية الكاثوليكية لليوم: "تبدلت اسبانيا ونسي ديبغو فيلاسكيز أو لم يُلقن أن هؤلاء الذين يحاول توثيق طردهم وتشريدهم هم أبناء قمم

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص137.

إنسانية شاهقة لا وجود بمثلا الزمان كابن العربي الحاتمي والششتري وابن رشد وابن طفيل وابن حزم وابن الخطيب وأبو مدين وأبو العباس المرسي. هؤلاء نشأوا وعاشوا هنا قبل قرون وحلَّ محلَّهم قوم نكروا أسلافهم، فهل يُهلكُ إلا القوم الفاسقون.<sup>1</sup>

كانت العلاقة بين الأمكنة والشخصيات في نصوص عبد الإله بن عرفة من حيث تعايش هذه الأخيرة معها أو رفضها والبحث عن أمكنة أخرى، فهناك أماكن تُعين وتساهم في استقرار الشخصيات، وأماكن أخرى تمارس نوعاً من الضغط على الشخصيات لتجعل منها مضطربة وعلى غير عاداتها كالشعور بالخوف أو القلق أو الحزن مما يؤدي إلى استئقال المكان والنفور منه، وفي هذه الروايات (الروايات قيد الدراسة) نوعان من الأمكنة :

### 1.3.1.3. المكان المغلق :

وهو المكان الذي يتصف بالمحدودية "فهو يمثّل غالباً الحيز الذي يحوي حدوداً مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح"<sup>2</sup> كما يرى باشلار أن لهذا النوع من الأمكنة ميزات عديدة من بينها أنه "يحفظ الذكريات ويتيح لها الاحتفاظ بقيمها الأساسية"<sup>3</sup> وقد مرّت شخصيات الروايات بعدة أمكنة مغلقة منها :

#### أ. البيت :

<sup>1</sup> - مصدر نفسه، ص236.

<sup>2</sup> - أوريده عبود : المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية- دراسة بنيوية لنفوس نائرة- دار الأمل للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2005م، ص59.

<sup>3</sup> - غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للخدمات والنشر، بيروت، ط2، 1984م، ص37.

هو المكان الذي تجد فيه الشخصية ملاذها باعتباره المصدر الأول للراحة والطمأنينة والأمان" فالبيت هو ركننا في العالم. إنه كما قيل مرارا، كوننا الأول"<sup>1</sup> ورغم تعدد ملفوظاته كالدار والمنزل فإنها تحمل نفس الدلالة، و يتجلى معنى البيت في الروايات العرفانية، فنستدل على ذلك بقول السارد لما غادر الفندق الذي كان يسكنه ليستقر ببيت وسط القاهرة وقد ذكر رجوعه إلى سابق عهده بعد سكناه الجديدة: " بعد مدة رحلت عن خانقاه وسكنت دارا في قلب القاهرة بجوار الجامع الأزهر ومقام سيدنا الحسين رضي الله عنه. عدت إلى سابق عهدي فأخذت في اقتناء الكتب والتقنن في الحصول على أندرها وأجملها"<sup>2</sup> فشعور السارد بالراحة والطمأنينة جعله يعود إلى ممارسة أعماله السابقة بل ويمارس هواياته، وهاهو الشيخ ابن معن في (رواية الحواميم) بعد انقضاء المجلس الذي عُقد لتدارس نتائج لقاء الموريسكيين مع الكاهن المعين حديثا، يُعَنَّف ويُضايق من قِبَل بعض الشباب المسلم المتحمس فيلجأ إلى السكنينة والدعة حيث يقول السارد: "انفضّ المجلس وعاد كل واحد لبيته وأهله. دَلَفَ ابن معن هو الآخر إلى داره الفسيحة فاجتمع إليه أبناؤه وأخبرهم بجليّة الأمر وما حدث له مع الكاهن ونتيجة المناظرة، وما كان من إنكار الفقهاء عليه."<sup>3</sup> وكلمة فسيحة التي وصف الكاتب بها الدار تدل دلالة واضحة على الراحة واتساع الصدر بعد أن كان منقبضا، فالشيخ كان تحت طائلة اللوم من طرف الفقهاء الذين أنكروا عليه بعض الأمور، والتي أنقذهم بها من شر الكاهن الذي كان يتربص بهم، وابن معن فعل ذلك من أجل الحفاظ على حياتهم، لكنهم لم يقدرُوا ذلك.

<sup>1</sup> - غاستون باشلار ، جماليات المكان مرجع نفسه، ص36.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص20.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص27.

وفي رواية (طوق سر المحبة) نرى الكهل ابن حزم الأب يجري مسرعا إلى بيته بعد تلقيه نبأ ولادة زوجته، فالبيت أول الأمكنة التي تحتوي فرح وسرور أهله، ورغم أن البيت جديد وفي غمرة السعادة لم ينسيه زيارة بيته القديم: "إذ جاءه أحد الفتيان الواقفين على الخدمة مسرعا وأعلمه بالنبأ فسرَّ بذلك سرورا عظيما. عاد الكهل الذي كان عمره سبع وخمسين عاما، على عجل إلى بيته، وبقيَّ طول اليوم في دوره الجديدة بالجانب الشرقي في ربض المغيرة من مدينة الزاهرة الذي انتقل إليه بعد بناء المنصور لها، وبعد العصر مرَّ ببيته القديم في بلاط مغيث داخل المدينة القديمة.."<sup>1</sup>.

رغم انغلاق هذا الشكل الهندسي فكل قاطنيه يتمتعون بحرية كاملة، فما لا يستطيع أن يقوله الشيخ يونس في رواية (بحر نون) في الفضاء الخارجي، يقوله في داره، وكذلك الأمر بالنسبة للفقير ابن معن فالذي يعجز عن قوله في المدينة التي تتحكم فيها إيزابيلا وجنودها، يعبر عنه بكل أريحية مع أولاده في بيته، والأمر سيان لأحمد بن سعيد بن حزم، فالآراء التي لا يجراً على المجاهرة بها في حضرة المنصور يمكنه قولها في قصره. "فالبيت الذي يقيم فيه الإنسان، يؤثر تأثيرا بليغا في نفس المقيم فيه، ويحدد مدى إحساسه بالمكان، لأن للبيت طاقة احتياطية كامنة داخل الإنسان يحتمي بها كلما شعر بخطر العالم الخارجي لديه، فيقوم بامتصاص مشاعر خوفه وقلقه وهو يبرز رؤية عميقة لعالمه الداخلي، إذ يطرح فرضية العجز الإنساني عندما يصطدم بالمكان."<sup>2</sup> نستخلص من هذا أن البيت مثل فضاء الألفة، تعلقته به مختلف الشخصيات في الروايات النماذج وساعدها في الاتصال بباقي الأمكنة.

### ب. السجن :

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 17.

<sup>2</sup> - احمد مرشد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،

ط 1، 2005 م، ص 92.

مكان محصور يحد حرية الأفراد ويقمع رغباتهم، وهو مأل كل من تُسَوَّل له نفسه عصيان الأوامر أو الخروج عن القانون للبلاد المتواجد فيه هذه الشخصية، ويحيل السجن أيضا إلى دلالة القهر والسيطرة، فهو " ليس مجرد مكان ذا أبعاد هندسية مميزة عن باقي الأمكنة الأخرى في الواقع من حيث قسوة هذه الأبعاد ولكنه أصبح مكانا يعيد صياغة الإنسان من جديد.<sup>1</sup> هذا و قد ورد السجن كفضاء مغلق في الروايات المدروسة بتفاوت.

في رواية (الحواميم) ارتبط ذكره(السجن) بمرحلة غزو واستعمار من قوات طاغية مختلفة في الجنس والدين، فقد سُجِنَت الشخصية الرئيسية بسبب معتقدها لا غير ، فهو شيخ كبير لا يشكّل أيّ خطر على الغزاة، وأصبح لفضاء السجن أبعاد نضالية ضد المستعمر، ولا يدخله إلا الأبطال الذين يمثلون قيم الحرية، ومنهم الشيخ ابن معن الذي قُبِض عليه وأودع السجن : " فرجّل الشيخ إلى غرناطة ونُكِّل به ثم أودع السجن. وللتحقّق من تنصّره حُوكم ونُسِبَت إليه تهمة الإلحاد والكفر ورغم شببته فقد رُمِيَ في سجن مظلم برفقة بعض الموريسكيين والمُهرطقين المسيحيين. كانت تجربة السجن في ذلك القبو المظلم مجالا للتعرف على التناقضات التي كانت تهز المسحية. كان السجن الذي وُضع فيه الشيخ سرّيًا ويسمى بالبيت المقدس.<sup>2</sup> فابن معن تمرّد على القوانين التي فرضتها الدولة الجديدة بقيادة إيزابيلا الكاثوليكية ; فالشيخ وُلد مسلما وعاش مسلما بل وفقهها ويريدونه نصرانيا، لكنه فضّل العذاب والموت في سبيل ما يؤمن به، وتغاضى عن الاستهزاء من قِبَل رفقائه في السجن وواصل دربه، وله إيمان وصبر يقول السارد: "لكن هذه الابتسامة كانت حزينة للغاية، إنها أشبه بضحكة ممزوجة

<sup>1</sup> - شاعر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الدار البيضاء،

المغرب، ط1، 2000م، ص 317.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص65.

بالتَّمرد والحسرة والحزن والأمل واليأس، والمقاومة والإيمان، لم يستسلم لقدره الحزين بل نظم حياته داخل السجن وبقي مواظبا على صلواته لا يفرط فيها، وكان بعض أهل الفساد يهزأون منه، وهو مصر على تأدية واجبه، غارق في التسبيح والمناجاة.<sup>1</sup> وبقي الفقيه في سجنه يقاوم ويناضل ، وعلم الكثير من السجناء الصلاة وبعضا من سور القرآن الكريم، ورغم سجنه في الفضاء المادي المحدود فإن روحه لم تعرف هذا القيد مطلقا ، حتى انتقل إلى جوار ربه غير مبدل ولا مرتد وكان ذكر الله آخر كلامه من الدنيا.

في رواية (بلاد صاد) ذكر السجن مرّة واحدة فقط بطريقة غير مباشرة لشخصية هامشية لم تشارك في تطور الأحداث ولا نموها، وذلك حينما أراد حاكم مصر الضغط على عبد الحق ابن سبعين ووضع ابنه في السجن حتى وافته منيته فيه.

أما في رواية (طوق سر المحبة) فكان للسجن نصيب من الأمكنة التي ساهمت في تشكيل الفضاء العام للرواية، والسجن كما يوضح حسن بحراوي: " ليس فضاء انتقال أو حركة، وإنما هو بالتأكيد فضاء إقامة وثبات، وإن كان ذلك بصفة مؤقتة، وفضلا عن ذلك فإن الإقامة في السجن خلافا لما سواها هي إقامة جبرية"<sup>2</sup>. فابن حزم الأب كان أول من عرف السجن، بسبب تبدل السلطة السياسية التي كان ضدها حين كان في الوزارة، وكفى به من ذلّ أن يُساق الشريف مع اللصوص: " لم أتمكّن من وداع والدي الذي سيق إلى السجن مع زبانية واضح الصقلي كما يُساق السفهاء واللصوص، لقد فات الحزم في قرطبة حينما أخذوا أحمد بن حزم"<sup>3</sup>. وقاسى الابن مرارة سجن الأب حتى أتى الدور عليه وذاق من نفس الكأس التي شرب منها الوالد قبل وفاته، وبعد

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم مصدر سابق، ص 91.

<sup>2</sup> حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 66.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 215.

اعتقاله عانى الذل والهوان في محبسه : "اعتقلني خيران ونكبني مع صاحبي محمد بن إسحاق، دخلنا السجن في القسبة، وكان ذلك من شرِّ ما لقيت، إذ أُلقيت في زنزانة كما تُلقى جلود الأضاحي في دور الدِّبَاغَة، فانتشر جيش البعوض الذي كان منتشرا في المريَّة يَهْرِشُنِي وَيَسْفُ دمي. تلبدت سمائي بالكآبة وراودتني نفسي بالهلاك.<sup>1</sup> والسجن في حقيقة الأمر ليس في حاجة إلى التعريف به أو التقديم له وليس من مكان أضيق منه، وتكون الشخصية فيه مخنوقة محكوما عليها بالمكوث الإجباري.

وفي رواية (بحر نون) لم يكن السجن المعروف الذي تحده الجدران وتغلقه الأبواب الحديدية بل سجن من نوع آخر، فقد سُجِنَ يونس ومن كان معه في جوف الحوت الذي ابتلعهم فحُدت حركتهم ولم يكن أمامهم الكثير ليفعلوه، فكانوا في ظلمة البحر وظلمة الحوت، فبعد أن كانوا على ظهره معتقدين أنه جزيرة عائمة أوقدوا نارا للطهي، فتحرك الحوت ورفع سفينتهم وهبط بها فتكسرت وابتلعها، يقول السارد/الشخصية الرئيسية : "وجدنا أنفسنا داخل هذا الجسم اللزج، وأخذنا في التعثر ونرتطم بجنبات الحوت من الداخل، وكانت الرائحة قوية تزكم أنوفنا. وقد هلك بعضٌ ممَّن كان يرافقنا. شعرت بالأمان وأنا داخل هذا الحوت العظيم على الرغم مما يستشعره الإنسان من رُهاب وهو معلَّبٌ داخل هذا الجسم الغريب. كانت الظلمة تكتنف الأرجاء.<sup>2</sup> فكان جوف الحوت كالعلبة أي زنزانة صغيرة في سجن كبير ظلوا محبوسين في داخله لأيام ، مقيدِي الحركة فلم يكن بإمكانهم التنقل بل كانوا مجبرين على المكثِّ وانتظار الفرج أو أفكار جديدة.

<sup>1</sup> - مصدر نفسه، ص 252.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 176.

في رواية (الجنيد أُم المعرفة) مكث الجنيد وسمنون والنوري في السجن فترة طويلة، حتى أنهم وصلوا إلى حد السيف ثم أُعيدوا مرة ثانية إلى السجن، وفي الأمثلة السابقة ما يكفي.

### 2.3.1.3. المكان المفتوح :

وهو ذلك المكان العام الذي يتردد عليه الناس في مختلف الأوقات بدون قيد أو شرط ; كالمدن ، القرى ، الشوارع ، المقاهي ، الاحياء ، الأزقة ، الطرقات وغيرها...

وقد أشار حسن بحراوي إلى أهمية هذا النوع من الأمكنة في كتابه بنية الشكل الروائي، حيث قال أن هذا النوع من الأمكنة سيمدنا-لا محالة- بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم التي ستساعدنا على تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات، وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها<sup>1</sup> وعلى هذا الأساس تكون الأماكن المفتوحة في الروايات العرفانية النماذج على النحو التالي :

#### أ- المدينة :

"هي مسكن الإنسان الطبيعي وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته، شأنها في ذلك شأن كل تجمع بشري كالقرية والبادية."<sup>2</sup> إن المدينة تمثل فضاء جغرافيا واجتماعيا تضم مجموعة من البنايات يسكنها عدد معتبر من البشر يشتغلون في نشاطات ذات طابع تجاري وصناعي وإداري، أي تختلف عن القرية من حيث الطبيعة الاجتماعية و الاقتصادية، وكذا من حيث العدد البشري ونوعية العلاقات الإنسانية،

<sup>1</sup> - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص79.

<sup>2</sup> - قادة عقاق : دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 1، 2001 م. ص19.

فهي - أي المدينة - تنزع نحو الفردانية عكس القرية حيث تغلب العلاقات ذات الطابع الجماعي و العائلي والاعتماد على الموارد الفلاحية وخدمة الأرض ورعاية الحيوانات الأليفة.

المدينة باعتبارها بنية جغرافية ومعمارية وتاريخية واجتماعية مؤسسة على التبادلات التجارية والإدارية والتواصل الإعلامي النوعي تملك هوية تحدها وبالتالي تتحدد بها هوية من يسكنها. فقد تقتحم العديد من الصور مخيالنا بمجرد أن نذكر أسماء مدن سواء كانت قديمة أو معاصرة

ويمكن القول إن المدينة هي ظاهرة العصور الحديثة بسبب نشأتها مع الثورات الصناعية، وما أفرزته هذه من تراتبية اجتماعية داخل فضاءاتها الحضرية من خلال توزيع مساحتها إلى أماكن للعمل وأماكن للسكن وأماكن للهو والترفيه عن النفس، وأماكن للبيع والشراء، مركز وهامش، وسط وضياف أو ضواحي، أحياء للأغنياء وأحياء للفقراء... باختصار إن المدينة هي ذاتها المجتمعات الحديثة. فممارسة المدينة، أي العيش داخلها لمدة طويلة أو قصيرة يقود بالضرورة إلى "تحديد تمثل عقلي مشوه نوعا ما، أو مشحون بالرمزية نوعا ما"<sup>1</sup>

ويمكن الحديث عن هذه الممارسة من منطلق أن هذا الفضاء الحضري هو "مسرح المغامرة البشرية، تعبر عن أسلوب حياة مجتمعاتنا، وتروي ماضي هذه المجتمعات وتعلن مسبقا عن تحولاتها"<sup>2</sup>.

وبناء على ما سبق فإننا لا نستطيع فصل ممارسة المدينة بتمثُّلاتها العقلية عن ما هو داخلي وعميق لدى النفس البشرية بجوانبها الوجدانية والانفعالية، فمقاربة

<sup>1</sup> - Collectif : Représenter la ville.- Paris, Editions communica, 1995.- p. 5.

<sup>2</sup> - Idem.- p. 14

معيش ومخيّال المدينة تتم بصفة داخلية، وفي هذا الصدد، لا يمكن لها أن تستغني عن دور الإيديولوجيا وعن التصور العلمي للعالم وعن المعرفة الحسية ذات الطابع الذاتي.

فالمدينة تمثّل متداخل ذاتيا، وكل تمثّل هو تأويل لتنظيم هذا الفضاء المتأسس على ثلاثة عناصر هي : هوية المكان، بنية عناصره وكذا دلالاته الوظيفية والرمزية. والعلاقات التي يقيمها الفرد داخل هذا الفضاء تتم من خلال مرجعية ذاتية المركز حسب الإحداثيات التي يملكها الفرد عن المكان. وكذلك من خلال مرجعية خارجية المركز مستقلة عن حقل الشخص.

وتعاین المدينة من خلال ثلاثة مستويات إدراكية مختلفة تتعلق بالنظر والتذكر والتشمين مما يفرض وجود مسافة معينة مع عناصره الثلاثة المذكورة سابقا<sup>1</sup>. وهكذا تتحول المدينة إلى متحف مخيالي صوري ولا نستطيع الحديث عن الإنسان المعاصر دون الحديث عن المدينة، وبالأخص عن دوافع وأسباب وكيفية ممارسته للمدينة

والبداية مع رواية (طوق سر المحبة) التي احتلت فيها "قرطبة" حاضرة الدولة الإسلامية في عموم الأندلس موقعا مميزا في قلب الشخصية الرئيسية بوصفها فضاء للاستقرار كوّنت رابطا من الألفة بينها وبين البطل، فافتتح السارد بالحديث عن قرطبة قائلا : " كانت قرطبة كالطفلة اللعوب تستعدّ للعيد في هذا اليوم المشمس. الناس في حركة دائبة، والأسواق مكتظة لشراء لوازم العيد. ازدادت الجلبة والزحام عصر هذا اليوم. كانت المدينة مكتظة بالقرويين القادمين من البوادي والأرياف لشراء ما يلزمهم."<sup>2</sup> وكذلك فعله في رواية (الجنيد ألم المعرفة) فقد استهل الروائي روايته بكلمة بغداد،

<sup>1</sup>- Voir idem.- p.p.9-13

<sup>2</sup>- عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص15/16.

والمكان بطبيعة الحال يحدد هوية وكيان قاطنيه، وفي مثل هذا الفضاء فضاء قرطبة العامر بالعلماء ومجالسهم، بالتجار وأسواقهم، بل أنواع البشر التي تسكن عاصمة عالمية بمقاييس ذلك الزمان، فكان لقرطبة بالغ الأثر في تنشئة ابن حزم تنشئة ضمنت له الخلود في التاريخ، فالمدينة برحابتها وانفتاحها كانت وسطا مساعدا لابن حزم على النبوغ، ولأن الوالد كانت له سلطة على الأرض المنبسطة التي جرت عليها أحداث متنوعة، ولشدة تعلق السارد بها وصفها بالطفلة اللعوب التي تستعد للعيد، فاللعوب التي لا تستقر بمكان وتقفز منه إلى آخر غير مبالية، ولزيادة فرحها وسعادتها جعلها تستعد للعيد ولك أن تتخيل فرحة البنات بالعيد ولنستمع لابن حزم وهو يتغزل بقرطبة: "كانت أيّاما رائعة نَتَقِيًّا في ظلال العلوم، فإذا مللنا انتقلنا إلى اللهو الحلال مع فتيات قرطبة، ممن كانوا يرون أنهم في مركز العالم وأنّ مدينتهم لا نظير لها. كم هو عجيب هذا الشعور الذي ينتاب المرء حينما يكون في مركز العالم وقلب الحضارة ! إنّه شعور غريب بالشفوف والتميز، تحسُّ أنك مسؤول عن العالم قدرَ إحساسك بأنك لست في حاجة لهذا العالم... وأن العالم قد جُمع له في هذه المدينة." <sup>1</sup> وهذا وصف شاف وكاف لمن يعشق مدينته حتى النخاع، فاخترل العالم كله في قرطبة ، فانعكس ذلك على نفسيته وكانت معنوياته وكل شباب قرطبة في أعلى مستوياتها لكن دوام الحال من المحال و لم يلبث أن دار الزمان دورته وأخذ معه ابن حزم الوالد وتغيّرت النظرة إلى المدينة: " لقد فات الحزم في قرطبة حينما أخذوا أحمدَ ابن حزم... أدركت أنّي دخلت في طور جديد، وتلك قصة أخرى لعلكم تسمعونها أو تقرأونها في حينها." <sup>2</sup> وأصبحت قرطبة جحيما لا يطاق بعد سجن الوالد وموته لاحقا، ووفاة الحبيبة بعده

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة مصدر سابق، ص144.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 216.

بعام، ووفاة الأخ وزوجته قبلهما، فضاقت عليه المكان بما رحب واضطر إلى تركه وهجره.

أمّا في رواية (الحواميم) فكان الفضاء المفتوح و مسرح الأحداث "غرناطة" وبدأت البنية السردية المكانية بانكسارها وهزيمتها: "بعد سقوط مملكة غرناطة سنة 1492، هاجر كثير من وجهائها و علمائها إلى الضفة الجنوبية باتجاه المغرب وبقي الآخرون في دورهم وأراضيهم يعيشون حياتهم كما كانوا من قبل."<sup>1</sup> فمدينة غرناطة معروفة في تاريخ المدن بأنها من المدن السبّاقة للحضارة في أوروبا وكانت تتعايش فيها كل الملل والديانات والأجناس، وكانت تمثّل فضاء فكريا يمتد امتداد المدينة في حد ذاتها، وقد أثّرت هذه الأحداث على المدينة وسلوكيات أهلها؛ فانتشرت مشاعر الكراهية والحقد كرد فعل على ما فعله المسيحيون بالمسلمين وبغيرهم ممن خالفهم الرأي من تعذيب وتنكيل. كما سادت مشاعر القلق والخوف والتي لم تعدها المدينة في سابق عهدها؛ فحكماها كانوا من المسلمين المتسامحين، فالمكان يتأثر بالشخصيات التي تعيش على أرضه ويؤثر فيهم كذلك. ولم يعد المكان "غرناطة" كمعادل للانفتاح والرحابة والاتساع إلا من خلال الذكريات والأحلام. لجأ الكاتب إلى توظيف هذه المدينة المنكسرة منذ البداية، لبيّن الحالة التي كان عليها الموريسكيون، ويختلق لهم الأعذار، وموافقتهم في القرارات التي اتخذوها في ذلك الزمان بالخروج من غرناطة وهجرها بالآلاف بعد أن سيطر عليهم هاجس التنكيل والإذلال، ليبقى التاريخ شاهدا على الفظائع التي ارتكبتها إسبانيا ضد الإنسان والمكان.

كان فضاء المدينة في الروايات النماذج محتضنا لأغلب الأحداث الروائية؛ حيث شغل مساحات نصية واسعة في الخطابات السردية النماذج، وتميز حضور هذه

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 19.

الأمكنة بعدم الثبات وذكر الكاتب مدنا كثيرة لم نستطيع إدراجها كلها بل اكتفينا بالمشهور منها والذي احتضن الأحداث ؛ حيث وصف الكاتب العديد منها، لا سيما المدن التي تنقل إليها ابن حزم، والمدن التي زارها الشيخ يونس، والمدن التي تنقل إليها الششتري و المعالم التي زارها الجنيد، وكذلك المدن التي كان يزورها أو يغزوها "معنينو" في رواية الحواميم.

### ب. البحر :

البحر هو أكثر القوى الكونية مهابة وأكثر الأمكنة جمالا، وهو مكان لا متناه ممتد في الأفق ذو اتساع هائل ، يمثل مصدر رزق للكثير من الناس ويعمل على جذب السياح. شغل منذ القديم الأدباء والشعراء والفلاسفة، فتتهم سحره وجماله، ولم يسلم الروائيون من شركه، فشكّل لديهم هاجسا من هواجس الكتابة الروائية، وأحد المكونات الأساسية العامرة بالمعاني والدلالات، والنصوص السردية العرفانية لا تخلو من ذكره حتى أن الرواية الأولى يُشكّل البحر الجزء الأول من عنوانها : "بحر نون" والبطل الرئيسي هو الشيخ يونس، وليونس ارتباط بالبحر فاسم النبي يونس يحيل مباشرة عليه، وكذلك النون ويصفه الشيخ يونس أثناء تنقله من مكان إلى آخر بمحاذاته قائلا : " وكان الثابت في كل هذا التنوع هو البحر بزرقته الفيروزية وأمواجه المتعالية التي تنثر رذاذها على صخور الشاطئ ثم تنكسر لتعود مرة أخرى ثم ثانية وثالثة في حركة دائبة مملّة. لكن السعادة هي في هذا الملل السوري. وكنت أقول ليس سكون البحر إلا لاجتماع الصخور.<sup>1</sup> فالنظر إلى الحركة التي تحدث في البحر رغم رتابتها وتكرارها والتي توحى بالملل ، تبهج النفس وتُدخل عليها الحُبُورَ، فالذي يهفو إلى الراحة والتأمل يقصد البحر وكأنه يحتمي بهذا الجبّار، فيمده بالطمأنينة والسكينة،

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق ، ص65.

وكان ملجأ لسيدنا موسى مرتين، ومسكنا لسيدنا يونس فعلاقة البحر بالإنسان ممتدة وضاربة بجذورها إلى بداية معرفة بني البشر به. كان قد سلطه المولى عزَّ وجلَّ على أقوام عاندوه وعصوا أوامره ; فالبحر حين يثور ويغضب لا يقف في وجهه أحد، ولما يكون ساكنا تسكن النفس وتهدأ، وتروق الحياة فالصفاء من الأسباب الجاذبة للطمأنينة يقول السارد مؤكداً ذلك: "كان عددنا خمسين راكباً، وكان البحر صفحة تشبه السائل الزيتي في الهدوء، ولم نكن نسمع إلا مقدمة السفينة تقطع هذه الصفحة وكان النسيم عليلاً والجو طلقاً وطيور البحر تناوش الماء فتغطس بين الحين والآخر علها تجد سمكاً يُراقصُ أشعة الشمس على سطح الماء فتتنقض تلك الطيور على أسراب السمك."<sup>1</sup> والبحر يدل على الانفتاح ويوحى بانسراح الصدر، لكن في لحظة يتبدل الحال إلى غير الحال فيتغير البحر ويريهم وجهه الآخر: "كانت الساعة تسقط قريباً من السفينة التي كانت تهوي في هذه الجبال من الموج ثم ترتفع حتى قممها ثم تكثرهاوية من جديد تتجاذبها المياه والرياح... أمام هول الموقف رفعت أكف الضراعة متوسلاً"<sup>2</sup> فالبحر لا يستقر على حال فكما يتصف بالصفاء يتصف بالغدر كذلك، فكم من حبيب قضى في أعماقه وكم من صديق ضمَّه ولم يتركه إلا جثة هامدة، وسفن ضخام أرداها حطاماً.

واتفق أن كان البحر في (رواية الحواميم) أول أبواب الحرية فكان الموريسكيون يخوضون لججه ويصارعون أمواجه للعبور إلى بر الأمان، حيث لا اضطهاد لا تنكيل ولا تعذيب، لا تنصير ولا قتل على المعتقد يحكي الكاتب على لسان سارده المقطع التالي: "أمر ابن معن حفيده أن يجري بأقصى قوته حتى يركب في السفينة. تردّد الصبي لحظات، لكن الجد انتهره ليهرب وبقي في مكانه لا يملك نضارة الشباب ليلحق

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص162.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص171.

ببقية الفارين. وأسعت الغلام فتوته فوصل إلى السفينة، وقد بدأت تغادر الشاطئ. دخل الغلام في الماء ولم يرهب الغرق رغم جهله بكيفية العوم.<sup>1</sup> فالجد دفع حفيده دفعا لخوض غمار هذه المغامرة غير المضمونة النتائج لكن الجد كان متيقنا من نجاح ولده رغم عدم معرفته بالبحر لكن البحر كان كريما معه، وإن لم يكن كذلك، فجوف البحر خيرٌ للصبي وهو على ملة الإسلام من ظاهر الأرض وهو على غير الإسلام فنجبا. تربى الغلام عند ريس البحر الذي أنقذه وأصبحت حياته كلها في البحر، فالبحر كان منقذه ومأواه وكان نافذة يطلُّ منها على الأندلس أو ما تبقى منها لينقذ ما يمكنه إنقاذه من بني جلدته من المريسكيين الذين يعانون كما عانى، وفي إحدى هذه الطلعات أُسِرَ ولبث في القيد عدّة شهور حتى افتداه والده بالتبني فاشتاق للبحر وحياة البحر: "لم تمر إلا أشهر قليلة حتى وصلت في شهر غشت سنة 1575 رسالة من مدينة سلا بخصوص الأسرى المحتجزين ومبادلتهم بالمجموعة التي كنت فيها. لم يتردد الفرسان في الموافقة إذ بادلونا ببعض فرسانهم المحتجزين عندنا في سلا. تمت الصفقة فعدتُ إلى حياة البحر والحرية والقرصنة ضد السفن النصرانية."<sup>2</sup>

في (رواية طوق سر المحبة) حيث ابن حزم الظاهري يفر من مكان إلى آخر خوفا من أعدائه، يلجأ إلى الأماكن القريبة من البحر لأنه اعتبر البحر بيت الأمن والأمان: "كانت المريّة مدينة على البحر. كنتُ محتاجًا أن أشعر أنّي قريب من البحر إذا دهمني داهم ركبت أحد المراكب وأبحرتُ إلى حيث أجد الأمن والأمان."<sup>3</sup> وهكذا اعتبر ابن حزم أول مراتب النجاة البحر باتساعه ويمكن أن يكون طريق الخلاص. إن دراسة الأماكن المغلقة والمفتوحة لم يكن هدفا في حد ذاته ن ولكن وسيلة منهجية

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص55.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم ، مصدر سابق، ص137.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 230/229.

الهدف من ورائها استيعاب وفهم دلالة المكان الجغرافي كما أشار فيليب هامون، مع العلم أن الأسماء التاريخية للأماكن الجغرافية مبدئياً معانيها معطاة مسبقاً وجاهزة المدلول، ولكن تعمل السياقات المختلفة للنصوص السردية على إعطائها أبعاداً أوسع ودلالات أعمق.

### 2.3. البطاقة الدلالية للشخصية :

تعرضنا فيما سبق بالدرس للأسماء التاريخية والثقافية والمركبة الواردة في النصوص موضوع الدراسة ودلالاتها، كما ذكرنا الأهمية البالغة التي توفرها المعاني الجاهزة والممتلئة قبلاً في هذا النوع من الأسماء، لفهم وتوقع دور الشخصيات في النصوص الروائية، وقد تصرف الكاتب في بعض الأدوار فيما يخدم مراميها وقناعاته، وحافظ على معانٍ أخرى كما أكدها النص التاريخي والثقافي، وفي الحالتين لم يكن الاعتماد على المعنى الجاهز والممتلئ للشخصية للإحاطة بدلالاتها الكلية والشاملة كافياً، حيث كان من الضروري العودة إلى النص وسياقاته من بدايته إلى نهايته.

تضمنت بعض الأسماء الموظفة في النصوص العرفانية بعضاً من معانيها مسبقاً، وتبقى مهمة النص في ملء البياض الدلالي المتبقي بالتدرج، فقد أشار فيليب هامون إلى ذلك: " فظهور اسم علم غير تاريخي في النص لأول مرة، يحدث نوعاً من البياض الدلالي، أو *A sémantème* على حدّ تعبير غيوم، وهذا الدليل الفارغ سيمتلئ بالتدرج أو بسرعة/ خاصة في القصة الكلاسيكية بواسطة البورتريه، أو الإشارة إلى مكانة دالة، أو دور اجتماعي معين، فنكون بهذا أمام اشتغال تراكمي للدلالة".<sup>1</sup> كما يضيف الباحثان كريستيان عاشور وسيمون رزوق أن كل اسم شخصية سواء كان تاريخياً أو غير تاريخي يحمل ولو دلالة جزئية عنها: " فدلّيل اسم العلم يمتلئ بنفسه

<sup>1</sup> - Op.Cit.PH,Hamon, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit ,P.128.

بمدلول، وينتهي به الأمر إلى حصول ومثلما تؤكد البحوث المعاصرة في علم الأسماء الأدبية omomastique علاقة صدفية لا نقاش فيها مبدئياً بين اسم الشخصية وسلوكها في العالم المتخيّل، إذن فاسم العلم الذي يحدّد دون أن يدلّ، ينتهي به الأمر إلى أن تكون له دلالة أثناء تحديده ذلك.<sup>1</sup>

وعنصر الشخصية رغم كل ما قيل لا تكتمل دلالاته إلا مع نهاية الرواية فهو مورفيم فارغ يتم ملؤه بالتدرّج، وتتضح معالم الشخصية مع نهاية القراءة فهي ليست معطى قبلياً. والمقصود بالبطاقة الدلالية مجموعة السمات أو المعلومات التي يقدمها الكاتب لشخصيات روايته، هذه المعلومات التي تكون متناثرة عبر صفحات العمل الأدبي. وبما أن الكاتب هو الذي يقوم برسم شخصياته الروائية، فإنه هو الذي يحدّد هذه السمات جاعلاً بذلك شخصياته الروائية متميزة في الأسماء والصفات الجسدية، والطباع النفسية، فأحياناً يصف مظهرها الظاهري وطبائعها وأفعالها ويعلق عليها، وأحياناً يترك لها الحرية من أجل أن تعبر عن ذاتها من خلال الحوار أو المناجاة، وهكذا فإن كل ما يقال عن الشخصيات من معلومات يكون بمثابة مؤشرات يستعين بها القارئ من أجل أن يرسم شخصية واضحة المعالم، غير أن هذا الإنجاز لا يتم إلا عن طريق تقنية التذكر وإعادة البناء التي تتم من خلال عملية القراءة.

البطاقة الدلالية كما يشير إلى ذلك فيليب هامون: "ليست معلومة معطاة قبلاً، وثابتة ولكنها بناء يتم بتدرّج زمن القراءة...إنها شكل فارغ تقوم المحمولات المختلفة بملئه (أفعال وصفات)، فالشخصية دائماً نتاج لمشاركة الأثر السياقي (التركيز على العلاقات الداخل النصية)، والنشاط الاستنكاري، وعادة البناء الذي يقوم به القارئ"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - C.Achour, S.Rezzourg, convergences critique, O.P.U, Alger, 1995. P.208.

<sup>2</sup>- Op.Cit.PH. HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit, P,126.

وعليه فإن الشخصية الروائية ترتبط بالقارئ قدر ارتباطها بالنص الروائي، لأن القارئ يقوم أثناء عملية القراءة بإعادة بناء الشخصية من جديد.

والمتصفح للروايات العرفانية سيلاحظ تعدد الشخصيات وكثرتها، كما يلاحظ هيمنة العنصر الذكوري مقابل العنصر الأنثوي بالنظر للفضاء المكاني الذي جرت فيه أحداث الروايات، إضافة إلى طبيعة هذه الأحداث. والملاحظ أيضا أن إعطاء مواصفات الشخصيات في هذه الروايات تم بكيفيات مختلفة، فبعض المواصفات وردت دفعة واحدة عن طريق البورتريه وبطريقة غير مباشرة وبتقديم من الراوي ذاته، وبعضها الآخر وردت مواصفاته تدريجيا، سواء عن طريق الراوي أو عن طريق الشخصيات أو عن طريق الراوي والشخصيات الأخرى في تراوح يتيح ملء السمات الدلالية بالتوازي مع مجمل التحولات التي تطرأ على بناء الرواية، وهذه الطريقة اعتمد عليها الروائي في ملء السمات الدلالية للشخصيات ذات الظهور المتواتر، الأمر الذي يسمح بإضافة مواصفات جديدة لها أو التأكيد على بعضها، وأحيانا نجد أن الروائي قد ترك المجال لشخصياته من أجل التعبير عن ذاتها من خلال الحوار أو المونولوج الداخلي، ونشير في هذا الصدد إلى أننا سننعمد في دراستنا للبطاقة الدلالية على الملفوظات النصية، سواء أكان المتلفظ بها الشخصية نفسها، أو تلفظ بها غيرها عنها، أو تلفظ بها السارد مهما كان نوعه، ومن ثمة لن نتعرض لكل الشخصيات الوارد ذكرها في الروايات لكثرتها، بل سنحاول أن نركز على أكثرها حضورا ومن خلالها بالاعتماد على خلفية كل محمولاتها (صفات ووظائف) سنتعرف على الشخصيات الأخرى، ولكثرة الشخصيات في الروايات الثلاث ارتأينا أن نضع ضمن مجموعات تكون متقاربة حسب الصفات التي أسندها لها الكاتب وستترتب على النحو الآتي :

### 1.2.3. نموذج الشخصية العرفانية :

وهي تلك الشخصيات التي تتمتع بالحكمة والعقل الراشد والبصيرة ويمكن أن نسميها أيضا الشخصيات العارفة أو العالمة ومن أمثلة هذه الفئة والتي كان لها حضور مميز شخصية "يونس" في رواية (بحر نون) ففي بداية الرواية يقدم السارد وصفا لهذا لشيخ قائلا: "وما لبث أن جاء شيخ عجوز يتعثر في أذيال كسائه، ولولا عكازته لأنهار على وجهه...الرجل في العقد التاسع من عمره، وعلى عارضيه لحية مهيبية، وشيبة عبقت بالوقار، وكل شعرة تشهد بتاريخ حافل....فالرجل من طينة أولئك الرجال الذين لا يأنفون من الاشتغال على الطُّروس ولو طعنوا في السن وأخلدهم العجز والهزم إلى السكينة وتعطيل الحركة".<sup>1</sup>، فهذا الوصف يصور لنا شيئا في التسعين من عمره يدب على الأرض بمساعدة عصاه تجل بلحية مهيبية تبدو عليه ملامح الاحترام والهيبة، والأهم من ذلك الخبرة والتجربة الحياتية التي تمثل رصيذا وافرا من المعارف المكتسبة عبر ما يربو عن قرن من الزمن، زيادة على حبه وتعلقه بالكتب، ومن خلال استماتته في الدفاع عنها ذات القيمة بما احتوت عليه لا بمظهرها الخارجي تتبين لنا مدى الدرجة العلمية التي وصل إليها، ولم تكن به خصاصة اضطرته لبيع كتابه الذي حصل عليه بشق الأنفس كما سيتبين لاحقا في أطوار الرواية، ولقد علم بوجود الشاب/السارد في محل الكتبي فجاء ليلاقيه بعدما علم عنه من الكتاب: "اعلم يا ولدي أنني ما أتيت لصاحبنا الكتبي لكي أبيع هذا الكتاب، فذلك مستحيل في حق الكتاب وذمته عليّ، ولكني كنت اعلم منه عنك الشيء الكثير وأنت شاب صادق صالح تذكرني بما كنت عليه ولقد أتيت اليوم إلى هذه الدكانة لعلمي بوجودك عند صاحبنا الكتبي، وإليك الحكاية الآن حول الكتاب".<sup>2</sup> فالشيخ يونس صرّح بصفات رأى أنها موجودة في الشاب تذكره بنفسه، وهذا إثبات أو وصف لنفسه بهذه

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص15.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص18.

الصفات من الصدق والصلاح بالإضافة إلى العلم الذي استقاه من الكتاب، ويبدأ من منطلق السرد اللاحق راجعا بذاكرته إلى الوراء ليتحول إلى سارد ويخوض مغامرات ممتعة وخطيرة وهذه الرواية تعتمد كلياً على الذاكرة بمعنى العودة إلى الماضي واستعادته للحاضر من أجل إضاءة المستقبل.

ولا أدل على الشخصيات العرفانية من السادة الواردة أسماؤهم في رواية (بلاد الصاد)، وخاصة الشخصية الرئيسية علي الششتري أبو الحسن حيث سرد الراوي قصة حياته من قبل لحظة ميلاده إلى أن توفاه الله في أرض مصر، وشيخه الذي لازمه طوال الفترة التي مكث فيها في بجاية الشيخ العالم عبد الحق ابن سبعين بالغضافة إلى شخصية أبو الحسن الشاذلي الذي خاض معه الجهاد ضد الصليبيين مرة، ومرة ضد التتار.

والشخصية الأخرى شخصية "ابن معن" في رواية (الحواميم) التي امتازت هي الأخرى بقدر من العلم والمعرفة لاسيما على المستوى الديني الفقهي فالسارد يصف بهذه الصفات: "أمام هذا الوضع المتأزم، لجأ خمينيس إلى مناورة مختلفة حيث دعا الفقهاء لمناظرتهم حول الدين الصحيح. ومن بين من دُعِيَ شيخ بني معن لمناظرة خمينيس. جاء الفقيه ابن معن مع بقية الفقهاء إلى أحد المساجد التي حولت إلى كنيسة".<sup>1</sup> ، فالسارد يُدرج اسم ابن معن ضمن الفقهاء ثم يصرح بصفة مباشرة بأنه فقيه، وفقهه في الإسلام تطلق على المتبحر في علوم الفقه والمسائل الخلاقية والقضايا المستعصية، وعلى مختلف الأوجه وتعدد المذاهب، فضلا عن ذلك كان من بين الأعلام ومن يُرجع إليهم فلم يكن فقيها عاديا والدليل على ذلك أنه كان ضمن المجموعة المختارة ، وأثناء المناظرة كان هو من يتصدر للإجابة مبديا بحكمة بالغة،

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 24/23.

وتجربة ثرية في التعامل مع هذه القضايا، والتي كان محورها العداء الذي يكنّه المسيحيون للمسلمين، ومن دلائل تبحر الشيخ الحوار الذي دار بينه وبين "كاسيديرو" من أتباع مارتن لوثر المصلح اللاهوتي وصاحب المذهب البروتستانتي الذي ظهر في أوروبا آنذاك، وقد كشف ابن معن عن ثقافة عالية ومعرفة مستفيضة بالدين المسيحي وبالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، حتى أنه استدل بأقوال للمسيح عليه السلام من العهد الجديد (الإنجيل)، كما يصف السارد في هذه الرواية الشيخ ابن معن نفس الصفات التي وُصِفَ بها الشيخ يونس في الرواية السابقة ، يقول السارد واصفا ابن معن لما كان في السجن: "تعلم السجناء مع الوقت أن يحترموا غربة هذا الشيخ الهرم صاحب الشيبة المباركة، وإصراره على عبادته وسط هذا اليأس القاتل، وانتقلت إليهم خيرئته شيئاً فشيئاً فصاروا يخدمونه ويقدمونه ويستمعون إليه".<sup>1</sup>، والكاتب وسَم الشخصيتين بصفات مشتركة، وقد وصفهما بالتقدم في السن لحد الهرم (فالأول في سن التسعين والثاني شيخ هرم)، ثم وصف الشعر، فالشيخ يونس تميّز بلحية مهيبّة أما ابن معن فتميز بشيبة مباركة وكل هذه الصفات تدل على الاحترام والتوقير للشخص الكبير.

كما نجد الشاب معنينو في رواية (الحواميم) يتمتع بالقوة والفتوة كما يورد السارد ذلك في هذا المقطع: "حمّ الليل بليلة القدر وذات صباح قدمت سفينة قرصانية فرسّت في خليج صغير على ساحل البحر المتوسط قريباً من طريف. نزل المجاهدون بسرعة يحملون سيوفا وأغاروا على قرية قشتالية. وكان من بين المهاجمين شاب قوي البنية في العقد الثاني من عمره يرتدي عمامة أنيقة وسروالا فضفاضا ثم قميصاً أبيضاً وسلهماً قصيراً"<sup>2</sup> فالشاب من عائلة ابن معن التحق بالمجاهدين وعمره عقدان فقط كما

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : الحواميم، مصدر نفسه، ص91.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص 133.

أشار السارد، حيث كان يتميز بقوة جسدية، وكفاءة قتالية جعلته يناطح العديد من الفرسان دفعة واحدة قتل بعضهم وظلّ يقاوم حتى سقط في الأسر، ثم افتداه والده بالتبني وأنقذه. ويبدو أنه على درجة من العلم والثقافة نستشف ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين "سرفانتس" حينما أُسر هذا الأخير من قبل الشاب معينو وطاقمه البحري، خاصة في الجدل الذي كان موضوعه إيراسموس ودفاع تلميذه سرفانتس عن أفكاره ومبادئه :

"- سؤال عميق ووجيه. ولعل أستاذي استطاع حل إشكالية الصلب التي ترفضونها بتصوره لهذه اللحظة من الجنون التي يصبح فيها نوعاً من الفناء.  
- إن الصوفية عندنا يقولون هم أيضا بالفناء. ولكنه فناء عن النفس والذات وليس إفناء حسياً لهما.... وهم يتمثلون بهذا الدعاء النبوي: اللهم زدني فيك تحيراً. هذه الحيرة هي بالأساس معرفة. فالعارف أمام جلال الحق يصاب بحيرة عظيمة وتتعلّق مداركه في الإحاطة بمولاه. ولعل هذا نوع من الجنون لكنه لا يؤدي بصاحبه إلى إعدام عقله ونفسه وذاته كما تقول أنت ويقول صاحبك في تقرّيب الجنون. ثم ماذا كان ردُّ فعل مؤسساتكم العلمية والدينية على هذا الانقلاب.<sup>1</sup> فالملاحظ المتتبع هذا الحوار يُدرك درجة الوعي والحكمة العلمية التي تحلّى بها الشاب معينو في مواجهته الفكرية مع سرفانتس، في قضية من أكبر القضايا التي أرقّت ليل الكثير من العلماء والفقهاء والعارفين والمتكلمين منذ ابتداء الصوفية إلى يوم الناس هذا، وأريقّت دماء وطارت رقاب من أجلها فالكثير من علماء الإسلام قرّئوها بالكفر البواح، وتستمر المجادلة حول قضايا أخرى من أبرزها العقل والحرية.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 143.

وفي الرواية التالية (طوق سر المحبة) نجد شخصية ابن حزم الأندلسي وهو من كبار علماء المسلمين في المغرب والمشرق على حد سواء لكننا لا نستقي معلوماتنا عنه من التاريخ، بل بالأوصاف التي اتصف بها في النص العرفاني، ونجده في الرواية ساردا يصف نفسه بالقول: "كانت أمارات النباهة قد بدأت تظهر عليّ منذ صغري في قصر والدي الذي كان يحبُّ أن يجلسني معه في مجالس العلم التي كان يَعْقُدها في قصره، فيحضره كبار العلماء والأدباء من أمثال أبي عمر بن حبرون وخلف بن رضا.<sup>1</sup>" فابن حزم يصف نفسه بالذكاء ومخالطته للعلماء سيكون لها أثرها البادي في قابل الأيام، لأن حديثه الذي حكاه عن فترة صباه ويضيف واصفا ما كان عليه: "فنشأت على مثاله أتحدث بعربية لا تشوبها شائبة وبفصاحة يتعجب لدى سماعها مني الكبار. كما كنت أحب التباري مع أخي أبي بكر في بعض القضايا التي كان الوالد يحرص على أن يشدَّ بها هِمَمًا. كنت رغم صغري أمتاز بحدة الذهن وصفائه واستعمل لغة أنيقة، وأؤمن أنّ بناء الفكر الصحيح يحتاج إلى لغة رفيعة سليمة."<sup>2</sup> وهذه كلها صفات معنوية أسندها ابن حزم لنفسه، من ذكاء ونباهة والفصاحة والبلاغة اللتان امتاز بهما، وإعجاب الرجال به عند سماعه وذلك في مجالس العلماء الذين كانوا يجتمعون في قصر والده أو غيرهم في أماكن أخرى، كما يضيف أنه قوي الشخصية ولديه ذاكرة قوية يعلق بها كل ما تسمعه من علوم وآداب، كما وصف السارد نفسه بالتمرد فهو دائم الانغماس فيه، وسرعة الانفعال وحب الدخول على النساء، ونعت نفسه أيضا بالدهاء والتصنع. ونحن نعتبر هذه الشخصيات المذكورة سابقًا شخصيات محورية وذلك لعدة اعتبارات منها كثرة المعلومات المعطاة حولها، ودورها الواضح في البطولة وفي دفع الأحداث وتحريكها.

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 39.

<sup>2</sup> مصدر نفسه، ص 39.

ورواية (الجنيد الم المعرفة) كانت بحق رواية تنطبق عليها مواصفات الرواية العرفانية كما قاربنا مفهومها في البداية من كل النواحي، فقد زخر المتن بالطبقة الأولى من الصوفية والطبقة الثانية حسب تصنيف السلمي في كتابه الطبقات الصوفية بل هناك من يسم الجنيد بأنه سيد العارفين وسيد الطائفة، بالإضافة إلى السري السقطي والمحاسبي ومعروف الكرخي وبشر الحافي وسمنون الخواص ... والقائمة تطول..

وهناك شخصيات أخرى في الروايات النماذج لكن لم يكن لها نفس الحضور ونفس الدور الذي لعبته الشخصيات الأولى، رغم اشتراكهم في بعض الصفات وكان حضورهم مؤقتا، من مثل الشيخ عبد اللطيف في (رواية بحر نون) فهو عالم رباني وشيخ عرفاني حيث يصفه السارد بقوله: "هكذا كان الشيخ يجيبك من غير سؤال عن حاجتك. لقد كان من أهل التصريف بحيث كان الفعل عنده بالهمة لا بسبب من الأسباب وتلك حال سنّية عزّ وجودها. إنّ الكثيرين يتصرفون بالأسماء والحروف وغيرها."<sup>1</sup> فالشيخ موصوف بالعلم الفائض أو ما يسميه المتصوفة بالعلم اللدني، وهو ذلك العلم الذي يكتسب دونما اجتهاد ولا يدخل العقل أو الحواس في تحصيله، بل هو عطاء من عند الله لخاصته. وهناك أيضا شخصية الشيخ ماء العينين وهو من نفس طينة الشيخ عبد اللطيف يقول السارد في حقه: "وصلنا أمام الشيخ ماء العينين، فهبّ من مجلسه وعانقي.... ثم قال يا بني، لقد تكاشفت مع أخي سيدي عبد اللطيف، وأخبرني بما جرى بينكما من حديث، إن عوالم الروح لا تعرف الحدود والأقطار بل هو عالم مطلق."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص60.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص71.

فهؤلاء هم أهل الله حسب صفاتهم، ونجد أمثالهم في (رواية الحواميم) مجسدة هذه الشخصيات في اسم ورسم الشيخ رضوان الجنوي، ومحمد ابن معن الذي كان لا يفارقه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حسب قوله، كما نجدهم كذلك في (رواية طوق سر المحبة) من مثل الشيخ يونس بن مغيث الزاهد والقاضي عبد الله بن عبد الرحمن ابن الجحاف وهما من شيوخ ابن حزم الظاهري، وكل هؤلاء يتصف بالعلم والمعرفة لكن حضورهم في النص كان حضوراً مرحلياً.

### 2.2.3. نموذج شخصية المحبوبة :

وهي الشخصية التي لا يمكن لأي رواية الاستغناء عنها فالمرأة عنصر مهم في الرواية كما في الحياة، وقد عرفت الروايات صورتها البراقة، رغم قلة عددهن إلا أن تأثيرهن كان جلياً، بل استطعن في بعض السياقات أن يغيرن مجريات الأحداث، وفي الرواية الأولى (بحر نون) نصادف شخصية الملكة نونة، ويصفها يونس بهذه الطريقة: "ويا لها من ملكة فائقة الجمال. على مفرقها تاج من الدر، ويسمى أگاز، وضافئرها السوداء انسدت على ظهرها الدقيق السبك حتى شارفت على رديها، وكأنها نينان تسعى أو حيات تَدْبَعُ على جَنَبَات الوادي، لبست الملكة ثوبا حريريا سماوي اللون ، وعقد خصرها حزام فستقي بعقد ذهبية، انفتح جيب نحرها على عقد يسمى التازرة"<sup>1</sup>، والملاحظ أنّ السارد لم يترك حتى التفاصيل الصغيرة في وصفه لهذه الملكة الفاتنة وعند مواصلة قراءة الرواية يتبين ذلك، ولم تخل نظرة الكاتب على لسان سارده من الذكورية، فالسارد رأى في الملكة الأنثى فتناولها بالوصف جسدياً، ورغم اختلاف الجنس بينها وبين البطل إلا أنها كانت معينا له في رحلته الطويلة وسندا له في أحلك الظروف التي مرا بها . وبعد أن كانت شخصية يونس ضيفا في مملكة نونة، أصبح

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص75.

محبوباً ثم زوجاً بعد أن خَبِرَا بعضهما البعض وتطورت العلاقة إلى ما آلت إليه :  
 وقررت أن أقدم لنونة سورة نون صداقاً، إذ لم يكن عندي وقتها ما أملك إلا القرآن،  
 ففقت أعلمها تلك السورة على وَفْق فُتُوح أمّ الكتاب. وحصل الإعلان والرّضى والقبول  
 في النكاح، وصحَّ الدخول في هذا المنزل.<sup>1</sup> ، وقد قامت بنفس الوظيفة التي كان  
 يؤديها يونس والمتمثلة في البحث عن الكتاب المفقود عبر المغامرة التي خاضها معا.

وفي رواية (الحواميم) نجد الشخصيات الأنثوية أكثر حضوراً من الرواية الأولى  
 فبالنسبة للمحبوبة كانت "حياة" طرف من طرفي هذا الرباط المقدس الذي انعقد على  
 ظهر سفينة جهادية قامت بالاستيلاء على سفينة قشتالية وقتلت بعض طاقمها وأسرت  
 الباقين ومن بينهم الأسيرة المذكورة، وبعد أن أهداها ريس السفينة لمعنينو بطل روايتها،  
 حررها وخيرها فيما ستفعله بنفسها يقول السارد : " وكانت المفاجأة السارة حين عثرت  
 على فتاة وضيئة كالقمر ضمن أسرى السفينة القشتالية. فككت قيودها وتحدثت إليها  
 فأخبرتني بأنها أسيرة في يد الأسير الأشل الذي تغلبت عليه.<sup>2</sup> ففتتها الظاهرة الجمال  
 الأخاذ، فكل صبية جميلة وضيئة تُشَبَّهُ بالقمر، وتتطور العلاقة بين الاثنين لنتُوج  
 بالزواج في نفس المكان الذي أُسرت فيه، ومن قِبَل آسرها، بعد آنست إليه واطمأنت  
 برفقته وتعرفت على أخلاقه، ولنستمع إليها وهي تحاوره : " ليس من السهل على امرأة  
 أن تعرض نفسها كما فعلتُ، لكنَّ وحدتي شافعة لي.أليس من حقي أن أكون سعيدة  
 حين أجد من يمنحني تلك السعادة ؟ لماذا تريد مني أن أختار أحداً غيرك، والأقدار  
 الإلهية أرسلت إليّ. إنك حلم أعظم من كل أحلامي المتفائلة. لا، أرجوك، تخيّرني في  
 الذهاب، فقد اخترتُك أنت.<sup>3</sup> ، وهكذا يمضي السارد في وصف جمالها ورقتها وأيضاً

<sup>1</sup> - مصدر نفسه، ص204.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص139.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص156.

اشتياقها لوالديها الذين تتذكرهما بصعوبة بالغة، من الوشم العربي الذي طبعته والدتها على ذراعها.

إذا انتقلنا إلى الرواية الثالثة رواية (طوق سر المحبة) نجد حضور الأنثى طاغيا ; فالرواية معتمدة على هذا العنصر في تركيبها، فنلاحظ مركزية "نعم" فيها، فهذه الفتاة التي وُجدت في الكنيسة برفقة مربيتها أثناء دخول المنصور وجيشه إلى مدينة "شانت ياغب"، وأستحوذ على الجارية وأهدى وزيره ابن حزم الأب الفتاة الصغيرة وبعد أن عادوا إلى قرطبة تربت مع أولاده حيث كان يكبرها علي (ابن حزم الشخصية الرئيسية/السارد) بثلاث سنوات، وكان ابن حزم كثير الدخول إلى مخادع النساء لا يردعه رادع فهو ابن الوزير صاحب القصر، لكن القصر تأتيه زائرات لا ينتمين إلى حريم القصر، فكان لزاماً على العجائز المكلفات برصد الداخلين والخارجين إلى مخادع النساء أن ينبهنه، لكنه ما كان يرعوي، وخلال دخوله كلف بواحدة تدعى نضار وكانت من الممكن أن تكون مشروع حبيبة مثالي، فقد مثّلت "نضار" بنت الجيران هذا الدور وكانت من جميلات الزاهرة أين يسكن حكام البلاد، لولا أن أفسدت العجوز الخادمة في بيت الوزير خططه ويذكر ابن حزم ذلك في هذا المقطع: "وخلال ترددي على مخادع النساء، كلفتُ بواحدة من بنات الجيران نشأت في بيتنا تُدعى نضار، دائمة القطوب ممتلئة الجسم، كانت تتمنع عليّ أشد ما يكون التمتع، وسعيت مدة عامين وراءها فكانت تقابلني بالصدود، ولم أظفر منها بشيء.<sup>1</sup>، ومن بعد ما حُرِم من جارتها بمكيدة من العجوز انتقل إلى الجارية التي حازها والده، وكان من قبل قد أعجب بها لكنها كانت في متناوله فهاهو يصفها وهي تكبر بين عينيه: "كنت أمضي وقتي في تحصيل العلم والعبّ من مباحج الحياة. وكنت أجدُ في قصر والدي بمدينة الزاهرة ما

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص51.

يصرفني عن أي شيء آخر. شَبَّتْ نَعْمَ وَفَرِهَتْ فسلبت لبي بحسنها وبهائها وشقرة شعرها وزرقة عينيها. كانت مقاييس الجمال عندي تنحصر في الشقراوات.<sup>1</sup> ولما كبروا ازداد حبه لها. لمّا نستمع للكلمات التي يصف بها محبوبته ندرك سر هيامه بها: "كانت تلك العيون الصافية الزرقاء بحرًا أغطس فيه فأخرج بما أشاء من مكنون ذاتها. وها قد أصبحت هذه العيون مدخلي إلى اكتناه جسمها. كانت بَصَّةَ الجسم لَيِّنَةً الإهاب، ناعمة الملمس."<sup>2</sup> ويمضي في وصف شعرها الذهبي وأريجها الطيب ويتغزل السارد إلى أبعد الحدود؛ فقد وصفت هاتان الفتاتان بامتلاء الجسم وجمال في التفاصيل الأخرى من عيون وشعر وغيرها مبنوثة بين صفحات الرواية. ومن الشخصيات المؤنثة التي كانت محبوبة أو في مقام الحب، الجارية "عُجب" جارية المنصور، فقد استأثر بها لنفسه بعد أن كان قد طمع فيها ابن حزم الوالد ومنى نفسه بها. وهناك شخصية أحدثت جدلاً كبيراً في الماضي والحاضر على حد سواء، لكنها حتماً كانت محبوبة ومعشوقة لأحدهم، وكانت إيزابيلا الملكة الكاثوليكية التي كرهت الإسلام وأهله، قد أُحِبَّتْ وأُجِبَّتْ من قبل فرناندو ملك أراغون الذي تزوجها وتوحدت مملكتاهما، وقد وصفت في رواية الحواميم بالقسوة والحقد والكره كلها صفات داخلية ولم تُوصف بمظهرها الخارجي، لأن الكاتب لم ير أي طائل من وصف مورفولوجية الملكة الطاغية.

لا تتعدم المرأة في روايتي (بلاد صاد) و(الجنيد الم المعرفة)، فالششتري هَامَ بمارية أو صُبح كما سماها، والجنيد عشق فاطمة وبحث عنها لسنوات حتى وجدها فوجد نفسه معها...

<sup>1</sup> - مصدر نفسه، ص 51.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 79/78.

## 3.2.3. نموذج شخصية العدو :

هذه الفئة من الشخصيات هي شخصيات مناوئة ومضادة يسميها "بورناف" القوة المعاكسة، التي تعرقل تحقيق الشخصية الرئيسية لرغباتها فتقف في مواجهتها ومجابتها بل و تمثل القوة الضاغطة على نموذج الشخصية الرئيسية بكل وسائل التهديد<sup>1</sup>، ويعمل هذا النوع من الشخصيات على عرقلة أعمال شخصيات الفئة الأولى وتحول دون تنفيذها، وتحاول السيطرة وفرض سلطتها عليها، وتتصرف من موقع قوة فتتمكن من التحكم في مصير كل فرد وبالاعتماد على وسائل تهديد متنوعة. وقد لعب هذا الدور الكثير من الشخصيات الجماعية والفردية في رواية الحواميم وقد كانت شوكة في حلق المسلمين، وحالت دون إقامتهم لشعائهم وممارسة طقوس ديانتهم كما كانوا يفعلون من قبل حينما كانت السلطة بأيديهم فلم يكرهوا أحداً على ترك دينه أو التنازل له، وهامهم اليوم يرغمون الناس على ترك دينهم أو القتل والكثير من المسلمين فضّل الموت على الانسلاخ من دينه، وعمل هذا النوع كما أشرنا سابقا على عدم تمكين الشخصيات المحورية من إتمام برامجها السردية: " كان أمام خيمينيس ثلاث طرق للتنصير : الإقناع أو التهديد أو الرشوة. لكن أيا من هذه الطرق لم يُفلح لأن التنصير تتبعه محاكم التفتيش أو التحقيق للتأكد من الخلوص في النصرانية. وقد أدرك الموريسكيون خطر إظهار التنصير لما يترتب عن ذلك من إجراءات تصل إلى حدّ الحرق كما حصل مع اليهود.<sup>2</sup>، فالكاهن خيمينيس هذا كان يكره الإسلام، ويحقد على أهله كفعل حكامه الملكة إيزابيلا وزوجها فرناندو وعموم القشتاليين وقد استخدموا كل الوسائل المتاحة وغير المتاحة لصرف المسلمين عن دينهم، فعذبوا وشرّدوا وقتلوا

<sup>1</sup> - إبراهيم عباس : الرواية المغاربية، تشكل النص السردية في ضوء البعد الايديولوجي، دار الرائد الجزائر، ط1، 2005، ص 383.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص23.

وفصلوا الأولاد عن أمهاتهم والأزواج عن زوجاتهم، وكانت السجون إبان حكمهم ممثلة بالمسلمين، ومارست كل أنواع القهر عليهم.

وفي رواية سيرة ابن حزم نجد أن أعداء هذا العالم الكبير ومن قبله والده قد قاموا بهذا الدور فعلى سبيل المثال هذا واضح الصقلي عدو ابن حزم الأب يقوم بنهب داره بعد أن تغلب وليه على عاصمة الخلافة: "ولما استوثق أمره طلب من كل عَدَوِيٍّ أو من كان يتشبه بالبربر أو يناصرهم فقتل منهم خلقاً كثيراً. وكان والدي ممّن شملهم هذا الانتقام، فجاء القائد واضح الصقليّ إلى بيتنا في بلاط مغيث مع جملة من رجاله، وكان يكره والدي لمنافسة سبقت بينهما، فدخل دارنا وأمر رجاله أن ينهبوها، فلم يُراعوا حرمة ولا نمة وأخفروا جنابنا، ربما لا تستحمله النفوس الكريمة.<sup>1</sup> فواضح أن هذا كانت له منازعات مع والد ابن حزم لما كان وزيراً، وفي اللحظة التي تسلح فيها بالسلطة والقوة قام بالانتقام من ابن حزم وعائلته وجرده من كل أملاكه وأمواله، زجّ بالوالد في السجن زيادة على ذلك، وبالتالي تبدّلت كل ما كان يُحطّط له علي (ابن حزم الابن)، مما أدى إلى تغيير في المسارات السردية التي كان يتبعها، فبعد أن كان غنياً ومشهوراً ومن أبناء الوزراء وممن يسكنون في أرقى الأحياء، أصبح من العامة ومتهمًا عند السلطة الجديدة، فطبيعة هذا النوع من الشخصيات الاستغلالية والانتهازية فلا تُقوت فرصة إلاّ وتُحقّق منها مكاسب، " فهو لا يتوانى عن استغلال ضعف أبناء جلدته استغلالاً فاحشاً لا يفرق بين قريب أو لا بعيد، الكل يساوي مصالحه ومنافعه.<sup>2</sup> فهذه الفئة تقوم بأي عمل، والمهم أن تلبى مصالحه ومطالبه، ولا فرق عنده بين الغريب والقريب حيث يتعرض لهم بأفعاله العنيفة. والملاحظ أن هذه الفئة تعترض طريق الفئة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 213.

<sup>2</sup> - إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص 283.

الأولى من العلماء والعارفين أي الشخصيات الرئيسية، فهم يستغلون السياسة والدين وغيرها من الوسائل وكل من يعارضهم مبادئهم فهو عاص ومتمرد ويستحق القتل.

وهذا ابن حزم يفصح في هذا المقطع السردى عن شخصية العدو: "إلا أن بعض ذوي النفوس المريضة ممن كان يسوؤهم حُطوتي نقلوا عني وعن صاحبي محمد بن إسحاق تنقيلات ملفقة، مفادها أننا نسعى في القيام بالدعوة للدولة الأموية، بعدما أطاح البربر بحليفهم سليمان المستعين، وتولّى علي بن حمود، حليف خيران الصقلبي الخلافة في قرطبة، اعتقلني خيران ونكبني في صاحبي محمد ابن إسحاق. دخلنا السجن في القسبة، وكان ذلك من شرّ ما لقيت، إذ أُلقيت في زنازة كما تلقى جلود الأضاحي في دور الدِّبَاغَة.<sup>1</sup>" وهذا مثال تكرر مع ابن حزم في عدة أماكن التجأ إليها هاربا من بطش الحكام ومن حسد الأقران من فقهاء وعلماء اختلف معهم في الأفكار وما أن التمييز بين الشخصيات متاح من خلال التقابل على مستوى المواصفات والوظائف وذلك بتحديد محاور دلالية تشكل صفاتها المميزة، كما يتيح وضع هذه الصفات في علاقة تقابل أو تطابق مع الصفات المميزة الأخرى لشخصيات نفس الرواية ومن أجل تحديد الفروقات التي يمكن أن تبرز بين شخصيات رواية أو بعض منها، اقترح فيليب هامون جدولا يشمل بعض المحاور الدلالية نحاول تطبيقه في التمييز بين مختلف الشخصيات لتوضيح مدلولات شخصيات رواية الحواميم ثم رواية طوق سر المحبة :

### جدول 3 المحاور الدلالية

المحاور	الجنس	الأصل	الإيديولوجيا	الثروة
---------	-------	-------	--------------	--------

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 252.

		الجغرافي		الشخصيات
-	+	+	+	ابن معن
+	-	+	-	إيزابيلا
+	-	+	+	الكهنة/محاكم
-	+	-	+	معنيو
-	+	-	-	حياة
-	-	+	+	سرفانتس

في محور الجنس تشير علامة (+) للمذكر وعلامة (-) للمؤنث. وفي المحور الثاني تشير علامة (+) للانتماء للوطن الأندلس. وتمثل علامة (+) في محور الإيديولوجيا والتي عبرنا عنها هنا بالمعتقد، الإسلام بينما علامة (-) تمثل الآخر المسيحي وفي المحور الأخير والذي وقع فيه اللبس فتمثل علامة (+) امتلاك المال والثروة والغنى، وعلامة (-) الفقر وعدم امتلاك أي ثروة، والالتباس جاء من كون ابن معن كان يمتلك ثروة طائلة لكن هربت أسرته القسم الأكبر منها واستفاد النبلاء بجزء منها كرشوة و صُودر ما تبقى بعد إلقاء القبض عليه وسجنه ثم قتله. والملاحظ في الجدول ومن جملة التقابلات التي يوفرها عن الشخصيات تكوّن ما يسميه فيليب هامون بالمجموعات المنسجمة ويعني بها " الشخصيات المحدّدة بمحاور دلالية نفسها وبطاقات دلالية ذاتها"<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- Op.Cit.PH, HAMON, Pour un statut sémiologique, in : poétique du récit ,p,131.

المعطيات الواردة أعلاه تثبت تعارض شخصية ابن معن مع شخصية إيزابيلا، وتناقض صفاتهم، إلا أنهما تلتقيان في محور الأصل الجغرافي فهما من نفس البلد ولدا فيه وعاشا بين مدنه وقراه، وماتا فيه ودفنا تحت أرضه. بينما نجد تطابقاً تاماً بين شخصية ابن معن ومعنيو على مستوى كل المحاور عدا الموطن، وكأنّ الحفيد يكمل طريق سير جده، ويلتزم بالعهد الذي قطعه على نفسه، منذ كان صغيراً وترك جده بعد أن أجبره على المغادرة، بأن يكمل ما بدأه الجدُّ من تقديم المساعدة لكل المورسكيين المهتدين والمطرودين، ومعنيو كان يشترك مع جده في المنشأ الجغرافي لكنّه ارتحل إلى ما وراء البحر إلى بلاد المغرب الأقصى واستقرّ بها وأسس بيتاً هناك، وعثر على أسرته الكبيرة وبالنسبة لشخصية إيزابيلا فهي تطابق شخصية الكهنة تطابقاً شبه تام لا يختلفان إلا على مستوى محور الجنس، ففي ذلك الزمن لم يكن من كُهان سيدات، أما التطابق فامتد لبقية المحاور.

وهذا ما نلاحظه من تقارب وتشابه بين شخصية معنيو وشخصية حياة فلا يفترقان إلا عند محور الجنس، والمحاور الأخرى متساوية فيها صفاتهم التي وُسِّموا بها. وهناك تمييز من نوع آخر قال به فيليب هامون وهو تمييز بين وظائف الشخصيات، والوظيفة هي الأفعال التي تقوم بها الشخصية التي تؤدي إلى دفع الأحداث للأمام من أجل الوصول للمضامين والأهداف التي رسمها الكاتب في روايته، ولكل شخصية في المنجز الروائي وظيفة تؤديها وفق السرد الحكائي للرواية، وهي عموماً عمل الشخصية من وجهة دلالية في سير الحكاية، كما يمكن أن تقوم الشخصية الروائية بعدة وظائف مختلفة في العالم الخيالي الذي يخلقه الروائي، وبما أنّ الرواية تركز على الإنسان وقضاياها فمن الطبيعي أن تكون الشخصيات هي محور المعاني الإنسانية، ومدار الأفكار العامة للعمل الروائي، وتحديد الوظائف في العمل

السردى شيء له أهميته الخاصة، ذلك أن الوظائف أول ما تهتم به هو توضيح العلاقات التي تربط الشخصيات فيما بينها وبأحداث الرواية، وهذا ما يثبت " أن الوظائف تمثل وحدة قياسية تشبه المتر يمكن تطبيقها على جميع الحكايات لتحديد العلاقات فيما بينها.<sup>1</sup>

#### جدول 4 وظائف الشخصية

وظائف الشخصيات	الحصول على مساعدة	توكيل	قبول التقاعد	الحصول على معلومات	الحصول على متاع	مواجهة ناجحة
الشيخ ابن معن	+	+	+	+	-	-
الملكة إيزابيلا	+	+	+	+	+	+
الكهنة/ محاكم التفتيش	+	+	+	+	-	+
الشاب معنينو	+	+	+	-	-	+

<sup>1</sup> - صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص63.

+	-	-	-	-	+	حياة
-	-	-	+	+	+	سرفانتس الأديب

وفي هذا الجدول الخاص بالوظائف نسجل الملاحظات التالية :

شخصية الملكة إيزابيلا تشغل كل المحاور، فهي في الواقع لم تدخر جهدا في القضاء على الوجود الإسلامي في إسبانيا وحصلت على التفويض الكامل من البابا المقدس عندهم في روما، ولقيت كل المساعدة والمعلومات المتاحة، كما حققت كل متعتها في اضطهاد المسلمين، وحازت النجاح الكامل والمبهر بطرد المسلمين من عموم إسبانيا ومن بقي كان عليه أن يبذل دينه، ويليها الكهنة وعمال محاكم التفتيش فلا يختلفون عن الملكة إلا في محور واحد وهو تحقيق المتعة فلم تكن ظاهرة بحكم تسترهم بالدين وبأحكامه الصارمة من زهد وتشف وتبتل وغيره مما تفرضه الكنيسة، أما شيخنا ابن معن فقد وُكِّلَتْه عائلته بالتصرف حتى في أرواحها فقبل هذا العبء الثقيل، وحصل على مساعدات من قبل بعض أصدقائه القشتاليين، لكن لم تحصل له المتعة ولم يستطع العبور إلى الضفة وسُجِنَ وُقْتِلَ، ويشترك معه حفيده في أغلب الوظائف غير أن معينو نجح في المواجهة واستقر بالمغرب وكون أسرة هناك، وكانت حياة أقلهم شغلا لهذه المحاور وهذا راجع لطبيعة الأنثى العربية، إلا أنها نجحت في الأخير بترتيب من القدر في لقاء معينو والزواج به وتأسيس العائلة الجديدة في "سلا".

خاض سرفانتس عدة معارك وقام بوظائف محدودة في الرواية وقد أسند له الكاتب بعض الأفعال التي خدمت مقصوده، ورغم أنه تحرر من الأسر إلا أنه لم ينجح لا في نشر أفكاره ولا في إقناع "حياة" للزواج منه. وفي رواية (طوق سر المحبة) كانت

صفات الشخصيات التي رسمها عبد الإله بن عرفة ممثلة في جدول المواصفات على النحو التالي :

### جدول 5 مواصفات الشخصيات (طوق سر المحبة)

المحاور الشخصية	الجنس	الأصل الجغرافي	الإيديولوجيا	الثروة
علي ابن حزم	+	+	-	+
ابن حزم (الأب)	+	+	+	+
نُعم	-	+	-	+
نُصار	-	+	+	-
واضح الصقلي	+	+	-	+
ابن شهيد	+	+	+	-
فقهاء المالكية	+	+	+	+

في هذا التصنيف وكما السابق فعلامة (+) للمذكر في المحور الأول والانتماء في المحور الثاني والمعتقد أو المذهب أو الفكر بالنسبة لمحور الإيديولوجيا والامتلاك لمحور الثروة. والملاحظة الأولى أن كل الشخصيات الممثلة في الجدول تنتمي للمكان نفسه (الأندلس)، وثانيا تطابق الإشارة (-) بين علي ابن حزم و واضح الصقلي لا

تعني أنهما على مذهب واحد، فقد رَبطتُ أهل السُنَّة بعلامة (+) وبالتالي تضمّن هذا المحور الدلالي كل من ابن حزم الوالد، وفقهاء المالكية وابن شُهيد ونُصار، أمّا واضح فلم يكن ظاهراً مذهبه والأكيد أنه كان يخالف ابن حزم الظاهري وتسبب في مقتل الوالد، الكثير من الأمل كما نلاحظ شبه تطابق بين الابن والوالد إلا من الناحية المذهبية فالوالد كان ملتزماً بمذهب الإمام مالك مذهب أهل المغرب عامة، ويختلف علي مع صديقه أبي عامر ابن شُهيد في الثروة فابن حزم كان غنياً بينما ابن شُهيد عاش في فقر بعد أن تنسك وتقفشّ الوالد الذي كان وزيراً هو الآخر، والحببية "نعم" لم يكن يفصله عنها إلا الجنس وتطابقت معه في الفكر وكان ماله مالها وعاشا تحت سقف واحد إلى أن وافتها المنيّة، واختلفت هذه الأخيرة عن "نصار" التي كانت منافستها في حب علي، في الفكر ف "نعم" بالإضافة إلى جمالها كانت علي قدر من المعرفة، وكان مال زوجها مالها أما "نصار" فلم تكن تملك شيئاً وذبلَ جمالها وذوت، وهناك تشابه بين الفقهاء وتطابق مع كل الشخصيات الأخرى على الأقل في محور من المحاور، وهذا دليل على الطريق الأناني والمصلحي الذي كان ينتهجه علماء الدين آنذاك. وننتقل إلى الجدول الثاني الخاص بالوظائف لنرى كيف أسند ابن عرفة الأفعال لشخصياته في هذه الرواية :

### جدول 6 أفعال الشخصيات (طوق سر المحبة)

وظائف الشخصيات	الحصول على مساعدة	توكيل	قبول التعاقد	الحصول على معلومات	الحصول على متاع	مواجهة ناجحة
علي ابن	+	+	+	+	+	+

						حزم
-	-	+	+	+	+	ابن حزم (الأب)
-	-	-	-	-	+	نعم
-	-	-	-	-	-	نُضار
-	-	-	+	+	+	واضح الصقلي
+	+	-	-	-	+	ابن شهيد
-	+	-	-	-	+	فقيهاء المالكية

نلاحظ أن شخصية ابن حزم الإبن وشخصية واضح الصقلي أكثر شغلا للمحاور الدلالية الخاصة بالوظائف، فالشخصية الأولى قامت بكل الوظائف المذكورة لكن مواجهتها ضد خصومه باءت بالفشل في بداية أمره خاصة ضد واضح وزمرته الذي جرّده من أملاكهم ودورهم وأقصد هنا أسرة ابن حزم كاملة ثم بفضل علمه الذي اكتسبه طيلة سنوات من الجد والتعب عرف كيف يستعيد ما ضاع منه بل صار أقوى وتزوج وأنجب أولادا وخلّد اسمه في التاريخ، والملاحظة الثانية تخص الجارية نُضار والتي لم تشغل أي وظيفة في التصنيف، حيث كان ظهورها مرحليا، ولم يؤثر في مجريات الأحداث، عكس الفقهاء وواضح الصقلي فرغم أن ظهورهم كان مؤقتا فإنه

كان حاسماً وغير مجرى سير الأحداث بل إن تدخل واضح الصلبي كان نقطة انعطاف في الرواية، وغادر ابن حزم قصره بعد أن قضى والده ثم محبوبته ولم يتبق له شيء في قرطبة، أما صاحبه أبو عامر بن شهيد فقد كان علي دائم المساعدة له، ولم يكن له حضور على مستوى المحاور الأخرى، إلا أنه حصل على مُتَعِه من السفر رفقة ابن حزم أحياناً، وأحياناً لوحده.

هذه إذن أغلب الصفات والوظائف التي أُسندت لأهم الشخصيات في النصوص العرفانية، حيث يمكننا أن نُصنف شخصيات الفئة الأولى نموذج الشخصية العارفة أو العالمة شخصيات رئيسية أو محورية كونها الأكثر فعالية، ففي رواية "بحر نون" نجد الشيخ يونس هو الشخصية الرئيسية وهو شخصية عرفانية بامتياز، وكذلك الحال في رواية "الحواميم" فشخصيتا الشيخ ابن معن وحفيده معينو من الشخصيات العالمة والعارفة، وفي رواية "طوق سر المحبة" شخصية ابن حزم الظاهري لا يخفى على أحد ارتباطها بالعلم فقد شغلت هذه الشخصيات عدة محاور، وتَقَابَلها مع شخصيات النموذج الثالث شخصيات العدو أو المضاد يُنتج حركية النص وديناميكيته، والصراع القائم بينهم يولد معناه، وهناك بعض من الشخصيات تنتمي لهذا المستوى ولكن كان لها دور حاسم كشخصية "الملكة إيزابيلا" فكانت هي المحرك الأساس والدافع للأحداث رغم حضورها المؤقت كما أنها انتمت للفئة الثانية نموذج شخصية المرأة (أو المحبوبة) ومن الممكن أن تنتمي شخصية لفئتين مختلفين دون أن يكون هناك تعارض، (كما رأينا في هذا المثال). كما لاحظنا تماثلاً وتشابه صفات وأفعال بعض الشخصيات من نماذج مختلفة. وقد بدأت رواية بحالة توازن واستقرار ثم تحولت إلى حالة لا توازن وانتهت بحالة توازن. أما في رواية (الحواميم) فقد بدأت بحالة لا توازن وانتهت بحالة لا توازن، واستمرت الحرب. وفي رواية (طوق سر المحبة)، بدأت بحالة توازن وثبات في

عائلة ابن حزم، لما كان والده في الوزارة قريباً من السلطة، ثم انتقلوا إلى حالة لا توازن بعد تبدل الأيام ودامت هذه الحالة حتى فاضت روحه وأسلمها لباريها.

وقد استقينا هذه المعلومات من أوصاف وأفعال من خاصية تقديم الشخصية :

### 3.3. تقديم الشخصيات :

تتعدد طرق تقديم الشخصية في النص الروائي، ذلك أن طريقة التقديم مرتبطة من جهة باختيارات المبدع الفنية والجمالية، ومن جهة أخرى تخضع لمنطق التحول الإبداعي من عصر إلى آخر، وعلى هذا الأساس فإننا نجد بعض المبدعين يحرص على تحديد ملامح الشخصيات بأدق تفاصيلها، فيسهب في رسمها ووصف طبائعها، وهناك من يترك شخصياته دون أن يحدد ملامحها، وفي هذه الحالة يعمد إلى الإيجاز والاختصار، فيكتفي بتقديم معلومات ضئيلة لا تكفي لرسم صورة واضحة المعالم لشخصيات الرواية، أي أن بعض المبدعين يقتصر في تقديمه على العرض المباشر، ومنهم من يعتمد التقديم غير المباشر حيث يترك للقارئ "استخلاص النتائج والتعليق على الخصائص المرتبطة بالشخصية وذلك سواء من خلال الأحداث التي تشارك فيها أو عبر الطريقة التي تنظر بها الشخصية للآخرين".<sup>1</sup> وهناك من الكتاب من يستخدم الطريقتين خاصة في الروايات الحديثة. وأمام هذا اللبس الذي وقع في تقديم الشخصية من حيث التنوع والاختلاف قدّم فيليب هامون مقترح الاعتماد على مقياسين - لمحو كل لبس وغموض ومن أجل التعرف وتصنيف الشخصيات دلاليًا - هما : المقياس الكمي والمقياس النوعي يهتم الأول بكمية المعلومات المتواترة المعطاة حول الشخصية، وينظر الثاني إلى مصدر هذه المعلومات كونها معطاة :

<sup>1</sup> - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 223.

أ- بطريقة مباشرة : تعرّف الشخصية عن نفسها بنفسها.

ب- بطريقة غير مباشرة : من خلال تعليقات الشخصيات الأخرى أو الكاتب (السارد) عنها.

ج- أو من خلال معلومات ضمنية تُكتشف عبر أفعال الشخصيات وتصرفاتها.

### 1.3.3. المقياس الكمي :

ويحتوي على المعلومات المعطاة صراحة حول الشخصية، يقول فيليب هامون : "سنضطر دائما من أجل التعرف، ومن أجل تصنيف الشخصيات دلاليا، إلى القيام بعملية تأليف: المعايير الكمية (تواتر معلومة تتعلق بشخصية معطاة بشكل صريح داخل النص)<sup>1</sup> إنّ وضوح الشخصية يقاس استنادا إلى كمية المعلومات التي يقدمها الكاتب عنها، لهذا يعدّ المقياس الكمي إجراء نقديا صالحا لتحديد نسبة الوضوح في الشخصية الروائية.

وبالنظر إلى النصوص العرفانية قيد الدراسة على ضوء المقياس الكمي لقياس كمية المعلومات التي تتواتر حول الشخصية، نجد الكاتب يعمل على ملء شخصياته بصفات داخلية وخارجية، داخلية تتعلق بالحالة النفسية التي تعيشها، وخارجية تتعلق بمظهرها الخارجي مثل الملامح الجسدية من جمال وقبح وطول وهيئة، وبطريقة إحصائية يمكن حصر عدد الصفحات التي ورد فيها ذكر الشخصية بصفاتها ومؤهلاتها والتحصل على : رواية (بحر نون).

<sup>1</sup>- فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، مرجع سابق، ص51.

## جدول 7 تواتر الشخصيات (بحر نون)

عدد الصفحات	أرقام الصفحات	الشخصيات
15	17(2)، 19.22.38.39.69.76.83.167.177.184.198.199 . 214(3).216(3)	يونس
18	70.71.76.77.78.79.81.83.90.94.95.96.1 00.137.147.155.19	الملكة نونة
6	53.57.60.62.(2)47.48	الشيخ عبد اللطيف
3	(3)17.70.216	يوح

ما يلاحظ من نتائج المقياس الكمي أنّ شخصيتي يونس والملكة نونة كانتا أكثر حضوراً في المتن الروائي من الشخصيات الأخرى، وهذا ما تؤكدُه نسبة المعلومات المتواترة عنهما، إذ لا يعد الفارق كبيراً بينهما وبذلك اكتسبا أهمية كبيرة في الرواية، وقد اقتصرنا على الشخصيات التي كان لها دورٌ بارزٌ في النص الروائي، ليس من أجل الإحصاء فقط وفي رواية الحواميم كان تطبيق المقياس الكمي كالاتي :

## جدول 8 تواتر الشخصيات (بلاد صاد)

عدد الصفحات	أرقام الصفحات	الشخصيات
38	..32.36.42.43.44.46.47.48.50.53.54 56.62.63.64.66.67.68.7.71.72.74.75.76.81.8 2.83.85.86.87.89.90.91.94.99.105.106.108. 111.112.114.115.118.120.123.126.128.129. 130.150.183.208.237.251.255.265.266.267. 268.271.272.287.288.298.299.307.315.316. .319	الششتري
64	128.129.130.131.133.143.150.154.155.156. 158.164.166.175.176.177.179.180.184.187. 191.194.196.202.206.207.40.42.43.238.235 244.242.243.250.251.253.254.255.257.258. 260.261.266.268.270.271.272.273.274.278. 298.301.306.307.308.309.310.311.314.315. 316.318.322	ابن سبعين
8	42.43.45.140.178.131.243.281	ابن عربي
28	.65.66.67.74.75.79.81.85.86.87.88.90 ..94.66.103 105.106.108.139.205.207.208.216.295.297.	صُبح

	.298.299.300	
12	224.225.229.230.233.235.236.237.238.239. .241.242	الشاذلي

والملاحظ من الجدول أن شخصية ابن سبعين تجاوزت في العدد الشخصية المحورية ذلك أن الششتري تولى في الكثير من الأحيان مهمة السرد بضمير المتكلم ، والقيمة الثانية المعتمدة ما لابن سبعين من مكانة عند الششتري وفي بعض الروايات ورد أن الششتري كان يقول أنا عبد ابن سبعين.

#### جدول 9 تواتر الشخصيات (الحواميم)

عدد الصفحات	أرقام الصفحات	الشخصيات
31	20.24.25.26.27.28.29.36.51.53.45.55.5 6.73.74.91.92.94.96.97.100.101.103.105.10 124.125.126.128.233.118..9	ابن معن
4	19.21.22.35	إيزابيلا
18	51.55.56.134.152.156.157.177.178.184. .225.226.227.232.(3)223.(3)190221.222	معينو
17	61.151.153.154.155.156.158.159.169.1	حياة

	.73.227.228.229.230.231.232	
10	.23.24.30.70.96.102.103.105.111.112	الكهنة/ القساوسة
6	.139.145.151.152.153.160	سرفانتس

الملاحظات الظاهرة للعيان أن شخصيتي ابن معن ومعينو ظاهرتا الطغيان في الرواية وتليهما حياة في تواتر الحضور وبعدها يأتي الكهنة والقساوسة والذين كان لهم دور كبير ومؤثر في سير الأحداث، لما قاموا به من تعذيب ومصادرات لأملاك المسلمين وأموالهم. وكما سبق أن أشرنا أن حضور إيزابيلا كان مرحليا لكنه كان مؤثرا وبشكل كبير. وفي رواية طوق سر المحبة نجد التالي:

### جدول 10 تواتر الشخصيات (طوق سر المحبة)

عدد الصفحات	أرقام الصفحات	الشخصيات
18	17.18.19.20.24.25.26.28.30.33.34.38.6 .110.156.155 .5.78	ابن حزم الأب
	38.53.70.71.77.86.39.40.78.79.80.81.8 .84.85.83.86.87.89.90.91.92.93.94.95.96 2 100.101.102.103.104.105.106.107.108.110 .	علي ابن حزم

37	34.51.60.61.62.63.64.66.67.68.69.70.7 1.72.73.75.76.76.77.78.82.86.99.120.130. 131.133.134.135.136.141.146.152.154.165 166.167.167.168.169.170.171.172.173.17. 4	نعم
17	51.53.54.55.56.58.59.60.61.62.165.16 168.170.172 .6.167	نصار
20	74.87.88.82.83.84.85.86.87.89.90.92.9 .8.108.109.116.117.128.145	ابن شهيد

شخصية ابن حزم الظاهري الابن تقريبا متواجدة في كل صفحات الرواية، ثم تأتي شخصية نعم تالية لما كان تحظى به عند سيدها وزوجها، وكانت شخصية ابن حزم الوالد لها كذلك حضور قوي حتى وفاته، ولعب دور الصديق في الرواية دوراً مهماً فقد رافق ابن حزم في كل مراحل حياته بخلوها ومزها، فكما كان ابن حزم لصاحبه في محنته وفقره، رد أبو عامر ابن شهيد الجميل لصديقه وواساه في محنته بدوره.

### جدول 11 تواتر الشخصيات (الجنيد ألم المعرفة)

عدد الصفحات	أرقام الصفحات	الشخصيات
62	11.44.45.6.47.61.62.63.64.65.66.67.68.69.7 1.72.73.74.75.77.118.119.126.129.133.144.	الجنيد

	156.174.191.197.199.200.208.209.210.212. 215.220.223.227.231.233.244.248.260.261. 262.264.265.268.278.279.287.300.301.302. .303.304.315.331.332	
43	45.46.47.48.49.50.51.52.53.54.55.56.61.62. 63.69.71.72.73.74.75.77.81.82.83.84.85.11 2.115.117.188.189.190.191.196.198.199.20 0.201.207.208.225.272	السري السقطي
23	46.47.48.49.50.51.52.53.54.55.56.61.77.96. .119.120.121.122.147.179.180.238.316	الحارث المحاسبي
20	188.207.225.226.227.263.267.268.269.270. .271.272.273.281.282.284.285.286.289.290	سمنون
45	97.110.112.119.132.134.135.137.138.139.1 41.142.145.146.147.153.154.155.156.157.1 58.159.160.164.166.174.175.177.179.180.1 81.182.185.186.188.192.194.195.208.266.2 .68.287.298.309.328	فاطمة
17	264.265.292.293.295.298.299.300.301.302. .303.304.305.307.313.314.318	الحلاج

تواتر الشخصيات في هذه الرواية يوضح أن الرواية عرفانية بنسبة كبيرة جداً، ضف إلى الإمام أحمد ذكر أكثر من عشرين مرة لكن لم ندرجه وكذلك النوري قريباً من هذا

الرقم . ومن خلال المصنف نجد أن شخصية السري تواترت بشكل ملفت وذلك راجع كون هذه الشخصية لها صلة وثيقة بالشخصية المركزية والتي مثلها الجنيد ، فقد كفل السري الجنيد وهو طفل صغير بعد أن توفي والده، فكان السريّ والد ومربي ومعلم وشيخ وخال في الوقت ذاته، وكان الجنيد ملتصق به في حلّه وترحاله، ولا تقلّ شخصية شيخه وأستاذه المحاسبي عن شخصية السريّ، فقد جعله الجنيد قدوة له وكان من أقران أحمد ابن حنبل عليهم رحمة الله، وسلطت الرواية الضوء على المرأة ممثلة في فاطمة زوج الجنيد، وبيّنت مدى ثقافتها واطلاعها وذلك عن طريق انتمائها لجماعة سرية أطلق عليها اسم " اخوان الصفا وخلان الوفا". ومع تصدر الجنيد للدرس في الجامع الكبير حتى ظهر الحلاج الذي كان يحرص على حضور دروس الشيخ وكان يسأله أسئلة غريبة وكان الشيخ ينهاه عن تتبع الأفكار التي كانت تراوده، ونصح الشبلي أن لا يسير خلفه.

وما هو ملاحظ في هذه المقاييس الكمية أنّ الكاتب صوّر الشخصيات الرئيسية تصويراً كلياً، محيطاً بجميع جوانبها، مركزاً في الرواية الأولى على السعي وراء الهدف مهما كانت الظروف، وفي الرواية الثانية كان الاهتمام على التغني والفخر بالدين الإسلامي وحمل هموم ومشاكل الأخوة في الدين ومساعدتهم بشتى الطرق المتاحة رغم خطورتها، أما في رواية سيرة العشق عند ابن حزم فكان التركيز على العلم من جهة ومن جهة ثانية على المحبة كحل دائم لكل المشاكل في كل الأماكن، في حين أن الشخصيات الأخرى لم تحظ إلا بإشارات بسيطة لأفعالها وصفاتها إلا أثناء تقاطعها مع الشخصيات الرئيسية. ويبقى المقياس الكمي محدوداً ولا يستطيع وحده إمداد الباحث بكل ما يحتاجه لفهم الشخصية وطرق بنائها، فدراسة كمية المعلومات لا تساهم في رسم صورة متكاملة للشخصية ولا بد من الوقوف على مصادر المعلومات المقدمة

عنها، وهذا ما يهتم به المقياس النوعي الذي يعد أداة مهمة لمعرفة تلك المصادر ونوعيتها.

### 2.3.3. المقياس النوعي :

ويدرس مصدر المعلومات حول الشخصية، هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، عن طريق التعليقات التي تسوقها الشخصيات الأخرى أو الراوي، أو فيما إذا كان الأمر يتعلق بمعلومات ضمنية يمكن أن تستخلص من سلوكها وأفعالها يضيف فيليب هامون : " والمعايير الكيفية ومن خلال هذه المعايير نتساءل : هل هذه المعلومة المتعلقة بكيونة الشخصية معطاة بطريقة مباشرة من طرف الشخصية نفسها، أو بطريقة غير مباشرة، من خلال تعاليق شخصيات أخرى (أو من طرف المؤلف)، أم أن الأمر يتعلق بمعلومة ضمنية تم الحصول عليها من خلال فعل الشخصية ونشاطها.<sup>1</sup> فالمقياس النوعي يبحث في مصدر المعلومات المتواترة عن شخصية معيّنة، هل هي مقدمة بطريقة مباشرة من طرف الشخصية نفسها، أم بطريقة غير مباشرة من طرف الراوي أو شخصيات أخرى.

### 1.2.3.3. طريقة التقديم غير المباشرة :

ويكون مصدر المعلومات عن الشخصيات هو الراوي، يخبرنا عن أوصافها وطباعتها، أو يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية، في هذه الحالة يكون السارد وسيطا بين الشخصية والقارئ، أو تكون إحدى شخصيات الرواية هي الوسيط.

<sup>1</sup> - فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، مرجع سابق، ص 51/52.

### 2.2.3.3. تقديم الشخصية عن طريق الراوي :

حيث يلجأ الروائي إلى رسم شخصياته معتمدا على الراوي العالم بكل شيء ، مستعملا الضمير الغائب في رسم شخصياته من الخارج ، فيشرح عواطفها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقب على بعض تصرفاتها ويفسّر بعضها الآخر، وكثيرا ما يعطي رأيه صريحا دون التواء فهي " تعني أنّ يراقب الروائي الشخصية من الخارج، ويرسمها من الخارج أيضا، ويدرس أفكارها وتطورها، وبواعث هذا التطور ويفسّر بعض تصرفاتها، ويعطي رأيه في أفعالها، وردود أفعالها، ومواقفها على نحو صريح ومباشر"<sup>1</sup> مما ينجم عن ذلك شخصيات جاهزة كليا أو جزئيا " إذ يتدخل القاص أحيانا بنفسه للتعقيب على بعض تصرفات شخصياته لإبراز كل ما يميزها من عواطف وأفكار وأحاسيس بأسلوب صريح."<sup>2</sup>، وهكذا يتأكد أن للراوي صلة وثيقة بالشخصية، حتى وإن كان متواريا في الخلف، فهو الذي يصف تحركاتها وتصرفاتها ويبني وجهة نظره من خلالها، وكلما اقترب الراوي من الشخصية كان دورها رئيسيا في الأحداث، وكلما ابتعد عنها تهمش دورها في العالم الروائي.

في رواية (بحر نون) يصف الراوي بطل الرواية قائلاً: "كنت أتجول في المدينة العتيقة ثم عرّجت على صديقي الشيخ الكُتبي وجلست في دكّانته. وما لبث أن جاء شيخ عجوز يتعثر في أذيال كسائه، ولولا عكازته لانهار على وجهه. فقد أسعفته هذه الرجل الثالثة لمسك توازنه وضبط مشيته كلما اختل بدنه وتهاوى للأمام الرجل في

<sup>1</sup> - نضال صالح : النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، دار الألفية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط1، 2010 م ، ص247.

<sup>2</sup> - أحمد طالب : الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1989م، ص210.

العقد التاسع من عمره وعلى عارضيه لحية مهيبة..<sup>1</sup> ويواصل الراوي تقديم البطل بعد أن تقدمت به السن ويصف حالته التي آل إليها مركزا على شخصية الشيخ يونس بوصفه بطلا لهذه الرواية، لكن دون مشاركة هذا الراوي في الأحداث، حيث ابتداء الرواية بتعاطفه الكامل مع هذه الشخصية ومساندته لها، وهذا ما جعله فيما تبقى من الرواية يتركها (الشخصية) تعبر عن حالتها ومشاعرها وأفكارها، في حين لا يترك أي مجال للشخصيات الأخرى

أمام هذه الالتباسات، لابد من الإجابة عن سؤال أثاره "جيرار جينيت" في صيغته : من يتكلم ؟ ونثيره نحن في هذا المقام بصيغتنا : من يتكلم في الرواية العرفانية ؟ للإجابة عن هذا السؤال، علينا بتحديد موقع السارد في هذه الرواية، وذلك على النحو الآتي:

**راو غير مشارك في الرواية :** وهو الراوي الذي يقدم الملامح العامة للشخصيات، ويبيدي رأيه في أفعالها ومواقفها، وكثيرا ما يساير الشخصية المحورية، فيما تتبناه من أفكار ويساندها في برامجها السردية. ويسمى Narrateur hétérodiégétique (سارد خارج حكائي)

**راو مشارك في الرواية :** وهو إما الشخصية الرئيسية (يونس/ابن معن/معنينو/ابن حزم/الششتري/الجنيد) حيث تدخل في علاقة مع الشخصيات الأخرى التي تنهض بمهمة السرد، إذ تأتي هذه الشخصية في الدرجة الأولى من حيث تقديم المعلومات حول الشخصيات، وقامت بدور الراوي. ويسمى Narrateur homodiégétique (سارد حكائي).

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 15.

وكما أوردنا المثال من رواية "بحر نون" فإن الراوي في النوع الأول من النصوص يقوم بوصف جميع الشخصيات المتحركة في النص من الخارج، ودون أن يشارك في الأحداث *Narrateur hétérodiégétique* ولكنه في وصفه هذا يركز على الشخصية الرئيسية مطنبا في الحديث عنها، ذاكرة حالتها ومشاعرها، وأفكارها وتقلباتها.

إنه يدخل إلى عمق ذاتها ليكشف عن كل خفي عنها، كما يتحرك في كل الأمكنة والأزمنة بحرية وبطلاقة. إلا أنه لا يعلم أكثر مما تعلمه هي عن نفسها، ولا يخترق زمانا ولا مكانا لم تكن قد عرفته واحتكت به بنفسها. وهذا رغم تعاطفه الشديد معها الذي يظهر في وصفه لها وتدخلاته المباشرة، (سواء بالقول أو بالتستر وراء شخصية ما) أحيانا كثيرة، لينصحها ويوضح لها حقيقة الوضع الذي يتخبط فيه. مع العلم أن هذه التوضيحات ليس لها بالغ الأهمية، فالشخصية تظهر دائما مدركة لما يدور حولها، ولكن إيمانها وقناعتها بمبادئها وتمسكها بأخلاقها يجعل منها دائمة الإقبال إلى الأمام يقول في الرواية ذاتها بحر نون: "وضع الشيخ على عينيه نظارتين سميكتين تحجزان عنك النفاذ إلى داخله لتقرأ بفراستك أطواره وأحواله. ولكن هذه النظارات عينا احتياط... فالرجل من طينة أولئك الرجال الذين لا يأنفون من الاشتغال على الطُروس ولو طعنوا في السن وأخلدهم العجز والهرم إلى السكينة وتعطيل الحركة."<sup>1</sup>، فالراوي يعرف الكثير عن الشخصية وبأدق التفاصيل وكأنه هو.

ومثل ذلك نراه في رواية (الحواميم)، فالراوي يعرف ماضي الشخصية وحاضرها فهاهو يقول: "ومن بين العائلات الأندلسية التي بقي بعض أفرادها في غرناطة، بنومعن. كان هؤلاء يعيشون من الزراعة والتجارة. كان كبير العائلة شاباً في مقتبل العمر. لقد عاش قبل سقوط غرناطة طفولة وادعة ثرية. ثم لما دخلت إيزابيلا لم يتحمل

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص15.

والده الصدمة فتوفي وتركه لم يَطِرَّ شاربه ولا بقل وجهه بعد. تزوج من عائلة موريسكية وعاش شببته في ظل حكم غريب، لكنه كان حريصا على ضمان أسباب عيش أسرته الثرية.<sup>1</sup> فالراوي كان عارفا بماضي الأسرة وخاصة الشخصية الرئيسية فقال إنه تمتع بطفولة هادئة وعيش كريم في ظل الدولة الإسلامية البائدة في الأندلس كما عرف أنّ أباه مات كمداً وأنه تحمّل أعباء العائلة صغيراً. فهذه التفاصيل لا يمكن أن يعرفها إلا الشخصية المعنية بها بالذات لكن السارد أتى بالتفاصيل.

وفي رواية (بلاد صاد) نجد الراوي يمدّنا بلمحة عن الحياة العامة في الأندلس ثم يذكر تاريخ ولادة الششتري، والفعل ذاته قام به في رواية الجنيد إذ قدم صفاً كاملاً لعاصمة العالم بغداد، ورصد لنا الأسماء اللامعة التي كانت متواجدة في ذلك العصر وأورد قصة ارسال المأمون الرسل لبلاد الروم وجلب الإرث الفكري والفلسفي لليونان من مكاتبهم وإحاقه بيت الحكمة الذي أسسه المأمون لترجمة ..

وفي رواية (طوق سر المحبة) يقول الراوي : " كان الرضيع يغط في نومه على مهد رفيع الصنع. تقدّم أبو عمر من المهد وهو يحمل ولده أبا بكر، واقترب من الرضيع الذي فتح عينيه فجأة. ارتعب أبو بكر من العينين الكبيرتين ونظرتهما الغربية رغم صغر سنّ أخيه الصغير. أدرك الأب خوف ابنه فربت على ظهره وأبعده عن المهد بعدما كان ينوي أن يقبل ابنه الصغير"<sup>2</sup> وهنا أيضاً قام السارد بتقديم ما لا يراه ولا يعرفه إلا من كان حاضراً في هذا المجلس وفي نفس غرفة الرضيع ذي العينين الكبيرتين. ونجد في مواضع أخرى يستتر الراوي وراء شخصية من الشخصيات ليبدلي بآرائه ومواقفه، ففي رواية (بحر نون) تتحاور الملكة نونة مع الحيّة ويدور الحوار على

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص21.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص20.

الشكل التالي : " فجاءتني الحيّة التي حيل بيني وبينها بجذع الشجرة فقالت لي : لماذا تهربين مني يا نونة ؟

فقلت لها : ومن أين تعرفين اسمي ؟

.....

فقالت : لا أريد بك إلا الخير، وقبل ذلك خدي هذا القرص المعجون من هذه الشجرة واقتاتي منه لكي تستردي بعض قواك. فتناولت القرص، وبمجرد أن أكلت منه بدت لي سوءتي ...<sup>1</sup> فهنا الحية التي تخفى بها وتكلم على لسانها أظهرت للملكة ومن ورائها القارئ حقيقة الإنسان الذي يبقى إنسانا وتبقى حقيقته غامضة مستعصية على الفهم.

أما في رواية (طوق سر المحبة) فتكلم الراوي بلسان صخرة قائلا : " اسمك الإلهي المتوجّه عليك هو الاسم 'الظاهر' ومذهبك ظاهري. لكن احذر أن تغرق في الماديات والظواهر المحسوسة كما حدث لبني إسرائيل. واقتبس من نار الجبل ضوءا ونورا، وامش على هديه. ثم انكفأت على نفسها وانقطع كلامها وعادت لسكونها المطبق."<sup>2</sup> فهنا الصخرة أو السارد يقدم النصح للشخصية الرئيسية والتحذير في الآن ذاته من الوقوع في الخطأ الذي وقعت فيه بنو إسرائيل بإيمانهم بالملحوس والمحسوس وعبادتهم العجل الظاهر أمام أعينهم، والتتكّر للخالق جلّ في علاه عدم تمكنهم من رؤيته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ويظل السارد في موقعه هذا وفي علاقته هذه بالشخصيات معتمدا في جميع النصوص على منظور الشخصية الرئيسية ومنظورها للعالم، للإنسان وحقيقته والروح

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 195.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 319.

ومكانتها، ما يجعلنا أمام ما يسميه جيرار جينيت بالتبئير الداخلي الثابت وبناء على مواقف هذه الشخصية تدوب مواقف الشخصيات الباقية التي تظهر في أفعالها وسلوكها، ويراهما القارئ انطلاقاً من رؤية الشخصية الممثل المنظور، ويسندها السارد الأوصاف والتصرفات مثلما تمليه عليه ذهنيته، لذلك فهو يلحظها من الخارج مثلما تلحظ هي ولا يدخل أعماقها، ولا يفصل في مشاعرها وأفكارها، بل يتوقف على إدراج أقوالها مباشرة وذكر بعض صفاتها والتركيز على أفعالها وتبقى علاقته بها تجسد الرؤية من الخارج والتبئير الخارجي. "إنه يصف فقط ما يرى، وما يسمع ولا يجوز له أن يدخل إلى الأعماق"<sup>1</sup>. حيث إن السارد يعتمد الرؤية الخارجية في علاقته بالشخصيات لتثبيت دلالاتها، وهو في موضعه هذا يتحدث عن شخصياته مستخدماً الضمير الثالث (ضمير الغائب) تارة "الذي يسمح له باتخاذ مسافة مناسبة من الشخصية التي يقدمها، بحيث يصبح بإمكانه الحديث عن أوصافها وانشغالاتها من موقع العين الراصدة، وينجح بالتالي في التقاط كل جزئية من جزئياتها والتعرض لمظاهرها وخفاياها من جميع الوجوه"<sup>2</sup>. والضمير الثاني (ضمير المخاطب) تارة أخرى، إذ يضع الشخصية المتحدّث عنها موضع الشخص المخاطب، الملاحظ بوضوح ومباشرة، والمسافة ستختصر بالمقارنة مع الأولى، ليقترّب السارد من شخصيته أكثر. نورد هذه الأمثلة لتبيان ما نرمي إليه،

حيث نجد في رواية (بحر نون) ما نصه: "كان الشيخ يونس مسترسلاً في حديثه وأنا أرقب حركاته وسكناته وخلته عاد جدعا كما كان، كما لو أن الحكي نَصَحَهُ بدم جديد وفتوة جديدة. كانت صور الزمان والمكان تنطبع على وجهه وحركاته

<sup>1</sup>- T.TODOROV : Littérature et signification, P.80.

<sup>2</sup>- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 233.

فَتُشَخِّصُ هي الأخرى سفره في الماضي. ولم يعد يشعر بوجودي تماماً<sup>1</sup>، أما في رواية (الحواميم) فالسارد يقول: "كان كلام ابن معن مؤثراً، وساد صمت رهيب ولم يجرؤ أبناؤه على رفع رؤوسهم إلى والدهم أو التحدث بمحضره، إن الصمت في هذه المواطن أبلغ من الكلام.... في الأيام التي تلت باع ابن معن كثيراً من الأراضي التي كان يملكها واخذ ثمنها من النبلاء القشتاليين الجدد ثم حثَّ أبناءه على الرحيل بأقصى سرعة"<sup>2</sup> وفي رواية (طوق سر المحبة سيرة العشق عند ابن حزم الأندلسي) يقول السارد: "ضحك أبو عامر من تشبيهاتي الملتوية وقال: لا تموّه عليّ يا صديقي باصطناع البطالة وإدعاء البهالة، فإنني أعلم أن الشقراء التي تحاول أن تخفي عني أخبارها هي أبهى صبية في قرطبة..... ثم أردف لا تخش على فتاتك مني"<sup>3</sup> نلاحظ في المقاطع الثلاثة، أن السارد موظف الضمير (هو) أو الضمير (أنت) على صلة وطيدة بشخصياته، على الرغم من المسافة التي يوهم بها القارئ، صحيح أنه يتحدث عنها بالتفصيل الدقيق، ويتحرك معها في الفضاءات والأزمنة المختلفة، لكن هذا لم يمنع من أن يتداخل معها ويذوب فيه، حتى إننا نستطيع القول بأنه يستعين بالضمير النحوي (هو، أنت) ويستتر خلفهما ليعبر عن مواقفه ووجهات نظره التي هي مواقف الكاتب "إن الضمير الثالث ليس شيئاً آخر غير الإشارة القاضية التي من خلالها يشير الكاتب إلى القناع الذي يحمله"<sup>4</sup>، وهذه نظرة رولان بارت للضمير النحوي الثالث واستعماله من قبل المؤلف.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 69.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 29/28.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 86/85.

<sup>4</sup> - Op.Cit. Roland Barthes : Le degrés zéro de l'écriture , P.29.

## 3.2.3.3. طريقة التقديم المباشر:

وينعته البعض بالتقديم الذاتي الذي يعني أن الشخصية " تقدم ذاتها بذاتها مستغنية عن كل الوسائط التي يمكن أن يسند إليها وظيفة نقل المعلومات المتعلقة بها إلى المتلقي حيث تعبر عن ذاتها، وتحدد أفكارها وطموحاتها وبذلك تبلور موقفها بها في منظومة الحكي".<sup>1</sup>، أي أن مصدر المعلومات يكون الشخصية نفسها دون وسيط باستعمال ضمير المتكلم ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان الشخصية الرئيسية/ السارد في رواية (بحر نون): "عندما استوى عودي ونيقت على الأربعين بقليل يّمت صوب المشرق أبغي حج بيت الله الحرام. أدّيت ما عليّ من ديون وتخيرت رفقة صالحة مع ركب الحجاج واقتنيت دابة فارهة.... وصلنا بيت الله الحرام وأدّيت الفرض وزرت قبر الرسول".<sup>2</sup> ففي هذا المثال يقوم البطل بتقديم نفسه وما يقوم بنفسه بدون وساطة، ويستمر بتولي مهمة السرد بضمير المتكلم.

وفي رواية (الحواميم) نجد كذلك هذا النوع من التقديم في تعريف معنينو بنفسه أمام حياة قائلاً: "اسمي محمد معنينو. وأنا مثلك من أصول عربية إسلامية. كنت أعيش في غرناطة وقُتل والدي فقرّر جدّي الهروب بي إلى المغرب لكنّ كتيبة من الفرسان اعترضت طريقنا. أمرني جدي بالهرب إلى السفينة وتركته خلفي وحيدا لأنه لم يكن بمثل خفتي وقد علمت قبل أشهر أنهم قتلوه شنقا ثم أحرقوا جثّته، رحمة الله عليه".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - مرشد أحمد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مرجع سابق، ص 45.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 19.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 153.

وعند انتقالنا لرواية طوق سر المحبة يُقدّم ابن حزم نفسه ويصفها: "أنا عليّ، ووالدي الوزير أبو عمر سعيد ابن حزم، وُلدتُ في قصرنا الملاصق لقصر المنصور بن أبي عامر في مدينة الزاهرة شرقي قرطبة. كانت أمارات النباهة قد بدأت تظهر عليّ منذ صغري في قصر والدي...<sup>1</sup>" فالتقديم ظاهر في المقطع السردي السابق بضمير المتكلم. إنّ ما ذكرته الشخصيات السابقة في النصوص الثلاث من مواصفات تمنح القارئ تخيل شكل البطل، وهو في مرحلة مفصلية من مراحل حياته، فتوظيف ضمير المتكلم (أنا) الذي يعكس بوضوح وبدقة الرؤية مع *vision avec*، فالكاتب يوكل إحدى شخصياته مهمة السرد، وهي في جميع النصوص العرفانية الشخصية المحورية، التي تتدخل لتعرف بحالتها لقارئ (كما رأينا) وتخاطبه مباشرة ف "الأنا" كما يوضح عبد المالك مرتاض: "معادل من بعض الوجوه لتعرية النفس، ولكشف النوايا أمام القارئ.. وله القدرة المدهشة على إذابة الفروق الزمنية والسردية بين السارد والشخصية والزمن جميعا ويستحيل السارد نفسه في هذه الحال إلى شخصية كثيرا ما تكون مركزية."<sup>2</sup> فهذا الشيخ يونس يقول: "كانت سكرة اغتالت عقلي هذه السفارة في الزمان والمكان، بل في الآن الدائم والمكان المتعادم بكثرة الأين وشقاوة البين. ولكن بارقة لاحت في أفق قلبي ولمعت من ضُراح فؤادي وأشرقت في وديان جناني فأضاء بنورها عقلي ولم تكن تلك اللوامع والبواده إلا إشراقاً نور القديم..."<sup>3</sup> والملاحظ من هذا المقطع السردية أن الشخصية المحورية ذات ثقافة ووعي كبيرين، وساعدها مستواها الفكري على فقه حقيقة الأمور، وتجاوز الماديات والاهتمام بكل ماهو روحي، والسفر إلى عالم العرفان والمعرفة الذوقية التي هي هبة من عند الباري، وفي (الحواميم) نستعرض

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 38/39.

<sup>2</sup> - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، مجلة عالم الفكر، العدد 230، الكويت، ديسمبر 1998، ص 184/185.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 39.

موقف ابن معن/ الشخصية المحورية في رده على الذين اتهموه بالردّة: "ابتسم ابن معن وقال مخاطبًا الفقهاء: يا إخوة الإيمان لا تثريب عليكم يغفر الله لكم. رأس العلم أيها الفقهاء، مُدَارَةُ الناس كما تعلمون. وهذا الكاهن مُضمر الشر بنا فهلاًّ تحايلنا عليه بالكياسة. أمّا عن سجدي فإن ذلك أمر بسيط للغاية، وهي أنني نويت بها تحية المسجد ولقد رأيتم أنني سجدت في تجاه القبلة التي كان الكاهن يستدبرها أمامي".<sup>1</sup> وهو ما يؤكد مكانة ابن معن العلمية والفقهيّة، فهو مدرك لما يفعل بكل ثقة ورزانة.

في رواية (طوق سر المحبة) نورد هذه العبارات على لسان الشخصية الرئيسية علي ابن حزم: "إذ كنت أرفض قانون التعليم والمكث أكثر ممّا ينبغي في مجلس الدرس، إذ يبدو لي الأمر مُملًا بعد فهمي للمسائل، فلم أكن أرغب في تكرارها كما يفعل سائر المعلمين مع تلامذتهم، لكنّ ثقتي المفرطة بنفسي وسرعة استيعابي كانت تدفعني إلى التمرد والخروج من الدرس والثورة على المربية المكلفة بتعليمي حتى تدعني أذهب للنزهة واللعب"<sup>2</sup> فعلي ابن حزم كان من صغره متقدّمًا وألمعيًا، يفهم بسرعة ولا يحتاج للتكرار لاعتقاده أنه يُقلّل من عقل الرجل، وكما لاحظنا في الأمثلة أن الشخصيات الرئيسية التي تحمّلت مهمة السرد كلها شخصيات عالمة وعارفة، كما تخلّلت المتون الروائية بين ثناياها بعض من اعترافات هذه الشخصيات، والاعترافات هذه الملفوظات الحكائية تجعل الشخصية الروائية داخل الحكيم مصدرًا للمعلومات والأفكار والمواقف التي تخصها، وبذلك تسهم في كشف جانب مهم من كينونتها، وفي توضيح الفكرة المراد حكيها.

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 25.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 40.

في رواية (بحر نون) يعترف يونس وهو في جوف الحوت قائلاً: "استيقظ في واعز الحق فكنت أقضي الوقت لاهجا بالتسيح في هذا الليل الوجوديلا افتر عن الذكر، ثم حين أخرج من هذه الخلوة أجالس الملكة لأنتسم معها نتائج تلك الأذكار في جملة من الأسمار.<sup>1</sup> ، ويخبرنا يونس بما كان يفعله وهو في بطن الحوت، فكان هو مصدر المعلومة مباشرة من خلال اعترافه هذا، ومثال هذا متواتر في روايات ابن عرفة (النماذج) ومن خلاله تميزت تلك الشخصيات بقدرتها الكبيرة على تحديد ما رغبت في تحديده من ملامح كينونتها والتعبير عن نفسها وما يختلج فيها معتمدة على الصدق في القول والفعل، وهذا له قيمته الأخلاقية في الوعي الجماعي، وبذلك استطاعت أن تثبت حضورها في الحكى الذي يستمد جماليته من ذلك المبدأ، وتحقق في الوقت نفسه مشروعية مقروئيتها لدى المتلقي، وكثيرا ما تدخل هذه الشخصية المحورية الساردة في حوارات كالحوار الذي دار بين يونس والبدوي في رواية "بحر نون" أو الحوار الذي دار بينه وبين شيوخ الصوفية أو الذي دار بينه وبين الملكة نونة مرات عديدة.

رواية (الحواميم) تخللتها حوارات كثيرة بين ابن معن من جهة والكهنة من جهة أخرى، وبين ابن معن والمهرطق كاسيديرو الذي كان يقاسمه زنانة السجن، أو الحوارات التي دارت بين محمد معنينو والفارس الصليبي وبينه وبين سرفانتس وهو حوار فلسفي ديني أدبي طويل، وبين معنينو وحياة الأسيرة والزوجة لاحقا.

كما لم تخل رواية (طوق سر المحبة) من الحوار وكان أحد أطرافه ابن حزم الشخصية الرئيسية مرات، بينه وبين والده من جهة وبينه وبين الفقهاء المعارضين من جهة ثانية، وحوارات دارت بينه وبين صديقه أبي عامر ابن شهيد، وحوارات بين ابن حزم ونُعم، وحوارات داخلية أو ما يسمى المونولوج حيث تتحول النفس في هذه الحالة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 183.

إلى شخصية قائمة بذاتها، تفكر تسمع وتجيّب وتعلق، وفي هذا المثال جواب لما نقول يورد ابن حزم هذا المقطع في نهاية رواية طوق سر المحبة: "انتابني حال عجيب وطفقت أكلم نفسي من منزل (سورة) الشعراء، فقلت: يا ابن حزم ها قد دنا أجلك، فهل أنت مستعد للقاء؟ جرّدت من ذاتي شخصا ممكنا يحدّثني، فاستشكل عليّ الأمر، فلم أدر من أخاطب، ومن أنا! كان كل واحد من المتحاورين يزعم أنه أنا، وأنا بينهما لست أنا. لكنني رضيت أن أنشطر إلى هذا وذاك، وأسمع من هذا وذاك، لعل في الانشطار بعضا من حقيقتي."<sup>1</sup> فالصراع الداخلي ظاهر على السطح، وهو حديث نفس بين ابن حزم وذاته وهذه الطريقة يعتمدها المؤلفون لتعريف القراء بصورة دقيقة وعميقة بشخصياتهم، ولا يحتاجون في ذلك إلى سارد وسيط وإنما تتكفل الشخصية بنفسها بهذه المهمة. ومثلما يقرر الكاتب ويصادق عليه، فالشخصية وهي تفصح عن أفكارها صراحة، وبصوت عال، تحاول أن تقلل بعض الشيء من حدة أزمته، وتحاول أن تبحث فيها بموضوعية وبوضوح حتى تجد المخرج، كما أن حواراتها الداخلية تسمح لها باستعادة كل أفكارها حتى تعيد حساباتها والتأمل فيها وفحصها بدقة، فالصراع أصبح مع مجتمع انقلبت فيه المفاهيم وعادت القيم إلى مراتب متأخرة، وصارت المصلحة سيدة الموقف، ففي رواية (طوق سر المحبة) انقلب الكل ضد ابن حزم بعد أن أدارت الدنيا ظهرها وفقد الوزارة وأصبح دائم الترحال فارًا بنفسه، من أجل الأمن وسلامته الجسدية، حتى الفقهاء والعلماء تخلوا عن مبادئهم واتخذوا من النفاق والخيانة وسيلة للتقرب من السلطة والحصول على الامتياز، فلم يبق للشخصية المحورية سوى العودة إلى ذاتها ومساءلتها ومحاورتها لبلوغ حقيقة الأمور وتحقيق التوازن النفسي. ونعود لمونولوج ابن حزم: "فقلت له: إلى من توجه الكلام؟ هل أنا أنت، وأنت أنا؟ والله قد تعدّدت حتى ضعفت بينكما. فقال: أنا بعض أنت، وأنت بعض أنا لكن أجبني عن

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 321.

سؤالي، فنحن سواء أمام الموت. قلت، ولعله هو الذي قال : نعم نحن سواء أمام الموت وإنّي لا أخشى الموت يا بعض ذاتي وصفاتي، لكنّي أتحسر على لحظات عشتها مع منأحب.<sup>1</sup> وهذا دخل عندنا تحت مسمى حديث النفس فالإنسان يحتاج أحيانا أن يتحدث مع/إلى ذاته حتى يستقر.

إنّ نصوص ابن عرفة العرفانية سواء كانت بالضمير ال"هو"، أو بضمير ال"أنا" قد جسدت بامتياز الرؤية مع " التي يعلم السارد فيها بالقدر الذي تعلمه الشخصيات، ولا يمكنه أن يمدنا بتفسيرات عن الأحداث، قبل أن تكون الشخصيات نفسها قد علمت بها مسبقا، ويستخدم ضمن هذه الرؤية ضمير المتكلم (ويمثل صيغتها) أو ضمير الغائب، ولكن دائما انطلاقا من وجهة نظر شخصية من الشخصيات<sup>2</sup>، كما تلقتي هذه الرؤية مع ما يسميه جيرار جينيت بالتبئير الداخلي Focalisation interne.

ولما كان التداخل كبيرا بين السارد والشخصيات المحورية في كل النصوص، فإن عملية تغير الضمير (هو) إلى الضمير (أنا) لم يكن بالأمر الصعب، ويقربنا هذا إلى ما أشرنا إليه سابقا وهو أن السارد (صوت الكاتب) يتستر خلف الشخصية الرئيسية ووراء شخصيات أخرى ليبدلي بآرائه وأفكاره. ويقترّب مما جاء بارت وسماه بالصيغة الشخصية mode personnel الذي يسمح بإعادة كتابة مقطع كان بضمير الغائب، وفق ضمير المتكلم، دون أن تثير هذه العملية أي تغيير في الخطاب ماعدا تغير الضمائر النحوية<sup>3</sup> ويتحدد موقع السارد في علاقته بالنصوص وبالشخصيات في المتون المدروسة في مظهرين : سارد خارج حكائي وسارد داخل حكائي، ذاتي الحكي.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 322.

<sup>2</sup> - T.TODOROV : Littérature et signification, P,80.

<sup>3</sup> - R.BARTHES : Introduction à l'analyse structurale des récits, P.20.

ويتحرك هذا الأخير وفق وجهة نظر الشخصية الرئيسية ، التي تتحول إلى ممثل - مدرك ومن خلالها تعرض الشخصيات الباقية.

إلا أن هذه الرؤى والعلاقات والمستويات غير متبعة بدقة على امتداد النصوص، لكنها تخص الإطار العام فقط (مستوى الوحدات الكبرى) وتتنوع داخل النص، إذ نجد السارد ينتقل من الرؤية مع عند حديثه عن الشخصية الرئيسية، إلى الرؤية من الخارج حينما يتحدث عن الشخصيات الأخرى.

واعتماد هذه الوسائل المنهجية من رؤية، صوت وتبئير ساعدتنا على الكشف عن طرق تقديم الشخصية، والكيفية التي استخدمها الكاتب لعرضها، وعرض من خلالها مواقفه وقناعاته.

إن كل الشخصيات مجتمعة تساهم في دفع الأحداث إلى الأمام، ولابد من تشكل علاقات بين الشخصيات محورية وغيرها بشكل أو بآخر، لدعم الفكرة الأساسية والهدف الجوهري، وتوضيح الموقف العام للرواية، مما يعطي الأهمية لكل الشخصيات على مختلف مستوياتها إذ يمكن لشخصيات الرواية أن تكون راوية للأحداث ومشاركة في جريانها، أو تكون مشاركة فيها فقط، وبالتالي فإن بعضها يهيمن على الآخر ويتصرف فيه من حيث منحه إمكانات للظهور والتجلي والفعل أو سلبها منه وإقصائه وتغييبه<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الطاهر رواينية : سرديات الخطاب الروائي المغربي الجديد، مقارنة-نظرية تطبيقية : في آليات المحكيالروائين مخطوط دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس 2004/2003 م، ص 121.

# الفصل الثالث:

## دال الشخصية

- 1 تحديدات أولية
- 2 تواتر الاسم وثباته
- 3 غنى الاسم
- 4 تعليل الاسم

## 1. تحديدات أولية :

يؤدي الاسم الشخصي دوراً فاعلاً في الإيهام بالواقع ضمن كل عمل روائي، ويحرص الروائي أثناء عملية انتقاء أسماء شخصيات رواياته على أن تكون منسجمة ومتناسبة مع مكونات السرد الأخرى، لذلك قام ابن عرفة باختيار أسماء شخصيات في الغالب عرفانية وقام بتقديمها بما يوحي بتماثل الخيالي والواقعي، وهناك خصائص عامة وسمات مرتبطة بالشخصية حيث : "يتم تقديم الشخصية وتعيينها في فضاء النص من خلال دال لا متواصل، إنه مجموع الإشارات المتنافرة التي يمكن تسميتها سمته، وإنّ أغلب هذه الخصائص العامة لهذه السمة تحددها الاختيارات الجمالية للكاتب"<sup>1</sup>، ويحدد فيليب هامون هذه الإشارات في عنصرين اثنين يعبران مباشرة وبصراحة عن الشخصية وهما : اسم العلم nom propre والضمير النحوي pronom personnel ويخص الأول القصص المسرودة بزمن الماضي وبالضمير الثالث (ضمير الغائب)، أما الثاني فيختص النصوص المسرودة بالضمير الأول (المتكلم) (نص السيرة الذاتية) "إن المونولوج الغنائي أو السيرة الذاتية يمكنها أن تقتصر على سمة متكوّنة من جذر منسجم ومحدود نحويًا نحو: je/me/moi أما في قصة مروية بزمن الماضي وبالضمير الثالث، فإن السمة ستركز على اسم العلم."<sup>2</sup>

من أجل التعرف على الطريقة التي يحقق بها النص مقروئيته، وفهم الشخصية من خلال الاسم المسند لها (سمته)، يجب دراسة الاسم بدقة وتتبع أربعة خصائص تميزه، تضمن اشتغاله في النص، وتحدد طبيعة علاقته بالشخصية التي يمثلها. يفصل فيليب هامون في هذه الخصائص المتمثلة في :

1- تواتر الاسم Sa récurrence إشارات متواترة إلى حد ما.

<sup>1</sup> - PH. HAMON, Pour une statut sémiologique du personnage in : poétique du récit, P.142.

<sup>2</sup> - ibid, P.143.

- 2- ثباته Sa stabilité علامات ثابتة إلى حد ما .
- 3- غناه richesse سمة واسعة إلى حد ما.
- 4- درجة تعليقه son degré de motivation في علاقة الدال بالمدلول.

وفي ما يأتي سنحاول الوقوف على كل خاصية من هذه الخصائص ( انطلاقا من النصوص العرفانية وما توفره من معطيات)، وسنستفيد مما يقدمه من تدقيقات حول الأسماء الموظفة في النصوص وطبيعة اشتغالها والطريقة المختارة لعرضها والبعد الدلالي الذي تكسبه للشخصية. من خلال كل هذا سنضبط الخلفيات التي تتحكم في اختيار المؤلف لاسم الشخصية وبنائه سمتها " يدخل اختيار أسماء شخصيات رواية ما "الأسماء الشخصية"، و"الألقاب العائلية" في علاقة مع الروائي نفسه أو مع الحقيقة، ولكن كذلك مع العلاقات التي تنشأ بين شخصيات الرواية.<sup>1</sup>

## 2. تكرار الاسم وثباته :

يُسند الكتاب لشخصياتهم أسماء متنوعة، تملئها عليهم أهدافهم ومقاصدهم واختياراتهم الجمالية. وتتراوح هذه الاختيارات بين أسماء شخصية و/أو ألقاب عائلية، و/أو أسماء مواضع، و/أو أسماء تشير إلى حالة/مركز اجتماعي، مهني، و/أو صفات (جنسية/نفسية) مميزة في الشخصية، وقد يقتصر على الضمير النحوي. تنعت هذه الأخيرة الشخصيات وتميزها عن غيرها، وتختزل دلالتها بفضل ما تتوفر عليه من حمولة دلالية أو مثلما يسمي ذلك بارت : " فاسم العلم ذو طبيعة اقتصادية، إنه وسيلة تبادل : إذ يسمح بتعويض مجموعة من العلامات بوحدة اسمية مع وضع علاقة تعادل بين الدليل والمجموع إلا أن الوظيفة الاقتصادية للاسم معرفة بشكل صريح نسبيا.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- P.L.REY : Le roman, Coll. contours littéraires, Hachette, Paris, 1992. P.63.

<sup>2</sup>- R.BARTHES : S/Z, Points, Seuil, Paris, 1970, P126

إن الاسم يشير مباشرة إلى شخصية واحدة ويعبر عنها " فالشخصية مرجع اسم العلم (سواء كان حقيقيا أو خياليا) أو أحد بدائله، هذه البدائل التي تشكل فئة المعينات (الإشارات، الضمائر، العبارات الوصفية وغالبا ما تكون تسمية الشخصية الذي يعني فن توقع طبيعة الكائن من خلال الاسم). إن هذا الأخير يمثل اشتغالا مرجعيا يفتح مجالا للخيال ويجذره في الواقع الاجتماعي والتاريخي الذي يضمن له انسجامه فالاسم مولد للاشتغال داخل النص، ومولد للمعنى داخل هذا النص نفسه.<sup>1</sup>

ولما كان الاسم بكل هذه الخصائص، فإن تواتره في المتن وثباته (تواتر وثبات بدائله أيضا) عنصر أساسي لضمان انسجام النص ومقروئيته. إنه يضمن "في الآن نفسه ديمومة المعلومة ويحفظها على مدى تنوع القراءة، ذلك أن النص الذي تتغير فيه إشارات الشخصية مع بداية كل جملة، لا يعتبر بمكان نصا مقروءا وواضحا."<sup>2</sup>

وفي نصوص ابن عرفة سنلتقي مجموعة من الأسماء غاية في التنوع والاختلاف، وسنبحث في نوع هذه الأسماء الموظفة والمتكرر حضورها في النصوص، وأهم الأساليب التي اتبعها الكاتب لوضع أسمائه وطرحها في النصوص لتكون دليلا على الشخصية وعنوانا لها دون أن تُخلّ بنظام تركيبه ولا مقروئيته. حيث يساهم الاسم في الكشف عن الصفات الداخلية للشخصية، كما يحدد صفاتها الخارجية، ويساعد أيضا على وضوح أحداث النص بتحديد الشخصية وهي تقوم بالحدث الموكل إليها من طرف الكاتب. فالاسم الشخصي أحد المحمولات الأساسية التي تنقل الشخصية عبر حركية القص من مستوى البياض الدلالي، على مستوى التعيين والتمييز عن باقي الشخصيات الأخرى، يقول توماشفسكي: "إن دعوة شخصية باسم خاص تشكل العنصر الأبسط من التمييز."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - Op.Cit. C. AHOUR, S.REZZOUG, p 203/204.

<sup>2</sup> - Op.Cit.PH. HAMON, Pour une statut sémiologique du personnage in : poétique du récit ,P.143.

<sup>3</sup> - توماشفسكي : نظرية الأغراض، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة : إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص 205.

حيث تقدم المادة الصوتية باختلاف مورفيماتها للشخصية وحدة دلالية منتقاة من بين وحدات دلالية كثيرة، فالكاتب له إمكانية اختيار المظهر الصوتي ليجعل منه علامة مميزة تسهم في تحديد ماهية الشخصية، غير أن السمة الدلالية غير مطروحة وفق تصور مسبق، بل تتحدد بالنظر إلى دور القارئ في استحضارها ضمن سياق النص العام. وعلى الرغم من تعدد الأسماء وتباينها في الروايات المدروسة يظل اسم العلم أكثر الأدوات تواضعا وتواترا في تعيين الشخصية، ويبين الجهد المبذول من قبل الكاتب لانتقاء أسماء تدل على شخصياته مراعيًا مجموعة من المعطيات منها: البيئة، الجنس، العمر، والمهنة، المستوى الاجتماعي والثقافي، الاتجاه الإيديولوجي... الخ. وقد حاول الكاتب وهو ينقل هذا الاسم من الواقع إلى المجال الروائي أن يحافظ عليه ويمثله بالحياة بل وأن يعطيه بعدًا تخيليًا، ومن خلال تحليل الروايات النماذج يتضح أن ابن عرفة قد استخدم العديد من الأسماء التراثية والتاريخية والفكرية والأدبية والعرفانية، والتي تحمل في طياتها دلالات سياقية وذهنية وافترضية، وفي هذا الصدد يقول حسن بحراوي إن "معظم الأسماء التي يخلعها الكاتب المغاربة على شخصياتهم الروائية تكون، كما في معتاد الحياة اليومية، مأخوذة من بين أسماء الرسل والأولياء وأبطال الإسلام"<sup>1</sup>، وبالإمكان تقسيم شخصيات النصوص الروائية إلى فئات، كل منها تميّزت بتسمية خاصة بها، متواترة في بنائها ودلالاتها في كل النصوص المدروسة، وكل الأسماء تقريبًا مستمدة من البيئة العربية كما أنّ دلالات هذه الأسماء تشير من قريب أحيانًا ومن بعيد أحيانًا أخرى إلى الحدث البؤري، فالشخصيات المركزية في رواية "بحر نون" أسند لها الكاتب الأسماء : يونس، نونة. أما في رواية "الحواميم" فنجد الأسماء التالية : ابن معن، معنينو، حياة.....

في رواية (طوق سر المحبة) كان اسم أحمد وعلي من الرجال ومن النساء ناعم و نضار. وفي رواية (بلاد صاد) طغى اسم الششتري وعلي ، وصبح وابن سبعين وفي

<sup>1</sup> - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 249.

رواية الجنيد نجد اسم الجنيد واسم محمد والحارث والسري، وفاطمة، وأحمد متداولة بشكل كبير، وهذه الأسماء لا تحمل أي دلالة في ذاتها يمكن أن يتعرّف عليها القارئ، بل ينتظر إكمال القراءة حتى يستدلّ إلى ما ترمي إليه، فالكاتب قام بتوزيع المعلومات المتعلقة بالشخصيات على امتداد النصوص وترك للقارئ مهمة جمعها وتركيبها، ثم يقارن ما توصل إليه من معان عنها باسمها، ليدرك التماثل بين الدال والمدلول.

شخصية يونس في رواية بحر نون تتضافر كل المعطيات التي يوفرها النص لتؤكد الدلالة التالية : شخصية متعلمة وعارفة تميل إلى محبة شيوخ الصوفية، عاشق للكتب ونتاجه متحدثاً عن شغفه بها : "عدت إلى سابق عهدي فأخذت في اقتناء الكتب والتفنن في الحصول على أندرها وأجملها حتى حصلتُ منها على ما يُعدّ به المرء من الرجال ويخلص من شناعة الانتساب إلى الفئام، فيصير لوحده أمة معدودا في الأنام."<sup>1</sup> وبالإضافة إلى وُلعه بالكتب فشخصية الشيخ يونس كانت محبة للمغامرة وخاضت العديد منها، ومن أهمها رحلته في البحر. ويونس اسم علم مذكر أصله عربي وهو من الأنس أي الإنسان وأصل الاسم يؤنس، وهو اسم النبي يونس عليه السلام صاحب الحوت أو النون لذا يلقب بذي النون وعنوان روايتنا شطره الثاني "نون"، وقد استعمل الكاتب هذا الاسم بطريقة مقصودة أراد بها دلالات معينة، كما يبين حسن بحراوي من خلال قوله: "يسعى الروائي وهو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون مناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته، وللشخصية احتماليتها ووجودها. ومن هنا مصدر ذلك التنوع والاختلاف الذي يطبع أسماء الشخصيات الروائية. وهذه المقصدية التي تضبط اختيار المؤلف لاسم الشخصية ليست دائماً من دون خلفية نظرية، كما أنها لا تنفي القاعدة اللسانية حول اعتبارية العلامة، فالاسم الشخصي علامة لغوية بامتياز. وإذاً، فهو يتحدد بكونه اعتبارياً، إلا أننا نعلم أيضاً أن درجة اعتبارية علامة ما أو درجة مقصديتها يمكن أن

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 20.

تكون متغايرة ومتفاوتة ولذلك، فمن المهم أن نبحث في الحوافز التي تتحكم في المؤلف، وهو يخلع الأسماء على شخصياته.<sup>1</sup> ويعني هذا أن اختيار الأسماء لا يخضع دائماً لقاعدة الاعتبائية، والواضح أن ابن عرفة قد اجتهد في المطابقة بين الأسماء المستخدمة وما تهدف إليه، فكان يونس مؤنس الملكة لما ابتلعهم الحوت أو النون كما سموه في العديد من المرات، ثم إن الملكة كانت تسمى "نونة" وهي مؤنث النون، وحقيقة أن كل هذه الأسماء مرتبطة بالبحر وتدل عليه، ثم إن اسم يونس لم يتغير في كل فصول الرواية وبقي محافظاً على صفاته التي خلقت تطابقاً بينها وبين حالته النفسية والاجتماعية، مما سهّل على القارئ فهم النص وتتبع إشاراته الدالة على الشخصية، وهذه الشخصية قد اختارها القدر للقيام بهذه المهمة الصعبة والخطيرة، لماذا يونس بالذات لم يورد الكاتب أسباب هذا الاختيار، وفي هذا تذكير بقصة سيدنا يونس الذي سافر إلى نينوى في العراق لتبليغ أهلها رسالة ربه لكنهم لم يؤمنوا، وحينذاك وعد يونس بن متى قومه بالعذاب بعد ثلاثة أيام إن لم يؤمنوا وخرج من بينهم مغاضباً لهم بسبب كفرهم وإصرارهم وتماديهم في غيهم وضلالهم، سار حتى وصل إلى شاطئ البحر فوجد قومًا في سفينة في البحر، فطلب من أهلها أن يركبوه معهم فتوسموا فيه خيراً فأركبوه معهم في السفينة، وسارت بهم السفينة تشقّ عُبَابَ البحر، فلما توسطوا البحر جاءت الرياح الشديدة وهاج البحر بهم واضطرب بشدة حتى وجلت القلوب، فقال من في السفينة: إنّ فينا صاحب ذنب، فأسهموا واقترعوا فيما بينهم على أنّ من يقع عليه السهم يلقونه في البحر، فلما اقترعوا وقع السهم على نبيّ الله يونس عليه الصلاة والسلام، ولكن لما توسموا فيه خيراً لم يسمحوا لأنفسهم أن يلقيه في البحر، فأعادوا القرعة ثانيةً فوقعت عليه أيضاً، فشمّر يونس عليه السلام ليلقي بنفسه في البحر فأبوا عليه ذلك لما عرفوا منه خيراً، ثم أعادوا القرعة الثالثة فوقعت القرعة عليه أيضاً، فما كان من يونس عليه السلام إلا أن ألقى بنفسه في البحر لأنه كان

<sup>1</sup> - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 247.

يعتقد أنه لا يصيبه هلاك بالغرق، وهكذا كان بطلنا سافر إلى بر مصر ثم ركب أعالي البحار، تحطمت سفينته وغرق فالتقمه الحوت ولبث في بطنه حتى كتب الله له الخروج، وفي هذا الصدد نورد الآتي على لسان السارد/يونس: "قلت لنونة: ما أشبه حالنا ونحن في جوف الحوت بالجنين في بطن أمه، إن هذا الحوت أمُّ لنا، ولهذا لا تغضبي كما غضبت أنا أول الأمر حينما أخذتنا العاصفة وتهدنا بعد ذلك في بحر نون. وقد عوقبنا بهذا النون الذي ابتلعنا حيث ظننت أن الله لا يضيق عليّ لما أعرفه من سعة رحمة الله".<sup>1</sup>، وكانت هذه الشخصية على مدار الرواية تثبت معرفتها وثقافتها الواسعة لاسيما الصوفية واتصالها بشيوخها، والوُدُّ المعقود بين هؤلاء الشيوخ والشخصية الرئيسية، أما شخصية "نونة" وهي كما أشرنا سابقا مؤنث النون والمرتبطة بالبحر عنوان روايتنا وقد تواتر هذا الاسم بصفات الملكة ذاتها، ولم يحدث أن طاله التغيير خلال مختلف أطوار الرواية، وقد أدى تكرار هذا الاسم إلى انسجام المتن وضمن له هذا الثبات مقروئيته، حيث إن تغير الاسم الشخصي من فصل لآخر، دون الإشارة إلى ما يدل عليه يُصعّب على القارئ فهم النص، وتعرُّس عليه عملية تتبع باقي العلامات الدالة على الشخصية. وحرصًا من الكاتب على إضفاء نوع من الواقعية على شخصياته في كل المتون المدروسة، جعله يقدمها واضحة جلية لا غبار عليها، فجاءت الغالبية العظمى من الأسماء المسندة للشخصيات لا تخرج عن نمط الاسم الموجود في الواقع الحياتي اليومي. كما أن الروائي نوع في الأسماء المستخدمة في الروايات النماذج، فغرف من الحياة كما أسلفنا ومن التراث ومن التاريخ الإسلامي، من شيوخ التصوف ومن العرفانيين، وقد ساعده هذا على بناء شخصياته بطريقة أفضل مما لو كان الاختيار محددًا، وبه أيضا تصبح الشخصية أكثر جمالا من حيث الاسمية، وأكثر قبولا لدى المتلقي، وأكثر دلالة وعملت كل المعطيات المتوفرة عن شخصيتي "يونس" و "نونة" في رواية بحر نون على

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص191.

تأكيد دلالة الذكاء والثقافة الواسعة والمعرفة الباطنية لكليهما، مع فارق ملحوظ أن "يونس" فقير و"نونة" ملكة مُتوجة ويسعيان للهدف ذاته، ويؤكد النص في الوقت نفسه ضمناً أن دلالة الاسمين توحى إلى البحر، فالاسم يقيم " دلالة أولية يمكن أن تكون مهمة إلى حد كبير، إذ أحسن الكاتب انتقاءه، إذ من الممكن أن يقيم الاسم علاقة أولية من خلال معناه المعجمي، أو تركيبه الصوتي، أو من خلال رصيده التاريخي، ويمكن للاسم أن يوحى بجزء من صفات الشخصية النفسية والجسدية"<sup>1</sup> والسارد يؤكد ذلك في المقطع السردي التالي: " ثم رأيت الخضر الذي سقاني شربة من ماء الحياة، ماء بحر نون. ورأيت إدريس فعلمني علم القلم الذي غمس في النون فخط علم التفصيل. ثم رأيت يونس وقد لفظه النون، وورثت منه سرَّ اسمي، وعلمت منه سر الولادة الثانية لأنه الوحيد من أبناء آدم الذي ولد مرتين."<sup>2</sup> وقد تكرر اسم "يونس" أكثر من عشرين مرة، وكذلك اسم "نونة" تواتر مرات عديدة بالنظر إلى المساحة القليلة التي احتلها في النص عكس الاسم السابق الذي ظهر قبله وشغل مساحة أكبر.

في رواية (الحواميم) أسند الكاتب اسم ابن معن للشخصية الرئيسية في القسم الأول من الرواية ومعن اسم يبدأ بحرف الميم الذي يشكل جزءاً من العنوان الذي بنى ابن عرفة عليه موضوع روايته الحواميم يقول في تقديمه لهذه الرواية: " قرّرت أن أشتغل على فترة من فترات التاريخ المنسيّ والمغيّب. فلم أجد أفضلَ من طرد وتشريد الموريسكيين لترجمة هذا الصراع بين الحياة والموت، وكمالها في زوج الحضور والمعنى الذي يظهر في الحاء والميم. إن شخوص الرواية وأسماءها وحواراتها تترجم هذا الصِّراع المستمر بين الموت والحياة لبناء الحضور والمعنى."<sup>3</sup> وكلمة معن لها عدة معان فتأتي بمعنى "المعروف

<sup>1</sup> - يوسف حطيني : مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1999، ص 15.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص57.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم : مصدر سابق، ص 14/13.

والقليل والكثير والطويل (...). وبنو معن بطن<sup>1</sup> ولعل أقربها ما قصده الكاتب من ارتباطها بالمعنى لاشتراكهما في جذر الكلمة وكذلك أشار إليه الكاتب في المقطع السابق. والاسم مستل من التراث العربي، فبنو معن قبيلة معروفة من اليمن كان منهم معن ابن زائدة القائد العربي الشهير والذي كان من أوسع الناس حلما وصفحا وعفوا عن زلات الناس، والكاتب يقيم علاقة بين الأصل والفرع، وهذه الصفات كان يتصف بها وعُرفَ بها ابن معن/الشخصية المحورية فقد كان واسع النظر، حكيما متبصرا بعواقب الأمور، وأنقذ قومه مرة من كيد محاكم التفتيش بخبرته وحكمته أثناء مناظرة جرت بينهم: "وبعد انتهاء المناظرة اجتمع الفقهاء ورؤوس الموريسكيين في سمرهم المعتاد ببيت أحد أمرائهم وتفاوضوا في المناظرة التي تمت. قام بعض الفقهاء متوجها بالسؤال إلى ابن معن منكرًا عليه سجده للكاهن، بل واتهمه بالردة وأغلظ له في القول. ابتسم ابن معن وقال مخاطبا الفقهاء : يا إخوة الإيمان لا تثريب عليكم يغفر الله لكم. رأس العلم أيها الفقهاء، مُدارة الناس كما تعلمون. وهذا الكاهن مُضمر الشر بنا فهَلَّا تحايلنا عليه بالكياسة."<sup>2</sup> وتواتر ذكر الصفات والسلوكيات التي تثبت سعة اطلاع ورزانة ابن معن على مدار الرواية حتى توفاه الله ولتبيان ذلك نورد المقطع التالي : " ثم نزع الكيس عن وجه الشيخ. أخذ ابن معن يجيل النظر في الحاضرين. رأى وجوها يعرفها، ووجوها أخرى غريبة احتلت مدينته وبلده وأرضه، ثم رأى وجوها يعرفها بالرحمة، ووجوها ينكرها بالرهبة...". وضع الجندي حبل المشنقة على رأس ابن معن ثم أمره أن يقف على كرسي. امتثل الشيخ في هدوء وصعد على مرقاة حتى وقف على الكرسي المرتفع. رفع عينيه إلى السماء مبتهلا مرددا دعاء الشدة الذي دعا به رسول الإسلام لما لقي العنت من قومه.... ثم تلا شهادته<sup>3</sup> ومن العائلة نفسها نجد الحفيد محمد وهو المحمود مأخوذة من الحمد والذي يعني الثناء والشكر

<sup>1</sup> ابن منظور : لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1997، المجلد 6، ص 75.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 25.

<sup>3</sup> مصدر نفسه ، ص 127/126.

ويعد أكثر الأسماء تداولاً بين العرب والمسلمين في السابق والحاضر، بل على مستوى العالم في وقتنا الحالي. لكن الاسم الغالب على بطلنا هو "معينو" والاسم يقترب في المعنى من معنى اسم الجد وفي الرواية ذكر أنه معرب من "مُرينو" بحكم أن القساوسة انتزعوه من جده وربوه وسمّوه "مُرينو" يقول السارد عن هذه التسمية: " لكن فرحتي اليوم وفرحة العائلة ستكون كبيرة. لكن، أخبرني لماذا تحمل اسم معينو؟

- إن النصارى سمّوني هكذا، فقالوا : أنت منذ اليوم مرينو، وعُزِّبَت إلي معينو. لقد تذكرت اليوم ما قاله لي أحد الصالحين حين التقيته في طريقه إلى مراكش. لقد قال لي إن الأصل سيجتمع بالفرع. ودلّني عليه بالاسم وقال لي ستشرب من العين الماء المعين، يشير إلى اسم أسرتنا معن ومعينو. فأنت يا ابن عمي ماء هذه الأسرة المباركة المعين. ولوائح الصلاح كلها تشير إليك. وفكك الله لذلك".<sup>1</sup>

وهذا الاسم غريب عن الثقافة العربية في الماضي أو الحاضر "فلكل المجتمعات أسماءها وكذلك الأزمان، وهو الأمر الذي أشار إليه زولا بشأن اختيار أسماء شخصياته، والتي لم تعد الأسماء الرومانسية صالحة، لها، بل قد ميّز بين الأسماء المنتشرة بين الطبقة التي تنتمي إليها الشخصية فكان لطبقة النبلاء أسماءهم ولطبقة الارستقراطية... وكذلك الشأن بالنسبة لطبقة العمال"<sup>2</sup> وقد أُشتق من الاسم الأجنبي "مُرينو" من جانب وتولّد من اسم جده "معن" من جانب آخر. ومعلوم أن الاشتقاق آلية من الآليات التي يستعين بها الكتاب في تعيين الأسماء التي يخلعونها على شخصياتهم، ومن جملة ما يعنيه هذا الاسم في اللغة الاسبانية، النَشِط، البهجة، منتبه، متغير... وكلها صفات تكرر ظهورها في معينو فهو شاب مغامر ذو نشاط واضح فهو ينتقل بخفة أثناء القتال: " كنّا أكثر عددًا وأسرع حركةً وإصراراً على أخذ السفينة. أخرجت سيّفي فاعترضني شاب ضليع

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 179/178.

<sup>2</sup> - نبيلة زويش : الشخصية بين النظرية والتطبيق اللّاز وعشق والموت في الزمن الحراشي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف : الدكتور عبد الحميد بورايو، جامعة الجزائر 2. للموسم الدراسي 2011/2012، ص 254.

مع ثانٍ أَشَلَّ اليُسرى وبدأت حصة المُسايِفة مع الشابين، ثم ما لبث أن انضم إليّ أحد المجاهدين اليونانيين وسأيف إلى جانبي حتى تغلبنا عليهما وأسرناهما<sup>1</sup>، كما أن معنيو كان منتبها طوال الوقت وهذه عادة المحاربين، وقد أدى الاسم وظيفته التمييزية والتي " تعني أن لكل شخصية اسما، ولكل اسم خاص شخصية واحدة"<sup>2</sup> فاسم "معنيو" تفرّد به البطل ولا توجد في الرواية شخصية أخرى تحمل الاسم ذاته. فهو شاب عربي من سكان الأندلس عاش صباه مع جدّه الذي رباه على قيم الإسلام خُفية عن محاكم التفتيش، وعلمه كيفية المحافظة على الأسرار مهما تعرض لتهريب أو ترغيب " ثم يأتيه أصدقاء والده المقربون من الشيوخ ويسألونه نفس السؤال فيردّ نفس الجواب. ثم يغرونه بجميع الإغراءات ويقولون له - لا تخف يا محمد، نحن على علم بما يعلمك جدك. فلا تخف، قل لنا وسنحتفظ بالسر ولا نخبر به جدك. لكن ذلك لم ينفع مع الحفيد، قد كان ثابتا على عهده الذي قطعه لجدّه. استمر الأمر على هذا المنوال مدة من الزمن حتى أمّن الشيخ على حفيده من الجواسيس والعيون وأسئلة القسوس. ثم انتقل إلى تعليمه أصول دينه.<sup>3</sup> وظلت على العهد الذي قطعه لجدّه، ولم تتفك هذه الصفة رغم انفصاله عنه فيما تلى ذلك من أحداث، وأبان عن شجاعة منقطعة النظير في عدة مواقع ومواقف وهذا حتى نهاية الرواية ومن الأسماء النسوية نجد حبيبة البطل معنيو وزوجته "حياة" الفتاة العربية ولنقرأ الحوار الذي دار بينهما أثناء تواجدها على ظهر السفينة، بعدما فكّ أسرها من خاطفيها القشتاليين " دخلت عليها مرة وسألتها :

-كيف حالك ؟

-بخير والحمد لله.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 138.

<sup>2</sup> - نور الدين بلاز : بناء الشخصية -مقاربة سيميائية- رواية عندما يختفي القمر لحفناوي زاغر نموذجا، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور نور الدين السد، جامعة الجزائر 2، للموسم الدراسي 2010/2011، ص 62.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 52.

- اسمحي لي، لم أسألك بعدُ عن اسمِك.
- اسمي المسيحي حنّة، لكنني ما زلت أتذكّر أن أهلي كانوا ينادونني حياة
- إذن سأناديك بهذا الاسم إذا سمّحتِ يا حياة
- ما أحلاه على سمعي. تخيّل أنني لم أسمع أحداً يناديني به منذ أن كنت في
- الخامسة من عمري.<sup>1</sup>

والملاحظ أن اسم حنّة لم يتكرر عكس اسم حياة الذي ظل مرافقا لشخصيتها فيما تبقي من المتن، وأوضحنا أنها فتاة صغيرة كانت أسيرة في مركب قشتالي، وانتقلت إلى الجانب العربي بعد إغارة البحارة السلاوية على هذا المركب وحازها البطل لنفسه، بل رضيت به بعد أن خيّرهما في الوجهة التي ستذهب إليها، وقد كان حلمها الالتقاء بوالديها الذين افتترقت عنهم منذ كانت طفلة صغيرة ولا تكاد تتذكر شكليهما، واسمها كان انعكاسا للجانب المظلم من الحياة، لكن بعد أن تزوجت من معينو بدأ النور يتسلل إلى حياتها شيئا فشيئا حتى لحظة لقائها بوالديها أين اكتملت فرحتها وأزهر ربيع حياتها: "أقيمت احتفالات كبيرة في بيت معينو باجتماع الشمل. وكم كانت حياة امرأة أخرى. لا تراها إلا جدلة فرحة سعيدة، تنثر الكلام اللطيف على كل من تلاقيه. وفي غمرة الاحتفالات زار آل معن في فاس قريتهم محمد معينو في رباط سلا وشاركوهم هذه المسرات."<sup>2</sup> والملاحظ في بداية أسماء هذه الشخصيات المحورية والتي ابتدأت بحرفي "ح" "م" (معن، محمد، معينو، مرينو، مصطفى، حياة، حنة، حليلة....) فالحاء للأسماء المؤنثة والميم للذكورة. أما في المتن الثالث فيقابلنا اسم "علي" الذي أسنده الكاتب للشخصية المحورية، وهو ذا يقدم نفسه: "أنا عليّ، ووالدي الوزير أبو عمر سعيد ابن حزم، وُلدتُ في قصرنا الملاصق لقصر المنصور ابن أبي عامر في مدينة الزاهرة شرقي قرطبة. وتربّيتُ في حُجور جاريات القصر يُعلِّمَنني ما أحتاج إليه من قرآن وأدب ولغة وخطّ. كانت أمارات النباهة قد

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 152.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه ، ص232.

بدأت تظهر عليّ منذ صغري في قصر والدي الذي كان يحبُّ أن يُجلّسني معه في مجالس العلم التي كان يعقدها في قصره<sup>1</sup> واسم علي اسم عربي يطلق على الذكور يدل على الرفعة والعلو فعلي عالي الشأن فهو الوزير ووالده وزير، كان من علياء القوم تربي في القصور وبين الجواري، وكان نبيهاً وذكياً وهاتان الصفتان لازمتاه حتى انقضاء أجله. وكما ذكر واصفا نفسه فقد أحب العلم ومجالسه، والعلماء ومجالستهم، وكان الاسم الغالب الذي عُرف به هو ابن حزم وهو في الحقيقة كنية يكنى بها الناس في ذلك الزمن، وفي تلك البيئة العربية، وقد اتخذت هذه الكنية بنية عنوانية (سيرة العشق عند ابن حزم)، تضيء دلالاته وتوضح مقاصده، وتبرز أبعاده الإيديولوجية والاجتماعية، وهذا لا يعني "أن النص مدلول خالص لدال هو العنوان، بل إن ترابط العنوان بالنص هنا ترابط دلالي يتيح الاستعمال الأدبي الخصوصي للاسم عامة، ولإسم العلم خاصة. وقلنا بأن العنوان اسم شخصي للنص يدخل في باب التناظر في الوظيفة لا أكثر."<sup>2</sup> فالعنوان يساعد على تأكيد التسمية وتبئرها لسانياً ودلالياً، فيغرسها في ذهن المتلقي بشكل دائم ومستمر، فابن حزم ارتبط اسمه بهذه الرواية وتكراره دال على ذلك، ولا نجد هذا الرسوخ لدى المتلقي بالنسبة لإسم عليّ، فكنية ابن حزم مميزة وقد اشترك فيها الأب والابن، وقد اشتهر بها الابن على المستوى التاريخي وعلى مستوى النص الروائي أكثر من الوالد، وعلى امتداد النص كانت الشخصية عالية الهمة مثابرة، حازم في طلب العلم وحازم ضد خصومه بعد أن انقلب الزمان بابن حزم وتكالبت عليه الأعداء من كل حذب وصوب، ومن الأسماء الموظفة للنساء في هذا النص العرفاني "نُصار" و "نُعَم" الأولى جارة الشخصية المحورية وفي هذا الصدد يقول: " وخلال تردّدي على مخادع النساء، كلِّفْتُ بواحدةٍ من بنات الجيران نشأت في بيتنا تدعى نُصار، دائمة القُطوب ممثلة الجسم، كانت تتمنّع عليّ أشدّ

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص38/39.

<sup>2</sup> - فريد الزاهي: الحكاية والمتخيل، دراسات في السرد الروائي والقصصي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1،

1991م، الهامش، ص 38.

ما يكون التَّمَنُّعُ، وسعيت مدّة عامين وراءها فكانت تقابلني بالصُّدود، ولم أظفر منها بشيء.<sup>1</sup> ونُضار اسم عربي مؤنث ويعني الذهب وهو من "النُّضارة وهي الأصل في حسن الوجه والبريق"<sup>2</sup> وكان ابن حزم في تلك السن قد اهتبل بهذه الجارية واغرم بها. وبالنسبة للاسم الثاني "نُعَم" فهي جارية قشتالية مسيحية، وكانت هذه التسمية مستقاة من جواب الحاكم لوزيره ابن حزم الوالد حين ما قال المنصور "نعم" يقصد قبوله طلب وزيره، فتيمن الوزير بهذا الرد وسمى الصبية بهذا الاسم وألحقها بأهل بيته حتى تتربى بينهم، والاسم عربي مؤنث يطلق عادة على الجوارى والمحضيات في ذلك الزمن، وهو مشتق من النعيم والنعمى والنعماء وهي الخفض والدعة والمال وضدها الشقاء والبؤس والناعمة الحسنة العيش، وكانت الصبية ابنة كونت وصفاتها تُوجي بالاسم الذي أطلقه عليها الوزير ابن حزم، ولما كبرت في هذا البيت الذي احتضنها كانت غاية في الجمال ويصفها السارد بقوله: "شَبَّتْ نُعَمٌ وَفَرِهَتْ فَسَلَبَتْ لِيَّيْ بِحَسْنِهَا وَبِهَائِهَا وَشَقْرَةَ شَعْرِهَا وَزُرْقَةَ عَيْنَيْهَا. كانت مقاييس الجمال عندي تتحصر في الشقراوات، وكذلك كان الشأن عند والدي وعمامة بني مروان، لم يكن بيني وبينها حجاب إذ كان يضمنا البيت نفسه.<sup>3</sup> وقد مثّلت بصفاتها وأخلاقها التي تربت عليها حب علي ابن حزم الذي لم يعرف غيره حسب اعترافه.

في رواية (بلاد صاد) سمى الأمير ابنه علياً الذي أصبح يُعرف فيما بعد بالششتري نسبة إلى ششتر يقول السارد: "في هذه الأجواء الحزينة ولد علي الششتري في ششتر، إحدى قرى وادي آش سنة 610 هـ. كان عبد الله الششتري النميري أميراً من أمراء الجند في الجيش الموحدى."<sup>4</sup> واسم علي اسم علم مذكر من العلو والعالى والمقام الرفيع ويتسمى الكثير من العرب بهذا الاسم فقد حمله رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أما الجارية التي عشقها علي فكان اسمها مارية وهي على غير ملة الإسلام وهو اسم علم للمؤنث

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 51.

<sup>2</sup> - ابن منظور : لسان العرب، مرجع سابق، ص 204.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 51.

<sup>4</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 32.

عبري يقبله في العربية اسم مريم ومعناه البيضاء البرّاقة ، وينتشر هذا اسم عند أقباط مصر ، لكن الششتري لم يرضه هذا الاسم ولنتابعه في هذا الحوار : " فقال لها عليّ : وما اسمك يا فتاة؟ فأجابت : اسمي ماريّة. فقال لها عليّ : هل تسمحين أن أناديك صبح؟ فقالت له : كما تريد ، لقد صادني قلبك، فلا بأس أن تسمّيني باسم يصون هويتي عن الفضوليين<sup>1</sup> واسم صبح اسم علم للأنثى كان يطلق في الغالب على الجوّاري وهو من معاني الإصباح أو الإشراق الذي يوحى بالضياء ووجه صبح أي مشرق، وبعد قبول للجارية اسمها الجديد زاد تعلق علي بها وما لبثوا أن تزوجوا.

وبالنسبة لاسم الجنيد في الرواية المسماة على اسمه فهو اسم عربي تصغير لكلمة جُنْد وجمعها أجناد وهم الأعوان والأنصار وهو اسم غير معروف وغير منتشر إلا بين المتصوفة في الزمن السابق، واسم زوجته فاطمة اسم علم مؤنث يعني الفطام عن الرذائل والمعاصي مشهور بين العرب والمسلمين خاصة الشيعة منهم، وذلك لمولاتهم لأهل البيت. وقد ورد اسم الجنيد بصفة كبيرة في المتن. يقول السارد في ذلك : " فَعَلَّ اللهُ يُوفِقُنَا لِكِي نَجْمَعُ بَيْنَ حَقِيقَةِ هَذَا الطَّرِيقِ الحَسِيَّةِ، وَبَيْنَ حَقَائِقِهِ المَعْنَوِيَّةِ، وَلَعَلَّ فِي حَقِيقَةِ اسْمِنَا "جنيد" ما يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ المَعَانِي العَظِيمَةِ."<sup>2</sup>

وهدف الكاتب من خلال توظيفه لهذه الأسماء تبين حقيقة الإنسان وطبيعته، والآليات والسياقات التي تتحكّم فيه من مال، ونفوذ ومصلحة وقوة والتي انطلقا منها يبني مفهوما جديدا ومغايرا عن الإنسان والإنسانية رغم أن هذه الشخصيات في أزمان غابرة، إلا أن المتلقي يشعر أن الكاتب يقصد بها شخصيات اليوم التي تحكمها المصلحة أي أن يكون الإنسان "براغماتيا"، فهذه الشخصيات حاضرة هنا معنا الآن وحول هذا المفهوم (الحضور) يقول ابن عرفة : " إن المعنى يتأسس من العلاقة بين الدال والمدلول. ولكن دعنا نتساءل من الذي يؤسس هذه العلاقة ؟ إنها ذات القارئ، أو لنقل إنه الحضور.

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بلاد صاد، مصدر سابق، ص 75.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الجنيد ألم المعرفة، مصدر سابق، ص 215.

حضور القارئ في حضرة من حضرات الفهم الممكنة. وهو ما يسميه مارتن هايدغر ( دازاين Dasein هنا الآن)، ويسميه العارفون والمحققون بالحضرة والحضور. أن تكون هنا الآن يعني أن تدلي بشهادة حضور. هذا الشرط الوحيد الذي نطلبه من القارئ. أن يكون حاضرا هنا الآن وكفى<sup>1</sup>. فالقارئ يقتنع بأن هذه الشخصيات واقعية تتحرك على أرض الحقيقة بعد أن أوهمه الكاتب بذلك، وقد تم عرض هذه الأسماء والخاصة بالشخصيات المحورية في الروايات الثلاث منفردة مجردة من كل اللواحق الأخرى، وكانت الشخصية بهذا الاسم المفرد في البداية معزولة عن كل الدلائل التي تساعد في تحديد ملامحها الخاصة، ولكنها ما تلبث أن تتضح بتواتر الحكى .

وفيما يخص باقي الشخصيات فمنها الفاعلة في فضاء السرد والمتحركة عبره وكانت في الأغلب معارضة للشخصيات الرئيسية، ومنها التي ترد على لسان الشخصيات الرئيسية دون أن يكون لها دور يذكر، وقد وردت أشكال عدة للتسمية كما أسلفنا وسنورد جدولاً نحاول أن نحصي فيه أبرز صيغ الأسماء التي أسندها الكاتب لشخصياته، مشيرين إلى نماذج، لأنه لا يمكن بحال من الأحوال إحصاء جميع الأسماء وتبيان دلالاتها لأن الهدف من البحث بعيد عن الإحصاء.

### جدول 12 صيغ الأسماء

الصيغ المركبة	الصيغ المفردة	صيغ الأسماء
ابن معن، ابن النون، ابن معن، ابن حزم، محمد معينو، فرانسيسكو هيريرا، ميغيل نزار، نعلم، حنة، خيمينيس، دي سرفانتس، رضوان	يونس، نونة، يوح، معينو، حياة، إيزابيلا، فردينان، كارلوس، محمد، الغلام، مصطفى، حليلة، علي، نزار، نعلم، حنة، خيمينيس، دي سرفانتس، رضوان	المجردة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 11.

<p>الجنوي، أبو عمر بن حبرون، خلف بن رضا، أبو بكر، أبو عامر بن شُهيد، الكونت غارسيا غومز، ابن سبعين، سمنون المحب، السري السقطي....</p>	<p>دييغو، المنصور، عُجب، علي، جنيد، السري، حارث، أحمد، صبح، مارية، فاطمة، سمنون، النوري، شُهيد، الكونت غارسيا غومز، ابن سبعين، سمنون المحب، السري السقطي....</p>		<p>الأسماء المحددة</p>
<p>زوجة الجار، زوجة المتهم، أخي رودريغ، أبناء الشيخ، ابن حزم الأب، نساء الجيران،</p>	<p>الأب، الأم، الابن، الحفيد، الجد، الزوج، الزوجة، جدته، ولدي، ابن عمي، أخي، الوالد، صاحبي ، صديقي، ابنة، الخال</p>	<p>القرابة</p>	
<p>الكاهن الخبيث، الملكة الكاثوليكية، مدير الشرطة، قائد الجيش، العطار</p>	<p>نجار، حائك، الملكة، الرئيس، الكاهن، البابا، الملك، القسّ قصاص، الجابي، الراهب أستاذ، الخليفة، الوزير، الفقيه، كاتب، مربية، ناظر</p>	<p>المهنة</p>	

<p>سيدي عبد العزيز الدباغ الملكة نونة، الوزير ابن حزم، الكاهن طلبيرة، الكاهن خيمينيس، الوزير ابن حزم، أبو مروان الوزير، الخليفة هشام،</p>	<p>الريس بيبي، الشيخ الكتبي قاضي الحضرة،</p>	<p>المهنة+الاسم</p>	
<p>كاسيودورو دو لارينا، مارتن لوثر، جان كالفين، ميغيل دو سيرفانتس،</p>	<p>أبو عمر أحمد بن سعيد، المنصور بن أبي عامر، أبو علي الششتري ، أبو القاسم الجنيد</p>	<p>اللقب+الاسم</p>	
<p>الشيخ عبد اللطيف، الشيخ يونس، السيدة صبح، الشيخ ماء العينين</p>	<p>الكذاب، الخائن، الطامع، المشاكس، الفقيه، المجنون....</p>	<p>الاسم الوصفي</p>	
<p>البدوي، شيخ، شاب، فارسة، وصيفتان، بنو معن، المسلمون، اليهود، الهراطقة المسيحين، الفقهاء، النبلاء المصلون، البابا، الجلادون، السجناء، فتاة، الشباب القشتاليون، المورييسكيون، الأندلسيون، الجيش، الجنود، الأطفال، النبلاء، الناس، الإمام، القاضين القضاة، كهنة محاكم التفتيش، الجواسيس، المقاومون، المجاهدون، الغلام، الجارية، السلاويون، القرويون، القرطبيون، الخيالة، الشرطة، النساء، الرجل، النصراني، المسلم، البربر، الصقالبة، اليهود، العباسيون،</p>			<p>الأسماء المحددة غير</p>

الموحدون، النميريون، الدراويش.....
------------------------------------

والملاحظ أن أسماء الشخصيات المحورية جاءت أسماء مفردة محددة كما هو مثبت في الجدول. وفي العديد من المرات أسند لهذه الشخصيات أسماء مضافة كاستخدامه الكنية المختصة بألفاظ القرابة (أب، أخ، ابن، أم، عم) ولكن في صيغة تركيب إضافي، وتدل الكنية على مسمى الشخصية، وتدل معه على المدح والذم، حيث لا صرح بالاسم أو باللقب ويرمي من وراء ذلك إلى تعظيمه أو تحقيره بعدم ذكر اسمه ولقبه.

وقد وردت هذه الأسماء ملتصقة بالشخصيات التي عاشت في فترة طرد الموريسكيين والفترة التي عاشها ابن حزم الظاهري (الصيغ المركبة).

وكان استعمال الألقاب لافتا للانتباه في المتون المدروسة، واللقب هو ما دلّ على ذات معينة مشخصة بمدح أو بدم بشكل صريح، وغالبا ما يوظف المبدعون مجموعة من الألقاب المستهجنة أو المستحسنة لوصف الشخصيات تمجيدا أو تعييرا، تعظيما أو تقبيحا، ومن المعروف أنّ تلك الألقاب غالبا ما تشتق وتوظف اعتمادا على أفعال الشخصيات، وطبيعة مواصفاتها الجسدية والنفسية والأخلاقية، واعتمادا أيضا على أفعالها السردية، وبناء كذلك على أدوارها الاجتماعية. وتضم الألقاب المهنية كالوزير والأمير والقاضي والجندي والحائك (مثبتة في الجدول خانة المهنة)، وتضم أيضا الألقاب الاجتماعية والتي تعكس المستوى الاجتماعي والفكري والاقتصادي للشخصية فلفظة سيدي وسيدي الأولى تسبق شيوخ الطرق الصوفية ومعلومة مكانتهم عند مريديهم وعند عامة الناس، فلا يجرؤ هؤلاء على مخاطبتهم بأسمائهم مجردة. والثانية لفظة رسمية تقال في المقامات الرسمية عند مقابلة من بيدهم السلطة خاصة بالإضافة لاستعمال لفظة مولاي/مولاتي. كذلك نلاحظ من استقراء الجدول دائما استخدام أسماء لشخصيات جماعية

( الخانة الأخيرة في الجدول) ومن هذه الشخصيات من لا تبدي عداء للشخصيات الرئيسية ومنها من تكُنُّ لها عداً كبيراً. كما أن بعض الأسماء كانت فاعلة في السرد وفي حركته ومساهمة في الأحداث (إيزابيلا، فرناندو..)، أما البعض الآخر من الأسماء فلم تذكر إلا لتدعيم الحدث البؤري والمساهمة في بنائه، وكل ذلك من أجل إضفاء الواقعية على الشخصيات والحدث. لكنه من الصعب بمكان تتبع تواتر كل الشخصيات فهي مسألة مربكة بالفعل وفي ذلك يقول عبد المالك مرتاض : " إنه يستحيل على أي دارس أن يعرف بدقة تواتر هذه الشخصيات في النص ... مالم يحتكم إلى هذا الإحصاء"<sup>1</sup>، مع العلم أننا لم نأت على ذكر الضمائر العائدة للشخصيات. والظاهر من النصوص غلبة الأسماء المذكورة على نظيرتها المؤنثة وذلك راجع لهيمنة العنصر الذكوري في مجموع الروايات مما يؤكد سلطة الرجل وإحكام قبضته على دفة المجتمع خلال زمن الروايات.

وفي المحصلة فقد اتجهت المتون العرفانية في قضية التسمية اتجاهات متعددة، فهي سواء أسماء مفردة مجردة، أو تعتمد على مهنة من المهن، أو على حالة الشخصية الاجتماعية أو الاقتصادية أو على مكان إقامتها (رضوان الجنوي، الأندلسي، القرطبي، المغربي، البغدادين الششتري.....) وكل هذه التسميات تشترك في اعتماد الكاتب على استعمال نمط من الأسماء يبيّن حالة الشخصية ووضعيتها ليصف بها الشخصيات ذات الدلالة الإيجابية. ووظّف من جهة أخرى نمطاً آخر يظهر فعل الشخصية وصفتها ليعرّف بالشخصيات ذات الدلالات السلبية.

وأسماء الروايات النماذج كان أغلبها يصب في قالب العربي الإسلامي مما يوحي بثقافة المبدع العرفانية، لتواكب الفترات التاريخية التي تحدثت عنها الروايات وكشف

<sup>1</sup> - عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ( معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص 141.

الجرائم التي ارتكبتها إسبانيا المسيحية (رواية الحواميم) " فلم أجد أفضل من طرد وتشريد الموريسكيين لترجمة هذا الصراع بين الحياة والموت، وكماله في زوج الحضور والمعنى الذي يظهر في الحاء والميم. إن شخوص الرواية وأسماءها وحواراتها تترجم هذا الصراع المستمر بين الموت والحياة لبناء الحضور والمعنى (...). ثم إن إسبانيا قد أطلقت في سبتمبر 2004، مبادرة تحالف الحضارات ، لكنها مصرّة على عدم الحضور والاعتذار التاريخي وتحمل المسؤولية القانونية والأخلاقية والثقافية عن قرار طرد الموريسكيين سنوات 1609-1614<sup>1</sup>. وبالنسبة لرواية (طوق سر المحبة) فقد يخرج الكاتب على خطه الذي رسمه لنفسه في طريقته لاختيار أسماء شخصياته المستمدة من الحضارة العربية الإسلامية إلا ما ندر من أسماء أجنبية كان لزاما توظيفها لإعطاء النصوص الروائية أكثر مصداقية هذا وقد حافظ الكاتب على ثبات أسماء شخصياته في النص الواحد، وحرص على عدم الإكثار من البدائل التي يتوه القارئ بسببها. فنجده يذكر اسم الشخصية والضمير النحوي الدال عليها ويستخدم الاثنين بالتناوب بصفة دقيقة ومحكمة. وضمت الروايات العديد من الأسماء ذات المرجعية التاريخية والأسطورية وقد تعرضنا لها في الفصل الأول أين درسنا الشخصيات المرجعية وتناديا للتكرار لم نأت على ذكرها في هذا الفصل.

### 3. غنى الاسم :

يرى فيليب هامون أن سمة الشخصية يمكنها أن تكون غنية ومنسجمة إلى حد ما " ف je/me/moi سمة متجانسة نحويا وفقيرة، في حين أن: هو، جوليان سوريل، بطلنا، الرجل الشاب... سمة منسجمة لسانيا ومتنافرة نحويا ومعجميا (...). إن السمة تدخل ضمن جذر من المعادلات التي تحتوي على حقل واسع من العلامات، تتراوح من الأكثر اقتصادا ( الإشارات، السيد نون، الكاف عند كافكا) إلى الأكثر غنى ( البورتريه

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص17.

والأوصاف، مروراً باسم العلم ( الاسم ، اللقب، الكنية) وكل التنويعات التلميحية ، التطبيقات الرسمية...وهذه البدائل المختلفة تشكل داخل السمة نفسها عقوداً نصية بأحجام وتعقيدات صوتية متفاوتة (...) فالشخصية نظام من المعادلات المنظمة والموجهة لضمان مقروئية النص.<sup>1</sup>

يُسنَد الكاتب لشخصياته مجموعة من الأسماء التي تُعرف بها ويدركها القارئ على امتداد العمل المتخيل. والشخصية كما اتفق النقاد ليست معطى جاهزاً، فهي ليست في البداية سوى بياض دلالي يتم ملؤه تدريجياً وبالتعاقب بوظائف وأفعال يسنده المؤلف لهذه الشخصيات فتتحدد وتتميز الشخصيات المحورية من غيرها "وإن المعلومات التي يقدمها الروائي عن المظهر الخارجي للشخصية وعن لباسها وطبائعها وحتى عن آرائها تأتي كلها لتدعم تلك الوحدة التي يؤشر عليها الاسم الشخصي بحيث تشكل معها شبكة من المعلومات تتكامل مع بعضها وتقود القارئ في قراءته للرواية."<sup>2</sup>

هذا وقد أسند الروائي لشخصياته أسماء مسننة مقرونة أحياناً باسم يدل على العلمية مثل الفقيه ابن معن، وأخرى تخضع لمعايير المهنة، المركز الاجتماعي، الحالة المدنية، الانتماء الجغرافي، الحالة النفسية.

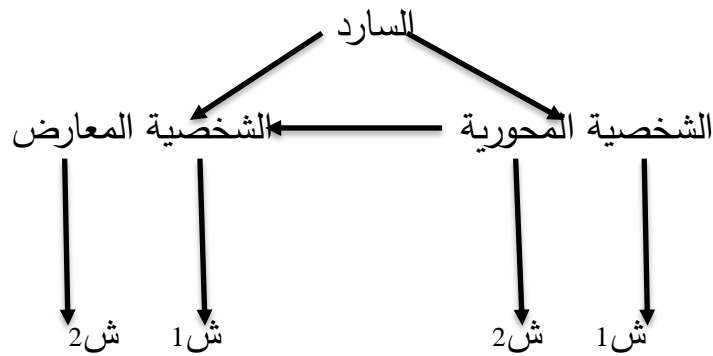
وهذه الأسماء تنطوي في ذاتها على دلالة مسبقة جذرت لها الثقافة والمجتمع فالروائي في عملية إسناده اسماً لشخصية ما في الرواية يتقيد بالكود الاجتماعي ويحترم قواعد تسمية المجتمع الذي تحيل عليه الرواية<sup>3</sup> وبذلك يتمكن القارئ من توقع دلالتها مبدئياً، ودورها الموضوعاتي ويعود عدها للنص ليستكمل بناء صورتها، وتتبلور فكرته عنها بعد انتهائه من القراءة ونهاية كل الأفعال والتحويلات المسندة لها.

<sup>1</sup>- Op.Cit.PH. HAMON, Pour une statut sémiologique du personnage in : poétique du récit, P.144.

<sup>2</sup>- CHARLES GRIVEL : Production de l'intérêt romanesque, Mouton, Paris, 1973, P.120.

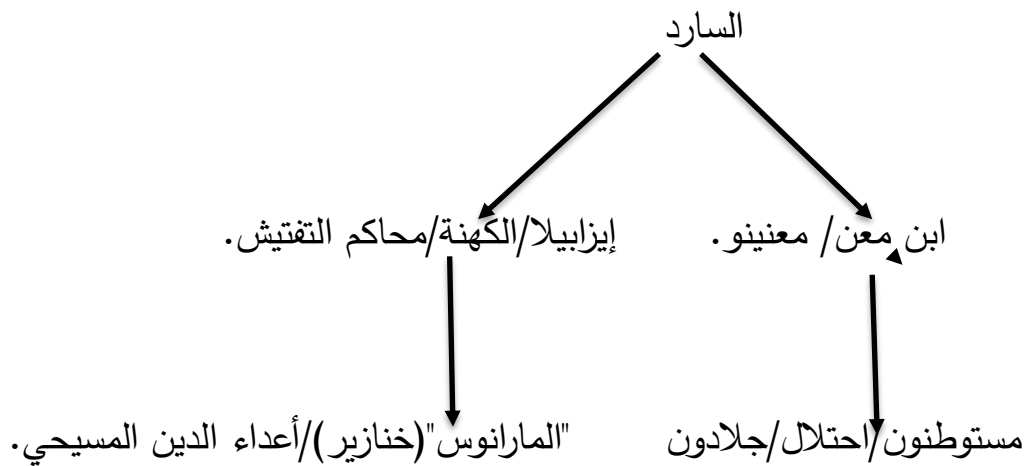
<sup>3</sup>- رشيد بن مالك، ص218.

والملاحظ أن مصدر انتشار الاسم في النص مقياس يحكم طريقة بنائه ودلالته ويُمكن من إدراك معناه، فالسارد يطلق جملة من الأسماء تعكس حضور الكاتب وتدخُّله. وتعمل الشخصيات الرئيسية والمعارضة وباقي الشخصيات على تبادل تسميات متعددة تتولّد من آرائها وموقف كل شخصية من الأخرى. وفي الشكل التالي نعرض نظام التسمية كما ظهر في النص :



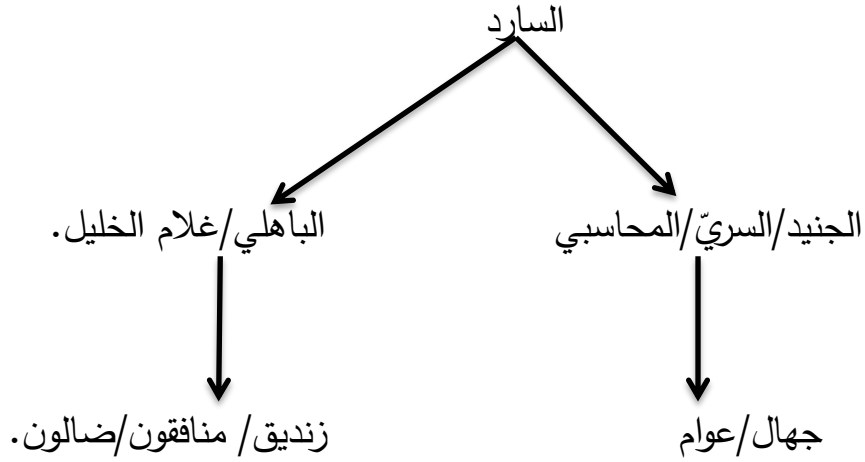
شكل (12) نظام التسمية

ونستطيع التمثيل لهذا الشكل بأهم التسميات الواردة في رواية الحواميم

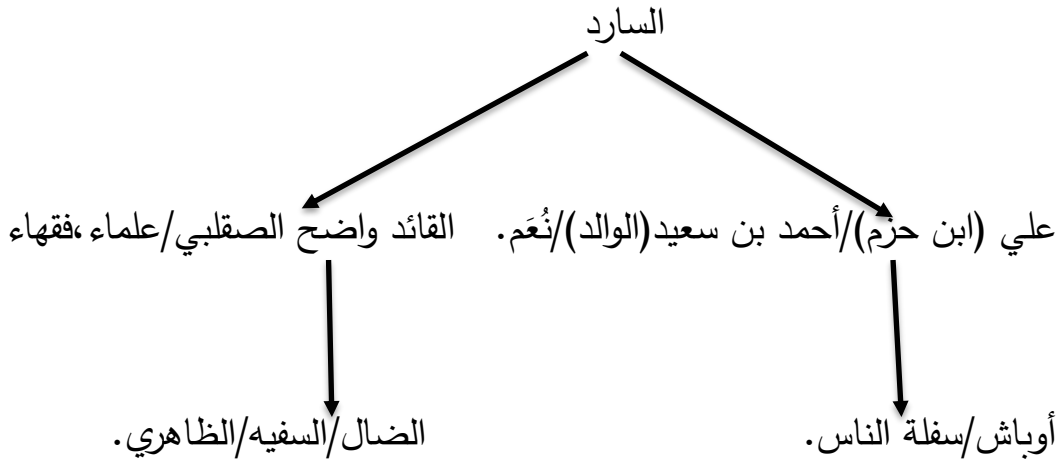


شكل (13) أهم أسماء رواية الحواميم

والتمثيل في رواية طوق سر المحبة يكون على الشكل الآتي :



شكل (14) أهم أسماء رواية الجنيد



شكل (15) أهم أسماء رواية طوق سر المحبة

والسمة في النص تُعرف عن طريق تحديد نوع الشخصية : مُستعمرة أو مستعمرة/حاكمة أو محكومة/ظالمة أو مظلومة، ومواقف كل نوع من الآخر حيث تسعى الفئة الأولى إلى خلق أسماء وصفات تُلبسها للفئة الثانية بهدف تمويه الحقائق والتستر عليها. لخدمة مصالحها والمحافظة عليها، ومن جهة أخرى تسعى لإرضاء عامة الشعب وإبقائه

خاضعا لسيطرتها ماداموا في السلطة. وتصب جام غضبها على الطبقة المثقفة والواعية كون هذه الطبقة تشكل خطرا على استمرارية الحكام الظالمين عبر التاريخ، بصفتها مدركة لما يدور وما يحاك وتبصرها بحقائق الأمور، كما تعمل على تحذير الطبقات الأخرى من الخطر الذي يتهدها كل وقت وحين وذلك بخلق أسماء تقوم بمهمة الإخطار والتنبيه من الفئة الأخرى ومثال ذلك ما جاء على لسان السارد/ الشخصية الرئيسية وهو يصف المعسكر الآخر قائلاً: "لقد كانت حكومة هذا الملك الطاغية مخادعة وقاسية إلى أكبر درجة. فقد سعت بكل الوسائل إلى تجريد أمة بكاملها من ثقافتها وعاداتها ودينها وممتلكاتها. ولم يكن الهدف دينيا بالأساس بل اقتصادياً لأن البلاط والكنيسة اغتتوا بأموال الموريسكيين."<sup>1</sup> فالسرد يبين حقيقة الطرف الآخر المتمثلة في الطغيان والظلم والخداع الذي جعلهم يرفعون راية المسيح ضد المسلمين ويَدَّعون زوراً أن الحرب التي يخوضونها مقدسة من أجل تحرير أبناء الرب من الكافرين وسلطتهم على هذه الأرض التي هي في الأصل ملك لهم وأن هؤلاء المسلمين غزاة ومحتلون يجب طردهم وأنه لا يجوز في حقهم الرحمة والشفقة، لكن الظاهر غير الباطن وأن القضية كلها متعلقة بالمال وبعيدة كل البعد عن المعتقد. ونورد هنا ما كتبه الدكتور عبد الله حمادي حيث يقول: "بمثل هذه الخلفية المشرقة كان يحلم الفرد الموريسكي، وكان في اعتقاد هذه الأقلية المغلوبة أنه بإمكانها أن تتعايش كما حدث من قبل وإن تغيرت موازين القوى. لكن واقع الحال كان يخبئ لهم عكس هذه التصورات المعسولة والتي ضمننتها لهم المواثيق التي تمت بين الطائفتين على إثر توقيع معاهدة غرناطة الشهيرة لكن واقع المعاهدة ما انفك يتلاشى أمام أمل الموريسكيين ليفسح أمامهم مجالاً للتصادم والطموحات الجامحة التي يغذيها الحقد الصليبي العلني حيث لم ينفع كل ما بُذل من جهد واجتهاد في سبيل خلق المجتمع المثالي العادل الذي على الجميع الانصياع إلى العدالة واحترام حق الجوار وواجبات

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص50

التعاش. <sup>1</sup> وهذه حقائق تاريخية موثقة. وهنا نلاحظ التطابق في الرؤى بين السارد والمؤرخ مما يوحي بتدخل الكاتب وإبداء رأيه عن طريق الشخصية المحورية وإن تسميات الطائفة المسيحية والنعوت التي نُعتت بها كانت من قبل الكاتب. وقد واصل السارد عبر شخصية أخرى من طائفة أخرى كانت تتقاسم الزنزانة مع الشخصية الرئيسية قلت واصلت وصف الطائفة الأولى بأبشع الأوصاف رغم أنهم مشتركون في العقيدة حيث يقول المسجون البروتستانتى: "لقد رأيت ما لا يُطيق أن يسمعه إنسان. وأحمد الله أن إنسانيتي ما زالت سليمة. لا يمكن أن يُحسَب هؤلاء على البشر، إنهم صنف دون البشر. لعَلَّهم في صورة البشر لكنَّ قلوبهم من حجر. وإنَّ من الحجر لما يَشَقُّقُ من الماء فيجري بالحياة. وهؤلاء تَشَقُّقُ قلوبهم عن اللُّؤم والخسَّة والضَّعة والقيح والصدید والجبروت والطغيان." <sup>2</sup> وهذه الصفات غنية عن كل شرح. وفي المقابل نجد الطائفة الأولى تنعت الطائفة الثانية بنعوت ثقَّل من قيمتها وتطعن في اعتزازها بدينها فتصفهم بالكفار والملحدين ولنقرأ عارضة الاتهام التي وجهت للشخصية المحورية ابن معن من قبل محاكم التفتيش يتلوها كاتب المحكمة: "المدَّعو فلان بن فلان ينتمي لجنس المسلمين، وبسبب حبه لأمة محمد الصَّارة والملعونة، شارك مع المسلمين الثوار بمملكة غرناطة، ومع من قدِّموا من البرابر في الحرب ضد المسيحيين. ولم يكتف بالتحريض بل كان يقودهم ويؤلِّبهم على أُمَّة المسيح. وضُبط المتهم وهو يجتهد في إقناع الكثير من القُرى الموريسكية كي تنثور معه ومع الآخرين. كما أسدى المتهم صنيعا للمساعدة في أسر الكثير من النصارى ورجال الدين المسيحي وسلَّمهم إلى المسلمين القراصنة من برِّ العدو. وبذلك أسهم في محاولة إبطال ديانتهم وتحويلهم عنها حيث تحوَّلوا إلى دين المسلمين." <sup>3</sup> فالطرف المسيحي يصف المناوئين بالصَّارين ويطلق عليهم اللعنة وكانت كل التهم الموجهة ضد المسلمين متشابهة

<sup>1</sup> - عبد الله حمادي : الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1616، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط. 1989، ص 25.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 80.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 97-98.

وفي رواية (طوق سر المحبة) نجد الشخصية المحورية تسرد حادثة دخول المنافسين للوزير والده دارهم وانتهابها وسرقة كل ما فيها: "فجاء القائد واضح الصقلي إلى بيتنا في بلاط مغيث مع جملة من رجاله، وكان يكره والدي لمنافسة سبقت بينهما، فدخل دارنا وأمر رجاله أن ينهبوها، فلم يُراعُوا حُرْمَةً وَلَا ذِمَّةً وَأَخْفَرُوا جَنَابَنَا، رَبِّمَا لَا تَسْتَحْمِلُهُ النَّفُوسُ الْكَرِيمَةُ. كُنْتُ وَاقِفًا أَحْجَرُ هَؤُلَاءِ الْأُوبَاشِ عَنِ تَعْنِيفِ نُعْمٍ أَوْ تَرْهِيْبِهَا"<sup>1</sup>، فالطرف يصف الأطراف المضادة بالأوباش واللفظة تعني سفلة الناس وأخلاقهم وهي تدل على الذم والتحقير، فهذه الصفة تليق بمن يفعل مثل هذه الأفعال. وتدل من جهة أخرى على تجردهم من الأخلاق الكريمة وشهامة الرجل العربي خاصة أما النساء وخصوصيتهن. وفي موضع آخر يصف ابن حزم علماء السلطان الذين يحافظون على امتيازاتهم وميلهم لاسترضاء العامة: "سقطوا من عيني وما كان لهم إلا أن يسقطوا، فخالفتهم في مذهبهم واتخذت لي طريقاً غير طريقهم حتى صرتُ حامل لواء المذهب الظاهري، فصرتُ عدوهم الذي يحاولون قطع رأسه، لأنه قَطَعَ عنهم مادّة سلطتهم وطغيانهم وتزييفهم، وفضحت تورطهم أمام الناس. وبدل أن يَشْرُفُوا بِالْعِلْمِ فَقَدْ انْسَفَلُوا بِالسِّيَاسَةِ الْفَاسِدَةِ."<sup>2</sup> وهذا ناتج عن اختلاف الفكر والتعصب لمذهب دون الآخر فتجدهم ينعنون بعضهم البعض بأقبح الصفات. ومن الجانب الآخر اتهمه خصومه بعديد التهم وبالغوا في الطعن عليه وفي علمه لاسيما في تبنيّه للمذهب الظاهري وريادته له والتبشير به في الأندلس التي كان يعتبرها أهلها منطقة مالكية خالصة.

وتتبادل الشخصيات المختلفة ضمن الفئة الواحدة أسماء تعبر عن مشوارها وأهدافها، فالشخصيات المسيحية في متن الحواميم كانت تصف ملكتهم إيزابيلا أو حكامهم الذين أتوا بعدها بصفات الأبطال والمحربين، وبالمثل بالنسبة للموريسكيين كانوا ينعنون بعضهم بالمقاومين والمجاهدين، بينما المذهب الجديد البروتستانتية فكانوا يعتبرون أنفسهم

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 213.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 293.

مصلحين ومجددين. لكن الفئة المغلوبة على أمرها حين تواجه الفئة الأخرى لا تتأديها بالأسماء السالفة الذكر بل تسميها وتناديها بألقاب تليق بمقامها، كما فعل ابن معن الكاهن لما استدعاه للمناظرة رفقة فقهاء وعلماء البلد فبادره ابن معن بلفظة "يا غبطة الكاهن" وتقال لتعظيم المخاطب وتقديم الاحترام له، ومثل هذا كثير، كما أن هناك أسماء وألقاب تعبر عن الثقة المتبادلة بين أصحاب الفئة الواحدة وتكشف عن جوهر شخصياتهم وهكذا تدخل الشخصية فضاء النص بواسطة الاسم الذي تحمله " فالاسم متكلم يعلن عن الشخص الذي يحمله من خلال إسناد مكانة له وصفات"<sup>1</sup>، وحسب رأي تودوروف وديكرو فإن الاسم هو " الخاصة الأولى للشخصية وسمة من سمات التفرد"<sup>2</sup> وبالإضافة للاسم ركّز الكاتب على جانبين من الشخصية دعّم بواسطتهما دلالة الاسم، حيث عمل الكاتب (على لسان السارد أو الشخصيات) على وصف الشخصيات من الداخل، وذكر مواقفها وسلوكاتها، فجدده أكثر من الحديث عن الشخصية الرئيسية، والتي كانت في المتون غالباً شخصية عارفة متعلمة، ولديها من الخبرة ما يخولها لإدراك ما يدور حولها. فالشيخ يونس كان يعرف أن رحلته في أعالي البحار للوصول إلى كتاب مجهول مغامرة كبيرة تحتمل اللّاعودة وبالرغم من ذلك فقد خاضها إلى جانب الملكة نونة التي كانت هي الأخرى مدركة للمخاطر ذاتها، لكن تركت الملك والقصر وخاضت غمار السفر وأبحرت متوكلة على الله واثقة بقدرته. أما ابن معن فعلمه الغزير مكنه من النجاة مهادنة في الأيام الأولى من سيطرة القشتاليين على مدينتهم يوم كان برفقة عائلته وبعد مغادرتهم بقيّ مع حفيده ولما اطمأن على وصوله إلى بر النجاة قاوم بكل بسالة حتى لحظة إعدامه، وواصل حفيده المشوار وسار على الدرب نفسه. والششتري كان يرى منامات وإشارات تتجيه مما كان يحقق به من مخاطر تهددته، وابن حزم كان عالماً لا يشق له غبار فلا يثبت أحد أمامه في ميدان المناظرات العلمية وقد تعرض لهزات عديدة صقلته وأثرت تجربته

<sup>1</sup>- CH.GRIVEL, Production de l'intérêt romanesque, Mouton, Paris, 1973 P.129.

<sup>2</sup>- Op.Cit.T.TODOROV, O.DUCROT, P.291.

العملية. والجنيد عالم رباني وعارف متبحر في العلوم يرى ما لا يراه الآخرون. ونجد الكاتب يزوج في حديثه عن الشخصيات الرئيسية بين أسمائها فيذكرها كاملة كـ "يونس، ابن معن، محمد، كاسيديرو، حياة، حليلة، علي ابن حزم، أحمد بن سعيد بن حزم، المنصور ابن أبي عامر، أبو عامر بن شهيد، نَعْم، نُضار، الجنيد، علي، السري الحراث فاطمة صُبح....." (لا يدخل عليها التصغير أو التجزئ أو أي تغيرات لفظية) وبين الضمير النحوي الدال عليها، أو تسمية تعبر عن صفة من صفات الشخصيات أو موقف أو حالة وتدخل فيما يطلق عليه فيليب هامون البدائل مثل يا فقيه، يا شيخ يونس، أيها الشيخ الجليل (رواية بحر نون). شيخ بني معن، الفقيه ابن معن، الشيخ ابن معن (رواية الحواميم). الوزير أبو عمر أحمد بن سعيد، يا سيدي، يا مولاي، يا ولدي، يا والدي (رواية طوق سر المحبة) وفي الغالب تقرن التسمية بأداة النداء "يا" لتبيين قرب المسافة بين المتكلم والمخاطب ولتوضيح مدى معرفة الأول هوية الثاني، فيعمد بذلك إثارة انتباهه إلى ما يقوله، وإلى التسمية التي يستخدمها لمناداته.

وللإشارة أنّ ما يذكره السارد حول الشخصيات الرئيسية أو باقي الشخصيات مبني على وجهة نظر الشخصية الرئيسية أساسا، إذ يتخذها كمثل-مدرك ويتداخل معها ليشكلان صوتا وموقفا واحدا، ولكن أحيانا ينفصل عنها ويختفي وراء شخصية من الشخصيات (الحية في رواية بحر نون، الصخرة في رواية طوق سر المحبة). ويتخذ موقف الوكيل عنها، العارف لكل صغيرة وكبيرة والملم بحقيقة الأوضاع ينقلها للشخصية بالصورة التي يراها مناسبة أوامر أو تحذيرات أو تنبيهات تؤكد تفوق المرسل على المتلقي وفي هذا الموضع بالذات نجده يوظف ما يناسب موقفه من تسميات، تُظهر نوعية العلاقة التي تربطه بها مثل : يا ولدي، يا بني، يا ابني، أو تناديه باسمه مجردا من كل لقب فالحيّة في رواية بحر نون خاطبت الملكة بدون هذه اللفظة : " فجاءتني الحية التي حيل

بيني وبينها بجذع الشجرة، فقالت لي : لماذا تهربين مني يا نونة ؟ فقلت لها: ومن أين تعرفين اسمي"<sup>1</sup>.

أما في رواية (طوق سر المحبة) يأوي ابن حزم/الشخصية المحورية إلى صخرة ويجلس عليها فتتنفض وتتكلم على غير العادة قائلة له : "إنك تشبهني. استغربت من الصخرة تُكلمني، ولم أدر هل كنت في المنام أم في اليقظة أم بينهما. المهم أن الصخرة كانت تكلمني وكنت اسمعها كما اسمع الأحياء ينطقون(..) فقالت لي السلام عليك أيها القادم من لا أين. أنا جبل الطور، ومطلع النور."<sup>2</sup> وهذه المقاطع دلالة واضحة على تدخل الكاتب في مجرى السرد وإقحامه نفسه في فضاء النص وتقديمه النص بمراجعة الذات، علماً أن السارد في الواقع ما هو إلا نائب عنه ووظيفته لا تتجاوز رواية القصص بموضوعية. أما بخصوص الشخصيات الباقية فيكتفي السارد بتوضيح مواقفها ووجهات نظرها والأفعال التي تصدر عنها ولا ينقل للقارئ أكثر مما تراه الشخصية الرئيسية وتعرفه عنها. وتحضر في النصوص على شكلين مباشرة وغير مباشرة ، متحركة في العمل أو ترد على لسان الشخصية المحورية أو على لسان السارد ولكي تدمجها في المتن تستخدم اسمها وجملتها من البدائل المختلفة التي ترسي جميعها في الشخصية النمط ذات الدلالة الواحدة والمشاركة مثل : الجيوش، الجنود، الشرطة، محاكم التفتيش، القضاة.. والتي تتحدد في ضمن شخصية نمط " المسيطر" وكلها تشترك في دلالة واحدة السلطة. وكانت السمة غنية فيما يخص الشخصية الرئيسية من حيث الأوصاف والبدائل والضمائر وتتحصر في الاسم، الضمائر والبدائل فيما يتعلق بالشخصيات المعارضة وتكون محدودة في باقي الشخصيات التي لا تتحرك ضمن فضاء النص.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 195.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 317.

ولم يتبع ابن عرفة الطريقة التقليدية في تعريفه للشخصية الذي يبدأ بالسمة الأكثر غنى إلى السمة الأكثر اقتصادا (البورتريه، الأوصاف، اسم العلم، الضمائر، البدائل). " فالقصة الكلاسيكية (المقروءة) تنفر من الفراغ الدلالي، (فاسم العلم لا يحمل أي معنى، إنه فراغ دلالي في رأي غيوم) وتسعى إلى تحديد بسرعة هذه الكلمة 'الاسم' بواسطة توضيحات وأوصاف"<sup>1</sup>، لكنه استخدم الضمير النحوي واسم العلم في مقام أول كل النصوص تصرح في البداية باسم أو ضمير: يونس، أنا، هو.. يشير إلى شخصية من الشخصيات ثم يوضحها ويكشف عنها تدريجيا، ويعتمد الكاتب في تعريفه لها على كل العناصر بدون التركيز على مقطع من المقاطع، فالمعلومات مبنوثة خلال صفحات النص. ولا يستطيع القارئ إدراك حقيقة الشخصية إلا بعد الانتهاء من القراءة، والانتهاء من عقد المقارنات والعلاقات بين الشخصيات والعناصر الأخرى كالزمان والمكان. والتي تتيح له فهم معناها العميق وإدراك الأهداف التي يرمي إليها الكاتب وإثباتها من خلال توظيفه لهذه الشخصيات لا سيما في المتون العرفانية التي تتداخل فيها أسماء العرفانيين. وقد استعمل الكاتب تقنيات متنوعة ومتعددة في بناء أسماء شخصياته في النصوص الروائية العرفانية حيث تبين لنا بعد الاشتغال على المتون أن ابن عرفة استخدم نوعين من الأسماء : المركبة والمنفردة وكانت في الغالب تركز على المهنة أو الحالة الاجتماعية أو الانتماء المكاني أو الحالة النفسية التي تنتاب الشخصية فقد حضرت مجردة من الاسم الشخصي واللقب العائلي ، حتى إن الكاتب لم يبالغ في الاهتمام بهما، بل اكتفى بتنبيه القارئ إلى فعل الشخصية وحالتها. والأسماء المركبة التي نعنيها ليست تلك الأسماء المركبة من اسم شخصي ولقب عائلي وإنما تلك التي نتجت عن تلاعبات قام بها الكاتب بألقاب وأسماء حالة وأسماء مواضيع حيث شكّل من خلالها أسماء كاملة مُعَرِّفَةً

<sup>1</sup>- Op.Cit.PH.HAMON, Pour une statut sémiologique du personnage in : poétique du récit, P.145.

بالشخصية ودليلا من دلائلها. ويمكننا عرض طريقة بنائها في المعادلات التالية التي تختزل معظم الصور التي ظهرت عليها في النصوص العرفانية :

جدول 13 : صور أسماء الشخصيات

الصورة	المثال
01 لقب مهنة	النجار، الكاهن، الحائك، الملوك، القائد، المحتسب التاجر ، القواريري، الزجاج...
02 اسم حالة	الغني، الثري، الفقير، المعوزون، الصعاليك...
03 لقب قيمة	الخائن، الكاذب، المنصور، الشجاع....
04 لقب اجتماعي+اسم حالة	الشيخ يونس، الشيخ ابن معن، الملكة إيزابيلا، الملكة نونة، المولى رشيد، الخليفة المأمون، الملك العادل
05 لقب مهنة+قيمة	كاهن المعبد، إمام المسجد،
06 لقبان+اسم حالة	الرجل غريب الأطوار
07 ألقاب(حالة أو مهنة أو قيمة)+صفة	الأمم الإفريقية، نساء الجنوب، قبائل رحل، الجيوش المهزومة....
08 لقب اجتماعي+قيمة	الشيخ الأكبر، الشيخ ماء العينين، سيدي عبد العزيز

	الدباغ، سيد الطائفة، كبير الفقهاء..	
09	عبارات مفسرة يتوقع القارئ من خلالها التسمية	الذين يشتغلون على الآثار، زعامات أخذت على عاتقها تنظيم الحياة.

فقولنا مثلا الشيخ يونس في رواية (بحر نون) ويونس الشيخ ويونس من دون اللقب الاجتماعي لا يحمل دلالة واحدة ولنتأمل الأمثلة من الروايات :

"كان الشيخ يونس مسترسلا في حديثه وأنا أرقب حركاته وسكناته وخلته قد عاد جدعا كما كان، كما لو أن الحكي نَضَحَهُ بدم جديد وفتوة جديدة"<sup>1</sup>. "مرّت لحظات خلّتها زمنا طويلا، والملكة تنتظر إليّ وتفحصني إلى أن قطعت هذا الجو الثقيل بالترحاب قائلة : مرحباً بك أيها الشاب يونس؟ تعجبت وقلت في نفسي : وكيف تعرف اسمي؟"<sup>2</sup> "ارتجعت نونة إلى الحديث قائلة : اعلم يا يونس. ثم توقفت لحظة كما لو أنها تستغرب لرفع الكلفة في خطابها لي باسمي مُعَرِّى عن وصف الشاب كما دأبت منذ البداية"<sup>3</sup> واختلفت التسميات باختلاف السياقات التي وردت فيها فلفظة الشيخ التي جاءت مع اسم يونس في المثال الأول تحيل على مرتبة اجتماعية لمن ظهر به الشيب واستبانته به السن كما ذكر ابن السكّيت، كما تطلق على من كثر علمه واشتهر بالمعرفة بين الناس، ويونس تنطبق عليه المقولتين فهو رجل بلغ من الكبر عتيا ومعروف بحبه للكتب والعلم وكانت هذه القيمة قد اكتسبها وعرف بها في أوساط مجتمعه الذي اهتم بجوهره أكثر من اهتمامه بأوصافه الخارجية الشكلية. وبالتالي عبر الاسم بشفافية ووضوح عن الشخصية في كل

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 69.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه ، ص76.

<sup>3</sup> - مصدر نفسه، ص 80.

مرحلة من المراحل التي مر بها يونس كما نجد هذا التوظيف عند علم آخر من الأعلام المستعان بهم في هذا المتن وغيره، متمثلاً في اسم العرفاني الكبير ابن العربي والذي قيل في نسبه: "محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي عديّ من قبيلة طيّ مهدي النبوغ والتفوق العقلي في جاهليتها وإسلامها. يكنى أبا بكر ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بالحاتمي وبابن عربي لدى أهل المشرق تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي".<sup>1</sup> وفي هذه المقطوعة المعرّفة بالشيخ نجد كل الأسماء التي تسمى بها في الرواية موجودة، وقد استخدم الكاتب اسم "الحاتمي" الذي يحيل على حاتم الطائي المشهور بالجوهر والكرم وهو من نفس قبيلة ابن عربي وبالإضافة للكرم عرف أيضاً بالشعر فقد كان من الشعراء المجيدين. وجاء على لسان السارد: "ثم رأيت كأن بداوته البسيطة قد برزت بعد أن كانت مضمرة. وكانت هذه المناجاة التي وردت على لساني إذناً في الكلام. وعلامة الإذن اليُسّر فيه، وهي ما يسميه الحاتمي بفتوح العبارة".<sup>2</sup> كان يونس تعتريه حُبسة وانغلاق ولم يدر بما يجيب البدوي وفجأة انطلق لسانه وأبدع في الكلام وفي هذا المقام يشرح الحاتمي المقصود بفتوح العبارة قائلاً: "واعلم أيّدك الله أن الفتوحات عند الطائفة على ثلاثة أنواع: فتوح العبارة، وفتوح الحلاوة، وفتوح المكاشفة. والجامع لذلك كله أن كل أمر جاءك من غير تعمل ولا استشراف، ولا طلب فهو فتوح ظاهرًا كان أو باطنًا وله علامة في الدائق للفتوح. وهي عدم الأخذ من فتوح الغير وألا يكون نتيجة فكر".<sup>3</sup> وفي موضع آخر ذكّر ابن عربي باسم الشيخ الأكبر، أين استشهد به السارد موافقاً للملكة، فيما قالته بخصوص بداية الزمان وانسجامه مع ما كتبه الشيخ الأكبر في فتوحاته المكية.

<sup>1</sup> محي الدين ابن عربي: الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار، ضبط وتحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 م، ترجمة ابن عربي، ص 6.

<sup>2</sup> عبد الإله ابن عرفة: رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 39-40.

<sup>3</sup> عبد الوهاب الشعراني: لواقح الأنوار القدسية المنقاة من الفتوحات المكيّة تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2، ط 1، 2015 م، ص 204.

وفي رواية (الحواميم) يُورد الكاتب الشخصية المحورية ابن معن بدون ألقاب، وفي مرات كثيرة يقرنه بالشيخ وأحياناً يسمه بالفقيه، وكلا الاسمين يدل على المكانة التي يحظى بها ابن معن في مجتمعه الأندلسي. فقد كانت السلطات تقيم رسوم خاصة لاستقبالهم والمباهاة بهم والإعلاء من شأنهم، من أجل ذلك امتازت دولتهم بالتقدم العلمي والازدهار الحضاري. ومثال ذلك ما قام به الخليفة الناصر حيث أمر عامله ابن رماحس رفقة وفد من وجوه البلد ينتخبهم لاستقبال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المعروف وهكذا كان بطنا من علماء غرناطة قبل أن تدنسها إيزابيلا وجيوشها المسيحية، وعلى ذكر إيزابيلا هي الأخرى عُرفت في الرواية بعدة ألقاب مقترنة باسمها فهي مرة إيزابيلا ملكة قشتالة ومرات عديدة إيزابيلا الكاثوليكية نسبة للمعتقد الذي كانت تعتقه، والذي كان يعادي كل ما هو إسلامي ويعتبره دخيلاً يجب محاربته وإخراجه من شبه الجزيرة الإيبيرية بكل الطرق المتاحة مشروعة أو غير ذلك " فقد صدرت الأوامر بتعميم مضمون معاهدة التسليم على الأمراء والوزراء والقادة والرهبان والرعية، وأصدر مرسومٌ يهدد كل من يجرؤ على المساس بما تضمنته هذه المعاهدة، وقد دُيِّل هذا المرسوم بتوقيع الملكين، وحشد كبير من الأمراء وأشرف الدولة وأخبارها وأدى الملك فرديناند والملكة إيزابيلا وسائر من حرروا الشروط القسم بدينهم وأعراضهم، أن يصونوا المعاهدة إلى الأبد، وعلى الصورة التي انتهت إليها.<sup>1</sup> ونلاحظ حجم الحقد الذي أكنَّه القوم وملوكهم للمسلمين والعذاب الذي أذاقوه للأندلسيين. فلا نستغرب من تسمية إيزابيلا بالكاثوليكية. وفي رواية طوق سر المحبة يردُّ اسم ابن حزم الوالد بعدة صفات فهو أبو عمر أحمد بن سعيد والوزير ابن حزم وابن حزم الوالد، ومرات أحمد بن سعيد ولكل صفة سياقها ومقامها ودلالاتها وكذلك الأمر مع الولد علي ابن حزم الأندلسي الظاهري (الشخصية الرئيسية). ومثلما رأينا فقد استعان الكاتب بجملة من الطرق في التعريف بشخصياته، فهو أحياناً يعطيها اسماً مباشرة ويتدرج في ملئه

<sup>1</sup> - الهام محمود كاظم و مشتاق بشير غزالي : اضطهاد مسلمي الأندلس (الموريسكيين - Moriscos) في عهد شارل الأول (كارلوس الخامس) 1516-1556. مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد: 30، السنة 11. 2017.

مع التدرج في القراءة، ولكن أحيانا أخرى يستهل الحديث عنها مستعملا ضميرا نحويا ينوب عنها ويتعرف القارئ بواسطته عنها وبحالتها وأفعالها، وتظل مجهولة الاسم إلى مراحل متقدمة من النص أين يكشف الكاتب عن اسمها، مثل ما ورد في رواية طوق سر المحبة إذ ظلت الشخصية الساردة تتحدث عننفسها بضمير المتكلم، تُفصل في مكان ولادتها وتحكي عن قرطبة وجمالها، وتحكي الشخصية الساردة عن الوالد وعن ما كان يتمتع به من نفوذ ومحبة من الناس ومن المنصور بن أبي عامر الحاكم الفعلي باسم الخليفة، وعن غزواته لاسيما اجتياح مدينة "شانت ياغب"، إلى أن تكشف عن اسمها : " أنا علي، و والدي الوزير أبو عمر سعيد ابن حزم، وُلِدْتُ في قصرنا الملاصق لقصر المنصور ابن أبي عامر في مدينة الزاهرة شرقي قرطبة. وتربيت في حور جاريات القصر يعلمني ما أحتاج إليه من قرآن وأدب ولغة وخط.<sup>1</sup> وقد ذكر ابن حزم ذلك بنفسه قائلاً : " ولقد شاهدت النساء وعلمتُ من أسرارهنّ ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني رُبيت في حورهن، ونشأتُ بين أيديهن، ولم أعرف غيرهنّ، ولا جالسُ الرجال إلا وأنا في حدّ الشباب وحين تبَقَل وجهي، وهنّ علمني القرآن ورؤيني كثيراً من الأشعار ودرّبني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني مذ أول فهمي وأنا في سنّ الطفولة جدّاً إلا تعرّف أسبابهنّ، والبحث عن أخبارهن، وتحصيل ذلك.<sup>2</sup> وفي مواطن أخرى لا ينتظر الكثير حتى يبين اسم الشخصية المحورية أو يكشف عن سبب تسميتها، حيث وصف السارد شخصا كبير السن أبيض اللحية متكئا على عصا يبدو فقيرا من خلال هيئته وهذا ما جاء في المقطع الآتي : " لاشك أن قصر يده منعه من ذلك. دخل علينا في دكانة صاحبي الكتبي وبادرنا بالسلام. فرد عليه صاحبي، وكان من معارفه : وعليك السلام يا شيخ يونس، ما الذي أتى بك هذه المرة؟"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 38.

<sup>2</sup> علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم : رسائل ابن حزم، تحقيق : إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج 2، ط 2، 1986، ص 166.

<sup>3</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 15.

فقد ذُكر اسم الشخصية المحورية منذ البداية وقد رسي الكاتب على هذه التسمية "يونس" على امتداد النص وتكررت بين ثناياه.

وفي رواية (الحواميم) نجد الكاتب يستخدم تقنية تحول الاسم بسبب أو بدونه معتمداً على فهم القارئ وهذا التغيير يأتي على لسان شخصية من شخصيات النص. ومثال ذلك حفيد الشيخ ابن معن الذي يدعى محمد فقد طال اسمه التحويل والتحريف: "أما ابن معن فقد تقدم به السن وأصبح شيخاً هرماً ورزقه الله حفيداً صغيراً حرص على تربيته تربية أسلافه. وكان والد الحفيد قد استشهد في إحدى الحملات التي كان يقوم بها الثوار الموريسكيون ضدّ جيش القشتاليين. بعد وفاة والده، أخذ الرهبان الحفيد للتعميد وأطلقوا عليه اسم مورينو بلسان القشتاليين، وتحوّل الاسم إلى معنينو لدى الموريسكيين".<sup>1</sup> وقد ذكر الكاتب سبب هذا التغيير وهو اختلاف اللسان القشتالي عن العربي، وكذلك تغيير اسم حياة إلى حنة وكان هذا التغيير إلزامياً حتى أنه مُنعت أسماء من التداول كاسم محمد. وهاهوذا الدون ألفونسو مانريك يُصدر مرسوماً جديداً يقول فيه: "إن كل مسلم تنصر يعد كأنه قد ارتد إلى الإسلام إذا ما مدح دين محمد (صلى الله عليه وسلم)، أو قال: إن يسوع المسيح ليس بإله ولم يكن إلا رسولا، أو قال بأن صفات مريم العذراء، أو أن اسمها لا تليق بأمه، وعلى هذا يجب على كل مسيحي أن يبلغ ما يعلم من تلك الأمور، كما أنه يجب عليه أيضاً أن يبلغ عما يكون قد سمعه أو رآه من متتصرة المسلمين إذا هم زاولوا بعض العادات والتقاليد الإسلامية المرعية، كأن يأكل اللحم يوم الجمعة وهو يعتقد أن ذلك يباح له،(..) أو ختن أولاده، أو سمّاهم بأسماء عربية، أو أعرب عن أمنيته من إتباع تلك السنة".<sup>2</sup> فالطفل الصغير لمّا كان معاوناً لأحد القساوسة سمّوه مورينو، وهو اسم إسباني ثم تبدّل إلى معنينو، وفي المغرب عاد إليه اسمه الأول

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 51.

<sup>2</sup> محمد حسن العيدروس : العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس (التطهير العرقي وجرائم الإبادة الجماعية ضد المسلمين في إسبانيا)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2011، ص 77.

محمد، وكذلك الشأن بالنسبة للفتاة التي تدعى حياة فقد اختطفت وهي صغيرة ولقبت بحنة ولما عادت إلى سلا المغرب عاد إليها اسمها الذي كان منقوشا على ذراعها، لكنها لم تكن تعرف الكلمة لأنها نسيت الحروف العربية. وعليه يكون الكاتب قد استخدم تقنيات ثلاث في تسمية شخصيات رواياته، فمرة يمد الكاتب شخصياته بأسماء ثم يتبعها بذكر أوصافها وأفعالها، وتعمل هذه الأخيرة على تجلية دلالاتها وتارة أخرى يعمد إلى تقديم تفاصيل عن الشخصيات، ثم ينتهي بالتعريف باسمها، وأخيرا يحدث أن يطلق على شخصية اسما محددًا. وعندما يتدرج في السرد منطلقاً من صفات ومقامات محددة ومواقف تصدر عن هذه الشخصية، وتكرر أو بسبب الاسم الأول يقوم الكاتب بتغيير هذا الأخير وإعطائها اسماً آخر، ويتبعه بتفسير يوضح سبب التحويل للتسمية الجديدة.

تُعرف الشخصية في موضع آخر تحديداً أكثر إذ تقوم الشخصية بتسمية نفسها مثلما رأينا مع علي ابن حزم، أو مثلما جاء على لسان السارد في رواية (بحر نون) : " فقلت له: اسمي يوح، فقال جعلك الله شمس المعارف"<sup>1</sup> و"يوح" هذا شاب محب للعلم وللكتب كان مجلسه في دكان الكتبي، فلا جلوس لشاب مقبل على الدنيا في دار للكتب إلا لعشقه لهذه الكتب. والملاحظ أن الشخصيات الرئيسية في المتون تقوم فيها بنفسها بتأدية وظيفة السرد معرفة بهويتها للقارئ عبر استخدام ضمير المتكلم (أنا)، إذ يمثل التكثيف الأقصى لمعنى الشخصية لكنه في الوقت نفسه يشكل سمة محدودة جداً من الناحية اللسانية (اللغوية) "إن ال (أنا) هو الأقل غموضاً (..) ولكن في الوقت ذاته الشكل الأكثر وفاء للبقاء مجهولاً."<sup>2</sup> ولكي تتكشف أمام القارئ نجدها في أغلب المتون (التي يغلب فيها السرد بضمير المتكلم) تدخل في حوارات مع نفسها (monologue) إلى درجة تبدو فيها النفس أقرب إلى شخصية منفصلة عنها يتبادلان وجهات النظر مثلما مثل أي متكلم ومخاطب عاديين، وأحياناً تتدخل هذه النفس لتصححها أو تأمرها أو تحذرهما، وبعبارة

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 17.

<sup>2</sup> - Op.Cit.R.BARTHES : Le degrés zéro de l'écriture, P.30.

أخرى هو "حوار يجري داخل الشخصية ومجاله النفس أو باطن الشخصية ويُقدّم هذا النوع من الحوار المحتوى النفسي والعمليات النفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي؛ أي لتقديم الوعي دون أن تجهز الشخصية في كلام ملفوظ، دون أن تستلزم بالترتيب النحوي والمنطقي للكلام"<sup>1</sup> ونلاحظ ذلك في كلام الشيخ ابن معن حينما كان نزيل السجن المخصص للموريسكيين من قبل محاكم التفتيش ولما وقف أمامها وفُتن في دينه، يورد السارد حديث ابن معن لنفسه: "كان الشيخ على جانب من العلم بالله بحيث لم يكن يخشى على نفسه الكفر بمسايرة هؤلاء في صور عبادتهم. كان يقول لنفسه في هذه اللحظات، "الجسد في الحانوت والقلب في الملكوت"<sup>2</sup> و"في الحكم: ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان الفكرة. وأصلهم في ذلك: اعتزاله صلى الله عليه وسلم في غار حراء في مبدأ الوحي، فالخوة للمريد لا بد منها في ابتداء أمره، فإذا قويّ نوره، ودخل مقام الفناء، صلح له حينئذ الخطة مع الناس، بحيث يكون جسده مع الخلق وقلبه مع الحق. فإن لله رجالاً أشباحهم مع الخلق تسعى، وأرواحهم في الملكوت ترعى. وقال بعضهم: الجسد في الحانوت والقلب في الملكوت، فإذا رجع إلى البقاء، لم يختار حالاً على حال، لأنه مع الله في كل حال وهذا من أقوى الرجال."<sup>3</sup> وهو يثبت توجه الشيخ ابن معن الصوفي لتفريقه بين الظاهر والباطن، وعدم خشيته من قضاة محاكم التفتيش، ليضيف إلى شخصيته سمات وأوصاف أخرى لتوضيحها أكثر. وأحياناً تُسأل الشخصية ذاتها وتستنتقها دون أن تجد جواباً عن السؤال الذي يربكها ويقلب مزاجها كالذي حدث للشخصية المحورية في رواية (طوق سر المحبة): "صرت أتفكر في وقت لا فكر، فيه سوى للشروء، وطَفِقْتُ أسائل نفسي، هل الشرودُ فكرٌ، أم هو تعطيلٌ للفكر، أم هو حالة من التيه التي تلابس العقل والكيان كله فلا يتوقف عن شيء، فتراه يسير مع كل خاطر

<sup>1</sup> - هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، أربد، عمان، ط 1، 2004 م، ص 220.

<sup>2</sup> - عبد الإله ابن عرفة: رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 97.

<sup>3</sup> - عبد السلام العمراني الخالدي: صريح العبارة وباهر الإشارة في جرد معاني البحر المديد الغزيرة، دار الكتب

العلمية، ج 1، ط 1، 2009 م، ص 154.

إلى منتهاه، ثم يعيده المرة تلو الأخرى<sup>1</sup> فابن حزم في هذه المقطوعة السردية يحاور نفسه حول مسألة فلسفية تتمثل في فكرة الشرود والذهول، هل هو من صميم الفكر والتفكر، أم يعمل على شلّ حركة الفكر وتعطيلها، وهذا دليل على عبقرية الرجل، وصفة جلية تنضاف إلى سماته الشخصية. وأحيانا تجتمع الشخصية بنفسها وتكوّنان شخصية واحدة، تقوم هي الأخرى بإطلاق مجموعة من الأسماء تحدد هويتها، يقول السارد في (طوق سر المحبة) : " لكن لماذا بقيت الكنيسة قائمةً إذن ؟ ولماذا شقَّ هؤلاء ممراً سرّياً تحت الجامع للوصول إلى كنيستهم ؟ لا شكّ أنّهم لا يؤمنون بتقادم الحقوق. ولو افترضنا عودة الغلبة للمسيحيين، هل سيتصرّفون بتصرّف المسلمين نفسه في الإبقاء على طبقات المعنى المقدّس ؟ كان الفقيه في تكويني يناقشُ ويُناوشُ الإنسان، مجرد الإنسان بلا انتماءات دينية، على شرط الإباحة الأصلية<sup>2</sup>. فعلي ابن حزم الفقيه الظاهري يُسائل "عليا" الإنسان في ذات واحدة، وي طرح أحدهما على الآخر الأسئلة وهذا يُبيّن مدى موسوعية ابن حزم، وتمكّنه من العلوم التي عُرف بها، وعدالته في القضايا الحضارية العالمية سابقا بذلك عصره ومواثيق الأمم المتحدة واليونسكو في الحفاظ على التراث العالمي الذي هو ملك لكل الإنسانية بغض النظر عن العرق والدين والجنس. ونجد مثل ذلك في رواية (الحواميم) في المقطع التالي : " لكني كنتُ أنا الناطق والشّاهد على هذه الإنسانية المضمحلّة. كنت أقول في نفسي لابد أن يبقى الإنسان ناطقاً. لابد أن يقاوم الصّمت المفروض من الجلادين<sup>3</sup>. وتعمل هذه التسميات -التي تشير إلى اسم شخصي أو صفات يصف المتكلم بها نفسه- على إغناء الضمير النحوي وسمة الشخصية، وتجلية معناها وتشترك كلها في لازمة واحدة النزعة الإنسانية والرحمة التي ملأت قلوب الشخصيات المحورية والناطقة عن خشية الله والعلم الغزير الذي اتصفوا به.

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 214.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 197.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 76.

وهكذا تراوحت سمة الشخصية في النصوص العرفانية بين الاقتصاد والغنى وقد تفاعلت عناصر متعددة في المتون على إغنائها بدءاً من العنوان ومروراً بالاسم، ثم الأوصاف والبدائل المختلفة كما أن النصوص المدروسة لم تفتقد الأسماء المطابقة للحياة اليومية رغم وجود أسماء ليست كذلك (يوح، نونة) كما أن هناك أسماء/ألقاب تدل على حالة أو مهنة أو مركز اجتماعي أو انتماء جغرافي، ساعدت القارئ على توقع دلالتها" فهي ذات كثافة حكاية تشغل كما لو كانت إختزالاً للبرنامج الحكائي وتوجيها نحو شفافية معينة. وبغض النظر عن طبيعة العلاقة التي تقيمها مع المسمى -علاقة تواردية، ترابطية أو تنبئية- فإنها ستشكل عنصراً هاماً في مقروئية السرد لأنها تتجح دائماً في الاندماج ضمن البنية الحكائية الشاملة للعمل وتمدها بكل ما هي في حاجة إليه من الوضوح والشفافية"<sup>1</sup> إنها تحتل مكان الأسماء الشخصية في الوظيفة والدلالة. كما لم يدخر الكاتب جهداً في إغناء هذه الأسماء بجملة من الأوصاف والأفعال والمواقف التي تُبين مدلول الشخصية وتساهم في كشف ما عمي من النصوص، وتنفي أو تؤكد تطابق الدال بالمدلول (الاسم بالشخصية). ونادراً ما نجد صفات غامضة، أو غير واضحة عن الشخصيات إذ بمجرد ما تدخل شخصية من الشخصيات على الخط (في النصوص) إلا ويعمل الكاتب على تبيينها وتوضيحها بالتدرج، وعلى امتداد النصوص كلها. وقد اعتمد الكاتب في النصوص النماذج والتي قام فيها السارد بوظيفة السرد أو أدت الشخصية المحورية تلك المهمة على تقنيتين هامتين. إضافة للاسم : تركيزه على فعل الشخصية ورأيها وموقفها، ثم تنوع استخدام البدائل النائبة عن الاسم، والتي يمكن نعتها بالتسميات المجازية التي تأخذ أشكالاً متعددة. من خلال التسميات الموظفة في المتون نكتشف وجهات نظر الشخصيات التي تصدر عنها، هذا والملاحظ دقة الكاتب في رسم أسماء شخصياته من أجل تحقيق الحد الأقصى من المقروئية، وتعكس هذه الأخيرة رأي المؤلف

<sup>1</sup> - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 256.

وموقفه من الشخصيات التي يوظفها ومن المواقف التي تصدر عنها. وإضافة إلى المواقع التي تتبدى فيها الشخصية بفضل منحها اسما في بداية النص أو وسطه أو نهايته، يوظف الكاتب في مقامات أخرى اسما يدلان على شخصية واحدة، ولكي يحافظ على الحد الأقصى لمقروئية نصوصهم تجنباً حصول أي التباس لدى القارئ يفسر دوافعه للانتقال من اسم إلى اسم ثاني، فيقدم حكاية تبريرية تشرح أسباب التغيير أو يكتفي بملاحظات حكاية وأنوار يستضيء بها القارئ خلال قراءته ومتابعة الأحداث وأفعال الشخصيات وأقواله" ومن خلال تنوع الكاتب على هذا النمط من العبارات المقولبة يسعى إلى سد الثغرات الدلالية الناجمة عن مراوحته بين اسمين مختلفين يتناوبان في الدلالة على الشخصية، كما أن الملفوظات التفسيرية التي يسوقها ستكون ذات أهمية كبرى بالنسبة لتماسك السرد ومقروئيته لأنها تؤكد على التطابق بين الاسمين (جوهرة هي عائشة، وعائشة هي جوهرة) وتمنع حصول الالتباس والتشويش لدى القارئ، وأخيراً فهي ستكون علامة على تدخل المؤلف في السرد ومظهراً من مظاهر السلطة المخولة له<sup>1</sup>

وفي الأخير فقد عملت سمة الشخصية وتحولها من الاقتصاد إلى الغنى ومن الغموض إلى الوضوح، بفضل كمية الإشارات التي היאها الكاتب لنصوصه من أسماء وأوصاف وأفعال وبدائل، على توضيح مدلول الشخصية وتأكيد، وتبيان أبعاد الكاتب من خلال توظيف هذه الأخيرة . كما ساهمت السمة في تحقيق مقروئية النصوص وسد الفراغات الدلالية والمبهم منها، والملابسات التي تتجم عن غموضها وإنتاج شفافية النصوص.

<sup>1</sup> - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 257.

## 4. تعليل الاسم :

تعرضنا فيما سبق لتواتر وغنى سمة الشخصية وأهم التقنيات التي اعتمدها الكاتب للتعريف بها وتوضيحها لقرائه، والآن سنحاول البحث في علاقة هذه السمة بالشخصية، ومدى مطابقة الأسماء التي أطلقها على عديد شخصياته ومجموع المعلومات والصفات على امتداد صفحات المتون المدروسة " وهذه المعلومات التي تبنى تتابعيا، واختلافيا، واستراجعيا أثناء القراءة"<sup>1</sup> أي أننا سنرصد العلاقة التي تربط الذال بالمدلول، وكما أسس لذلك دي سوسيور فالعلاقة بينهما اعتباطية، ولكن درجة الاعتباطية هذه تكون نسبية وهنا نورد ما قاله حسن الأشلم: " تلعب التسمية دورا مهماً في رسم الشخصيات، بوضعها في سياقها المضموني، وتوسيع مدلولها داخل بنية النص السردي، ومن ثمّ ينبغي النظر إلى أسماء الشخصيات الروائية على أنّها نوع من أنواع البعث والإحياء وخلق الفرد، وذلك ينفي عنها عشوائية الانتقاء، فتسمية الشخصيات لا يمكن أن تكون اعتباطية"<sup>2</sup> ، كما يؤكد حسن بحراوي على ذلك قائلاً: " يسعى الروائي وهو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون مناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئته، وللشخصية احتمالياتها ووجودها. ومن هنا، مصدر ذلك التنوع والاختلاف الذي يطبع أسماء الشخصيات الروائية. وهذه المقصدية تضبط اختيار المؤلف لاسم الشخصية ليست دائما من دون خلفية نظرية، كما أنها لا تنفي القاعدة اللسانية حول اعتباطية العلامة، فالاسم الشخصي علامة لغوية بامتياز"<sup>3</sup> وهذا يعني أن الكاتب والمبدعون في الغالب يخلعون على شخصياتهم أسماء بعد تفكير وروية ودراسة من أجل تحقيق أهداف فنية وجمالية وتعبيرية وإيديولوجية، وبالتالي يمكننا القول إن وراء كل تسمية تعليل محتمل لذلك، يحرص الكاتب على اعطاء

<sup>1</sup>- Op.Cit.PH.HAMON, P 174.

<sup>2</sup>- حسن الأشلم: الشخصية الروائية عند خليفة حسين، مجلس الثقافة العام، القاهرة، د ط ، 2006 م.ص 387.

<sup>3</sup>- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 247.

شخصياته أسماء تعكس صورتها وطبيعتها وكذلك أفكارها " إن الأسماء صورة للأفكار"<sup>1</sup>. ويرى بارت إن عملية تعليل التدليل تكون مناصفة بين قطبي العمل المتخيل : الكاتب والشارد ويقوما ضمنها بوظيفتين مهمتين فالأول يُسنن والثاني يفكك السنن. إن الكاتب يختار الأسماء وفق معايير جمالية وبناء على هدف تحقيق أبعاد دلالية في العمل، ويبحثها في النص ليقوم الشارد بعملية الكشف للقارئ عن العلاقة الكامنة بين الدوال والمدلولات. إن المسنن ومفكك السنن يؤكدان ما قاله 'كريتل' في أن خاصية الاسم تتمثل في كونه يعرض الشيء كما هو"<sup>2</sup>

وظّف الكاتب في المتون أسماء شفاقة اشتغلت كترجمات لبرامج سردية، وتجعل القارئ يتوقع ويتصور بلا قدر الشخصيات التي تحملها<sup>3</sup>. وغالبية الأسماء الواردة في النصوص العرفانية تحمل دلالة مسبقة وجاهزة، جذرت لها الثقافة فاعتمدها الكاتب. وعلى ما توفره له الأساليب الاشتقاقية من ليونة ليبنى أسماءه، ويحقق ما يمكن أن نسميه: "الشفاقية الصرفية (المورفولوجية)"<sup>4</sup>.

فشخصية يونس/الششتري/ابن سبعين ابن معن/الجنيد/المحاسبي/السري السقطي/ابن حزم الأب/ابن حزم الظاهري الابن، كلها أسماء لشخصيات لديها قدر من العلم والفقّه والتجربة والخبرة في النصوص (متفقه بتعبيرنا الحالي). تعمل تركيباتها شيخ/فقيه/وزير على توقع مبدئي لنوع الشخصيات الحاضرة في النصوص ودلالاتها، فلفظة شيخ تدل من جهة على كبر السن ومن جهة أخرى تدل على أن صاحبها يتمتع بقسط من العلم أهله لحمل هذا اللقب في المجتمع، وارتبطت هذه اللفظة بيونس في (رواية بحر نون) وبابن معن في (رواية الحواميم)، كما يبدو وضوح دلالة لفظي فقيه ووزير اللتان ارتبطتا بالشيخ ابن معن بالنسبة للأولى والثانية لابن حزم الوالد والولد، وبهذا تتكون

<sup>1</sup>- Op.CIT.R.BARTHES : Le Degrés zéro de l'écriture, P.134.

<sup>2</sup>- Ibid. P.128.

<sup>3</sup>- Op.Cit.PH.HAMON,P.150.

<sup>4</sup>-Ibid,P.148.

فكرة لدى القارئ أنه أمام شخصيات لها وزنها في المجتمع، عالمة ذكية. تعمل جملة الأوصاف والبدائل على تثبيت هذه الدلالات. وبعد الانتهاء من القراءة سيدرك القارئ أسباب هذه التسميات ومدى مطابقتها للشخصيات. فالمُتعلِّم المُتَنَوِّرُ مُجسَّد في هذه الأسماء حامل لقيم ومبادئ وصاحب أخلاق لا يحيد عنها مهما حصل، يتأمل في ملكوت الله مفكر على الدوام يعمل على البحث عن حقيقة الذات. ولما كان القانون المسيطر على المجتمعات والمسير لها هو المصلحة والمادة حدث الصراع وتحول هذا الأخير إلى قوة ضديدة للشخصية المتسلطة. نَمَى هذا الصراع في هؤلاء العلماء مشاعر الضياع والخيبة والوحدة إضافة إلى القهر (ابن معن/محاكم التفتيش) والإقصاء الممارسين عليه(ابن حزم الظاهري/فقهاء المالكية).

كما تعكس أسماء : الجلادين، القشتاليين، السجّان، محاكم التفتيش، الأعداء وغيرها (وبناء على معناها المثبت قبلاً) دلالات الشخصيات الحاملة لها. ومحاكم التفتيش وجنودها وقضاتها معروفون بل كل مسيحيو إسبانيا فلقد " أحيط بالمسلمين بعد سقوط غرناطة من كل مكان وخاضوا -في أوقات- معارك قَدَّموا فيها التضحيات، سُبيت فيها نساؤهم وأولادهم. بقوا وحدهم هناك، مجردين من الوسائل ، عَزَلًا يذودون عن دينهم . رغم تغلبهم أحياناً، إلا أنهم أُبيدوا في النهاية بصليبية عجفاء وحقد أسود.<sup>1</sup> وهذا فيض من غيظ. وكذلك فعل أعداء ابن حزم ومخالفوه في الرأي فألبوا عليه الناس ومنعوا طلبة العلم من الجلوس إليه وشُرِدَ مرات وأحرقت كتبه بين عينيه بإشبيلية، وكتب يصف حاله: " ما انتفعت بعيش، ولا فارقتي الإطراق والانغلاق مذ نقت طعم فراق الأحبة...ولقد نغص تذكري ما مضى كلَّ عيش أستأنفه. وإنِّي لقتيل الهموم في عداد الأحياء، ودفين الأسى

<sup>1</sup> عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط 2،

بين أهل الدنيا"<sup>1</sup>. وقد أبدى هؤلاء الأعداء من كره وحقد ونفاق وتسلط ما نفرهم منهم. إلا أن كل هذه المعاني لا تتحدد إلا ضمن العلاقات التي تقيمها الشخصيات فيما بينها والتي تعمل على تحقيق دلالة معينة من بين مجموع الدلالات المحتملة للاسم الواحد. فعلاقة العداوة بين شخصيتين لم تكن لتوجد لولا دخول شخصية المتسلط والحاكم في تناقض مع صاحب الأرض والمحكوم وكذلك العالم والحاسد، ولم تكن معاني التشرد والعنف والوحدة والقهر لتتجسد في النصوص في غياب هذه العلاقات " فالتعليل يتم أساساً من خلال علاقة الاختلاف التي تكون بين هذه السمة وسمة الشخصيات الأخرى"<sup>2</sup> وأضف إلى ذلك استعانة الكاتب في بناء أسماؤه على ما يوفره النص الثقافي من معان فإنه يلجأ للاشتقاق كوسيلة تسمح له بتحضير دلالة الشخصية فاسم نونة مشتق من النون وهو الحوت وارتباطه بالبحر ارتباط حياة أو موت، فالملكة نونة كانت تريد صعود البحر والوصول إلى الجزيرة التي تضم الكتاب بين جنباتها فاستعملت لأجل ذلك سفينة صنعت على عينيها ونوضح ارتباط هذا الاسم بما يدل عليه: " اعلم أن جزر مملكة بحر نون تعرف ربيعاً خالداً، ولهذا سماها العرب بالجزر الخالدات. إنها تقع في قلب المملكة الأطلسية. ونحن نسامتُ موقع تلك الجزر ونتمتع بهذا الجو الربيعي الخالد"<sup>3</sup> فكل ما يحيط بالملكة له علاقة بالماء لذلك سمت بنونة، ثم تسافر بعد ذلك في السفينة التي تتحطم ويبتلع النون نونة ومن معها وتلبث في بطنه أيام عديدة ثم يلفظها مع يونس على طرفي جزيرة مهجورة في قلب المحيط ويلتقيان بعد بحث مضنٍ عن بعضهما. والأمرداته ينطبق على اسم "حياة" في رواية (الحواميم) فهو مأخوذ من الحياة نفسها وقد مثلت بداية الحياة بالنسبة لمعينو الذي لم يتذوق طعم الحياة بعد أن فارق كل عائلته وهو صغير لا يعرف إلا جدّه الذي تركه في أيدي جنود محاكم التفتيش ومن ساعتها فقد حب

<sup>1</sup> ابن حزم علي : رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987 م، ج 1، ص 125.

<sup>2</sup> - Op.Cit.PH.HAMON,P.149.

<sup>3</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية بحر نون، مصدر سابق، ص 83.

الحياة وأصبح يراها مجرد لحظة للانتقام، لكن بعد أن التقى "حياة" الأسيرة أسرته وبدأ يشعر بالحياة: "كان شعوراً جميلاً وصادقاً وإنسانياً. لم أعهد مثل هذه القشعريرة والسعادة واللطافة. كانت جفوني ترفُّ فرحاً(..) كانت هذه الصبية في يدي تحفة زجاجية بلورية رفيعة. لقد نلتُ مُرادي أخيراً، وتدققت عليَّ الحياة من زاويتها المشرقة. من عمق البؤس والمأساة تطلَّع عليَّ هذه الحورية التي تتشبَّث بي وترغب في حبي. لقد سُرقت مني طفولتي كما سُرقت منها طفولتها وعشت عيشة الأشداء ولم أكن أعرف طعم هذه الأشياء الجميلة حتى جمعتي البحر بحورية نفيسة"<sup>1</sup>، فالمسماة "حياة" أعادت مجرى الحياة لكليهما.

وفي رواية (طوق سر المحبة) نجد اسم المنصور وهو محمد بن أبي عامر يقول عنه المقري: " وقهر من طاول إليها من العلية، فظفر من ذلك بما أراد، وردد الغزو بنفسه إلى دار الحرب، فغزا بنفسه ستاً وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها راية، ولا فُلَّه جيش، وما أصيب له بعث، وما هلكت له سرية، وأجاز عساكره إلى العُدوة"<sup>2</sup> فمحمد بن أبي عامر الحاجب بعد سلسلة الانتصارات التي حققها للدولة الإسلامية في الأندلس وتغلَّبه على العديد من الممالك المسيحية لقب بالمنصور. ولعلنا نعثر على شخصية أخرى كان لها من اسمها نصيب وهي نَعَم الأسيرة الرومية التي وُجدت في الكنيسة مختبئة وسماها ابن حزم الوالد نَعَم تيمنا بجواب المنصور له بالموافقة لما استأذنه للاحتفاظ بالصبية وقد كانت من نَعَم الله على ابن حزم الابن الذي هام بها وتزوجها وعاشا في هناء حتى فرَّق بينهما هادم اللذات واختطفها الموت بعد مرض ألمَّ بها وحزن عليها ابن حزم حزناً شديداً، ويقال أنه ألف كتابه الشهير طوق الحمامة" لأجلها حتى إنه تذكرها في لحظاته الأخيرة عند وفاته. وقد جاء عن الدكتور إحسان عباس في رسائل ابن حزم: "تزوج 'نعماً' في سنِّ مبكرة، وكانت أمنية المتمني وغاية الحسن خلقاً

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 158.

<sup>2</sup> - أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1968 م، ج1، ص 398.

وخلقا وكان هو أبا عذرها (وتلك أيضا حقيقة هامة) فكان فقدها فاجعاً لأنه ابرز للعيان ما انطوت عليه نفسه من حدة رومنتقية كان يداريها من قبل بالاستحسان والألفة والتودد، فلم تعد هذه كافية لصدّ تيار الحزن الجارف المتدفق من نفسه، فقد أقام بعدها سبعة أشهر دون أن يغتسل، وهو آخذ في بكاء متواصل، رغم أنه معروف بجمود العين بسبب إيمانه أكل الكندر -على ما يقول- لمداواة خفقان القلب، ولم يطب له عيش بعدها ولا أنس بسواها ولا نسي ذكرها<sup>1</sup>.

وبالنسبة للأسماء التي أطلقها الكاتب على الشخصيات المعارضة للشخصيات المحورية والمتسلطة فهي الأخرى مشتقة من أفعال تشير إلى القهر والتسلط وكل الأفعال التي يمكن أن تقوم بها السلطة للحفاظ على ذاتها وهيبتها. فالملك والملكة مشتق من التَّمَلُّك والتَّمَلُّك، وهو حيازة الشيء أيأ كان الشيء، وكذلك الوزير من الوزر بمعنى الإثم، والشرطة من شرط أي أزم وأجبر، والجلادون وهم الموكلون بالجد والتعذيب بالسياط، وأسماء أخرى تحمل دلالات سلبية تحقق في النماذج المدروسة من خلال جملة من الأفعال والمواصفات التي يسندها الكاتب لشخصيات الروايات والمقابلات التي تنشأ من المقابلة بينها وبين الشخصيات المتعلمة. وتعتبر التسميات التي تكشف مباشرة عن طبيعة الشخصية ولا تصرح باسمها، أكثر التسميات تجسيدا للعلاقة الوطيدة بين الدال والمدلول، ومن خلالها يتجنب الكاتب استخدام أسماء مفردة أو مركبة في بعض المقامات، معبراً صراحة وبطريقة مباشرة عن مدلول الشخصية في صورة عبارة تحل محل الاسم وتحمل مفهوماً مفصلاً مثل ما جاء في (رواية الحواميم) عن الرجل الذي خان الطريقي قائد المقاومة ضد القشتالين، فهذا الرجل لم يُذكر بالاسم فمرة سمي الرجل وأخرى بالرجل المتخاذل، وثالثة بالخائن، وكلها أسماء ذات دلالات سلبية. ويتضح ذلك أكثر حينما نعود

<sup>1</sup> - رسائل ابن حزم الأندلسي ، مرجع سابق، ج 1، ص74.

لمجريات الأحداث في النص ونستكشف العلاقات التي تربط هذه الشخصية ببقية الشخصيات.

ومن جهة أخرى نجد أسماء أخرى ممثلة المعنى جاهزة، غير أن الكاتب تصرّف فيها بما يخدم أهدافه. إذ بمجرد أن يطّلع القارئ على الاسم يتوقع مدلول الشخصية ولكنه حالما يواصل القراءة، ويتعزى النص أمامه شيئاً فشيئاً يخيب أمله إذ يتبدّل المدلول من النقيض إلى النقيض " يعد الاسم الشفاف عنصراً هاماً لمقروئية النص، ولكنه لا يُستبعد أن تكون هناك استراتيجيات الخيبة *stratégies deceptive*"<sup>1</sup> فشخصيات القضاة في رواية (الحواميم) يشير اسمهم كما هو معروف لدى العامة والخاصة إلى الأشخاص المخولين بتطبيق القانون والحرص عليه، ومن أهم مهامهم تحقيق العدالة، مؤهلين فكرياً وعملياً لممارسة هذه المهام، ولكن بمجرد ربطهم بمحاكم التفتيش تتحول الدلالة إلى رسم أشخاص قساة وعنصريين حاقدون على الطرف الآخر (المسلمين)، ولا علاقة تربطهم بمفاهيم مثل العدالة والحق والمساواة، وأبعد من يكونون عن لفظة "قاضي". وكان يطلق عليه اسم المحقق العام يعينه الملك لكنه لا يستطيع عزله، ولا يُعزل إلا من قبل البابا شخصياً " كان توماس دي تور كيمادا أول محقق عام، وابن شقيق اللاهوتي خوان دي تور كيمادا، ومثله أيضاً كان راهبا دومينيكيًا، يرأس دير سانتا كروث بسيغوفيا، كما كان كاهن اعتراف الملكين. وقد خُلف سمعة يطبعها التصلب والصرامة. بدت محاكم التفتيش تحت قيادته قاسية ودموية بشكل رهيب، فخلال هذه الفترة من تأسيسها سُجّل أكبر عدد من الإدانات"<sup>2</sup> وقد كانت لهذا القاضي السلطة المطلقة تتجاوز أحياناً سلطة إيزابيلا وفرناندو، لأنهما كانا يعترفان عنده بذنوبهما ويمنحهما الغفران، وقد أشار الكاتب إلى ذلك حين يقول السارد: " أما حال اليهود من سكان مملكة غرناطة فكان أسوأ حالٍ من مقارنة

<sup>1</sup>- Op.Cit.PH.HAMON,P.150.

<sup>2</sup>- جوزيف بيريز : التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا، ترجمة : مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة(كلمة)، ط 1، 2012 م، ص 135.

مع حال المورييسكيين المسلمين. فقد عمدت إيزابيلا لتتصيرهم بالقوة واضطهادهم. بل إنها لجأت إلى محاكم التفتيش التي أُسِّسَتْ في الأول من أجل محاربة كل الهرطقة المسيحيين. ووافق البابا على طلب إيزابيلا التي أوكلت إلى كاهن متعصب اسمه توماس دي توركيماده مهمة المفتش العام في قشتالة والتأكد من سلامة تنصُر اليهود.<sup>1</sup> وقد سجّل التاريخ أفظع الجرائم ضد الإنسانية قام بها هذا القاضي في حق اليهود والمسلمين والبروتستانت، غير أنّ إسبانيا المسيحية في السنوات الأخيرة اعتذرت عن جرائمها التاريخية تلك من اليهود. ولم تعر المسلمين أي اهتمام وكأنها لم تفعل شيئاً في حقهم . وفي رواية (طوق سر المحبة) نجد أسماء علماء وفقهاء يناصرون ابن حزم العدا، طائفة منهم حسدا من عند أنفسهم لموسوعية الرجل وطائفة أخرى غير لمذهبهم المالكي فهم يضعون صاحب المذهب فوق الرجال. ومالك لم يسلم من قلم ابن حزم، وهذا سبب قوى لتحريك الخصومة ضد ابن حزم فهو بفعله هذا خرق أحد بنود دستور الدولة الأندلسية لأن أمراءها نصّوا على التزامهم بمذهب مالك، ورفضهم الفتوى بغيره من المذاهب، وقد أُقيمت عدة مناظرات بين ابن حزم وخصومه من علماء المالكية وفقهائها وفي هذا الصدد يورد صاحب التكملة ما نصه: " و صدر إلى ميورقة وقعد لإقراء الفقه والأصول، ولما دخلها أبو محمد ابن حزم كتب ابن سعيد هذا إلى أبي الوليد الباجي، فسار إليه من بعض سواحل الأندلس، وتظافرا عليه وناظره فأفحماه وأخرجاه منها، وكان (ابن سعيد) سبب العداوة بين الباجي وابن حزم"<sup>2</sup> فالمتعارف عليه أن العالم والفقير هم أكثر الناس تأليفا للقلوب بين الناس وأن علمهم وخشيتهم من الله تمنعهم من الحسد وإظهاره بين العامة . كما إن الكاتب لم يغفل عن ذلك فقد ذكر ما قاله ابن حزم بعد مناظرات جرت بينه وبين جماعة في المرية ممن يتعصبون لآل البيت سلام الله عليهم: " لم تكن لي حَمِيَّةٌ في

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 21.

<sup>2</sup> ابن الأبار محمد بن عبد الله البلبسي : التكملة لكتاب الصلوة، تح : عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة ، لبنان، د.ط، 1995 م، ج1، ص 361.

المرية، وما كان لي أن أُؤَلِّبَ أعداء آخرين عليّ، فقلتُ للرجلين : إنّما هي أفكارٌ نتداولُها، ولكم أن تعتقدوا ما تريدون، ولي أن أعتقدَ ما أريد، فكلُّ سَيَلَقَى رَبَّهُ بما اعتقد وعَمِل. <sup>1</sup> فكان ابن حزم أينما حلَّ يجد أعداء ممن ذكرنا ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يؤلبون عليه الأُمراء، حتى إن ابن عباد حاكم مدينة إشبيلية أحرق كل كتبه بمرأى منه . فأسماء هذه الشخصيات حملت دلالات سلبية في حين كان من المفترض أن يحققوا في النصوص دلالات إيجابية حتى تتطابق أسماءهم وأفعالهم إلا أن الكاتب كان له هدف آخر عبر منحهم أدوارًا موضوعاتية مغايرة لما تتضمنه أسماءهم من دلالات جاهزة .

ولما كانت النصوص العرفية (نسبة إلى بن عرفة) يقوم السرد فيها على الضمير "أنا" كون الشخصية الرئيسية هي من تتحمل سرد القصص، فإن الكاتب يقوم على تعليل الضمير (رغم كون ضمير المتكلم أفضل العلامات التي تعرف بها الشخصية وفي الآن نفسه أكثرها تستراً) بجملة من البدائل (تسميات مجازية) التي تصرح بمدلول الشخصية من مثل ما تطلقه الشخصية على نفسها من نعوت في رواية طوق سر المحبة حيث يقول السارد/ابن حزم : " ومن أمراض المزمنة التي كبرت معي منذ أن عَقَلْتُ، الكَلْفُ في الرِّضَى، والإفراط في الغضب، فلم أزلُ أدوي ذلك حتى وفَّقني الحق لكتم غضبي، والتحكّم فيه سواء بالكلام أو الفعل، وأجمت نفسي ممّا لا يَحِلُّ من الانتصار، وتحمَّلتُ في ذلك كثيرًا" <sup>2</sup> وتعمل هذه النعوت التي تتخلل السياقات على إمطة اللثام عن الضمير "أنا" والتعريف بالشخصية. وفي مواضع أخرى يرتبط الضمير "أنا" بتسمية مُوضَّحة ومُفسِّرة نحو ما جاء في رواية الحواميم على لسان ابن معن : " نعم أريد أن أوب منكم، وأطلب من العلي القدير أن تتوب جميع كائنات الأرض من أفعالكم وظلمكم. أنا عربي، أنا مسلم. وسأظلّ عربيا مسلماً. سأدويّ بها حتى تبقى تفرع آذانكم وتصدّك

<sup>1</sup> عبد الإله ابن عرفة : رواية طوق سر المحبة، مصدر سابق، ص 247.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 312.

أصماخكم وتزلزل قلوبكم"<sup>1</sup> ثم يعيد ابن معن الكرة في التعريف بنفسه وافتخاره واعتزازه بكونه عربي ومسلم ولن يحيد عن هذا مهما فعلت محاكم التفتيش: "أنا عربي وابن عربي إلى آخر عربي، أنا مسلم وابن مسلم إلى آخر مسلم. وسيرجع قومي إلى هنا يوماً ما"<sup>2</sup> وهذا ما يسمى بالتضعيف التعبيري (redoublement expressif) يهدف الكاتب من وراء توظيفه كشفغموض الـ"أنا" وتجلية هوية الشخصية المختلفة وراءه. وحتى تؤدي الأسماء والألقاب دورها على أكمل وجه في تحديد شخصية من الشخصيات، وتأكيد سمة من السمات فيها، يلجأ الكاتب إلى استعمال أسماء مركبة ليثبت الدلالة المقصودة فتقترن الأسماء بالألقاب نحو: الشيخ/الفقيه/الوزير/المك/الملكة... ومن خلال هذا التكتيف، يشحن الاسم بأكبر قدر من الدلالة، ويختزل سلوك الشخصية، آخذين بعين الاعتبار أن الألفاظ التي ذكرناها تشغل هي الأخرى بفضل معانيهم الجاهزة كمفاتيح تكشف عن أنواع الشخصيات التي نتعامل معها وعن حقيقتهم.

ومن الناحية الصوتية نستطيع الحديث عما يسميه رولان بارت "بالتعليل الصوتي" motivation phonétique وهو مرتبط بالاستعارة صورة وثيقة "إذ يجب أن ترجع الظواهر الصوتية الرمزية إلى الاستعارة، ولا جدوى من دراسة أحدهما دون الآخر"<sup>3</sup> والتعليل الصوتي "يتصدى لرصد المظاهر اللغوية وتفسيرها من خلال مراقبة ما يقوم به الجهاز النطقي من عملية حركية وما يصحب ذلك من آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن"<sup>4</sup> "والتعليل الصوتي لا يتم مباشرة، فالمفكك يدمج بين الصوت والمعنى تصورا وسيطا (...)" يشغل كمفتاح ويهيئ إلى الانتقال البطيء - إن صح التعبير - من الدال المدلول.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - عبد الإله ابن عرفة : رواية الحواميم، مصدر سابق، ص 119.

<sup>2</sup> - مصدر نفسه، ص 121.

<sup>3</sup> - Op.Cit.R.BARTHES : Le degré zéro de l'écriture, P.130.

<sup>4</sup> - تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، ص 66.

<sup>5</sup> - Ibid, P.129.

وفي النصوص المدروسة لاحظنا بعض من هذه الظواهر المتعلقة بهذا الجانب نوردها فيما يلي :

الامتداد : ميّزت هذه الظاهرة الأسماء الكثيرة الحاضرة في النصوص سواء بصيغة المفرد أو بصيغة الجمع، فحدث امتدادا في الصوت مس أسماء ذات دلالات إيجابية من مثل : يونس، نونة، عبد اللطيف، المسلمون، المصلون، معنيون، حياة.... وأسماء ذات دلالات سلبية من مثل : الجلادون، إيزابيلا، فرناندو، محاكم، قضاة، الخائن، ملوك، قشتاليون.... وغيرها كثير وهذا الامتداد لتأكيد استمرار الأفعال التي كانت تقوم بها هذه الشخصيات من عنف واضطهاد وتعذيب وإذلال وكذلك استمرار المقاومة والممانعة والأمل عند الفئة الأولى.

التشديد : وردت مجموعة من الأسماء في المتون محل الدرس مشدّدة، وقد تم الاستناد على المقابلات بين الشخصيات وعلى ما توفرت عليه هذه الأخيرة من دلالات، وعلاقة هذه الدلالة بالصوت المميز لها. فالجلاد والمدعي العام، القسّ، الرهبان، مَلَاك الأرض.. وغيرهم أسماء تحيل على شخصيات متسلطة مثلما أثبتت النصوص ذلك (لاسيما رواية الحواميم) كل منها تمارس أبشع أنواع الاستغلال، وقد عملت نبرة "الشدة" المميزة لها على تأكيد هذا المعنى، وإثبات غطرستها وقساوتها واستخفافها بالقيم والمبادئ الإنسانية .

أما من الناحية الصرفية : فيدل تواتر أسماء الفئة الغالبة بصيغة الجمع على حضورها الكبير في النصوص (الحواميم ، طوق سر المحبة) وانتشارها الواسع مقارنة بالحضور الضئيل والمحدود للفئة المغلوبة سواء العاملة والمتقفة، ومثال ذلك المناظرات التي كان يخوض غمارها ضد مجموعة من العلماء والفقهاء المالكية وهو وحيد بدون سند، وكان حضور هذه الفئة كما ألمحنا بصيغة المفرد أحيانا وأحيانا بصيغة الجمع

(الموريسكيون، المسلمون، الأطفال، النساء..). وبهذا نستنتج نوعاً من المعادلة بين الصوت/الصيغة وبين الحالة والحضور.

ومن الناحية اللغوية : فقد جاءت أغلب أسماء النصوص معرفة بالألف واللام أو بالإضافة مثل : الجيوش، الجنود، القضاة، الفقراء، الرؤساء، العلماء، الفقهاء، المهترقون، السجناء، الصوفيون، الطائفة، العارفون.. ولما كانت أسماء الشخصيات ذات دلالة جاهزة ومثبتة في النص الثقافي فالقارئ يدركها قبلاً، ويعمل الكاتب على تأكيدها أو التصرف فيها.

إن أسلوب التعريف هذا يهيئ للقارئ الدلالة المنتظر تحقيقها في النص. فالكاتب يعرف الاسم ليبين للقارئ بطريقة غير مباشرة أن الدلالة الحاضرة في ذهنه هي التي يقصد تجسيدها في العالم الروائي.

لقد أحاط الكاتب عملية اختيار أسماء شخصياته باهتمام بالغ، وبطريقة بنائها بصورة تجعلها تحمل دلالة الشخصية وتعكسها وتختزلها، مما يدل على حرصه على تبيان عنصر مهم يتمثل في قيمتها لذلك نجده يوظف تسميات تُحفز القارئ لاكتشاف هوية الشخصيات الفاعلة في النصوص. ومهما كانت التعليقات التي استخدمها الكاتب لتوثيق العلاقة الدائمة بين دال الشخصية ومدلولها سواء بطريقة اشتقاقية أو صوتية أو نحوية أو معجمية، فإن طرفي المعادلة المؤلف والقارئ ينطلقان من تركيبية هذا الاسم في مفرده، ثم بعلاقة هذا الأخير بالأسماء الأخرى المنتشرة في النص وهذا ما يسمح للأول ببناء معنى وللتاني باكتشافه " إن مفهوم نسبية الاعتباطية يتضمن أولاً : تحليل الطرف المعطى، ويتعلق الأمر بالعلاقة التركيبية. وثانياً : استدعاء طرف آخر أو عدة أطراف أخرى، ويتعلق الأمر حينئذ بالعلاقة الترابطية."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> -حنون مبارك : مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987 م، ص 125.

بعد هذه الجولة في النظام الذي يتحكم في الأسماء (تواترها، غناها، تعليلها) ضمن إطار المتون العرفانية، استطعنا ولو بنسبة أن نمسك بدلالاتها الهامة والتعرف على التقنيات المتنوعة التي اعتمدها الكاتب لتأكيد هذه الدلالات وترسيخها في النصوص . كما تبين أن هذه التسميات تشتغل كآلاتي : فهي من جهة منفردة وخارجة عن كل سياق تحمل دلالتها في ذاتها. يتوقع القارئ بعضها كونها أسماء معروفة ومثبتة في النص الثقافي ومن جهة أخرى فهي تحقق دلالتها هذه أو أخرى ضمن السياق الذي تندرج فيه، ومن خلال العلاقات التي تُكوّنُها هذه الشخصيات المتنوعة فيما بينها، فيتشكل ويتجسد معناها لدى القارئ بعد مجموعة السياقات التي يمر بها أثناء القراءة والتي تجسد معنى من المعاني المحتملة التي يحوزها الاسم الواحد.

كما ركّز الكاتب في اختياره لأسماء شخصياته على التي تُبَيّن وتُجَلّي قيمتها وتكشف عنها. وهو من خلال هذا العمل يلغي كل اهتمام بالشخص في حد ذاته، ولا يهتم على الإطلاق بقدر ما تهمة قيمته التي يحددها عن طريق قوله أو فعله أو موقفه. فالاسم بالنسبة للكاتب علامة تعبر بامتياز عن جوهر الفرد وتوجّه القارئ مباشرة إليه.

كما لا يفوتنا في الأخير أن نلفت النظر لاستخدام الكاتب لاسم العلم الشخصي كبنية عنوانية في رواية "طوق سر المحبة سيرة العشق عند ابن حزم" ورواية "الجنيد ألم المعرفة" وقد أضاء بهما الكاتب دلالاته ووضّح مقاصده وأبرز أبعاده الاجتماعية والايديولوجية وهذا لا يعني " أن النص مدلول خالص لدال هو العنوان، بل إن ترابط العنوان بالنص هنا ترابط دلالي يتيح الاستعمال الأدبي الخصوصي للاسم عامة، ولاسم العلم خاصة. وقولنا إن العنوان اسم شخصي للنص يدخل في باب التناظر في الوظيفة لا أكثر.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - فريد الزاهي : الحكاية والمتخيل، دراسات في السرد الروائي والقصي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1991 م، ص 38.



# الخاتمة

## خاتمة :

اعتمدنا في هذه الدراسة مقارنة فيليب هامون ونظرته للشخصية والتي تحتل فيها مكانة مهمة في بنية الشكل الروائي، فهي من الجانب الموضوعي أداة ووسيلة الروائي للتعبير عن رؤيته، وهي من الوجهة الفنية بمثابة الطاقة الدافعة التي تتلحق حولها كل عناصر السرد، على اعتبار أنها تشكل المختبر للقيم الإنسانية التي يتم نقلها من الحياة، ومجادلتها أدبياً داخل النص، لدرجة إن بعض المهتمين بالشأن الروائي يميلون إلى القول بأن الرواية شخصية، بمعنى اعتبارها القيمة المهيمنة في الرواية، التي تتكفل بتدبير الأحداث، وتنظيم الأفعال، وإعطاء القصة بعدها الحكائي، بل هي المسؤولة عن نمو الخطاب داخل الرواية باختزاناته وتقاطعاته الزمانية والمكانية. وقد استفدنا من مقترحاته(هامون) من الناحية الاجرائية والتي ضمّنها في مقالته المعنونة ب : "سيمولوجية الشخصية الروائية" والقائمة على المنهج البنيوي والسيمياي الذي يعد فرعاً من فروعهِ. وحاولنا تطبيقها على نماذج من روايات الكاتب المغربي عبد الإله ابن عرفة، وقد اصطلح على تسمية هذا النوع من الروايات ب"الرواية العرفانية" وقد بيّنا في المدخل ما المقصود بالعرفانية، وكيف مزجها وقرنها ابن عرفة بجنس الرواية فتولّد من ذلك هذا النوع الذي طبّقنا عليه مقارنة هامون، التي كانت وسيلة من بين الوسائل المتعددة المتاحة للتحليل. وكان هدفنا الكشف عن الآليات التي تتحكم في بناء مكون الشخصية، وفهم طريقة اشتغاله في النصوص المدروسة، والعلاقات التي ربطتها بالعناصر الأخرى من العمل والتي بتكاتفها وتضافرها ينتج المعنى. ويمكن القول إننا توصلنا إلى جملة من النتائج لا ندّعي صحتها والتسليم بها بل تبقى اجتهادات ناتجة عن تطبيق فرضيات المنهج واختباراً لفعالياته نوردّها كالآتي :

تعددت أنواع الشخصيات الواردة في النصوص، متراوحة بين الملوك والعبيد، الأغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء، مسلمين وغير ذلك، أدباء وعرفاء وشعراء، قادة وجنودا.... وتفاوتت صفاتهم وأفعالهم وسلوكاتهم، لتكون شاهدة عيان على الإنسان في الفترة التي غطّاها كل نص على حدة، سواء في أساليب تعامل هذه الشخصيات وتفاعلها مع الواقع المعيش والمغامرات التي خاضتها والأهوال التي تعرضت لها، أو في أنماط تفكيرها. وقد عملت على تحريك العمل السردي الموكل إليها. فكل شخصية قامت بدورها على أكمل وجه. والسمة البارزة في الشخصيات يغلب عليها الطابع الاجتماعي الواقعي، وقد جاءت الشخصيات حاملة لأفكار محددة كلٌ حسب ثقافته مما يدل على التمايز والاختلاف الذي كان رحمة على الروايات.

حظيَّ الحرف في النصوص العرفانية بحيزٍ كبير من الاهتمام، إذ لم يعتبره الكاتب مجرد وحدة صوتية غير دالة، بل ربطه الكاتب بالوجود كفعل العارفين الذين اعتبروا الحروف أمة من الأمم، مكلفة ومخاطبة. ويضيف ابن عرفة على ذلك بأنّ الحرف هو الشخصية الحقيقية في الرواية العرفانية لكنها تتحجب وتتوارى لفائدة شخصية أدنى حاملة لها مجسدة لإمكاناتها. ولا بد من التمييز بين الحرف وبين الفاتحة النورانية .

بفضل مقارنة فيليب هامون استطعنا الكشف عن العناصر المتعلقة بالشخصيات، والتي كان حضورها متنوعا في المتون الروائية (كما أشرنا سابقا) بين الشخصيات المرجعية (اجتماعية، أدبية، أسطورية، تاريخية، دينية، عرفانية، مجازية ) وشخصيات إشارية وأخرى عائدية. بالإضافة إلى ثراء هذه الشخصيات من الناحية النفسية حيث تمكن ابن عرفة من الغوص في أعماقها لينقل لنا أحاسيسها ومشاعرها وذلك عن طريق تصويره لسماتها وسلوكاتها ووظائفها ضمن الإطار السردي.

كما اعتمد الكاتب في تشييد صرحه الفني لسرد مادته الحكائية على تعدد الرواة، إذ لا نجد ساردا واحدا للرواية، بل تنوع السرد بين ضمير المتكلم وضمير الغائب، من أجل تمرير الروائي لأفكاره بسلاسة وبطريقة غير مباشرة. ليؤدي الراوي عدّة وظائف منها السرد أحيانا وأحيانا التعليق والتفسير لبعض الأحداث التاريخية. وكانت الوظائف المسندة للشخصيات متعددة الأوجه، مختلفة الأبعاد، لكن هذه التعددية استقطبت قيما كثيرة في فهم ماهية الشخصية وتوجهاتها وأحلامها وأبعادها النفسية والاجتماعية وحوارها مع الآخر انطلاقا من ذاتيتها. شكلت الشخصية بكل هذه الأبعاد غاية جمالية تحققت باتحاد الوجود مع الذات، الأنا مع الآخر لتجسيد مفارقات الحياة بكل تناقضاتها. واستعمل الكاتب تقنية الوصف الذاتي، أو تقديم الشخصية لنفسها في كل من رواية "طوق سر المحبة" ورواية "بلاد صاد"، ورواية "الجنيد ألم المعرفة" وذلك راجع لكونهم روايات سيرية معتمدة كليا على المعلومات المستقاة مما كتبه صاحب السيرة نفسه.

ونجح الكاتب في تصوير الشخصية الجاذبة متمثلة في نموذج المرأة والتي اتسمت بالشجاعة والقوة والاصرار (حليمة، صُبح، الملكة نونة، فاطمة)، وكان مظهرها الخارجي محط إثارة للعنصر الذكوري، زيادة على دورها الاجتماعي (نُعم، نزار، نونة، حياة، حليمة، صبح)، وكذلك نموذج الشخصية المهيبة الذي تمثل بالصفة القامعة مصدر الرعب للشخصيات والمجتمع الذي تعيش فيه (إيزابيلا، زمرد).

استطعنا من تتبع وملاحظة الشخصية الواحدة من عدة جوانب بفضل الأدوات الدقيقة التي وفرتها مقارنة فيليب هامون وذلك من زوايا مختلفة، مع ما خلفه هذا من تكرار لبعض العناصر؛ فمثلا عند دراسة بعض الشخصيات وإدراجها تحت مسمى الشخصية المرجعية وجدنا أنفسنا نعيد دراستها بشكل آخر ضمن عنصر الشخصية

العائدية مع أن هذا لا يؤثر في الدراسة ولا في تقدمها، فقد أشار هامون بنفسه إلى ذلك حين قال بأن الشخصية الواحدة يمكنها أن تنتمي في الوقت نفسه أو بالتتالي للأصناف الثلاثة المدروسة ( المرجعية، الإشارية، العائدية). ولتجنب الإعادة والتكرار المعادل للحشو تعمدنا التخلي عن بعض العناصر التي تعرضنا لها بالدرس في السابق كلما اقتضى الأمر بحيث لا تُخل بجدية وموضوعية الدراسة .

كما أن هناك تكرارا آخرًا لمسناه وذلك أثناء تطبيقنا لهذه المقاربة عند تطرقنا للاسم الذي يحمل دلالة من منظور المرجعية الثقافية أو الاسم التاريخي ضمن عنصر مدلول الشخصية، والذي أشار إليه عند التمييز بين هذين النوعين من الاسماء، والأسماء التي تشكل بياضا دلاليا عند دخولها فضاء النص. لقد وظّف الكاتب في كل متونه أسماء مجذّرة في النص التاريخي أو النص الثقافي وبالتالي فإن هذه الأدلة لم تشكل بياضا دلاليا يملأ مع التدرج في القراءة، لكن القارئ يتعرف على معناه بمجرد اطلاعه عليه ; لأنه معنى ثابت وجاهز، وبعد ذلك تساعده القراءة على تأكيد معنى دون المعاني الأخرى المتعددة والمختلفة; لذلك تقاطعت دراستنا لهذا العنصر وما ذكرناه سابقا عند دراستنا للشخصية المرجعية وكذلك العائدية.

الشخصية عند عبد الإله بن عرفة تتسم ببناء مميز يختلف عن البناء الكلاسيكي للشخصيات في الروايات والقصص; حيث قام الكاتب بتعظيمها والرفع من شأنها والذهاب في رسمها كل مذهب وذلك لحمل القارئ على الاعتقاد بواقعيته فاعتمد البورتريه والأوصاف المكثفة وغيرها من التقنيات وهذا حتى لا يقع في الفراغ الدلالي الذي قد ينتج عن ظهور اسم مجهول في بداية الأعمال; فالشخصية عند الكاتب يتم بناؤها على امتداد النص بدءا من العنوان والانتهاه بآخر جملة في النص، وتساهم

جميع عناصر العمل المتخيل من زمان ومكان وطريقة السرد على خدمة هذا العنصر لإتمام بنائه وبلورة معناه.

التسميات التي أسندها الكاتب لشخصياته لم تخرج عن نمط الاسماء المستخدمة في الحياة اليومية، أسماء تشير إلى شخصية واحدة تُعرف بها، يركبها تركيباً له أهميته في إضفاء دلالات منسجمة والإطار العام الذي تظهر فيه الشخصية من خلاله، لهذا لا يطلق في كثير من الأحيان الأسماء على شخصياته اعتباطاً لأنه يختارها عن قصد ووعي، ومن ثمّ فهو يحمّلها معاني ودلالات تتدرج في السياق العام للنصوص، ويختار أسماءه ضمن معايير جمالية وبناء على تحقيق أبعاد دلالية في النصوص لي طرحها بين ثناياه ليقوم السارد بالكشف للقارئ عن العلاقة الكامنة بين الدوال والمدلولات، من ذلك الأسماء التي تحمل دلالة مسبقة وجاهزة من مركز اجتماعي أو وظيفة اجتماعية والتي تجعل من القارئ يتوقع من هذه الشخصية هذا السلوك وليس سلوكاً آخر.

لاحظنا أن النصوص العرفانية المدروسة لا تخلو من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية العربية خاصة الصوفية، والأمثال العربية جاءت على أسنة الشخصيات المحورية في أغلب الأحيان مما يوحي بانفتاح هذه النصوص على الموسوعية التراثية العربية، وجاءت لتدعيم مواقف سردية معينة واشتغلت كتكثيف حكاوي واقتصاد في السرد، وأدرجت في النصوص مع ذكر قائلها خاصة الأشعار، مما يشير إلى تركيز الكاتب على أسماء الشخصيات المبدعة لهذه الأشعار، بالإضافة إلى معانيها وكان توظيف هذا التنوع في النصوص الروائية يهدف لعقد علاقات المشابهة بين مواقف وشخصيات معينة، والمواقف والشخصيات المفترضة والتي يكون معناها مثبتاً في النص التاريخي والنص الثقافي. كما يعكس ورود الأشعار والأمثال وبشكل مكثف ومتواتر. في جميع النصوص السردية المدروسة

المستوى الثقافي والمعرفي للروائي من جهة، واستدعاء هذا الأخير نوعا معينا ومحددا من القراء من جهة ثانية ; إذ يستوجب في القراء مستوى معرفيا يسمح لهم بفهم النص والولوج إلى أعماقه وإدراك دلالاته البعيدة انطلاقا من هذه المفاتيح كما يوضح ذلك ابن عرفة بنفسه قائلا : " وهو طموح كبير يتطلب استثمارا في المعرفة والكّد في تشكيلها عبر جماليات التخيل السردى العرفاني. والطموح غلى قراءة نورانية هو منطوق هذا القول وغايته المصرح بها، بينما مفهومه أو المسكوت عنه هو وجود تاريخ ظلماني مؤازرٍ ومعاكس لهذه النورانية، يحقّ للقارئ أن يستخلصه بذكائه ونباهته" فهذا المشروع الذي اختطه ابن عرفة يتطلب قارئًا خاصا .

تميز فيليب هامون للشخصية إلى دال ومدلول أدى بنا إلى بعض التكرار وذلك على الرغم من فائدته، وأهميته من الجانب الإجرائي، فقد كان من الصعب دراسة كل جانب لوحده لأنهما غير منفصلين فهما يمثلان وجهين لعملة واحدة آخذين بعين الاعتبار أن الشخصية ليست دليلا عاديا، بل إن الكاتب يختار ويقصد أدلة ويغض الطرف عن أخرى، وبالتالي فدرجة الاعتباطية نسبية بل هي علاقة وطيدة ومقصودة. وإن كان هذا لا يلغي اجرائية هذا التمييز لأنه ومن جانب آخر مكّنا من التطرق إلى تفصيلات أخرى كثيرة كالأوصاف والوظائف ووضع السارد، وتواتر الاسم وغناه وتعليقه وغيرها كان يمكن تجاهلها.

محاولة الكاتب إسقاط الماضي التاريخي على الحاضر المعاصر حيث تعامل مع التاريخ وشخصه كمادة خام صرفة تمكن من تحويلها والانحراف عنها، بتغليب عنصر الواقع على خيال الروائي الذي يشد الرواية إلى عالم الحاضر ويعمل على ترهين أحداثها، ليؤكد فكرة وحدة التجربة الإنسانية ويكشف عن حقيقة الذات الإنسانية ومعاناتها عبر العصور المختلفة في صورة أدبية متقنة. فقد عاد الكاتب بالذاكرة إلى

دولة الإسلام في إسبانيا عبر روايات ثلاث قمنا بتسليط الضوء على عنصر الشخصية فيها. فقدم لنا أمثلة رائعة عن التضحية والجهاد والعلم والحكم والعمل المتقن...

كان للشخصية الصوفية في المتون محل الدراسة رؤية عرفانية خاصة تختلف اختلافا كبيرا ومن جوانب عديدة عن أية رؤية أخرى للعالم، وللعرفاء وجهة نظر خاصة في الإنسان توفر لهم تفسيراً عنه يختلف عن تفسير غيرهم من العلماء، فالعالم من وجهة النظر العرفانية بمثابة تجلٍ للأسماء الإلهية ولا وجود للتكرار في هذه التجليات، مع كمون حكمة ما خلف كل تجلٍ منها. وهذا ما رأيناه مع الششتري وابن سبعين والسبيري السقطي وابن أخته الجنيد في استشراف المستقبل.

استطاع النص العرفاني أن يخلق طرائق جديدة في السرد جعلت من الرواية أكثر مرونة وقابلية للانفتاح على نصوص جديدة؛ إذ أن حضور العرفان مرتبط بتنوع الشخصيات والأفعال المحدثثة فلا يمكن أن يوجد هذا النوع إلا بحضور شخوص أخرى واقعية تتفاعل معها لتكوين خطاب عرفاني تظهر جمالياته في الرواية من خلال جماليات البدايات والزمان والمكان، وأيضا بروز شخصيات عرفانية وظّفها الكاتب حسب المقامات التي وردت فيها.

كانت هذه أهم النتائج المتوصل إليها من خلال تطبيق مقارنة فيليب هامون المعتمدة على المنهج السيميائي لتحليل عنصر الشخصية بدقة وموضوعية بعيدا عن التأويلات والآراء الذاتية في نصوص مستحدثة لم يقع بين يديّ دراسات حولها تبحث في أي جانب من جوانب السرد فيها، فقد جهد الكاتب لتأسيس مفاهيم جديدة حسب قوله أملت عليه هوية المشروع الذي يمتح من الفواتح النورانية، ولا شك أن لهذه الفواتح أثرا في المكتوب وأثرا في راقمه وقارئه. ونحن بدورنا (بعد تجربتنا المتواضعة في محاولة

تفكيك النص العرفاني وقراءته قراءات متعددة ( نحيل على هذه الأعمال الرائدة للنهل منها).

فمن ذاق عرف





المصادر

والمراجع

## المصادر والمراجع :

### القرآن الكريم.

#### المصادر:

عبد الإله ابن عرفة:

- 1- جبل قاف (رواية)، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2002 م.
- 2- بحر نون (رحلة البحث عن الجزيرة الأطلسية) (رواية)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2007 م .
- 3- بلاد صاد (رواية) ، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
- 4- ابن الخطيب في روضة طه (رواية)، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.
- 5- طواسين الغزالي (رواية) ،دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2011 م.
- 6- ياسين قلب الخلافة (رواية)، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
- 7- الحواميم (رواية)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2010 م.
- 8- طوق سر المحبة (سيرة العشق عند ابن حزم)، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2015 م .
- 9- ألم الجنيد (رواية)، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2016 م
- 10- أَلر خنائة (رواية)، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2018 م

- 11- مفاتيح جماليّة السرد العرفاني ، ضمن كتاب جماعي "جمالية السرد في الرواية العرفانية"، عبد الإله ابن عرفة و آخرون، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط 1، 2014 م.

## المراجع :

## العربية :

- 12- إبراهيم صحراوي : تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، دار الآفاق، الجزائر، ط 2، 2003 م.
- 13- إبراهيم عباس : الرواية المغاربية، تشكل النص السردى في ضوء البعد الايديولوجي، دار -الرائد الجزائر، ط1، 2005م.
- 14- ابن الأبار محمد بن عبد الله البلنسي : التكملة لكتاب الصلة، تح : عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة ، لبنان، د.ط، 1995 م.
- 15- ابن الاثير الجزري : الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987 م، ج 6.
- 16- ابن بشكوال : كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة لأبي احمد بن إبراهيم الغرناطي ، تحقيق : شريف أبو العلا العدوى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 2008 م،
- 17- ابن حزم الأندلسي : رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987 م، ج 1.
- 18- ابن حزم الأندلسي : طوق الحمامة في الألفة والألاف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ،مصر، دط، 2014م.

- 19- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت. لبنان، 1970 م. مجلد3.
- 20- ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق : محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي ، تونس، ط1، 2013، ج2
- 21- ابن عربي الحاتمي : الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار، ضبط وتحقيق : عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 م، ترجمة ابن عربي.
- 22- ابن عربي الحاتمي : الحقائق الإلهية في أشعار الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 23- ابن عربي الحاتمي : المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات ويليهِ العقد المنظوم فيما تحويه الحروف من الخواص ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1، 2006 م.
- 24- ابن عربي الحاتمي : فتوحات مكية، تحقيق : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2006م، ج6 ج1
- 25- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1997، المجلد 6.
- 26- ابن هشام الأنصاري : شرح قطر الندى وبل الصدى، بواسطة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر ، ط 1، 1990 م.
- 27- أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ط1، 1933 م.

- 28- أبو حسن الششتري : ديوان أبي الحسن الششتري، تحقيق : سامي النشار، دار المعارف، الاسكندرية، ط 1، 1960 م.
- 29- أبو عبد الرحمن السُّلمي : الطبقات الصوفية، تحقيق : أحمد الشرباص، مؤسسة دار الشعب، ط 2، 1998 م.
- 30- أبو نصر عبد الوهاب السُّبكي : طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1964 م، ج 2.
- 31- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ج 2.
- 32- أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني : عنوان الدرّاية فيمن عُرّف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق : عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 2. 1979م.
- 33- أحمد بن محمد الشافعي : روضة الناظرين و خلاصة مناقب الصالحين، تحقيق : ممدوح إبراهيم محمد، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2015م.
- 34- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني : نفح الطيب من غصن الأئلس الرّطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1968م.
- 35- أحمد حسانين أحمد : سيكولوجية الألم، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 1، 2011 م.

- أحمد طالب : الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1989م.
- 36- أحمد مرشد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005 م.
- 37- اخوان الصفا : رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، مركز الشر- مكتب الاعلام الإسلامي، قم، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، دط، 1984 م، المجلد الرابع.
- 38- إسماعيل ابن كثير : البداية والنهاية، مكتبة صفا، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002 م.
- 39- أوريدة عبود : المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية- دراسة بنيوية لنفوس ثائرة- دار الأمل للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2005م
- 40- البهجي إيناس حسني : تاريخ دولة الأندلس، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، الأردن، ط 1، 2016 م.
- 41- تركي الدخيل : التسامح زينة الدنيا والدين، دار مدارك للنشر، المملكة العربية السعودية، 2019 م.
- 42- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط 5، 2006م.
- 43- جابر عصفور وآخرون : الأسطورة والإبداع، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، د ط، 2005 م.
- 44- الجرجاني : كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000 م.

- 45- جمال يحيوي : سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1492-1610م،  
دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004 م.
- 46- جميل صليبا : المعجم الفرنسي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية  
واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982 م، ج 1.
- 47- حسن الأشلم : الشخصية الروائية عند خليفة حسين، مجلس الثقافة  
العام، القاهرة، د ط ، 2006 م.
- 48- الحسن بن محمد القاسم الكوهن المغربي : الطبقات الشاذلية الكبرى،  
دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2. 2005 م.
- 49- حسين نصار : فواتح السور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2002 م.
- 50- حميد لحميداني : بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، المركز  
الثقافى العربى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991 م.
- 51- حنون مبارك : دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار  
البيضاء، المغرب، ط1، 1987م.
- 52- الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها  
العلماء من غير ساكنيها، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2001 م.
- 53- داود الأنطاكي : تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، عالم الكتب،  
القاهرة ، ج1، 1972م.
- 54- سراج الدين ابن الملتن : طبقات الأولياء، تحقيق : نور الدين شديبة،  
مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 2، 1994 م.
- 55- سعاد الحكيم : ابن عربي و مولد لغة جديدة، دندرة للطباعة و النشر،  
بيروت، لبنان، ط1، 1991م

- 56- سعيد بنكراد: سيميولوجيا الشخصيات السردية، رواية "الشراع و العاصفة" لحننا مينا نموذجاً، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2003م.
- 57- سعيد يقطين : السرديات والتحليل السردى(الشكل والدلالة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2012 م.
- 58- سعيد يقطين : قال الراوي (البنىات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997 م.
- 59- السكاكي : مفتاح العلوم، ضبط وتحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 2، 1987 م.
- 60- سمر روجي الفيصل : الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003 م.
- 61- سمر مرزوقي، جميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، د.ت.
- 62- سيد بن حسين العفاني : صلاح الأمة في علو الهمة، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 1، 1997م، مج 7.
- سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ت، 1984 م.
- 63- شاكرا النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م
- 64- شاهين أسماء : جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2001م

- 65- شهاب الدين السهروردي : عوارف المعارف، تحقيق الشيخ عبد الحلیم محمود، مكتبة الإيمان . القاهرة . ط 1 . 2005.
- 66- الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، د ط، 2000 م.
- 67- صالح أحمد الشامي : مواعظ الإمام الجنيد، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2007 م.
- 68- صلاح الدين بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط. 2010 م، ج 9.
- 69- صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.
- 70- طاهر رياض : حرف الحرف، الدار الأهلية، عمان ، الأردن، ط 1، 1998 م.
- 71- طرابشي جورج : الروائي وبطله (مقاربة في اللاشعور في الرواية العربية)، دار الآداب، بيروت لبنان، 1995 م.
- 72- طلال محمود حرب : معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1999م.
- 73- عاطف جودة نصر: شعر ابن الفارض، دار الأندلس، لبنان، ط 1، 1982 م.
- 74- عبد الباقي مفتاح : بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2011،
- 75- عبد الباقي مفتاح : ختم القرآن محيي الدين ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009 م، ص 195.

- 76- عبد الحليم محمود : العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري، دار  
الرشاد، القاهرة، ط2، 2003م.
- 77- عبد الحليم محمود : شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث (حياته ومعراجه إلى  
الله)، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1985 م
- 78- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين،  
تحقيق: عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، دار الكتب المصرية، مصر  
ط1، 1998م
- 79- عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى  
سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط 2، 1981 م،
- 80- عبد السلام العمراني الخالدي : صريح العبارة وباهر الإشارة في جرد  
معاني البحر المديد الغزيرة، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، 2009م.
- 81- عبد الفتاح الحجمري : عتبات النص (البنية والدلالة)، منشورات الرابطة،  
الدار البيضاء، ط 8، 1996 م.
- 82- عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية، تحقيق : معروف مصطفى،  
المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م.
- 83- عبد الله التطاوي : الحوار الثقافي مشروع التواصل والإنماء، الدار  
المصرية اللبنانية، مصر، ط 1، 2006 م.
- 84- عبد الله أنيس طباع : القطوف اليانعة: من ثمار جنة الأندلس الاسلامي  
الدانية، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، د ط، 1986 م.
- 85- عبد الله حمادي : الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-  
1616، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط. 1989م.

- 86- عبد الله رضوان : أدباء أردنيون دراسات في الأدب العربي الحديث،  
الينابيع للنشر والتوزيع، د.ط، عمان، الأردن، 1996 م.
- 87- عبد الله محمد إسحاق : محطات في حركة التنوير الأوربية، دار ابن  
رشيد، القاهرة مصر، ط1، 2017م.
- 88- عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ( معالجة تفكيكية  
سيمائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،  
الجزائر، 1995 م.
- 89- عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية، مجلة عالم الفكر، العدد 230،  
الكويت، ديسمبر 1998م
- 90- عبد المعطي شعراوي : أساطير إغريقية (الآلهة الكبرى)، المكتبة  
الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 2005، ج 3.
- 91- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية  
تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2004 م.
- 92- عبد الوهاب الشعراني : الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية  
في مناقب العلماء والصوفية، تحقيق : أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي  
وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 2005 م.
- 93- عبد الوهاب الشعراني : لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات  
المكية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج  
2، ط 1، 2015 م.
- 94- عزيزة فؤال بايتي : موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار  
الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ج3، 2009م.

- 95- الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين، تحقيق : سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2004 م، ج 4.
- 96- فارس كمال نظمي : الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار ئاراس للطباعة والنشر، كردستان العراق، ط 1، 2007 م.
- 97- فاروق عبد المعطي : أرسطو أستاذ فلاسفة اليونان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992 م.
- 98- فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني : وسطية الإسلام في دوافع الجهاد، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، د، ط، 1431 هـ (2010).
- 99- فراس السواح طريق إخوان الصفاء ( المدخل إلى الغنوصية الإسلامية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط 3، 2016 م.
- 100- فراس السواح مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط2، 1981م.
- 101- فريد الزاهي: الحكاية والتمثيل، دراسات في السرد الروائي والقصصي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1991م،
- 102- قادة عقاق : دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 1، 2001 م.
- 103- قاسم زكي : مأساة نفرتيتي وأخواتها(قصة نهب وتهريب الآثار المصرية للخارج منذ الأزل حتى يومنا هذا)، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2019 م.
- 104- قاسم محمد عباس : الحلاج ، الأعمال الكاملة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002 م.

- 105- كامل الهاشمي : في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، مجلد 9، ط 6، 2002 م.
- 106- لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي : أعمال الأعلام (نشر بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية)، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، لبنان 1956م.
- 107- مجدي وهبة- كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة، لبنان، ط 2، 1984 م.
- 108- محمد ابن إسحاق الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2013 م.
- 109- محمد إقبال : تجديد الفكر الديني في الإسلام، تحقيق : عباس محمود، دار الهداية، الجزائر، ط 2، 2000 م.
- 110- محمد الراشد : مسارات وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط 2، 2009 م .
- 111- محمد العابد الجابري في كتابه تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 10، 2009م.
- 112- محمد العدلوني الإدريسي : أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، ط 1، 2005 م.
- 113- محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، أشرف على التحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 11، 1996 م، بيروت لبنان، ج 12.
- 114- محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثه الاكياس، دار الثقافة، المغرب ط1، 2004 م، ج 2 .

- 115- محمد بن داود الأصبهاني : الزهرة، تحقيق : إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط 2، 1985 م، ج 1.
- 116- محمد بوعزة : تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010م
- 117- محمد حسن العيدروس : العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس(التطهير العرقي وجرائم الإبادة الجماعية ضد المسلمين في إسبانيا)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2011م
- 118- محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2002
- 119- محمد شقير العاملي: فلسفة العرفان، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م
- 120- محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966، ط 3.
- 121- محمد عبده حتاملة : الأندلس، التاريخ، الحضارة والمحنة دراسة شاملة، المكتبة الوطنية، عمان الأردن، 2000، د ط.
- 122- محمد غازي عرابي : النصوص مصطلحات التصوف، دار قتيبة، دمشق، دط، 1985 م.
- 123- محمود شلبي : حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1992 م.
- 124- محمود عبد الوهاب : ثريا النص/مدخل لدراسة العنوان القصصي، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، العراق، ط1، 1995م.

- 125- محمود محمود الغراب : شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس  
من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، مطبعة نصر، دمشق، ط 2،  
1994 م.
- 126- مرتضى المطهري : الكلام العرفان، تعريب : الشيخ علي خازم، الدار  
الإسلامية للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1993 م.
- 127- مرشد أحمد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2005 م.
- 128- مريم فرنسيس : في بناء النص ودلالاته (نظم النص التخاطبي)، وزارة  
الثقافة، د ط، دمشق، سوريا، 2001م.
- 129- مصطفى الضبع : استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة،  
القاهرة، دت، 1998 م.
- 130- مناع القطان : مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،  
الرياض، ط3، 2000م.
- 131- منير البعلبكي : معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،  
ط 1، 1992 م.
- 132- ميادة كيالي : المرأة والألوهة المؤنثة في حضارة بلاد الرافدين، منشورات  
مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الدار البيضاء، بيروت، 2015 م.
- 133- نصر حامد أبو زيد : هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، مصر، د ط، 2002 م .
- 134- نضال صالح : النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، دار  
الأمعية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط2010، 1م.

- 135- نضال صالح : النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، دار  
الأمعية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط1، 2010م
- 136- هيام شعبان : السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي،  
أربد، عمان، ط 1، 2004 م.
- 137- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادرن بيروت، لبنان، ط 1،  
1977 م.
- 138- يوسف حطيني : مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب  
العرب، دمشق، (د ط)، 1999
- 139- يوسف داوود أحمد : لغة الشعر (بحث في المنهج و التطبيق)، منشورات  
وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، 1980م.

### الكتب المترجمة :

- 140- تومشفسكي : نظرية الأغراض، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، ترجمة : إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين، الدار البيضاء، ط1، 1985م.
- 141- جوزيف بيريز : التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا، ترجمة : مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة(كلمة)، ط 1، 2012 م.
- 142- جيرا جينيت : خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة : محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر الحلي، المجلس الأعلى للثقافة، المغرب، ط 2. 1977 م.
- 143- فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: السعيد بنكراد، دار الكلام الرباط، 1990م.
- 144- فيليب هامون : شعرية المحكي ترجمة: غسان السيد، الجمعية التعاونية للطباعة 2001م.
- 145- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة : غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للخدمات والنشر، بيروت، ط2، 1984م
- 146- لوك فيري : الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ترجمة : محمد هشام، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 2002م.

- 147- مارتن لوثر : الحرية المسيحية، ترجمة : موريس سيكل - جورج صبرا،  
كلية اللاهوت للشرق الأدنى، لبنان، ط 1، 2013م.
- 148- ماسينيون لويس بول كراوس : أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج،  
التلويح للطباعة والنشر، دمشق، دط، 2006م.
- 149- ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة : فريد أنطونيوس،  
منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط3، 1986م .
- 150- ميكيا فيلي : الأمير، تعريب : خيرى حماد، المكتب التجاري للطباعة،  
بيروت، لبنان، دط، 1960م.
- 151- ميلاني كلاين ، جون ريفير : الحب والكراهية، ترجمة : وجيه أسعد،  
دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1993 م.

الأجنبية :

- 152- Achour (christiane), Rezzourg (simone) :  
convergences critique, O.P.U, Alger, 1995.
- 153- BarthesRoland : Introduction à l'analyse structurale  
des récits in poetique du recit,Seuil, Paris, 1977.
- 154- BarthesRoland : Le degrés zéro de l'écriture, Points,  
seuil, Paris, 1970.
- 155- BarthesRoland : S/Z, Coll: Tel quel, Seuil, Paris,  
1970
- 156- BENVENISTE (Emile) : Probleme de linguistique  
general, T1, Gallimard, Paris, 1976.
- 157- CHARLES GRIVEL : Production de l'intérêt  
romanesque, Mouton, Paris, 1973
- 158- Collectif : Représenter la ville.- Paris, Editions  
communica, 1995
- 159- F.DE SAUSSER Cours de linguistiques générale,  
Payot, Paris, 1972
- 160- Gerard Genette,seuils,ed.du seuil.paris.1987.

- 161- HAMON Philipe : Introduction à l'analyse du descriptif, Ed : H,U,1981,
- 162- HAMON Philipe : pour un statut semiologique du personnage, in poetique du recit, Seuil, Paris, 1977.
- 163- MAINGUENEAU (Dominique) : Elements linguistiques pour le texte litteraire, ED : Durade, Paris, 1993.
- 164- P.L.REY : Le roman, Coll. contours litteraires, Hachette, Paris, 1992.
- 165- The symposium, plato : M. C. HOWATSON, Cambridge University Press, Royaume-Uni, 2008.
- 166- TODOROV (Tzevetan) : Littérature et signification, Larousse, Paris, 1972.
- 167- TODOROV, O.DUCROT : Dictionnaire encyclopedique des sciences de langage, Seuil, Paris, 1972.
- 168- William Thomas : Queen Isabella of Spain, Sheed & Ward, Landon, 1931.

الرسائل الجامعية:

- 169- الطاهر رواينية : سرديات الخطاب الروائي المغربي الجديد، مقارنة-  
نظرية تطبيقية : في آليات المحكي الروائي، مخطوط دكتوراه، جامعة سيدي  
بلعباس 2004/2003 م.
- 170- نبيلة زويش : الشخصية بين النظرية والتطبيق اللاز واعشق والموت  
في الزمن الحراشي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف : الدكتور عبد  
الحميد بورايو، جامعة الجزائر 2. للموسم الدراسي 2010/2011 م
- 171- نور الدين بلاز : بناء الشخصية -مقاربة سيميائية- رواية عندما يختفي  
القمر لحفناوي زاغر نموذجاً، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور نور الدين  
السد، جامعة الجزائر 2، للموسم الدراسي 2011/2010 م
- 172- رشيد بنمالك : السيميائية بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه، جامعة  
تلمسان، الجزائر، 1988 م.

**المجلات :**

- 173- إبراهيم الحجري: مقال، مجلة نوات: مجلة إلكترونية نصف شهرية  
تصدر عن "مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث"، المغرب العدد  
2015-10م
- 174- أحمد المنادي : النص الموازي، آفاق المعنى خارج النص، مجلة علامات  
في النقد الأدبي، النادي الأدبي بجدة، ج 61، مج 16، ماي 2007م

- 175- أمبيرتو إيكو : القارئ النموذجي، تر: أحمد بوحسن، مجلة آفاق اتحاد كتاب المغرب عدد 8-9/ 1988 م.
- 176- أيمن الحسن : الحساسية الجديدة في القصة و الرواية ، جريدة الأسبوع الأدبي، دبي العدد 1325. صفر 1434 هـ الموافق ل 2012/12/29م
- 177- جاب لننقلت : مستويات النص السردي الأدبي، ترجمة رشيد بنحدو، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب عدد 8-9/ 1988 م.
- 178- شريف هزاع شريف: المعنى والتأويل في الخطاب الصوفي عند الحلاج، مجلة علامات، مجلة محكمة تُعنى بالسيميائيات والدراسات الأدبية الحديثة والترجمة، المغرب، العدد 22 ، 2004م.
- 179- عبد اللطيف الوراري : مقال، مجلة نوات: مجلة إلكترونية نصف شهرية تصدر عن "مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث"، المغرب العدد 10-2015م.
- 180- محمد العبد : النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، العدد 60، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف وخريف 2002 م.
- 181- محمد محمود أبو عزيز : الفيصل، مجلة ثقافية شهرية، ع 280. يناير/فبراير 2000م. المملكة العربية السعودية،
- 182- الهام محمود كاظم و مشتاق بشير غزالي : اضطهاد مسلمي الأندلس (الموريسكيين Moriscos -في عهد شارل الأول (كارلوس الخامس)
- 1516-1556. مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد: 30، السنة 11. 2017م.

## الملتقيات :

183- شريط أحمد : سيميائية الشخصية الروائية، ملتقى السيميائية والنص الأدبي، جامعة عنابة، ماي 1995م.

## المواقع الالكترونية :

<https://wikipedia.org/wiki><ع.

<https://wikipedia.org/wiki><كتاب الموتى

-موقع عربي بوست arabicpost.net هينان ملكة الطوارق-الجزائرية/ثقافة عامة.

-محمد أداد، "الصوفي في الروائي"، موقع محمد عابد الجابري. شوهد على

الرابط التالي:

[https://www.aljabriabed.net/n40\\_06adada\).htm](https://www.aljabriabed.net/n40_06adada).htm)

# فهرس الاشكال و الجداول

فهرس الاشكال :

68	شكل 1مسلمو اليوم موريسكيو الأمس
71	شكل 2 إسقاط الماضي على الحاضر
76	شكل 3 تمثّلات السلطة
89	شكل 4 موافقة فواتح السور لرواية (طوق سر المحبة)
99	شكل 5 العرفان عند ذي النون وابن عربي
147	شكل 6 علاقات الحب بين شخصيات الروايات
148	شكل 7 ارتباط الشخصيات بالأماكن
148	شكل 8 المحبة
173	شكل 9 أصوات المؤلف.
193	شكل 10 وظيفة إيزابيلا مقابل وظيفة العائلة
217	شكل 11 سماحة الإسلام
339	شكل 12 نظام الشخصية
339	شكل 13 أهم أسماء شخصيات رواية الحواميم
340	شكل 14 أهم أسماء شخصيات رواية الجنيد ألم المعرفة

340	شكل 15 أهم أسماء شخصيات رواية طوق سر المحبة
-----	---

## فهرس الجداول

114	جدول 1 اسماء الشخصيات العرفانية في رواية الجنيد ألم المعرفة
234	جدول 2 أسماء ذات دلالات إيجابية أو سلبية
282	جدول 3 المحاور الدلالية
285	جدول 4 وظائف الشخصية
287	جدول 5 مواصفات الشخصيات (طوق سر المحبة)
288	جدول 6 أفعال الشخصيات (طوق سر المحبة)
293	جدول 7 تواتر الشخصيات (بحر نون)
294	جدول 8 تواتر الشخصيات (بلاد صاد)
295	جدول 9 تواتر الشخصيات (الحواميم)
296	جدول 10 تواتر الشخصيات (طوق سر المحبة)
297	جدول 11 تواتر الشخصيات (الجنيد ألم المعرفة)
332	جدول 112 صيغ الأسماء
348	جدول 10 صور أسماء الشخصيات



# فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

08	الإهداء شكر وتقدير مقدمة
16	مبجل
18	الرواية العرفانية
19	العرفان
23	اللغة العرفانية
30	التراث العرفاني
38	الخيال الخلاق
43	ملخص رواية بحر نون
44	ملخص رواية بلاد صاد
45	ملخص رواية الحواميم
47	ملخص رواية طوق سر المحبة
50	ملخص رواية الجنيد ألم المعرفة

51	عبد الإله ابن عرفة
<b>الفصل الأول : أصناف الشخصية</b>	
59	الشخصية المرجعية
60	الشخصية التاريخية
60	الشخصية السياسية
60	الأهرامات - غرناطة- قرطبة- بغداد
67	الشخصية الفردية
73	الشخصية الجماعية
77	الشخصيات الثقافية
84	الشخصيات الدينية
85	شخصية الأنبياء
90	أعلام إسلامية ومسيحية
95	الشخصية العرفانية
120	الشخصيات الأسطورية
131	الشخصية الاجتماعية

142	الشخصية المجازية
143	الحب
149	الحقد والكراهية
153	التسامح
155	الأم
156	الحرف
161	الشخصيات الاشارية (الواصلة)
162	تعقيبات /تعليقات السارد
167	السارد المرجعي
172	اختيار الشخصيات/انتقاء الموضوعات والأساليب
175	الحوار
181	القاريء
181	الإشارات غير المباشرة
184	الإشارات المباشرة
188	الشخصيات الاستذكارية ( العائدية)
191	شخصيات ذات قدرة على التذكر

196	شخصيات تؤول الدلائل
199	مقولات الأسلاف
<b>الفصل الثاني : مدلول الشخصية</b>	
207	تحديدات أولية
207	الدليل اللساني والشخصية
210	مدلول الشخصية
211	دلالة الأسماء الموظفة في الروايات
212	الإسم التاريخي
221	الإسم من منظور المرجعية الثقافية
222	أسماء الشخصيات المؤنسة
238	أسماء الشخصيات غير المؤنسة
241	الإسم المركب
245	الاسم التاريخي للمكان الجغرافي
255	الأماكن المغلقة
255	البيت
256	السجن

260	الأماكن المفتوحة
260	المدينة
265	البحر
268	البطاقة الدلالية للشخصية
270	نموذج الشخصية العرفانية
277	نموذج الشخصية المحبوبة
281	نموذج شخصية العدو
292	تقديم الشخصيات
293	المقياس الكمي
301	المقياس النوعي
301	طريقة التقديم غير المباشرة
302	تقديم شخصية عن طريق الراوي
309	التقديم المباشر
<b>الفصل الثالث : مجال الشخصية</b>	
318	تحديدات أولية
319	تواتر الاسم وثباته

338	غنى الاسم
360	تعلييل الاسم
374	خاتمة
384	المصادر والمراجع
407	فهرس الأشكال
409	فهرس الجداول
410	فهرس الموضوعات
	ملخصات الدراسة : ملخص باللغة العربية
	ملخص باللغة الفرنسية
	ملخص باللغة الإنجليزية

# ملخصات الدراسة

## ملخص:

تعرضنا في هذا البحث لدراسة بنية الشخصية في الرواية العرفانية عند الكاتب المغربي عبد الإله بن عرفة من خلال نماذج روائية كانت عناوينها كالتالي : "بحر نون أو البحث عن الجزيرة الأطلسية" و "الحواميم" و " طوق سر المحبة سيرة العشق عند ابن حزم" "بلاد صاد" و "الم الجنيد" وقد حاولنا الاقتراب من مفهوم العرفانية في المدخل. ثم انتقلنا إلى الشخصية التي هدف الكاتب من خلالها لتجسيد معاني إنسانية سامية فتعمد جعل الشخصية محورها، فكانت متأرجحة بين الثبات والتغير، فهناك شخصيات سكونية لا تتبدل أحوالها إلا بشكل جزئي، مقابل شخصيات محورية دينامية تتغير بشكل مفاجئ من خلال امتزاجها ومحايثتها لبنية السرد، فالمعلومات المقدمة عن الشخصية بكل أشكالها ومن مختلف المصادر يجب أن تنطلق من أبعاد مدروسة، وتُصاغ لتلبي حاجة الشخصية، أي الكشف عن بنيتها ومستواها الفكري ونوازعها النفسية ومنطلقاتها العاطفية، والإفصاح عن طبيعة الانسجام ما بين جوانبها وبرانيتها، وقد قام الروائي ابن عرفة بتقديم أبعاد شخصياته الروائية في قوالب فنية وبالتدرج، على شكل دفعات تتناسب مع المنطق وأحداث الروايات وما يمليه جوها العام، فتتبعنا أصنافها المختلفة في الفصل الأول من البحث. وفي فصله الثاني توقفنا عند مدلول الشخصيات في المتون الثلاث وأنهينا العمل بالجانب الثاني الشخصيات والمتمثل في دال الشخصية وختاما النتائج المتوصل إليها.

## Summary :

In this research, we examined the structure of the character in the Irfanic novel by Moroccan writer Abdelilah Ben Arafa through three models of novels whose titles were: "Bahr None or Search for the Atlantic Island", "Al-Hawamim" "Tawq Sere Al-Mahaba, " Belad Sad " and "Alm Aldjounaid" "The Mystery of Surround Love edited by Ibn Hazm," and we tried to get closer to The Concept Irfanic at the Entrance. Then we moved on to the character through which the writer wanted to embody the meaning of humanism and deliberately made the character his center, so that he oscillated between stability and change, there are silent characters whose conditions change only partially, as opposed to dynamic central characters who suddenly change through their mixing and modernization. For the structure of the narrative, the information provided about the character in all its forms and from various sources must be based on informed dimensions, and is formulated to meet the character's needs, i.e. to reveal its structure, his intellectual level, his psychological tendencies and his emotional origins, and to reveal the nature of the harmony between his sense shall and his prowess, and a The novelist Ibn Arafa presented the dimensions of his characters unpublished in models artistic and gradually, that is to say in the form of lots commensurate with the logic and events of the novels and what is dictated by the general atmosphere, we followed the different types in the first chapter of the research and in its second chapter we stopped at the characters in the three texts and finished the work by the other side of the characters, which is the significant, and finally the results.

## Résumé :

Dans cette recherche, nous avons examiné la structure du personnage dans le roman Îrfanique de l'écrivain marocain Abdelilah Ben Arafa à travers plusieurs modèles de romans dont les titres étaient : "Bahr None ou recherche de l'île de l'Atlantique", "Al-Hawamim", et " Tawq Sere Al-Mahaba", " Belad Sad " et "Alm Aldjounaid" Le Mystère de l'amour surround édité par Ibn Hazm", et nous avons essayé de se rapprocher de Le concept Îrfanique à l'entrée. Puis nous sommes passés au personnage à travers lequel l'écrivain a voulu incarner le sens de l'isme humain et a délibérément fait du personnage son centre, de sorte qu'il oscillait entre la stabilité et le changement, il ya des personnages silencieux dont les conditions ne changent que partiellement, par opposition à des personnages centraux dynamiques qui changent soudainement à travers leur mélange et la modernisation. Pour la structure du récit, l'information fournie sur le personnage sous toutes ses formes et à partir de diverses sources doit être basée sur des dimensions informées, et est formulée pour répondre aux besoins du personnage, c'est-à-dire pour révéler sa structure, son niveau intellectuel, ses tendances psychologiques et ses origines émotionnelles, et pour révéler la nature de l'harmonie entre son sens et ses prouesses, et a Le romancier Ibn Arafa a présenté les dimensions de ses personnages inédits dans des modèles artistiques et progressivement, c'est-à-dire sous la forme de lots à la mesure de la logique et des événements des romans et ce qui est dicté par l'atmosphère générale, nous avons donc suivi les différents types dans le premier chapitre de la recherche et dans son deuxième chapitre, nous nous sommes arrêtés au signifie des personnages dans les trois textes et terminé le travail par l'autre face du personnages, qui est le significant, et enfin les résultats.

